

Damascus University

جامعة دمشق

Faculty of Letters

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

History Department

قسم التاريخ



منازعات الحدود العربية وطرق تسويتها

دراسة لحدود

السعودية مع اليمن والأردن وقطر

١٩١٣ - ١٩٩٥ م

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

بإشراف

أ.د سمر بهلوان

أ.د عبد العزيز المنصور

أستاذة في قسم التاريخ

أستاذ مساعد في كلية العلوم السياسية

إعداد الطالبة

كيندا كنيهر

حول اختيار موضوع البحث وأهميته وإشكاليته وأهدافه ومنهجيته وأبرز مصادره..... ٥	
الفصل الأول التمهيدي: التنافس بين القوى الدولية والمحلية وأثره في ظهور منازعات الحدود بين	
السعودية واليمن - الأردن - قطر بين عامي ١٧٦٢ و ١٩١٣:..... ١٦	
أولاً: التطور التاريخي لمفهوم الحدود وأنواعها ووظائفها:..... ١٧	
١- التطور التاريخي لمفهوم الحدود ١٧	
٢- أنواع الحدود..... ١٩	
٣- وظائف الحدود وطرق تسوية المنازعات الحدودية..... ٢٢	
ثانياً: التنافس الدولي في شبه الجزيرة العربية وأثره في ظهور منازعات الحدود ١٧٦٢-١٩١٣: ٢٥	
١- الأهمية الاقتصادية لشبه الجزيرة العربية وأثرها في ظهور التنافس الدولي عليها..... ٢٦	
٢- التطور التاريخي للنشاط الاستعماري في شبه الجزيرة العربية..... ٣٧	
٣- التنافس العثماني-البريطاني وأثره في ظهور منازعات الحدود فيها ٤٥	
ثالثاً: النزاع بين القوى المحلية وأثره في ظهور منازعات الحدود بين السعودية واليمن - الأردن -	
قطر بين عامي ١٧٦٢ و ١٩١٣..... ٥٦	
١- الخارطة السياسية للقوى المتنازعة في شبه الجزيرة العربية..... ٥٦	
٢- النزاع السعودي - اليمني - الإدريسي بين عامي ١٧٦٢-١٩١٣:..... ٥٧	
أ- التطور التاريخي للنزاع الحدودي السعودي - اليمني..... ٥٨	
ب- ظهور الأدارسة في عسير وبداية الانشقاق عن اليمن..... ٦٠	
١- النزاع بين السعوديين والأشراف بين عامي ١٧٦٢-١٩١٣:..... ٦٣	
أ- البعد التاريخي لصراع النفوذ بين آل سعود والهاشميين..... ٦٣	
ب- الشريف حسين وعبد العزيز ابن سعود..... ٦٤	
٢- النزاع السعودي - القطري بين عامي ١٧٦٢-١٩١٣:..... ٦٧	
أ- الأوضاع السياسية في قطر قبل بناء المشيخة ٦٧	
ب- العلاقة بين آل سعود وقطر قبل اتفاقية عام ١٨٦٨ ٧٠	
ج- التنافس العثماني-البريطاني وأثره في ظهور مشيخة آل ثاني في قطر..... ٧٢	

د-العلاقة بين السعودية وقطر بعد اتفاقية عام ١٨٦٨ مع بريطانيا ٨٠

الفصل الثاني: منازعات الحدود السعودية-اليمنية وطرق تسويتها بين عامي

١٩١٣ و ١٩٩٥ ٨٥

أولاً: التطورات السياسية بين السعودية واليمن ١٩١٣-١٩٢٦: ٨٦

١-ثورة آل عائض ضد الأدارسة في عسير وطلب الحماية من ابن سعود..... ٨٧

٢- الحرب بين الإمام يحيى والأدارسة وأثرها على العلاقة بين السعودية واليمن ٨٩

٣- توتر العلاقات البريطانية - اليمنية وأثرها على ظهور النزاع السعودي-اليمني..... ٩٢

ثانياً: المرحلة الأولى من النزاع الحدودي السعودي-اليمني ١٩٢٦-١٩٣١: ٩٥

١-معاهدة مكة عام ١٩٢٦م وبداية المواجهة بين ابن سعود والإمام يحيى..... ٩٥

٢-تطور النزاع الحدودي إثر ثورة الإدريسي على الحماية السعودية عام ١٩٣١..... ٩٨

٣- المفاوضات السعودية-اليمنية بين عامي ١٩٢٧-١٩٣١..... ١٠٠

ثالثاً: المرحلة الثانية:المفاوضات السعودية-اليمنية بين عامي ١٩٣١-١٩٣٤: ١٠٣

١-حادثة جبل العرو وعودة المفاوضات عام ١٩٢١..... ١٠٣

٢-النزاع الحدودي بين السعودية و اليمن حول نجران..... ١٠٤

٣-المفاوضات بين السعودية و اليمن حول عسير ونجران..... ١٠٥

٤-الاقتراحات المتبادلة بين السعودية واليمن..... ١٠٧

٥- مؤتمر أبها والاقتراحات المتبادلة عام ١٩٣٤..... ١٠٩

رابعاً: المرحلة الثالثة: مرحلة الحرب السعودية - اليمنية واتفاقية الطائف عام ١٩٣٤: ١١٢

١-التنافس الاستعماري وأثره في قيام الحرب السعودية- اليمنية عام ١٩٣٤..... ١١٢

٢-المواجهة العسكرية بين السعودية واليمن عام ١٩٣٤..... ١١٦

٣-المفاوضات واتفاقية الطائف عام ١٩٣٤: ١٢١

أ- اتفاقية الطائف بين البنود والتطبيق..... ١٢٣

ب- المناطق التي ظلت مثار خلاف بين البلدين..... ١٢٩

خامساً: مرحلة التعاون والتنسيق السعودي-اليمني بين عامي ١٩٣٤-١٩٦٢..... ١٣٣

سادساً: العلاقات السعودية- اليمنية وأثرها على الحدود بين عامي ١٩٦٢-١٩٩٥: ١٣٥

١- ثورة عام ١٩٦٢ وأثرها على العلاقات السعودية-اليمنية حتى عام ١٩٧٠..... ١٣٦

٢-النزاع الحدودي السعودي - اليمني منذ عام ١٩٧٠حتى الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠..... ١٣٧

٣- النزاع الحدودي السعودي - اليمني بين عامي ١٩٩٠-١٩٩٥..... ١٣٨

الفصل الثالث: منازعات الحدود السعودية -الأردنية وطرق تسويتها بين عامي

١٩١٣ و١٩٩٥:..... ١٤٣

أولاً: التطورات السياسية بين الهاشميين والسعوديين في الحجاز ١٩١٣-١٩٢٤..... ١٤٥

ثانياً: نشوء إمارة شرقي الأردن وبداية النزاع الحدودي مع السعودية عام ١٩٢١:..... ١٥٤

١- شرقي الأردن قبل نشوء الإمارة..... ١٥٤

٢- وصول الأمير عبد الله إلى شرقي الأردن وتأسيس الإمارة عام ١٩٢١..... ١٥٩

ثالثاً: النزاع الحدودي السعودي-الأردني على وادي السرحان بين عامي ١٩٢١-١٩٢٥:..... ١٦٢

١- النزاع حول وادي السرحان حتى عام ١٩٢٢..... ١٦٢

٢- مؤتمر الكويت (العقير) ومسألة الحدود السعودية - الأردنية عام ١٩٢٢..... ١٦٥

٣- المواجهة العسكرية و التدخل البريطاني عام ١٩٢٤..... ١٧١

٤- اتفاقية حذاء والحدود السعودية-الأردنية الثابتة عام ١٩٢٥..... ١٧٢

رابعاً: المرحلة الثانية: النزاع الحدودي السعودي-الأردني حول معان والعقبة ١٩٢٥-١٩٣٠:..... ١٧٥

١- أهمية موقع العقبة ومعان وأثره في ظهور النزاع بين السعودية والأردن..... ١٧٥

٢- العقبة ومعان بين مملكة الحجاز و شرقي الأردن حتى عام ١٩٣٠..... ١٧٧

خامساً: الاتفاقيات الحدودية بين السعودية والأردن وأثرها على العشائر في البلدين:..... ١٨٥

١- العشائر بين الحدود الثابتة والتقاليد البدوية..... ١٨٥

٢- الصراع بين النظام الجديد والنظام القديم وآثاره على الحدود..... ١٨٨

٣- الصراع بين اقتصاد الدولة والاقتصاد القبلي وآثاره على الحدود..... ١٩١

سادساً: العلاقات بين السعودية وشرقي الأردن وأثرها على الحدود بين عامي ١٩٣٠-١٩٩٥. ١٩٤

الفصل الرابع: منازعات الحدود السعودية - القطرية وطرق تسويتها بين

عامي ١٩١٣ و١٩٩٥:..... ٢٠٠

أولاً: مشكلة الحدود السعودية-القطرية بين عامي ١٩١٣-١٩٢٢:..... ٢٠١

١- قطر من الناحية الجغرافية..... ٢٠١

٢- جدلية العلاقة بين التنافس العثماني -البريطاني ومشكلات الحدود الخليجية..... ٢٠٤

٣- التوزيع الديموغرافي وأثره على الحدود السعودية -القطرية..... ٢٠٧

٤- أهم المناطق المتنازع عليها بين السعودية وقطر..... ٢٠٧

ثانياً: تطوّر مشكلة الحدود السعودية - القطرية بعد الحرب العالميّة الأولى:.....	٢٠٩
ثالثاً: بريطانيا وتطوّر مشكلة الحدود السعودية-القطرية بين عامي ١٩٣٥-١٩٦٥:.....	٢١٢
١- صراع شركات النفط وأثره على تطوّر الحدود السّعودية -القطريّة بين عامي ١٩٣٥-١٩٦٥ ..	٢١٢
٢- دور بريطانيا في مشكلة الحدود بين السعودية وقطر بين عامي ١٩٣٥-١٩٦٥:.....	٢٢١
أ-الاقتراحات البريطانيّة- السعودية لحل مشكلة الحدود بين السعودية وقطر:.....	٢٢١
١ -الاقتراحات البريطانيّة حول الحدود السعودية-القطرية:	٢٢٣
أ -الخط الأخضر	٢٢٣
ب -الخط البني.....	٢٢٤
ج - خط الرياض (خط رايان تشرين الثاني عام ١٩٣٥).....	٢٢٥
٢ - الاقتراحات السّعوديّة للحدود بين المملكة وقطر.....	٢٢٦
ب-المفاوضات البريطانيّة - السّعوديّة المباشرة بين عامي ١٩٣٥-١٩٤٥.....	٢٢٩
ج- المفاوضات البريطانيّة - السّعوديّة المباشرة بين عامي ١٩٤٥-١٩٦٥.....	٢٣٢
رابعاً: التّطوّرات السّياسيّة في الخليج وانعكاسها على الحدود بين عامي ١٩٦٥-١٩٩٥.....	٢٤٠
الخاتمة	٢٤٩
ملاحق البحث.....	٢٥٥
أولاً: الخرائط.....	٢٥٥
ثانياً: الجداول والرسوم التوضيحية	٢٨٠
ثالثاً: الوثائق غير المنشورة	٢٨٦
رابعاً:الوثائق المنشورة	٢٩٢
خامساً: صور لأهمّ الشّخصيّات والشّعارات والرّايات	٣١٠
مصادر البحث	٣١٨

المقدمة:

تظل مسألة الحدود قضية مهمة ومؤثرة على الواقع السياسي العربي، فقد أكدت الأحداث السياسية التي شهدتها الوطن العربي خلال العقود الماضية أن الحدود أصبحت المؤرق الأكثر حساسية بالنسبة للعلاقات العربية-العربية، فمن أقصى المحيط إلى أقصى الخليج بقيت هذه المشكلة تلاحق أذهان القيادات السياسية العربية، وتعكر صفو العلاقات بين دولها، وفي كثير من الأحيان أسفرت عن أحداث عسكرية أراق فيها الأخ دم أخيه العربي، متناسين أن هذه الأرض وشعبها يشكلون وحدة لا تتجزأ. وهذا ما دفعني لدراسة واقع الحدود العربية، لا سيما في المنطقة موضوع الدراسة، لنقلها الاقتصادي والجغرافي على المستوى العالمي، وطرح المشكلة بطريقة تحليلية، وتم التركيز على الحدود بين المملكة العربية السعودية التي تُعد دولة محورية في الوطن العربي، ولا سيما أن لديها ثلاثة أنواع من المشكلات الحدودية مع ثلاثة دول مجاورة لها (الأردن - اليمن - قطر)، فمنها ما تم حله بالمفاوضات، ومنها ما حل بعد صراع عسكري طويل وممرير، وآخر من خلال التحكيم.

اتفق الباحثون على تقسيم تاريخ الدولة السعودية إلى ثلاثة أدوار، واصطلحوا تسمية الدور الأول باسم الدولة السعودية الأولى^(١)، والدور الثاني باسم الدولة السعودية الثانية، والدور الثالث باسم الدولة السعودية الثالثة التي

(١) - بدأ تاريخ الدولة السعودية الأولى عندما انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بلدة العيينة إلى الدرعية، حيث حصل اتفاق بين أمير الدرعية محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان الاتفاق ينص على توحيد جهود الرجلين لنشر رسالة التوحيد السلفية التي نادى بها عبد الوهاب، مقابل اشتراط الأمير بعدم تحول محمد بن عبد الوهاب بعد انتشار الدعوة إلى طرف آخر، فأجاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ابسط يدك أيها الأمير الدم بالدم والهدم بالهدم). هذا الاتفاق أسهم في التحام القوة السياسية ممثلة بشخص الإمام محمد بن سعود، والقوة الفكرية الدينية ممثلة بشخص الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الأمر الذي سيجعل من التجربة السعودية تجربة قوية وثابتة، أسفرت في نهاية المطاف عن قيام دولة قوية، انطلقت في غفلة من القوى المتنازعة في شبه الجزيرة العربية، والفكرة القبلية التي جمعت رجال ابن سعود حوله تم تدعيمها بفكرة دينية عقائدية جعلت قوة آل سعود مضاعفة بعدة مرات عن القوى السياسية الأخرى في المنطقة، وأعطتهم القدرة على التمدد الروحي في كثير من المناطق المجاورة، ثم الانتقال إلى مرحلة الضم المدعوم برغبة الوهابيين بالانضمام سياسياً إلى سلطة ابن سعود. وبعد نصف قرن من الحروب تمكن الوهابيون من السيطرة على العيينة وحرملاء (من بلدان العارض)، ثم الرياض في عهد عبد العزيز بن محمد الذي تسلم الحكم بعد وفاة محمد بن سعود ١١٧٩هـ/١٧٦٥م. ثم سيطروا على جبل شمر المعروف بقيمته الاقتصادية الكبيرة عام ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م، و ضموا الإحساء، وأنهوا حكم بني خالد فيها، ثم توجهت أنظار عبد العزيز إلى الخليج العربي وإماراته، فاستطاع السيطرة على معظم نواحيها، وضمها إلى آل سعود، ثم الحجاز التي تمكن فيها من هزيمة الشريف غالب ودخل مكة عام ١٢١٧هـ/١٨٠٣م، بعد انتصارات حاسمة، أصبحت بعدها الدولة السعودية الأولى مجاورة للوجود العثماني ومطلّة على مياه الخليج، مما شكّل تهديداً مزدوجاً على حكام الخليج وبريطانيا من جهة وعلى النفوذ العثماني من جهة أخرى. ورأت الدولة العثمانية في التوسع السعودي انتهاكاً لهيبتها في العالم الإسلامي، وتهديداً لنفوذها في المنطقة، فطلبت من واليها محمد علي القضاء على الدعوة الوهابية، وهذا ما كان لتتطوي بهذا المصير الصفحة الأولى من تاريخ آل سعود، ثم عادت الدولة السعودية لتظهر ثانية بعد أن تمكن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود العودة إلى مقر أجداده، ثم الحسا والقطيف ومعظم جبل شمر بعد صلحه مع آل الرشيد، وقطر وعمان والبحرين، إلا أن الأمير تركي لم يتمكن من استكمال عمله بسبب مقتله على يد ابن أخيه مشاري بن عبد الرحمن عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م، وكان ذلك القتل العائلي بداية نهاية الدولة السعودية الثانية، لأنه فتح باب القتل والقتل المضاد ضمن العائلة الواحدة، فعلى الرغم من تمكن فيصل من توطيد الأمن والازدهار الاقتصادي في عهده الذي دام ٢٢ عاماً، ووقوفه في وجه تحركات محمد علي في شبه الجزيرة العربية، ولا سيما بعد اعترافه بالسيادة العثمانية عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م وقدرته على التصالح مع بريطانيا والوصول إلى مرحلة التعاون سنة ١٢٧١هـ/١٨٦٥م، إلا أنه لم يستطع أن يجمع قلوب أبنائه، فما أن توفي حتى بدأت الفتنة بين أولاده الأربعة عبد الله وسعود ومحمد وعبد الرحمن، فبعد مبايعة عبد الله الابن الأكبر لفصل بالإمامة، تمرد عليه أخوه سعود الذي تمكن من هزيمة عبد الله وأصبح سيد نجد عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، أما عبد الله فغادر الرياض إلى جبل شمر طالباً المساعدة من والي بغداد مدحت باشا، فاستغل الأخير الفرصة

أصبحت فيما بعد تحمل اسم المملكة العربيّة السّعوديّة، وأصبحت واحدة من أهمّ الدّول الخليجيّة على مسرح الأحداث السّياسيّة التي عاشتها المنطقة العربيّة لاحقاً.

وقد ترافقت عملية إعادة بناء الدولة السّعودية الثالثة مع الكثير من التطورات السّياسية في شبه الجزيرة العربيّة والتي أدت إلى زوال دول وتوسع أخرى وتنافس فيما بينها على أراضي هذه المنطقة أو تلك، الأمر الذي أسهم إلى جانب التنافس الدولي على المنطقة إلى ظهور منازعات حدودية عدة بين دولها، وهو ما سيتم مناقشته في الصفحات المقبلة من هذا البحث.

بعد انهيار الدولة السّعودية الثانية هرب عبد الرّحمن بن فيصل إلى الكويت ومن هناك لم يتوقّف عن مهاجمة القبائل التّابعة لابن الرّشيد الموالية للعثمانيين في نجد^(١)، بدعم من شيخ الكويت مبارك الصّباح وبارتياح بريطانيّ خفيّ موجّه بشكل غير مباشر للنّفوذ العثماني في شبه الجزيرة العربيّة، فابن الرّشيد الطامع بالوصول بحدود منطقتة إلى البحر من خلال السّيطرة على الكويت كان كالعدو المزدوج للأنكليز وآل الصّباح من جانب ولآل سعود من جانب آخر، في ظلّ هذا الاضطراب الكبير ظهر في الكويت الأمير عبد العزيز بن عبد الرّحمن آل سعود كقوة كبيرة أخذتها الحماسة والشّجاعة والعزيمة على استرداد أرض أجداد، فتحرك بقوّاته لاستعادة الرّياض، فكان له ما أراد عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢ بعد فشله مرتين سابقاً، واستطاع بسرعة كبيرة تحرير نجد والسّيطرة عليها، وتطلّع لاستعادة مناطق النّفوذ التّابعة لأجداده في المنطقة الشّرقية، لأهمّيتها الإستراتيجية كمنفذ بحريّ، وأخذ يوسّع دولته شيئاً فشيئاً، فتحوّلت دولته مع مرور الزّمن إلى مملكة في ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ/ ٢٢ أيلول ١٩٣٢، ضمّت نجداً كلّها وجبل شمر وعسير والحجاز^(٢). دخلت بعل توسعها في منازعات على الحدود مع الدول المجاورة لها.

لاستعادة النّفوذ العثماني على الإحساء، أما آل الرّشيد فانتهزوا الفرصة ودخل محمد بن الرّشيد بجيشه إلى الرّياض ويقضي على الدولة السّعودية الثانية ١٨٨٨. للمزيد من المعلومات حول الدولتين السّعودية الأولى والثانية راجع: ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد ، رحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، مطبوعات دار الملك عبد الله بن عبد العزيز ط ٤ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ ، ج ١ ، ص ٧٣ وما فوق ؛ أيضاً: خزعل، خلف حسين، تاريخ الجزيرة العربيّة في عهد الشيخ محمد عبد الوهاب ، مطابع دار الكتب ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨ ، ص ١٥٤-١٧٨ ؛ أيضاً: بن عيسى، صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ط ١ ، دار اليمامة للطباعة والنشر، الرّياض، ١٩٦٧م، ص ٦٢ ، ٣٦٦-٣٧٧ ؛ أيضاً: أبو حاكم، أحمد، محاضرات في تاريخ شرقي شبه جزيرة العرب في العصور الحديثة وما بعده، معهد البحوث والدراسات العربيّة، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٢٥ ؛ أيضاً: ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ج ١ ، ص ١٢٢-١٢٣

(١) - نوار، عبد العزيز سليمان ورائدا، الجزيرة العربيّة في الوثائق البريطانيّة، الجزء الأول، عين للدراسات والبحوث الاجتماعيّة والإنسانيّة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ ، ص ١٣-١٤

(٢) - للمزيد من المعلومات حول إعادة إحياء حكم آل سعود راجع: الألوسي، محمود شكري، تاريخ نجد ، تحقيق محمد بهجة الأثري، مكتبة مديولي، القاهرة ، ص ٣٢ وما فوق ، أيضاً: موسى، ألويس، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السّعودية ، ترجمه عن الألمانية سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، الدار العربيّة للموسوعات، الرّياض ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ ، ص ١٣٢-١٥٣ ؛ أيضاً: درويش، مديحة، تاريخ الدولة السّعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق للنشر والتوزيع، د.م، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ ، ص ٧٠-٧٦ ، ٧٨-١٠٩

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تُعَدُّ النزاعاتُ الحدودية والتحديات الناتجة عنها، من أكثر المسائل السياسية حساسية، بسبب قدرتها على التمدد والانتشار السريع، وهذه التحديات والنزاعات ليست حديثة العهد، بل هي نتاج المرحلة الاستعمارية، حيث تعمَّد الغرب إيجادها واستغلالها وتفعيلها وإثارتها بين الحين والآخر، وذلك نظراً للموقع المهم للوطن العربي، وما احتوته تربته من خيرات كثيرة وهامة في ميدان الإنتاج الاقتصادي العالمي، وقد وجدت الدول الاستعمارية في المشكلات الحدودية موضوعاً مهماً يمكنها من إشغال الدول العربية بخلافات جانبية تعيقها من تحقيق الأمن والاستقرار، وتمنعها من مواكبة التطورات الحضارية العالمية، ويمكنها من التدخل في شؤونها متى تطلبت مصالحها ذلك. وقد مرَّت السَّنون على انتهاء الاحتلال الأجنبي للوطن العربي، وما تزال الدول العربية تعيش حالة من الانقسام، وحدودها تحمل في طياتها مشكلات كثيرة أفرزت توتراً بينها أدى أحياناً إلى حدوث صراعٍ عسكريٍّ دامٍ، سال فيه دمٌ عربيٌّ بيدٍ عربيةٍ، وخلفَ جراحاً في وجدان شعوب عربيةٍ يتطلَّب نسيانها سنوات عديدة، وأحياناً بصراعاتٍ دفعت دولاً عربيةً لتستنجد بالغريب الأجنبي ضدَّ الأخ العربيِّ لحلِّها.

من هنا يأتي السبب الأهم لاختيار البحث، حيث يفتح بحث الحدود مجالاً واسعاً لمناقشة أحد جوانب الواقع العربيِّ الأليم، وميداناً يمكن من خلاله إلقاء الضوء على كثير من الأحداث التي عاشتها الأمة العربية خلال تاريخها الحديث والمعاصر، وبالتالي إيضاح الأبعاد التي تحملها مشكلات الحدود، من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأثرها في التحركات السكانية على حدود الدولتين المتنازعتين، إضافة إلى مناقشة القوانين الدولية لمعالجة المسائل الحدودية، من حيث تنظيمها ووظائف تعيينها.

فالبحث يغطِّي جانباً مهماً من التطورات السياسية التي حفل بها الوطن العربي، من خلال نموذج للخلاف الحدودي العربيِّ (السعودية مع الأردن - اليمن وقطر) خاصة إذا علمنا أن الوثائق السريّة التي تتعلّق بهذا الخصوص قد تمَّ الإفراج عنها، ممَّا يغني البحث، ويفتح المجال أكثر للوصول إلى الحقائق التي حدثت في تلك المرحلة بما قد يضيف شيئاً جديداً يرفد مسيرة البحث العلمي، ويغني مكتبتنا العربية، ويسدّ نقصاً عانت منه، لأنَّ معظم الدِّراسات الحدودية السابقة كانت تعتمد على وثائق متوفرة من جانب واحد، فكانت أقرب للرّواية الرّسمية عن المشكلات الحدودية، منها إلى واقع المشكلة الموثَّق.

ثانياً: إشكالية البحث وأهدافه:

تعالج إشكالية البحث التناقض الكبير بين الرابطة القومية العربية وبين مسألة الحدود بين دول الوطن العربي، والجذور التاريخية للحدود العربية من خلال دراسة حدود السعودية مع جاراتها الأردن واليمن وقطر، ويعالج البحث أيضاً إشكالية هامة وهي دور الحدود في بقاء واقع التفرقة العربية، والدور الفاعل للدول الاستعمارية في تعميق التجزئة العربية، من خلال ربط الحلول بين الدول العربية بعجلة مصالحها التي لا تتوقف، مما يجعلها قادرة على التحكم بتلك الدول، والسيطرة على مقدراتها واستنزاف طاقاتها، من خلال التجديد المستمر للخلافات الحدودية، مناقشاً الواقع العربي الأليم، وغياب الدور الفاعل لجامعة الدول العربية في حل المشكلات العربية - العربية، وجدلية العلاقة بين التجزئة والحدود، وبين الحدود والمجتمع القبلي في تلك المنطقة المعنية، ودور هذه المشكلات في غياب التكامل الاقتصادي العربي، الأمر الذي أسهم سابقاً ويسهم الآن في بقاء واقع التبعية السياسية من باب التبعية الاقتصادية إلى الدول الغربية وأمريكا، وسيتبع البحث آلية علمية ومنطقية في مناقشة كل هذه المسائل، آخذاً بعين الاعتبار وجهات النظر المتباينة، والآراء المختلفة لكل طرف من الأطراف التي سيتطرق إليها البحث.

ويمكننا اختصار أهداف البحث بالنقاط التالية :

١. دراسة ماهية الحدود وتطور وظائفها
٢. أسباب المنازعات الحدودية وطرق تسويتها في القانون الدولي .
٣. مناقشة جدلية العلاقة بين الحدود والتجزئة التي يعيشها وطننا العربي .
٤. البعد الاستراتيجي السياسي للمشاكل الحدودية ، وتأثيرها الكبير في غياب الموقف العربي الموحد والفعال .
٥. البعد الاقتصادي وأهمية المنطقة المتنازع عليها من ناحية تأثيرها على الواقع الاقتصادي للدول المتنازعة ، وأثرها في استنزاف وقت وأموال الدول العربية .
٦. البعد الاجتماعي للمشاكل الحدودية وأثره على التحركات السكانية على حدود الدولتين المتنازعتين .
٧. الدور الاستعماري الكبير في تفعيل الخلافات العربية ، لإلهائها عن المشاكل الحقيقية للوطن العربي بمشاكل وخلافات جانبية.

اتخاذ (الحدود السعودية - الأردنية ، السعودية - اليمنية ، السعودية القطرية) كنماذج تنطبق عليها كل النقاط السابقة الذكر

ثالثاً: منهجية البحث:

إن موضوعاً كهذا، يتطلب الكثير من الدقة والتنقيب لجمع المادة العلمية المتوازنة والمتنوعة والمتعددة، كالمصادر التاريخية والمصادر والأبحاث، التي تعبر عن وجهة نظر كل طرف من أطراف النزاع، إضافة إلى متابعة كل الدوريات الصادرة في موضوع الحدود، خاصة أن معظم المشكلات الحدودية قد تم حلها في فترة الثمانينيات من هذا القرن، وهي فترة الطفرة الإعلامية الهائلة، التي تستطيع من خلالها أن تستمزع كل الآراء، وعلى كل المستويات الرسمية و الشعبية. ولم تكن مسألة الحصول على الوثائق والمعلومات المتعلقة بالبحث سهلة، إذ كان لابد من اللجوء إلى المراكز الثقافية لكل من دولة قطر والسعودية، والسعي لدى السفارة اليمنية،

لتقدّم لي ما تمتلكه مكتبات اليمن من معلومات، ثمّ التوجّه للحصول على الوثائق البريطانية التي تمّ نشر بعضها عبر المواقع المختلفة في صفحات الإنترنت، ومن مصادر أخرى، والعمل على ترجمتها، ذلك لأنّ عدم ترجمة هذه الوثائق بشكل صحيح ودقيق قد يكون له تأثير كبير على معنى هذه الفكرة أو تلك، أمّا الصعوبة الأكبر التي واجهت العمل، فهي أن غالبية الأبحاث التي قمت بالاطلاع عليها كانت تعبر عن وجهة نظر البلد الذي يميل إليه هذا الكاتب أو ذاك، وذلك بسبب اقتناع كل طرف من أطراف النزاع، موضوع البحث، بحقه في المناطق الحدودية المتنازع عليها وبصحة وجهة نظر دولته. من هنا كان واجباً علي أن أحل كل معلومة حصلت عليها بشكل دقيق ومقارنتها مع غيرها من المعلومات، الأمر الذي قد يساعد على استكمال حلقات الموضوع بطريقة مفيدة، تغني البحث وتضعه على المسار العلمي الصحيح .

بعد جمع المادّة العلميّة، تمّ الاعتماد على المنهج الاستقرائيّ التحليليّ، وإخضاع المادّة المدروسة للنقد والتحليل والاستنتاج، ولاسيّما الوثائق البريطانيّة التي تمّ الإفراج عنها، والوثائق المتوافرة في أرشيف المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنيّة الهاشميّة، والجمهورية اليمنية ودولة قطر، وما هو متوفر في سورية، مع دراسة ما كتبه الصحف في تلك المرحلة من معلومات وحقائق، وما وجد من الكتابات الأخرى عن مسائل الحدود في المكتبات العامة والمراكز الثقافية والعلمية، وكل ما هو متوفر على صفحات الإنترنت من معلومات، الأمر الذي قد يساعد على الاستنتاج العلمي للحدث التاريخي، والتعبير عنه بطريقة علمية صحيحة بعيدة عن التحيز لفكرة بعينها أو تطويع الحدث التاريخي لمبدأ خاص أو هدف ما، وسيعتمد البحث أيضاً منهج تحليل النظم في دراسة الحالة السياسية لكل من الدول التي سيتم العمل عليها، بما يوفر المصادقية العلمية للبحث ويعطيه المزيد من الدقة .

- مصادر البحث :

اعتمد البحث بشكل رئيس على الكثير من المصادر الوثائقية التي تعدّ من أهم دعائم البحث، حيث أسهمت في تصويب المعلومة التاريخية بطريقة دقيقة لا تقبل الشك، فقد كانت تعكس رأي الأطراف المتنازعة بشكل مباشر، إضافة إلى الكتابات والمصادر والمراجع الأخرى التي سيتمّ ذكرها في فهرس المصادر والمراجع.

أولاً: المصادر الأولية:

تشمل المصادر الأولية، التي اعتمدت عليها الوثائق العثمانية والبريطانية غير المنشورة والمنشورة على صفحات الكتب، وقد ساعدت هذه الوثائق على إعطاء طابع الأصالة للبحث، وساعدته على أن يكون أكثر دقة وهي على النحو الآتي:

١- الوثائق العثمانية:

وتشمل مجموعة كبيرة من الوثائق التي تحتوي على المراسلات والتقارير، التي توضح موقف الدولة العثمانية من التطورات التي عاشتها شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، ومعظم الوثائق التي اعتمدتها كانت وثائق منشورة في صفحات الكتب وفي مقدّماتها :

- مؤلفات زكريا قورشون في كتابيه (آل سعود والعثمانيون في الأرشييف العثماني وقطر في العهد العثماني)، حيث أظهر الكتابان بشكل تفصيلي الموقف العثماني من أوضاع المنطقة (الإحساء ونجد وقطر)، وقد اعتمد قورشون على أرشييف رئاسة الوزراء باستانبول.

- كتاب وثائق التاريخ القطري لأحمد العناني، وهو يشمل معلومات تعتمد على وثائق بريطانية وعثمانية بين عامي ١٨٦٨-١٩٤٨ ويحتوي هذا الكتاب معلومات عن قطر والصراع البريطاني-العثماني عليها، ويشمل كل الاتفاقيات التي وقعتها قطر منذ عام ١٨٦٨ حتى عام ١٩٤٨.

ومن المؤلفات ذات الطابع العثماني التوثيقي، سالنومات الدولة العثمانية التي كانت تطلعنا على كل التطورات الإدارية الطارئة على المنطقة موضوع البحث خلال كل سنة، من تعيين إداريين أو تطورات الحالة الإدارية لهذه المنطقة أو تلك، والتي ساعدت البحث على أن يكون دقيقاً في ألقاب هذه الشخصية أو تلك، والمناصب التي تولتها في ظل الحكم العثماني لتلك المناطق والحالة المالية لكل منطقة إدارية .

ولا يمكننا أن نتجاهل مذكرات مدحت باشا التي كتبها ابنه حيدر بك والتي خصصها لحملة مدحت باشا على الخليج العربي، وأيضاً كتاب الدكتور سهيل صابان (الجزيرة العربية في الوثائق العثمانية) وكتاب الدكتور فنوح الخترش (مصادر التاريخ القطري) الذي ضمّ خليطاً من الوثائق العثمانية والبريطانية. هذا بالإضافة إلى الكثير من الكتب ذات الصبغة الوثائقية التي اعتمدت على وثائق عثمانية من مصادر متنوعة.

٢- **الوثائق البريطانية:** وهي مجموعة من وثائق وسجلات وزارة الهند (India Office Record (I.O.R) من تقارير ورسائل، عكست حقيقة الموقف البريطاني من القضايا والمشكلات التي رافقت ظهور مشكلة الحدود بين السعودية وجاراتها وهي تحوي:

أ- **سجلات وزارة الهند :** وتشمل معلومات عن سياسة بريطانيا في شبه الجزيرة العربية، وتوضح موقفها من التطورات التي كانت تحصل في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، والدور الذي مارسته لإضعاف النفوذ العثماني في منطقة الخليج العربي، ولاسيما خلال حملة مدحت باشا على الإحساء ١٨٧١، والمعاهدات والاتفاقيات الموقعة بين بريطانيا ودول وإمارات الخليج العربي (معاهدات السلام البحري) إضافة إلى الوثائق التي أظهرت التنافس الكبير بين الشركات الغربية على استغلال النفط في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، إضافة إلى تعرضها للاتفاقيات البريطانية - العثمانية التي أسهمت في تقسيم مناطق النفوذ بين الدولتين، وأظهرت فكرة الحدود في منطقة كانت تجهلها تحقيقاً لمصالح كل طرف.

ب- **الوثائق البريطانية المنشورة وهي:**

- **المجلدات الوثائقية وتشمل :**

- **أتشيسون (C. W. U. Aitchison) :** وهي مجموعة وثائقية، تشمل الاتفاقيات والمعاهدات الخاصة بشبه الجزيرة العربية والخليج العربي، وهي عبارة عن اثني عشر مجلداً، صدرت بناء على تكليف من وزارة الهند.

-سالدانا (J. A. Saldanha) وهي مجموعة وثائقية، تشمل أيضاً مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات الموقعة بين بريطانيا ودول الخليج العربي، إضافة إلى مراسلات ومكاتبات بين موظفي الوكالات البريطانية في فارس والعراق وبين شركة الهند الشرقية، وتشمل أيضاً شرحاً للأحداث التاريخية والسياسية التي كانت تجري في المنطقة، وتفاصيل للرّسائل التي كانت تتم بين بريطانيا والدولة العثمانية بخصوص منطقة الخليج العربي و شبه الجزيرة العربية على صعيد التطورات الاقتصادية والشركات العاملة هناك.

-مجموعة توسون (Penelope Tuson) : وهي مجموعة وثائقية تشمل ثمانية مجلدات، وقد اعتمدت بشكل رئيس على المجلد الثالث والرابع، اللذان يشملان الكثير من المعلومات المتعلقة بالبحث، كمحاولات الدولة العثمانية التوسع في ساحل الخليج العربي ولاسيما قطر والبحرين، والدور الذي قامت به بريطانيا لمنعها من ذلك، وأثر ذلك التنافس العثماني- البريطاني على ظهور مشكلات الحدود بين دول الخليج العربي، وأصدرت الكاتبة توسون مجموعة ثانية من الوثائق في اثني عشر مجلداً، وقد ركّز مجلدها الرابع على مشكلة "العديد" التي كانت من ضمن الأمور التي ناقشها البحث.

-ريتشارد سكوفيلد (R. Schofield): وهي مجموعة وثائقية، تغطي فترة تاريخية تشمل مساحة زمنية كبيرة من القرن السابع عشر حتى العقد الأول من القرن العشرين، وتشمل مجموعة كبيرة من المراسلات المتبادلة بين حكومة الهند ووزارة الخارجية في لندن، وقد أغنت البحث بالكثير من المعلومات المهمة. أما المجموعة الثانية التي أصدرها فتشمل على سعي الدولة العثمانية للسيطرة على ساحل الخليج العربي، وتظهر الكثير من الاتصالات بين بريطانيا والدولة العثمانية لمناقشة وضع الحدود الفاصلة بين نفوذ الدولتين الذي يأخذ حيزاً مهماً من البحث، وهذه المجموعة تتألف من عشرين مجلداً ساعدتني في تعميق أفكار البحث.

وقد تمّ الحصول عليها عبر الاستعانة بالأصدقاء من السعودية.

د - المطبوعات الرسمية لوزارة الخارجية البريطانية:

دليل الخليج العربي :

وضع هذا المصدر ج.ج. لوريمير، بتكليف من حكومة الهند، ويقسم إلى قسمين: الأول تاريخي والثاني جغرافي، طبع القسم التاريخي عام ١٩٠٨، والجغرافي عام ١٩١٥ بمدينة كلكتا، ويحتوي هذا المصدر على أهم الأحداث في منطقة الخليج العربي في الفترة الممتدة بين القرن السادس عشر حتى عام ١٩٠٥، وقد اعتمد المؤلف على أهم المؤلفات العلمية التي وضعتها حكومة الهند بين يديه كالمراسلات والتقارير التي كان يرسلها الموظفون البريطانيون في العراق وفارس والخليج العربي، إضافة إلى مجموعة سالدانا ومجموعة معاهدات أنتشون وكتابات الرحالة الأوروبيين (الرحالة الدنماركي كارستن نيبور Neibuhr) الذي زار الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر، ورحالة القرن التاسع عشر جيفورد بلغريف Palgrave، وقد تناول لوريمير الأوضاع السياسية في العراق والخليج العربي، ووضّح فيه كلّ التطورات التي عاشها الخليج العربي منذ البرتغاليين حتى عام ١٩٠٥، مبيّناً فيه دور شركة الهند الشرقية البريطانية في توطيد النفوذ البريطاني في المنطقة، والعقبات التي تعرضت لها بريطانيا في المنطقة من القبائل والإمارات العربية والدول الناشئة فيها كالـدولة السعودية الأولى والثانية، وتوسّع محمد علي في شبه الجزيرة العربية، أما القسم الجغرافي من الدليل، فهو يشبه المعجم الجغرافي، يعرض فيه

إمارات الخليج العربيّ وأواسط شبه الجزيرة العربيّة، وفارس والعراق، ويصف المدن والقرى والموانئ والجبال والقبائل وأحوال السّكان فيها وصفاً تفصيلياً.

ثانياً-المصادر والمراجع الأخرى:

وهي مجموعة من الأبحاث والمصادر العربيّة والأجنبيّة، التي تتميّز بالقوة العلميّة المنهجية في التعبير والتوثيق، والدقّة والموضوعيّة في مناقشة الأحداث وعرضها، وهي كثيرة، وتقسم على النّحو الآتي:

١-مصادر تتعلّق بتوضيح وجهة النّظر البريطانيّة من الأحداث السياسيّة:

وهذه النّوعية من المصادر اعتمدت الرّسائل والمكاتبات بين المسؤولين البريطانيّين لتحليل الموقف البريطانيّ ومنها :

- كتاب الجزيرة العربيّة في الوثائق البريطانيّة لسليمان عبد العزيز نوار والذي يتحدّث فيه بشكل رئيسي عن ظهور الدّولة السّعوديّة الثّالثة وموقف كل من آل الرّشيد والدّولة العثمانيّة منها.

- كتاب كيلي، جون.ب، الحدود الشّرقية لشبه الجزيرة العربيّة والذي يوضّح فيه تطوّر الأوضاع في تلك المنطقة ومشكلات الحدود وموقف الأطراف منها حتى العام ١٩٤٨.

وكتابه الثّاني بريطانيا والخليج العربيّ والذي يشرح فيه الموقف البريطانيّ من محاولات الدّولة العثمانيّة مد نفوذها في الخليج العربيّ إلى منطقة البحرين.

- كتاب السّلام البريطانيّ لإبراهيم عبد الغني إبراهيم، الذي تضمن شرحاً تفصيلياً لأهمّ الأحداث في الخليج العربيّ ودور بريطانيا في المنطقة طوال القرن الثّاسع عشر

- كتاب مصادر التّاريخ القطريّ لمحسن الخترش وعبد العزيز منصور، وهو عبارة عن كتاب يحتوي على أهمّ الوثائق التي تلخّص تاريخ قطر خلال الحكم العثمانيّ والبريطانيّ، وأهمّ المعاهدات التي وقّعها قطر مع بريطانيا.

- كتاب عسير خلال قرنين (١٢١٥ - ١٤٠٨ هـ / ١٨٠٠ - ١٩٨٠م)، وهو عبارة عن دراسة لتاريخ عسير في ضوء الوثائق والنّصوص التّاريخيّة العسيريّة والمصريّة، توضّح تطوّر هذه المنطقة بصفاتها من أهمّ محاور البحث، حيث كانت محلّ خلاف على الحدود بين السّعوديّة واليمن.

٢-الكتب الأجنبيّة:

أغنت الكتب الأجنبيّة البحث بمعلومات هامّة ودقيقة، وعكست وجهة النّظر الغربيّة بالنّسبة للأحداث الدّائرة في المنطقة موضوع البحث، خاصّة أنّ معظم هذه الكتابات كانت لأشخاص عملوا في دوائر المؤسّسات السياسيّة البريطانيّة آنذاك ومنها:

-كتاب Kuwait and her Neighbor للمؤلّف H.R.P. DICKON: وهو من الكتب التي تشرح علاقة

الكويت بجيرانها والعلاقة بينهما وبين بريطانيا.

-كتاب Arabia's frontier history of Britain's boundary

للكاتب John. C . Wilkinson :

وهو من الكتب المهمة التي شرحت التطورات التي عاشتها الحدود بين السعودية وكل من اليمن ودول الخليج العربي، موضحة دور بريطانيا الكبير في إنشاء الحدود بين تلك الدول، وكيف أنها كانت ملكة الساحة السياسية في الخليج العربي، مظهراً دور كل دولة من الدول ومواقفها من موضوع الحدود.

-كتاب William Gefford A years Journey through Central and Eastern Arabia للمؤلف

Palgrave : وهو أيضاً من الكتب المهمة التي توضح الحقيقة التي عاشتها المنطقة في القرن التاسع عشر.

-كتاب Britain and Persian Gulf للمؤلف J.B KELLY :

كتاب مهم لشخصيات غربية كان لها دورها في منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي

-كتاب جون فيليبي " تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" وتأتي أهمية هذا الكتاب في أن هذا

الكاتب عاش تلك الفترة التي يتحدث عنها وهو قريب من الشخصيات الرسمية المؤثرة في مسار الأحداث آنذاك

-كتاب "العربية السعودية ١٩١٦-١٩٣٦، من القبيلة إلى الملكية" للمؤلف جوزيف كوستنر وهو أيضاً

من الكتب القيمة التي واكبت عملية تطور السعودية من القبيلة إلى الدولة.

-كتاب آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية للمؤلف آلويس موسيل.

٣-المصادر العربية:

وهي الكتب التي مثلت وجهة النظر العربية من الأحداث الجارية في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي،

وهو ما أثار صعوبات كثيرة للعمل، حيث كانت تميل نحو طرف ما دون الآخر، الأمر الذي تطلب التعامل معها

بحذر شديد، وألقى على كاهلي مسؤولية تلقي المعلومة دون التأثير بها بشكل أو بآخر، الأمر الذي تطلب جهداً

مضاعفاً، نظراً لضرورة إخضاع تلك المعلومات للمناقشة والدراسة والتحليل، للوصول إلى فكرة موضوعية بعيدة

عن الانحياز وفي مقدمتها:

-كتاب "تاريخ نجد وملحقاته" لأمين الريحاني الذي كان مقرباً من الأسرة السعودية الحاكمة.

-كتاب "عنوان المجد في تاريخ نجد" لعثمان بن بشر وهو في جزأين، كتبت الأحداث فيها بطريقة حولية

أي يذكر في الكتاب كل عام مع أهم أحداثه.

-كتاب "مذكراتي" للأمير عبد الله بن الحسين، و يتضمن مذكرات الأمير التي توضح كيف تم تأسيس

إمارة شرقي الأردن وكيف حصل النزاع بين الحدود مع السعودية.

- كتاب "قلب جزيرة العرب" لفؤاد حمزة

-كتاب "الإمام العادل" عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل للمؤلف عبد الحميد الخطيب.

-كتاب "ماضي الحجاز وحاضره" لمحمد نصيف.

وقد شرحت الكتب المذكورة كيفية قيام الدولة السعودية الثالثة، والأحداث التي رافقتها في منطقة الجزيرة

العربية والخليج العربي، ولكن المؤلفين المذكورين انحازوا قليلاً أو كثيراً في كتاباتهم عن الموضوعية لصالح أحد

الأطراف المقربة منهم أو التي عملوا في قصورها. ولذلك، تعاملت مع كتاباتهم بحذر كبير لتوخي الحقيقة

الممكنة.

ولابدّ من الإشارة في النهاية، إلى أنه تمّ الاعتماد على الكثير من المصادر و المراجع الأخرى، وتابعت تطورات الأحداث السياسيّة على صفحات الدّوريات العربيّة، ونقّبت في صفحات الانترنت، لأتمكّن من تعميق أفكارى في مناقشة الموضوع، على أوفق في الوصول إلى الحقيقة ولو كانت نسبيّة.

وبناءً على ما سبق، فقد قسم البحث إلى مقدمة توضّح تاريخ نشوء المملكة العربيّة السّعوديّة والتّطوّرات التي عاشتها عبر المراحل التّاريخيّة المتعدّدة، مع مختصر عن أهمية البحث وأهدافه وإشكاليته ومنهجيته، ثمّ فصل أول تمهيديّ يلقي الضّوء على ملامح الحدود الفاصلة بين المناطق موضوع الدّراسة في تلك المرحلة، وأسباب المنازعات الحدوديّة وطبيعة الحدود ووظائفها وطرق تسوية المنازعات الحدوديّة سلمياً. ويناقش أيضاً المنازعات الدولية على منطقة شبه الجزيرة العربيّة من حيث البعد التّاريخي للنّشاط الاستعماريّ في المنطقة العربيّة بشكل عام وفي منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربيّة بشكل تفصيليّ، و النّزاع العثماني-البريطاني على منطقة الخليج العربيّ خلال القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر، بعد أن تمكّن الإنجليز من ربط مشيخات وإمارات الخليج باتفاقيات حماية حوّلت المنطقة مع مرور الزمن إلى مكان بريطاني تحرّكه كما تريد ووفق مصالحها، ثمّ شرح الفصل التّنافس بين القوى المحليّة في تلك المنطقة بهدف توسيع مناطق النفوذ لكل فريق ، الأمر الذي انعكس على ظهور مسألة الحدود في شبه الجزيرة العربيّة.

أما الفصل الثّاني فيتحدّث عن النّزاع الحدوديّ بين السّعوديّة واليمن، موضّحاً كيف أنّ الصّراعات بين القوى المحليّة (إمام اليمن والأدارسة) قد فتحت أبواب التّدخل الخارجي، حيث استعان الأدارسة ببريطانيا عندما كانوا في نزاع مع إمام اليمن، وانتهى الأمر إلى نزاع يمني- سعوديّ بعد أن جعلت بريطانيا من منطقة المحميات منطقة خاضعة لنفوذها ومركزاً لكلّ المؤامرات على اليمن، ممّا أسفر في نهاية المطاف عن صدام عسكري بين اليمن والسّعوديّة، ظهرت فيه بصمات بريطانيّة لإشغال الطّرفين ببعضهما البعض، وإبعاد الإمام عن فكرة المطالبة بمنطقة اليمن الجنوبيّ الخاضعة للنّفوذ البريطانيّ، ممّا يسمح لها بتفعيل وجودها في المنطقة، وصولاً إلى شرح مجريات النّزاع الحدوديّ، بعد تحديد المناطق المتنازع عليها، وأهمّ أسباب النّزاع، وكيف انتهى الخلاف بين البلدين، والانتقال من موقع المجابهة إلى موقع التّعاون والتّنسيق.

أما الفصل الثّالث : فقد خصّص للحديث عن النّزاع الحدوديّ السّعوديّ - الأردنيّ، فقدّم البحث في هذا الفصل شرحاً مفصّلاً للخلاف السّعوديّ- الأردنيّ، حيث شرح الفصل أهميّة المناطق المتنازع عليها (معان والعقبة ووادي السّرحان)، وتطوّرات الخلاف، ودور القبائل والتّوزّع الديموغرافي على الحدود بين البلدين في تفعيل النّزاع الحدوديّ، ثمّ وضع البحث الصدام العسكري بين البلدين ودور بريطانيا الكبير في تفاقم النّزاع بينهما، ثمّ كيفيّة حلّ المشكلة، وكيف انعكست طبيعة العلاقات السياسيّة بين البلدين في تهدئة الأوضاع على الحدود أو في تفاقمها.

تناول الفصل الرّابع: النّزاع الحدوديّ بين السّعوديّة وقطر، موضّحاً جدليّة العلاقة بين التّنافس العثمانيّ - البريطانيّ على مياه الخليج العربيّ، وبين ظهور مشكلات الحدود في الخليج العربيّ بشكل عام وبين السّعوديّة وقطر بشكل خاصّ، وشرح البحث كيف كان الموقف البريطانيّ في هذا النّزاع إلى جانب قطر بهدف الاستفادة من ثرواتها، ولم يغفل الفصل الاقتراحات البريطانيّة والسّعوديّة لإيجاد حلّ للمشكلة الحدوديّة بين البلدين الشّقيقتين،

التي انتهى فصلها الأول عام ١٩٦٥، لكنّه ما لبث أن تجدد مرّة ثانية عام ١٩٩٢، مبيناً أثر التّطورات السّياسيّة التي عاشتها المنطقة العربيّة ككلّ على تطور هذا النزاع الحدودي وتفاعله بين الدّولتين.

وأخيراً ختمت رسالتي بأهمّ الخلاصات والاستنتاجات التي وصل إليها البحث، موضّحة أثر التّنافس العثماني-البريطاني على ظهور مشكلة الحدود، والتّأثير الكبير للتّنافس بين شركات النّفط العالميّة للحصول على امتيازات التّنقيب عن النّفط في كل أنحاء الوطن العربيّ بشكل عام وفي شبه الجزيرة العربيّة والخليج العربيّ بشكل خاص، والحالة السّياسيّة في المنطقة، والعلاقات التّاريخيّة بين الأسر الحاكمة، والتّحرّكات الديموغرافيّة وانعكاس كلّ ذلك على مشكلات الحدود في المنطقة موضوع البحث، ثمّ أكملت الرّسالة بمجموعة من أهمّ الوثائق الحديثة النّشر لاستكمال الفائدة العلميّة، ولأضعها بين أيدي المهتمين بهذا النّوع من الدّراسات.

وهنا لا بد من التنويه أنّي كنت مضطرة للخروج عن الفترة الزمنية المحددة للبحث استكمالاً للفائدة العلميّة، لا سيما إذا علمنا أنّ معظم الاتفاقيات الحدودية بين الدول موضوع البحث تمّ توقيعها بعد عام ١٩٩٥، هذا ما عدا التّطورات السّياسية الكبيرة التي شهدتها المنطقة العربيّة، والتي أثّرت بشكل تلقائي على تطور المنازعات الحدودية بعد التاريخ المذكور.

وفي النهاية، لا بدّ من تقديم جزيل الشّكر والامتنان لأستاذتي الدّكتورة سمر بهلوان، التي رعت البحث منذ اللحظة الأولى، وشاركتني في كل خطوة قمت بها، مسدّدة خطاي على الطّريق الصحيح، ومقوّمة أخطائي التي كان لا بدّ منها بمثل هذا العمل المتعب، فكانت في كلّ الأوقات نِعَمَ الموجّه والمرشد والرّاعي لي.

وأوجّه الشّكر أيضاً، للأستاذ الدّكتور عبد العزيز المنصور، المشرف المشارك على هذا البحث من قسم العلوم السّياسيّة، حيث قدّم لي كلّ الدّعم والتّوجيه المؤثّر على مسار العمل، ولم يتوان عن تقديم المشورة في أي لحظة طلبتها منه، ملهماً إياي إلى الكثير من الأمور المفيدة التي جعلت البحث أكثر دقّة.

وأوجّه الشّكر أيضاً لأستاذتي الأفاضل في قسم التّاريخ في جامعة دمشق، لتشجيعهم المستمرّ لي، فلهم مني كلّ التّقدير والمحبة، وأخصّ بالذّكر الدّكتورة كاميليا أبو جبل والدّكتورة نجاح محمد، والدكتور محمد حبيب صالح لتوجيهاتهم السّديدة وإرشاداتهم القيّمة، التي كان لها أثر كبير في إقبالي على الدّراسة.

كما أجد نفسي ممتنة لأصدقائي الأعزاء، الذين رافقوني في كل خطوة من عملي، وأسهموا في تجاوزي للكثير من العقبات التي اعترضت طريقي خلال البحث. وأخيراً أشكر كلّ من قدّم لي الدّعم والمساعدة بأيّ شكل كان، ولاسيّما المؤسّسات العلميّة والمكتبات السّوريّة، والمراكز الثّقافيّة العربيّة، وجامعة دمشق وإدارة ومسؤولين.

الفصل الأول التمهيدي

التنافس بين القوى الدولية والمحلية وأثره في ظهور منازعات الحدود

بين السعودية واليمن - الأردن - قطر

بين عامي ١٧٦٢ و١٩١٢

أولاً: التطور التاريخي لمفهوم الحدود وأنواعها ووظائفها:

١- التطور التاريخي لمفهوم الحدود:

من الشائع في العالم والمتفق عليه دولياً أنّ هناك ثلاثة أركانٍ لقيام دولةٍ معترفٍ بها رسمياً وقانونياً هي: **الإقليم والشعب والسلطة**، والإقليم يعني الرقعة الجغرافية المحددة التي يعيش عليها سكان الدولة، وقد نشأت فكرة وجود إقليمٍ محدّدٍ للدول منذ القرن السادس عشر، أي القرن الذي ظهرت فيه الدول القومية الأوروبية^(١)، حيث بدأ النقاش بين تلك الدول، منطلقاً من مجموعة من الأسئلة المنطقية، مثل؛ ما الذي يفصل هذه الدولة عن تلك؟. أين تقف حدود هذه الدولة؟. ما الحقوق التي تعود لهذه الدولة أو تلك؟. ممّا أسفر عن ظهور مصطلح الحدود بين الدول، والحدود لا تعني هنا البقعة الجغرافية من اليابسة، بل هي المساحة التي تمتد لتشمل المياه والجو التابع لكل دولة، ويطلق عليها كمصطلح قانوني في ميثاق الأمم المتحدة المعترف به دولياً، اليابسة (الحدود البرية)، والمياه الإقليمية، والمجال الجوي^(٢).

يحتّم علينا التعريف بمفهوم الحدود السياسية والتطور الذي طرأ عليها تتبّع نشأة الحدود، واستعراض ملامح التطورات التي طرأت عليها، فالحّد لغوياً هو الذي يفصل أو يحجز بين شيئين، والفكرة الجوهرية للحدود تتكوّن من عنصرين رئيسيين: عنصرٍ ذي طبيعةٍ ماديةٍ يتمثّل بالخطّ الذي يفصل بين الشئين بين ما هو وطنيّ محليّ، وبين ما هو خارجيّ أجنبيّ، أو بين ما هو مباحّ، وبين ما هو محرّم أو ممنوع، وعنصرٍ ذي طابعٍ معنويّ يقوم على الالتزام بأمرٍ ما، وعدم الخروج عنه بما يُعدّ خروجاً عنه أو خطأً له بغيره^(٣). ولم يكن ظهور المفهوم القانوني للحدود بوصفه خطأً للسيادة الإقليمية لدولة ما وليد فكرةٍ بنت ساعتهما، بل وليد تطوراتٍ تاريخيةٍ وسياسيةٍ نمت في أحضان عقودٍ زمنيةٍ طويلةٍ، اختلف فيها مفهوم الحدود ومهامها ووظيفتها باختلاف الحضارات الإنسانية، وطرق إدارتها لشؤون حياتها، ووليد التطورات التاريخية والسياسية والفنية ذات الصلة بتطور العمران البشري. والحدود الخطية لم تكن معروفة لدى الجماعات البشرية الأولى، فالرومان كانوا يتّخذون المدن الصغيرة أو الحدود الطبيعية الظاهرية التي قد تمتدّ على مساحات شاسعة خطّ دفاع أول عن الإمبراطورية تحت ضغط هجمات البربر، التي أجبرتهم على بناء أسوارٍ واستحكاماتٍ على طول حدود الإمبراطورية، إلّا أنّ هذه الحدود لم تكن نتيجةً لاتفاقاتٍ ثنائيةٍ بل نتيجةً لقرارٍ فرديٍّ رومانيٍّ وفقاً لحالة الإمبراطورية من حيث قوتها أو ضعفها، وهذا ما حدث في آسيا؛ فسور الصين العظيم لم يكن سوى رغبةٍ من الصينيين بفصل أنفسهم عن المجتمعات البربرية المحيطة بهم. أمّا في العصور الوسطى فقد أدّى صراع النفوذ بين الإقطاعيين إلى نموّ فكرة الحدود، رغبةً من النبلاء بفصل مناطق نفوذهم عن الآخرين متّخذين من الأنهار في غالبية الأحيان نقاط فصلٍ رئيسيةٍ بين بعضهم البعض، كما كان الشأن بالنسبة لنهر التويد الذي فصل بريطانيا عن اسكتلندا.

(١)- فكرة الدول القومية لدى العرب فكرة قديمة تعود في قدمها إلى آلاف السنين ، فقد ظهرت لدى العرب دول قوية قبل ظهورها لدى الغرب بكثير ومنها على سبيل المثال الدولة البابلية الدولة الكلدانية الأكادية

(٢)- ساعاتي، أمين، الحدود الدولية للمملكة العربية السعودية، المركز السعودي للدراسات الاستراتيجية، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١، ص ١٥-١٦

(٣)- شتا، أحمد عبد الونيس، الحدود الدولية ماهيتها وتطور وظائفها، مركز البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٠٠-

أما لدى الدولة العربية الإسلامية، فكانت تظهر الحدود من خلال الثغور الإسلامية التي تقيمها على أطراف الدولة العربية الإسلامية لتكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين وغير المسلمين^(١)، لكن الحال تغير منذ القرن السابع عشر، تاريخ ظهور الدول القومية الحديثة وظهر فكرة السيادة الإقليمية بين الدول الأوروبية الحديثة، التي رسختها معاهدة صلح وستفاليا عام ١٦٤٨، والتطور الحقيقي للحدود بدأ بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ والمناداة بضرورة ترسيم حدود الدول، مما أدى إلى تطور الجغرافية السياسية والمسح الأرضي والخرائط والعلامات الطبيعية المتعلقة بترسيم الحدود، وأظهر هذا التطور الفرق بين الحدود الخطية (مناطق لها طول وليس لها عرض وهي من صنع الإنسان وإن كانت ظاهرة طبيعية) وبين التّخوم أو الحدود (مناطق واسعة من الأرض لها طول وعرض وتعتمد على الظواهر الطبيعية دون أي تدخل إنساني)^(٢).

ويرتبط التطور التاريخي لمفهوم الحدود بالسيادة والشرعية، أما التطور التاريخي للحدود في الخليج العربي فليس مختلفاً تماماً، لكن تطبيقه اختلف وتغير نظراً لأن مفهوم الشرعية والسيادة كانا مفهومين متغيرين، ارتبطا بتطور الأحداث السياسية على أرض الجزيرة العربية، ولعل السعودية هي النموذج الأكثر وضوحاً لمثل هذا المفهوم، فقد انطلقوا من الشرعية الدينية إثر اعتناق آل سعود^(٣) المذهب الوهابي، واعتماده على العلماء لنشر المذهب ومن خلاله نشر سلطته السياسية، ووفق اتحاد عميق يجمع الفكر الديني بالقوة السياسية العسكرية، وهذا ما وصّحه جون فيليب في تقرير له صدر عام ١٩١٩، يذكر فيه أن الإخوان (الوهابيين) كانوا يوجهون الحركة الوهابية في التوسع والاستيطان (الهجر)^(٤) والدعوة بعد اجتماعات مع ابن سعود، إلا أن التطورات السياسية والمفاهيم الجديدة للدول الحديثة كانت تسير بالحق الديني للسيادة إلى نوع من التّحجيم ليحل محله مفهوم الحق التاريخي، بعد الصدام الذي حصل بين الإخوان الذين يريدون أن تسير الأمور وفق مفاهيمهم الخاصة التابعة

(١) - إلا أنها أيضاً كانت حدوداً من طرف واحد، وتتبع قوة الدولة أو ضعفها، فتتسع وقت الازدهار وتضمل وقت الضعف أي إن هذه الحدود مؤقتة يفرضها واقع الحال، وليس الاتفاق على أن هذا الموقع هو حدّ دولة المسلمين وجيرانهم من غير المسلمين.

(٢) - للمزيد من المعلومات حول مفهوم الحدود راجع: شتا، المرجع السابق، ص ١٠٣-١٠٩

(٣) - يعود نسب آل سعود إلى بني ربيعة، وتضم فروعاً كثيرة تمتد إلى نجد والعراق وسورية، وعشيرة آل سعود هي من مسالخ قبيلة عنزة وجدهم مانع المريدي كان يسكن الدروع وهي من نواحي القطيف، ثم صار بينه وبين درع رئيس حجر اليمامة مراسلة ومواصلة وصلة رحم، فاستدعاه من القطيف وأعطاه من ملكه أرض اللبيد وغصيبة في الدرعية، فاستقر فيها هو وأسرته، وتوسع في أراضي تلك المنطقة، واستولى على منازل آل يزيد وآل دغيثر، ولما مات مانع تولى ابنه ربيعة وحارب أهل يزيد وانتصر عليهم، وأصبحت المنطقة مع مرور الوقت إمارة لها كياناتها المستقلة، إلا أن واقعة أخرى مع آل يزيد أجبرت موسى ابن ربيعة إلى الهرب إلى أمير العيينة حمد ابن طوق، إلا أنه سرعان ما عاد وحارب آل يزيد منتصراً عليهم ومستمراً في الولاية على المنطقة ومن أحفاده مرخان ابن إبراهيم الذي اختار ولده مقرر الدرعية مقراً للإمارة وذلك سنة ١٢٠٠هـ/١٦٨٢م وظلت الدرعية عاصمة الإمارة في عهد ابنه سعود ١١٣٨-١١٧٩هـ/١٧٢٥-١٧٦٥م، حيث بدأت الإمارة في عهده طوراً جديداً في تاريخ آل سعود والجزيرة العربية، من أحفاد مرخان محمد وسعود. للمزيد من المعلومات حول شجرة عائلة آل سعود راجع: ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١٢-١٥؛ أيضاً: درويش، تاريخ الدولة السعودية، مرجع سابق، ص ١٩-٢٠٠، ٢٠٠؛ أيضاً: الملحق (٢٥).

(٤) - الهجر تعني هجر حياة القبيلة إلى حياة الاستقرار، وأول هجرة في السعودية هي هجرة عام ١٩١٢ (الأرطاوية).

من الفكرة الدينيّة التي تشربوها من الوهابيّة^(١)، فكانت النتيجة أن بدأ زعماء الإخوان يعارضون بعض المواقف التي اتخذها ابن سعود، كتوقيعه مثلاً معاهدة القطيف مع بريطانيا ١٣٣٤هـ/١٩١٥، وسياسة التمرّكز التي حاول فرضها على الإخوان، ممّا سبّب توقّف الغارات وبالتالي مخالفة العقيدة التي تمّ منهجة العقل الوهابي عليها وتوقّف توسّع الحدود لنشر العقيدة، ومن هنا تأثرت الحدود في شبه الجزيرة العربيّة وفقاً لنوع الحقّ في السيادة، ففي المفهوم الديني حدود السيادة لا تتوقّف إلاّ بعد نشر المذهب الدينيّ على أكبر مساحة ممكنة، فامتدّت الأراضي السعديّة دينياً من الكويت إلى عمان^(٢).

أمّا في الحقّ التاريخي، الذي بدأت تعتمد عليه سيادة ابن سعود بعد الصّدّامات العسكريّة مع الإخوان المنشقين عليه إثر توقف الغارات وفقاً للاتفاقيات التي وقعها ابن سعود مع بريطانيا والدّول المجاورة، فقد أوجدت مفهوماً ثابتاً للحدود تتوقف عنده ولا تكون متحركة وفقاً للإخوان وعقيدتهم، أمّا بالنسبة إلى إمارات الخليج العربيّ كالكويت والبحرين والإمارات، فالسيادة مفهوم مختلف عن السعديّة، فلا الحقّ التاريخي ولا الدينيّ هو مصدر السيادة هناك، بل العرف القبليّ، فالسيادة هي للأسر الحاكمة وفقاً للمفهوم القبليّ وليس للمفهوم الدينيّ أو التاريخي، فالشيخ قبلياً هو الحاكم والخضوع يقوم على العرف القبليّ للأسرة الحاكمة أو الشّخص وليس للأرض^(٣). من هنا كانت فكرة الحدود الثابتة فكرة حديثة نسبياً في تلك المنطقة، ولم تظهر بشكل عمليّ إلاّ بعد الاتفاقيات البريطانيّة (الاتفاقيّة البريطانيّة - العثمانيّة عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣ واتفاقيّة العقير ١٣٤١هـ/١٩٢٢). لذلك، أكّدت في معرض هذا البحث أنّ الحدود في شبه الجزيرة العربيّة فكرة غربيّة فرضت على العرب، وظهورها كمشكلة بين دول المنطقة مصلحة غربيّة أيضاً.

٢- أنواع الحدود:

للمعالم الطبيعيّة دورٌ كبيرٌ في ترسيم الحدود بين الدّول، ومن هذه المعالم الصحاريّ، الجبال، الأنهار والبحيرات، البحار، الخلجان، وتحديد ما يدخل من هذه المعالم الطبيعيّة وما لا يدخل في حدود هذه الدّولة أو تلك يتمّ من خلال التّوافق المشترك بين الدّول، ونتيجة لعوامل تاريخيّة، وأحياناً لعوامل حربيّة تحسم تبعيّة هذه المنطقة إلى دولةٍ ما من خلال القوة العسكريّة، أو نتيجة لنفاهم بين دولتين، وهذا لا يتمّ إلاّ في حالات الودّ والتّعاون بين الدّول. ومن أنواع الحدود:

(١)- الدعوة الوهابية هي دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، ومن أهمّ تعاليمها نبذ البدع والخرافات، والعمل على نشر حركة إصلاحية وفقاً لأفكار ابن تيمية، التي تقوم على إنكار التعاليم التي لا تتفق مع الكتاب والسنة، كالمغلاة في حب الأنبياء والأولياء والصلاة عند القبور والاستغاثة بالموتى، ومن هنا تعد دعوة محمد بن عبد الوهاب استمراراً لدعوة ابن تيمية (أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن)، وهي الاقتداء بالسلف الصالح والسير بما جاء لدى أحمد بن حنبل ومخالفة ما عداهم، وقد نجحت الدعوة السلفية الوهابية، رغم فشل ابن تيمية بنشرها بسبب الاتفاق بين القوة السياسيّة (محمد بن سعود). وبين القوة الفكرية الدينية (الشيخ محمد بن عبد الوهاب). للمزيد من المعلومات راجع: وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، د.ن، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٣٢٠؛ أيضاً: النقي، محمد حامد، أثر الدعوة الوهابية في الحياة الاجتماعيّة والعمرانية، د.ن، القاهرة، ١٩٣٥، ص ٤

(٢)- للمزيد من المعلومات عن علاقة الإخوان بعبد العزيز ابن سعود راجع: كوستر، جوزيف، العربية السعودية ١٩١٦-١٩٣٦ من القبيلة إلى الملكية، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٨١-٢١٧

(٣)- قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي ١٨٤٠-١٩١٤، د.ن، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٣٧

-الحدود الطبيعية: وهي الحدود التي توجد لها الطّبيعة، وبناء على اتّفاق بين دولتين يتمّ ترسيم الحدود السّياسيّة استناداً لمظاهر الطّبيعة، والعامل الطّبيعي هو من العوامل المساعدة على حسم النزاعات الحدوديّة ويسهل الدّفاع عن الإقليم الفاصل لحدوده من الهجمات الخارجيّة، ومن أنواعها:

-الصّحاري: جرى العرف الدّوليّ بأن ترسم التّخوم الصّحراويّة وفقاً لخطوط طول وعرض وهميّة لتعزّر رسم الحدود وفقاً لأي عنصر مادي، وهناك العديد من هذه الحدود في شبه الجزيرة العربيّة والخليج كالحدود التي تفصل السّعوديّة عن مناطق العراق والكويت وقطر وعمان والإمارات واليمن والأردن، وذلك عبر صحاري شبه الجزيرة العربيّة في الدّهناء والرّبع الخالي والنّفوذ.

-الجال: يمكن أن تكون الجبال من المعالم الطّبيعيّة التي تفصل الكيانات السّياسيّة عن بعضها البعض وهي من الظّواهر الطّبيعيّة الثّابتة التي لا تكون عرضة للمتغيرات، وهي من المعالم التي لا تتفعل خلافات حول تبعيتها عادة، وتكون الجبال أكثر تحديداً وأشدّ وضوحاً في تسهيل عمليّة ترسيم الحدود^(١).

- الأنهار: تعدّ الأنهار من الحدود الفاصلة بين الدّول، وذلك من خلال خطّ وهميّ في النّهر يفصل بين التّخوم التّابعة لهذه الدّولة أو تلك وفقاً لما حدّده الفيلسوف والقانونيّ الهولنديّ "جروسيوس" في القرن السّابع عشر، حيث عدّ التّخوم بين الدّول التي يفصل بينها النّهر تُحدّد وفق خطّ وهميّ يمرّ في وسط مجرى النّهر، فيكون لكلّ الدّول التي تقع على شواطئ النّهر حقّ السّيادة على هذا الجزء منه، ومع تطوّر العلاقات الدّوليّة، بدا بشكل ظاهر ضرورة التّمييز بين الأنهار الصّالحة للملاحة والأنهار غير الصّالحة، فغير الصّالحة ينطبق عليها رأي جروسيوس، أمّا الصّالحة فيجب أخذ عمق النّهر وطبيعته القابلة للملاحة جغرافياً.

من هنا اتّفق على أنّ تعيين الحدود في هذه الحالة يكون وفق الخطّ الوهميّ الذي يرسم المجري الملاحيّ للنّهر، بغضّ النّظر إذا كان في وسط النّهر أم لا، ويكون الخطّ الملاحيّ هو المكان الذي تمرّ فيه أكبر السّفن تُجاه المصبّ. أمّا الأنهار التي تمتدّ من إقليم دولة إلى إقليم دولة أخرى فيصطلح عليها اسم المياه الدّوليّة، ونظام المياه الدّوليّة يشمل المجري الرّئيسيّ للنّهر، كما يشمل روافد هذا النّهر^(٢).

والخليج العربيّ شهد نزاعاتٍ حدوديّةٍ مائيّةٍ كتلك التي حصلت بين قطر والسّعوديّة بعد اكتشاف النّفط في المياه الإقليميّة المقابلة للشّريط الفاصل بين قطر والإمارات، وقد حصلت عليه السّعوديّة في اتّفاقٍ لها مع الإمارات، وللعامل الاستراتيجيّ الملاحيّ دورٌ أساسيٌّ في حصول كثير من المشكلات الحدوديّة " كخور العديد" مثلاً الذي كاد يؤدّي إلى حربٍ بين قطر والسّعوديّة على خلفيّة سيطرة القوّات السّعوديّة عام ١٣٤١هـ / ١٩٩٢ على موقع الخفوس الذي يبعد عن خور العديد كيلو متراً واحداً^(٣).

(١) - ساعاتي، الحدود الدولية، مرجع سابق، ص ٢٧-٢٨ ؛ أيضاً: السماك، محمد أزهر، الجغرافيا السياسية المعاصرة، دار الأمل، الأردن - عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ١١٢-١١٣

(٢) -المرجع السابق، ص ٣٢

(٣) - مشكور، سالم ، نزاعات الحدود في الخليج معضلة السيادة والشرعية، مركز الدراسات الاستراتيجية والتوثيق، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م ، ص ٥١

-**البحيرات والمستنقعات:** تشكّل الغابات والمستنقعات حدوداً فاصلةً بين الوحدات السياسية، وهذا النوع من الحدود قليلٌ في منطقة الخليج العربيّ وشبه الجزيرة العربيّة، ويقتصر على منطقة الأهواز على الحدود الإيرانية العراقية. أمّا البحيرات، فإنّها حين تفصل بين دولتين تُقسّم مناصفةً بينهما، وتكون حدود كلّ دولةٍ من بداية الخطّ الوهمي الذي ينصفها إلى حدود أراضيها.

-**البحار:** بدأت فكرة السيادة على البحار قبل فكرة السيادة على الأرض، ففي القرن السادس عشر، أخذ الفقه القانوني يناقش الحدود في البحار مع ظهور النزاع عليها، حيث وضع جروسيوس نظرية تميّز بين البحر العالي وبين المضائق والخلجان والمياه القريبة من شواطئ البحار، افترض أنّ البحار العالية يجب أن تكون حرة طليقة، لعدم إمكانية السيطرة عليها، فهي مناطق مشتركة بين العديد من الدول، أمّا الثانية فتكون السيادة فيها للدول القريبة من شواطئها.

وقد حدّد الفقه القانوني الدولي أنّ البحر الإقليمي هو قسم من إقليم الدولة الشاطئية، وأنّ حقوقها على بحرّها الإقليمي هو نفسه على إقليمها البرّي إنّهُ خاضع لسيادة هذه الدولة، وتشمل هذه السيادة قاع البحر إلى ما لا نهاية في العمق وتشمل أيضاً الجوّ إلى ما لا نهاية في الارتفاع، وقد أقرّ المؤتمر الدولي في لاهاي عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م هذا القانون ليصبح قانوناً دولياً، وانحصر بعدها الخلاف على امتداد البحر الإقليمي للدولة الشاطئية، ممّا دفع كلّ دولة إلى تحديد امتداد بحرّها الإقليمي بشكل منفرد^(١). والمياه الإقليمية للدولة هي المياه التي تجاور الساحل العائد لها، وتُعدّ جزءاً من أراضيها، تستخدمها في الأمن بشقيهِ الاقتصادي والعسكري. وهناك إلى جانب المياه الإقليمية ما يسمّى بالمياه الداخلية (الخلجان ومصبات الأنهر)، والمياه الملاصقة للمياه الإقليمية ويختلف اتساعها من دولة لأخرى والدولة هنا ليس لها عليها أي سيادة، إلّا أنّه يحقّ لها استخدامها لأسباب أمنية أو اقتصادية، وهناك ما يسمّى بالرّصيف القاري. وتكون سيادة الدولة على المياه الإقليمية محدّدة وتمتدّ إلى ١٢ ميلاً وفق القانون الدولي للبحار^(٢).

ومن هنا كان إصدار الملك السعودي عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م مرسوماً ملكياً باعتماد امتداد المياه الإقليمية للمملكة السعودية بـ ١٢ ميلاً بحرياً، وامتداد المنطقة المتاخمة أو الملاصقة بستة أميال، ثمّ صدر مرسوم ملكي جديد عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م يحدّد المياه الإقليمية بـ ١٢ ميلاً من كلّ الاتجاهات والمواقع.

ب-**الحدود الاصطناعية:** بما أنّ الإرادة السياسية وحدها تسهم في ظهور الحدود، يمكننا القول إنّ الفرق بين الحدود الطبيعيّة والاصطناعيّة بالشكل فقط لا بالمضمون، فالطبيعيّة تعتمد على ظواهر الطبيعة، كالأنهار والجبال والبحار، أمّا الاصطناعيّة فيجري تعيينها من قبل الإنسان باستخدام علامات لتعيينها كالأحجار أو الأسلاك أو اللآفتات والخنادق والخطوط الملونة وغير المرئية كخطوط الطول والعرض والجدار الإسمنتي^(٣)، وذلك لأهداف اقتصادية أو إستراتيجية أمنية، وإذا ما عدنا إلى الحدود في منطقة البحث نجد أنّ معظم الحدود

(١)- ساعاتي ، الحدود الدولية، مرجع سابق، ص ٣٣-٣٥

(٢)- سعيد ، إبراهيم ، مابين الجغرافية السياسية ومخاطر الجيوبوليتيك والعولمة ، الأوائل للنشر والتوزيع دمشق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م ، ص ١٦٣-١٦٧

(٣)- للمزيد من المعلومات حول كل أنواع الحدود وطرق تنظيمها راجع: ساعاتي، مرجع سابق، ص ١٥-٣١، ١٦-٣٩

اصطناعية، بحكم أنّ شبه الجزيرة العربية من الناحية الطبيعية تشكّل وحدة جغرافية يصعب الفصل بين مناطقها، إلا أنّ بريطانيا عملت على ابتداء مناطق حدودية من خلال محمياتها أولاً، حيث أحاطتها بتحالفات تساعد على حمايتها، ثمّ أخضعت مشيخات أخرى في الخليج لنفوذها من خلال اتفاقيات الحماية، ممّا أظهر مع مرور الزمن فكرة الفصل بين مناطق الخليج العربي^(١). فالنقّسيمات التي أوجدتها بريطانيا في المنطقة موضوع الدّراسة هي بعيدة كل البعد عن الواقع الحقيقي على الأرض، فهي غير متوافقة مع الطبيعة، لا من حيث توزيع القبائل، ولا من حيث انتشارها، ولا من حيث المراعي، أو غيرها من الظروف التي تُراعى عادة في رسم الحدود بين الدّول، ولا بدّ من التّويه أنّ هناك أيضاً أنواع أخرى من الحدود، كالحدود الهندسيّة والحدود المختلطة التي لا مجال للدّخول في تفاصيلها في هذا البحث^(٢).

٣- وظائف الحدود وطرق تسوية المنازعات الحدودية:

إنّ أهميّة الحدود تأتي من أهميّة الوظائف التي تلعبها الحدود الدّولية، من حيث السّماح باستغلال الثّروات أو علاقات السّلم مع الدّول المجاورة وغيرها، وأهمّ وظائف الحدود:

. الوظيفة الدّفاعيّة، فلا شكّ أنّ حماية الدّولة لنفسها هو من أهمّ الأهداف التي تسعى إليها الدّول من وراء تعيين الحدود، وذلك من خلال تحريم الحدود على الغرباء، إلّا بموافقة هذه الدّولة، وبالتالي حمايتها في حال تعرضت للهجوم أو الغزو، مع التّأكيد على أنّ الحدود التي تعتمد على ظواهر طبيعيّة أقدر على توفير الحماية وتوفير الطبيعة الدّفاعيّة للدّولة.

. الوظيفة الاقتصاديّة: فقد كان للعوامل الاقتصاديّة دور كبير في نشأة فكرة الحدود، ولاسيما أنّ النّشاطات الاقتصاديّة في هذه الأيام تختلف عن السّابق، ففي القديم كان النّاس الذين يعيشون على شكل قبائل يعتمدون على التّنقل وعدم الاستقرار للبحث عن الرّزق، أمّا الآن ومع تطور الزراعة والصناعة أصبح الاستقرار ضرورياً في مكان محدّد محميّ من الغزوات والهجمات الخارجيّة، فإقليم الدّولة المحدّد بما يخترنه من ثروات وموارد يمثّل عنصراً ضرورياً في إقامة نظام اقتصاديّ وطنيّ ينعم فيه شعب الدّولة بالحياة المستقرّة والأمن، كما تظهر أهميّة الحدود اقتصادياً بوصفها أداة للتّبادل والاتّصال بين الجماعات البشريّة، أي لم يعد دور الحدود يقتصر على حماية السّوق المحليّة، بل أصبح لها دور في عمليّة التّنمية الشّاملة، ومن هنا ظهرت أهميّة الحدود الثّابتة.

. الوظيفة القانونيّة لتعيين سيادة الدّولة: حيث تشكّل الاعتبارات القانونيّة ذات الصّلة بتعيين الحدود جوهر الوظائف التي تضطلع بها الحدود الدّولية، فتعيين الحدّ القانوني لهذه الدّولة أو تلك يسمح لها بممارسة سيادتها على الأرض التي ضمن الحدود، فمنذ قيام الدّول الحديثة وتطور طرق المسح الجغرافيّة أصبحت الحدود ضرورة

(١)- الجاسور، ناظم عبد الواحد، إشكالية الحدود في الوطن العربي ، دراسة في الصراعات السياسية والخلافات الحدودية العربية ، دار مجدلوي ، الأردن -عمان ، ٢٠٠١ ، ص١٦

(٢)- للمزيد من المعلومات عن هذه الأنواع من الحدود راجع : حسن ، محمد ، الجغرافية السياسية دراسة في مقومات الدولة ومظاهرها وإمكانياتها ومشكلاتها إقليمياً وسياسياً ، جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ ، ص٢١٤-٢١٥ ؛ أيضاً : سعيد ابراهيم ، ما بين الجغرافية ، مرجع سابق ، ص١٥٦-١٥٧

لا غنى عنها، لتنظيم العلاقة بين الجماعات في الدول المختلفة، كيلا تكون تلك العلاقة فوضوية وغير منتظمة، مما يسهم في افتعال الحروب والمشكلات^(١).

أما بالنسبة لتسوية المنازعات الحدودية فهناك طرق عدّة أولها: التسوية السلمية للمنازعات من خلال المفاوضات المباشرة: وهي المفاوضات التي تكون بين طرفي النزاع دون تدخل طرف ثالث^(٢)، وهي من أفضل الطرق لحلّ النزاع، وقد عدّها ميثاق الأمم المتحدة في المادة ١/٣٣ الوسيلة الأولى لحلّ النزاعات التي يجب استغلالها قبل اللجوء إلى وسيلة أخرى، ولنجاح المفاوضات لا بدّ من توافر عوامل النجاح كطبيعة النزاع، وأهمية المنطقة المتنازع عليها، ووجود الرغبة الجديّة لحلّ المشكلة، وإن لم تتوافر مثل هذه العوامل فستسهم في فشل المفاوضات بشكل تلقائي^(٣)، كما حصل في النزاع بين السعودية واليمن، حيث أسفر عدم توافر عوامل النجاح في بداية المطاف إلى صدام عسكريّ بين البلدين، وحين توافرت هذه العوامل بعد خسارة اليمن ولو بشكل تقريبي تمّ التوصل إلى اتفاق^(٤).

والطريقة الثانية هي تسوية النزاعات بعد فشل المفاوضات الثنائية بمساعدة طرف ثالث (الوساطة)، يتدخل للمساعدة في حلّ النزاع حتّى لا يتطوّر إلى صدام عسكري، ويكون هذا الطرف محايداً تربطه علاقة جيدة بالطرفين المتنازعين، ممّا يمهد لحلّ المشكلة عبر المفاوضات التي تعدّ نجاحها سابقاً، وهذا ما حصل مثلاً عندما تدخلت المملكة العربية السعودية^(٥)، لحلّ النزاع بين قطر والبحرين ونجحت في جمع وزيري خارجية البلدين عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٦ بتكليف من مجلس التعاون الخليجي، وقدمت مقترحات على طاولة المفاوضات بين البلدين في الرياض، وافق عليها الطرفان وانتهت الأزمة، وبعد تأزم العلاقة بين قطر والسعودية عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢، تدخلت مصر واستطاعت الوصول إلى عقد اجتماع ضمّ الملك السعودي والأمير القطري وانتهت المشكلة إلى الحلّ السلمي^(٦)، والطريقة الثالثة هي اللجوء للمنظمات الدولية التي تضطلع بحلّ المنازعات بالطرق السلمية ومنها الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، وتراعي هذه المنظمات نقطتين رئيسيتين: الأولى احترام مبدأ السيادة الإقليمية للدول وثبات الحدود وعدم تغييرها إلا بالاتفاق السليم، والثانية: التي أثبتتها كلّ المنازعات الحدودية أنّ للمنظمات الدولية دوراً محدداً لا يتعدى مرحلة التهدئة، والإشراف على انسحاب القوات المتحاربة إلى ما وراء الحدود المتفق عليها قبل اندلاع الحرب. أما الوسيلة الثانية المعتمدة لحلّ المنازعات الحدودية على المستوى الدولي فهي التسوية القانونية باللجوء إلى التحكيم والقضاء الدوليين، باللجوء إلى المحكمة الدائمة للعدل الدولي التي تمّ إنشاؤها عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠، ومحكمة العدل الدولية التي خلفت المحكمة

(١)- للمزيد من المعلومات حول وظائف الحدود راجع: شتا ، الحدود الدولية ، مرجع سابق ، ص ١٤٤-١٥٤

(٢)- شهاب ، مفيد، المفاوضات الدولية علم وفن، معهد الدراسات الدبلوماسية ، الرياض ، ١٩٩٣ م ، ص ٦-٧

(٣)- الرشيد، أحمد، الحدود الدولية ماهيتها وتطور وظائفها، مركز البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٢٤-٢٢٥

(٤)- للمزيد من المعلومات حول المفاوضات السعودية - اليمنية راجع : الفصل الثاني

(٥)- تقع المملكة العربية السعودية في جنوب غربي قارة آسيا ، ويحدها من الشمال الأردن والعراق والكويت ومن الشرق الخليج العربي وإيران وقطر والإمارات العربية المتحدة وعمان واليمن، ومن الغرب البحر الأحمر والعقبة. انظر: ساعاتي، الحدود الدولية، مرجع سابق ص ٧

(٦)- للمزيد من المعلومات راجع الفصل الرابع الفقرة الأخيرة

السابقة، وقد لعبت هذه المحكمة دوراً كبيراً في حل الكثير من النزاعات الحدودية^(١)، وقد ظهرت المنظمات الدولية في بحثنا عندما هدّدت قطر باللجوء إلى التحكيم الدولي لمشكلة حدودها مع المملكة العربية السعودية^(٢). أدى التنازع على حقوق الملكية بين عدة أطراف إلى تعزيز مفهوم الحدود الجيوسياسية في المنطقة العربية، وقد حملت النزاعات الحدودية أنماطاً متعدّدة، بعضها أخذت طابعاً اقتصادياً، فيه يتأثر النزاع بالحسابات الاقتصادية لهذا الطرف أو ذاك، كوجود مكامن نفطية أو مصادر مائية أو مناطق زراعية أو رعيّة أو غيرها والمنطق العلمي للدراسات الحدودية المعاصرة أثبت بالتجربة العملية أنّ معظم النزاعات الحدودية كان دافعها الرئيسي اقتصادياً، ومن الأمثلة على ذلك النزاع بين السعودية وقطر، وهذا لا ينفي وجود بعض النزاعات التي لم تتخذ بعداً اقتصادياً واضح المعالم كالنزاع اليمني - السعودي في جنوب عسير مثلاً. وبعض نزاعات الحدود أخذت طابعاً اجتماعياً، حيث توجد تجمّعات سكنية (قرى - هجر) في مناطق التّخوم المشتركة، ومنها النزاع السعودي - اليمني والسعودي - القطري. وبعض النزاعات الحدودية الأخرى أخذت بعداً قُبلياً، بمعنى أن تنتقل القبائل عبر التّخوم المشتركة بين بلدين عبر ممّر مشترك بينهما، وقد أثّرت الحدود السياسية المصطنعة بشكل كبير على تنقلات القبائل كما في شبه الجزيرة العربية ومثال ذلك النزاع السعودي - الأردني والنزاع السعودي - اليمني (الربع الخالي)، في حين لم تتأثر التّحرّكات القبلية في التسوية السعودية - القطرية كثيراً^(٣)، وهناك نزاعات أخذت بعداً استراتيجياً له تأثير في قوة الدولة وأمنها، ومما لا شك فيه أنّ الوظيفة الأمنية الإستراتيجية للحدّ السياسي هي من الاعتبارات الأساسية التي عوّلت عليها الدول لما يتوافر فيها من حماية لكيان الدولة "كالنزاع السعودي مع كل من اليمن والأردن وقطر". ولم تتشابه النزاعات الحدودية موضوع الدراسة في طريقة اشتعالها أو حلّها، فبعضها له طابع دبلوماسي اقتصر طوال فترة الخلاف على المفاوضات الدبلوماسية التي لم تخل من مظاهر عسكرية كما حصل في النزاع السعودي - القطري^(٤).

وبعضها اتخذ طابع الاشتباك العسكري، كما حصل في النزاع السعودي - الأردني والنزاع السعودي - اليمني ، ومن أهم مميّزات النزاع الحدودي في المنطقة العربية أن للتدخل الأجنبي فيه دوراً مؤثراً، بل مولّداً للنزاع كما هو حال النزاع بين السعودية وقطر، ففيه لعبت كلٌّ من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية دوراً كبيراً بفعل سباق شركات الدولتين للاستفادة من نפט منطقة الخليج خصوصاً وشبه الجزيرة العربية عموماً، والنزاع بين السعودية واليمن الذي اشتعل بتشجيع بريطاني^(٥)، والنزاع السعودي - الأردني، الذي كانت بريطانيا راعية لكل تفصيل فيه،

(١) - للمزيد من المعلومات راجع : الرشيد، الحدود الدولية، مرجع سابق، ص ٢٣٦-٢٥٣

(٢) - للمزيد من المعلومات حول التدخل السعودي والمقترحات المقدمة راجع: الرشيد، أحمد، التسوية القضائية للنزاع القطري - البحريني "صفحة جديدة في العلاقات المشتركة"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٤٥، تموز، ٢٠٠١، ص ١٨٥

(٣) - الذيب، محمد محمود، الجغرافية السياسية أسس وتطبيقات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣٤٥-٣٤٦

(٤) - للمزيد من المعلومات راجع الفصل الرابع

(٥) - النعيم، مشاري عبد الرحمن، الحدود السياسية السعودية البحث عن الاستقرار، دار الساقى، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م

آخذين بعين الاعتبار أن هذا التدخل في بعضها لم يكن مباشراً في بعضها، وإنما كان من وراء الستار الذي عملت القوى الاستعمارية من خلفه على إشعاله تارة وإخماده تارة أخرى.

ثانياً: التنافس الدولي في شبه الجزيرة العربية وأثره في ظهور منازعات الحدود ١٧٦٢-١٩١٣:

إنّ التنافس الاستعماريّ في العالم انطلق من نظريات جيوسياسية لمفكرين سياسيين، وضعوا من خلالها المقومات الرئيسيّة للقوة والقدرة على تصدر الرّعاية العالميّة لدولة دون أخرى، ومن هذه النّظريات نظرية المفكر الألمانيّ ألفريد هامان الذي جعل القوة البحريّة هي القدرة على جعل دولة أقوى من أخرى، وادّعى أنّ الدّول البحريّة لها أرجحية التّفوق على الدّول القاريّة من خلال أساطيلها وتجاريتها البحريّة، فارتبطت هذه النّظرية بظاهرة التنافس الاستعماريّ الذي تزايدت وتيرته بعد الثّورة الصناعيّة، وقد لفتت معظم النّظريّات الجيوسياسية إلى خطورة موقع الوطن العربيّ بفعل طبيعته الجغرافيّة المهمّة التي تتمتع بأهميّة إستراتيجيّة جيوسياسية حيث يصل بين قارات العالم ويطلّ على مضائق وممراتٍ بحريّة هامّة إضافة إلى أن تربته تحتضن الطاقة المؤثرة في حركة الاقتصاد الصناعي (النفط والغاز)، ونبّهت الدّول الاستعماريّة إلى حتميّة نهوض الأمة العربيّة التي تتمتع بتاريخ عريق وبخصائص حضاريّة موحّدة ومقومات جيوبوليتيكيّة هامّة، وأنّها قادرة على استعادة زعامتها للعالم إذا لم يتمّ السيطرة عليها^(٢)، مما أدى إلى تحوّل الوطن العربي بشكل عام وشبه الجزيرة العربيّة بشكل خاص إلى ساحةٍ للتنافس الاستعماريّ الكبير، الأمر الذي أدى إلى ظهور نزاعات بين القوى المحليّة هناك لضم مناطق جديدة إلى أراضيها تساعدها على زيادة قوتها وتفعيل دورها في محيطها انتهت في نهاية المطاف إلى ظهور منازعات حدودية بعد تحول هذه القوى إلى دول قومية بمساعدة الدول الأجنبية ادت إلى تمزيق المنطقة وإضعافها.

(٢) - العجيلي ، محمد صالح ، دولة الإمارات العربيّة المتحدّة دراسة في الجغرافيّة السياسيّة ، مركز الإمارات العربي للدراسة والبحوث الاستراتيجيّة ، أبو ظبي ، ٢٠٠٠م ، ص ١٥-١٦

١- الأهمية الاقتصادية لشبه الجزيرة العربية^(١) وأثرها في ظهور التنافس الدولي عليها:

تُعَدُّ منطقة شبه الجزيرة العربية إحدى أخطر أمكنة العالم وفقاً لتعبير المفكر الفرنسي بيار بان ((إنَّ تموجات الخليج العربي الصغيرة قادرة على إحداث عواصف في محيط العلاقات الدولية))، كون الخليج العربي يشكّل نقطة اتصال بين قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا وروسيا والمحيط الهندي، ومنطقة ترانزيت مهمّة وحيويّة لحركة الملاحة البريّة والبحريّة والجويّة، وبحيرة نفطيّة هائلة لأُمَم القرن العشرين فهو قلب المصالح الدوليّة^(٢). فالخليج العربيّ الرابض في الجزء الجنوبيّ الغربيّ من قارّة آسيا بين درجتي عرض ٢٤-٣٠ شمال خطّ الاستواء ودرجتي طول بين ٤٧-٥٧ شرقي غرينتش^(٣)، هو واحدٌ من أهمّ الممرّات المائيّة في حركة الملاحة العالميّة، فالبحر

(١)- وصفت الجزيرة العربية الكثير من كبار الجغرافيين بحدود مختلفة ، فالهمداني قال أن الجزيرة العربية (أفضل البلاد المعمورة من شق الأرض الشمالي إلى الجزيرة الكبرى وهي التي يسميها بطليموس (ماروي) تقطع على أربعة أقاليم من عمران الشمال إلى الخامس ، فجنوبيها اليمن وشمالها الشام وغيرها شرم أيله (شرم الشيخ)) وما طردته السواحل إلى القلزم والفسطاط في مصر وشرقيها البحرين وعمان وكاظمة والبصرة وموسطها الحجاز وأرض نجد والعروض) وتسمى الجزيرة العربية (لأنّ اللسان العربي في كلها شائع...) أنظر: الهمداني ، الحسن بن أحمد يعقوب ، صفة الجزيرة العربية ، ترجمة محمد علي الأكوخ الحوالي ، مكتبة الإرشاد، صنعاء ١٩٩٠م، ص٣٩، لقد حصل بعض التغيير في الجغرافيا المكانية للجزيرة العربية فهي عند الجغرافيين المحدثين تشمل المنطقة الممتدة من الساحل الغربي للبحر الأحمر والساحل الشرقي للخليج العربي وخليج عمان من ناحية الغرب والشرق وبين ساحل البحر العربي و الربع الخالي من الجنوب والى الشمال وهي تشمل الدول العربية التالية المملكة العربية السعودية -سلطنة عمان ، دولة الإمارات العربية المتحدة البحرين الكويت قطر اليمن .

(٢)- متى ، أنطوان ، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني إلى الثورة الإيرانية ، دار الجبل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣، ص١٦-١٧

(٣)- أطلق على الخليج العربي أسماء كثيرة، فقد عرف لدى الآشوريين والبابليين باسم البحر الجنوبي أي البحر المقابل للبحر الأعلى (المتوسط) في حين سماه المؤرخ والجغرافي اليوناني سترابون(٦٣ق.م-١٩ م) باسم بالبحر الأحمر أو الخليج العربي، أما العرب المسلمون بعد سيطرتهم على العراق في القرن السابع ميلادي أطلقوا اسم الخط على المنطقة الممتدة بين البصرة وعمان، أما في العهد العثماني، فقد أطلق عليه اسم خليج البصرة . أما الخلاف الأكبر كان بين عباءة الخليج الفارسي والخليج العربي، ومن وجهة نظري إن تسمية الخليج الفارسي هي تسمية غير صحيحة، والراجح أن الإسكندر المقدوني (٣٥٦ق.م-٣٢٣ق.م) حاكم الإمبراطورية المقدونية كان يطمح أن يحمل لقب ملك العالم هو أول من سماه (بالخليج الفارسي)، حيث كان قد أرسل أمير البحر نياركوس لقيادة الأسطول المقدوني إلى المحيط الهندي، وعاد نياركوس من الهند إلى العراق عن طريق الخليج متتبّعاً مجرى نهر قارون في إقليم الأهواز الإيرانية والذي يصب في نهر الفرات ، وبالتالي مر عبر الساحل الشرقي للخليج العربي وهو الساحل الفارسي، ولم يتعرف على الساحل العربي. لذلك، أطلق تسمية الخليج الفارسي على الخليج العربي وبقي هذا الاسم متداولاً عن طريق التواتر، وهي التسمية الصحيحة والمثبتة والتي يؤكدها كارستون نيبور الرائد الدنماركي الذي زار جزيرة العرب وصاحب مؤلف رحلات في الجزيرة العربي وبلدان أخرى في الشرق. للمزيد من المعلومات راجع: لورييمير ، ج.ج ، دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان أمير قطر ، الدوحة ١٩٦٩، ج٣، ص١٢١٦؛ أيضاً: قلعجي، فدوى، الخليج العربي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ط٢، ١٩٩٢م ، ص٨

وهنا نوضح أن تعبير الخليج الفارسي هو تعبير المفكرين السياسيين الغربيين، في حين أن التعبير العربي المعترف به رسمياً عن تلك المنطقة والمرفق بكل الخرائط العربية هو الخليج العربي بحكم أن العرب هم أصحاب السيادة الحقيقية عليه، فالخليج العربي عربي بسكانه وبأسمائه وبتاريخه، ولو أخذنا الموضوع من وجهة النظر الجغرافية، لوجدنا أن طول الساحل العربي يبلغ ضعف السواحل الإيرانية في الخليج العربي، هذا بالإضافة إلى الساحل الشرقي التابع لإيران حالياً كانت تسكنه قبائل عربية ما يزال بقايا منها فيه كقبائل بني كعب وبني تميم، وغالبية سكانه من أصول عربية وإن سرت فيهم اللغة الفارسية ، ولا بد لنا من التذكير أنه حتى وقت قريب كان يطلق على قسم كبير منه اسم عربستان أي بلاد العرب وهو اعتراف ضمني بعروبة ذلك الساحل. للمزيد من المعلومات راجع: قاسم، جمال زكريا، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر "إمارات الخليج العربي في عهد التوسع ١٥٠٧-١٨٤٠م" ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص٢٢-٢٤ للمزيد من المعلومات حول

الأحمر وامتداده إلى البحر المتوسط وقناة السويس يشكّل مع المحيط الهندي ذراعي الخليج العربي، وجغرافية هذا الخليج لها ميزة خاصة وهي أنه بحرٌ مقفلٌ من الشمال، وله منفذٌ وحيدٌ من جهة الجنوب عبر مضيق هرمز، ممّا يعطي الدول المشرفة على أمنه والمسيطرة عليه قدرةً كبيرةً على التأثير في حركة الملاحة بالاتجاهين ذهاباً وإياباً، ولاسيما إذا علمنا أن نصف الأطنان المصدّرة من النفط إلى الدول الصناعية الغربية الآتية من إيران والإمارات وعمان والسعودية والكويت وقطر والبحرين والعراق تمرّ عبر الخليج العربي، الذي يشكل مع محيطه الغربي (المحيط الهندي) روابط إستراتيجية بين شرق المحيط الهادئ وجنوب آسيا وشرقها والشرق الأوسط وشرق إفريقيا، وتأتي أهمية المحيط الهندي من خلال إشرافه على ممراتٍ هامةٍ كمضيق هرمز وباب المندب ورأس الرجاء الصالح في أقصى جنوب إفريقيا، وملقه بين المحيط الهندي وماليزيا. ونظراً لإمكانية تعرّض الحركة الملاحية من مناطق نقل البضائع والنفط إلى البلدان الصناعية إلى تهديدات ومخاطر في أثناء عملية النقل التي تمرّ أولاً عبر قطر والبحرين ثمّ عبر الإمارات العربية المتحدة وإيران ثمّ تجاه عمان لتدخل مضيق هرمز ثمّ تسير في خطّ مستقيم إلى المحيط الهندي، أو تأخذ طريق بحر العرب ثمّ البحر الأحمر فقناة السويس، وفي كلا الطريقتين يكون الخليج العربي ومرافئه ممرّاً رئيساً سواءً أكانت لنقل البضائع أو النفط^(١).

فهذه الميزات الجغرافية للخليج العربي واليمن التي جعلت منهما قلب العالم يتصلان ببعضهما البعض، ويسيطران على شريان حركة التجارة العالمية والإقليمية بين الشرق والغرب، فاليمن تسيطر على أهم بوابة لحركة التجارة الدولية البحرية وهي مضيق باب المندب ولديها جزيرة سوقطرى في بحر العرب بمنزلة حارس طبيعي يراقب ويحمي حركة التجارة البحرية الزاهية من آسيا والخليج إلى دول البحر الأحمر وأوروبا عبر باب المندب أو القادمة من هذا الباب من الغرب إلى الشرق، أمّا الخليج فتسيطر بعض دوله على مضيق هرمز بوابة الدخول والخروج إلى حوض الخليج العربي^(٢)، كل تلك المميزات أحدثت صراعاً وتنافساً كبيراً بين الدول الكبرى للسيطرة عليه وتأمين حركة ملاحتها على هذا الطريق من أيّ اعتداءات أو مشكلاتٍ قد تعيق الحركة الملاحية، وبعد افتتاح قناة السويس (صلة الوصل بين عالمين) وما رافقها من زيادة المبادلات التجارية بن أوروبا وآسيا والمحيط الهندي وبحر الصين وشرق إفريقيا وشبه الجزيرة العربية^(٣)، ولأنّها سهّلت نقل المواد الخام إلى أوروبا من مناطق تواجدتها، والمواد الاستهلاكية من أوروبا إلى بلدان آسيا وشرق إفريقيا والمناطق الخليجية، الأمر الذي أسهم في الازدهار الاقتصادي في أوروبا، فقد وفرت كثيراً من الصعوبات في حركة النقل بين مناطق الإنتاج ومناطق

الخليج العربي في التاريخ راجع: الفيل، محمد رشيد، الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي، رابطة الاجتماعيين، الكويت، ١٩٧٥م، ص ٣٣؛ أيضاً: الشامي والصقار، صلاح الدين فؤاد محمد، جغرافية الوطن العربي الكبير، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧٠م، ص ٦٠؛ أيضاً: قورشون، زكريا، قطر في العهد العثماني، ترجمة حازم سعيد منتصر، ١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ١٣؛ أيضاً: الفيل، محمد رشيد، الجغرافية التاريخية للكويت، ط ٢، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٧م، ص ٣٥

(١)- متى، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني إلى الثورة الإيرانية، مرجع سابق، ص ٢١-٢٧

(٢)- الرميحي والسقاف، محمد و فارس، مستقبل العلاقات اليمنية الخليجية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٣٣

(٣)- للمزيد من المعلومات راجع الملحق رقم (٢٤)

الاستهلاك خاصة بعد اعتماد النفط مصدراً للطاقة، فكانت توفر ٤٢٪ من مسافة الطريق بين الكويت وأوروبا و ٢٨ ٪ بين الكويت وجزر البليمر في الولايات المتحدة الأمريكية^(١).

كان الخليج العربي محطة رئيسة في حركة الملاحة العالمية، من خلال صلته بين المحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر المتوسط ومن ثم قناة السويس ومنها إلى أنحاء العالم، حيث إن نقاط العبور للسفن والبواخر كانت كلها تلتقي على مياه الخليج، منه إلى الخارج أو من الخارج إلى البلدان المحيطة به، ولا سيما بعد اكتشاف النفط واحتواء منطقة الجزيرة العربية والمناطق المحيطة بالخليج العربي كالعراق وإيران على كميات هائلة منه، فكان لابد من تأمين طرق مواصلات لناقلات النفط ومنع تعرضها إلى المخاطر والاعتداءات في أثناء سيرها من مناطق الإنتاج إلى مناطق التصدير، ومن خلال السيطرة على هذه الممرات البحرية التي يعدّ الخليج العربي محطة رئيسة فيها، ومن هنا كان من الطبيعي أن تشهد منطقة الجزيرة العربية تنافساً كبيراً للسيطرة عليها والاستفادة من أهميتها موقعها الجيوسياسي، فمن المعروف قديماً وحديثاً وفق النظريات الجيوبوليتيكية أن من يسيطر على طرق المواصلات المؤثرة على حركة الملاحة العالمية سيمتلك بلا شك قدرة التأثير على العالم، وستكون سيطرته هذه مفتاح السيطرة على النظام العالمي، ونظراً لأن الخليج العربي واحد من أهم الممرات البحرية المؤثرة على حركة الملاحة العالمية قديماً وحديثاً كان من الطبيعي أن يكون عرضة للأخطار والتحديات الخارجية التي بدأ يتعرض لها بوتيرة متزايدة منذ القرن السابع عشر حتى يومنا الحالي.

وبما أن الاقتصاد هو المحرك الأساسي لكل النشاطات السياسية، من هنا كانت كل النشاطات الاستعمارية في المنطقة العربية تدور في دائرة واحدة، وهي مدى الفائدة الاقتصادية الممكن جنيها من هذه المنطقة في حال تم السيطرة عليها. وبالتالي درجة التأثير الإيجابي الذي يمكن أن تؤدي إليه تلك السيطرة على المستوى العالمي، ونظراً لأهمية موقع شبه الجزيرة العربية على المستوى الاقتصادي العالمي، ظهر التنافس الاستعماري للسيطرة عليها منذ بدايات القرن السادس عشر.

كان لسيطرة العرب على النظام العالمي القديم والوسيط في كل المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية بما في ذلك التجارة العالمية بكل مفاصلها من بضائع وطرق ووسائل نقل دور في اجتذاب أنظار الدول الأوروبية إلى المنطقة العربية، حيث رأت في تلك السيطرة تحجماً لقوتها ودورها العالمي، وخضوعاً اقتصادياً يتبعه خضوع سياسي للزعامة العربية، فأخذت الدول القوية في أوروبا تسعى للقضاء على الزعامة العربية للنظام العالمي، وإنهاء الهيمنة العربية على التجارة العالمية، وبدأت هذه الدول تحيك المؤامرات السياسية والخطط العسكرية لتنفيذ تلك الرغبة الجامحة بالسيطرة على التجارة البحرية العربية من خلال السيطرة على طرق التجارة البحرية العربية في سواحل البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، وما وصف الرحالة البندقي ماركو بولو للتجارة في منطقة الخليج العربي إلا دليل واضح على أهميتها الكبيرة اقتصادياً، حيث قال عن الخليج "إنه طريق الطرائف

(١) - متى، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني إلى الثورة الإيرانية، مرجع سابق، ص ٢٧-٢٩

والعجائب " وإن سحر هرمز كان يجتذب التجار والمغامرين من كل أصقاع الأرض، ممّا جعل التّحرّك الاستعماري لهذا الخليج أمراً طبيعياً ومألوفاً^(١).

وفي بداية الأمر اتّجه ساسة أوروبا الطّامعون بالسيطرة على التّجارة في المنطقة العربيّة إلى المسيحيّين في بلاد النّوبة والحبشة للتّحالف معهم ضدّ العرب تحت ستار شعاراتٍ ظاهريّةٍ منها التّبشير بالمسيحيّة ونشرها في المنطقة العربيّة، لكنّ ما كان ظاهراً لا يعكس الهدف الحقيقي من التّعاون مع أبناء النّوبة، فالحقيقة كانت أبعد من ذلك، وهدف الأوروبيين من هذا التّحالف كان الاقتصاد والتّجارة العالميّة تحديداً، حيث أرادوا إسقاط الوساطة العربيّة للتّجارة بين أوروبا والشرق، واستبدالها بالسيطرة الأوروبيّة على هذه التّجارة، ولاسيّما بعد اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرّجاء الصّالح وبعد السيطرة على الهند وتعيينهم نائباً للملك فيها، ومن هذه النّقطة انطلق البرتغاليون عام ١٥٠٦ لتدمير النّشاط التجاري العربيّ في المحيط الهندي، فأغلقوا أسواق الهند في وجه العرب واحتلّوا ميناء هرمز، وحاولوا احتلال عدن نظراً لأهميتهما الإستراتيجيّة فهما المنفذان الأكثر أهميّةً لتسرّب البضائع المشرقيّة إلى الغرب، وقد احتلوا مناطق واسعة مكنتهم من احتكار تجارة المشرق، وانفرادهم في نقل السّلع التّجاريّة بين المشرق وأوروبا^(٢).

ومن هنا تتضح حقيقة الصّراع الدوليّ الذي خلقته الأهميّة الكبيرة لشبه الجزيرة العربيّة والخليج العربي قديماً، والسّبب الذي دفع الدّول الغربيّة إلى تفعيل نفوذها السّياسي فيها سواء أكان ذلك بالاحتلال المباشر لبعض المناطق أم بتوقيع اتفاقيات ومعاهدات حماية وصداقة تضمن وجودها السّياسي في المنطقة، فالمشهد السّياسي الذي عكس السيطرة البرتغاليّة على تجارة المشرق يبدو أنّه لم يعجب باقي الدّول الاستعماريّة، ممّا دفعها للتّحرّك هي الأخرى للحصول على نصيبٍ من غنيمة زوال السيطرة العربيّة على التّجارة العالميّة. ومن هذه الدّول الاستعماريّة هولندا^(٣).

وبعد الهولنديّين تحرّك الإنجليز في القرن السّابع عشر، وكان هذا التّحرك في البداية على شكل حملاتٍ استطلاعيّة، وإنشاء وكالاتٍ تجاريّة في منطقة الخليج العربيّ، وقد اتخذ النّشاط البريطاني طابعاً بطيئاً وبارداً غير متسرعٍ اعتمد التّعرف على طبيعة المنطقة أولاً، ثمّ التّغلغل فيها ثانياً، والسّير نحو السيطرة والتّحكم أخيراً^(٤).

(١) - للمزيد من المعلومات حول وصف ماركو بولو للتجارة في الخليج العربي في القرن الثامن عشر راجع: بيربي، جان جاك، الخليج العربي، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م، ص ٣٦-٣٩

(٢) - فاحتلوا سوقطرى، ثمّ توجّهت قوّات الأسطول البرتغالي إلى هرمز، حيث تصدّى لهم أسطول هرمز المتواضع بزعماء الشّيخ سيف الدّين، وانتهى هذا الصّراع إلى توقيع اتفاقية صلح بين الشّيخ والبرتغاليين اعترف فيها البرتغاليون بسيادة الشّيخ على هرمز، ثمّ توجّهوا إلى عدن التي قاوم أهلها بضراوة وساعدتها تحصيناتها على إفشال البرتغاليين في احتلالها. للمزيد راجع : الرميحي والسقاف، مستقبل العلاقات اليمنية-الخليجية ، مرجع سابق ، ص ٤٠-٤٣

(٣) - التي وجّهت أسطولها إلى المحيط الهندي لطرد البرتغاليين منه والحلول مكانهم، وهذا ما حصل بالفعل، حيث تمكّن الهولنديون من هزيمة البرتغاليين وطردهم من بعض المناطق في جزر المحيط الهندي، والسيطرة عليها. وقد استمرّ النّشاط الهولندي في المنطقة العربيّة بين عامي ١٠٠٨-١٠١٥هـ/١٥٩٩-١٦٠٦م. للمزيد من المعلومات راجع : العقاد، صلاح، الاستعمار الإنجليزي في الخليج الفارسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د.ت ، ص ٢٤

(٤) - حيث شهدت المنطقة العربيّة في بداية القرن السابع عشر معارك ضارية بين دول الاستعمار للهيمنة على مقدراتها ، حيث بدأ النزاع بين البريطانيين والهولنديين والبرتغاليين بمظهر اقتصادي من خلال التنافس بين شركة الهند الشرقية البريطانية ومن خلالها المملكة البريطانية،

حفل تاريخ شبه الجزيرة العربية والخليج العربي بالبعثات والإرساليات الأجنبية سواء أكانت لهدف ديني أم لهدف استكشافي للمنطقة، وذلك رغبة بالتعرف على سر سيطرتها على طرق التجارة العالمية والوصول إلى مصدر التوابل دون المرور بأرض العرب، فتتالت الحملات الأجنبية على شبه الجزيرة العربية، ولاسيما على مناطقها المهمة والمؤثرة كمنطقة عدن^(٢) ذات الموقع الجيوستراتيجي المهم، وذلك بفضل إطلالتها على بحر العرب والمحيط الهندي التي تزايدت أهميتها بعد تعاظم النشاط التجاري مع الهند وجنوب شرق آسيا، وازدادت أكثر بعد الكشف الجغرافية وإقامة بريطانيا مستعمراتها في الهند، فكان لابد من توفير الأمن على طول الطريق المؤدية لها، خاصة أنها تحولت طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى درة المستعمرات البريطانية.

تمكنت بريطانيا صاحبة الخبرة الأكبر في السباق الاستعماري أن تبعد كل المنافسين لها في المنطقة، لتنفرد وحدها في السيطرة على سواحل شبه الجزيرة العربية^(٣)، بدأت بريطانيا نشاطها الاستعماري أولاً عبر شركات الملاحة لاستكشاف المنطقة، ثم أنشأت بعض الصداقات مع القوى المحلية فيها، ثم انتقلت إلى الحكم المباشر مستغلة بعض الاعتداءات على سفنها متذرةً بضرورة التصدي لها، على الرغم من محدوديتها وإمكانية السيطرة عليها وذلك لحماية طرقها إلى الهند وشرق آسيا، وتظهر رسالة قائد الحملة على عدن إلى الملك البريطاني في

وشركة الهند الهولندية التي تأسست عام ١٠١١هـ/١٦٠٢م. هي الشركة التي أسسها تجار أمستردام عام ٩٩٩هـ/١٥٩٠ أطلق عليها أولاً اسم (الشركة التجارية مع البلاد البعيدة) ثم أصبح اسمها فيما بعد (شركة الهند الشرقية الهولندية). راجع: العزي، خالد، الخليج العربي ماضيه وحاضره، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٧٢، ص ٢٩، أما شركة الهند الشرقية الفرنسية فكان نشاطها قوياً ومؤثراً منذ تأسيسها، الأمر الذي ألقى بريطانيا بشكل كبير. أنظر: العابد، صالح، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨١٠، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٩، ص ٣٦؛ أيضاً: الرميحي والسقاف، مستقبل العلاقات اليمنية - الخليجية، مرجع سابق، ص ٤٣

(٢) - بعد ازدهار التجارة بين الشرق والغرب بدأت بريطانيا تبحث بشكل جدي عن قاعدة لها، تحمي تجارتها بين المحيطات، وتكون محطة لتخزين الفحم، فكانت عدن هي الخيار الأنسب لها، وبدأت تنتظر الفرصة المناسبة للسيطرة عليها، وما هي إلا فترة قصيرة حتى جاءت الفرصة عندما جاء نابليون بحملته إلى مصر لتهديد طريق الهند، فاعتصمت بريطانيا هذه الفرصة، وعملت على قطع الطريق على الجيوش الفرنسية لمنعها من الوصول إلى البحر الأحمر، وذلك باحتلال جزيرة بريم عند مدخل البحر الأحمر عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م، ثم أرسلت بريطانيا أول مقيم إلى اليمن ١٢١٦هـ/١٨٠١، وقد أصبح سفيراً فيها بعد فترة قصيرة، وفي عام ١٢١٥هـ/١٨٠٢م حصل المقيم البريطاني على موافقة سلطان لحج على توقيع اتفاق يسمح بتحويل عدن إلى (ميناء حر) لدخول البضائع ذات المصدر البريطاني، ويسمح لشركة الهند الشرقية بإقامة سوق فيها، وعندما بدأ الهجوم المصري على شبه الجزيرة العربية بتكليف من السلطان العثماني، للقضاء على الحركة الوهابية، وتمركز القوات المصرية في المخا والحديدة. والمخا: هي مدينة على الساحل الجنوبي للبحر الأحمر، تبعد عن مدينة تعز ٩٤ كم، اشتهرت كمدينة وميناء قديم، وكمقصد للتجار الهنود والأوروبيين وأغنياء التجار اليمنيين. للمزيد راجع: المقهفي، أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ١٤٣٣هـ، ج ٣، ص ٤٣٦، ١٤٤٥-١٤٤٦

(٣) - فقد أراد البريطانيون أن يكونوا وحدهم أصحاب السيادة على باب المندب، ولم يحتملوا فكرة أي منافسة لهم على مواصلات البحر الأحمر. لذلك، بذلوا كل جهدهم لتعزيز ذلك، سواء أكان ذلك من خلال المعاهدات والاتفاقيات مع المشايخ والأمراء، أم من خلال العمل العسكري، لبسط نفوذهم على المنطقة، واستعادة السيطرة على جزيرة بريم ١٢٧٤هـ/١٨٥٧، ووقف المحاولات الفرنسية لاستبائهم عليها. لقد توصلت بريطانيا في نهاية القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الثانية إلى القضاء على كل المنافسين لها في الخليج العربي الأمر الذي حدا بأحد ساستها اللورد كريسزون إلى القول بفخر واعتزاز: "في كل أقسام الخليج نرى صورة بريطانيا مسلحة بالسيف ممسكة بيد من حديد عاتق الميزان، وليس من المغالاة أن يقال أن حياة مئات الألوف أصبحت في مأمن بعد فرض الحماية البريطانية على الخليج، وأنه إذا خرجت بريطانيا من هناك عادت الفوضى إلى سابق عهدها". أنظر: الحبشي، عمر، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً من عام ١٩٣٧م وحتى قيام اليمن الجنوبية الشعبية، ترجمة الياس فرح و خليل محمد، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٨م، ص ١٢

كانون الثاني ١٢٥٥هـ/١٨٣٩^(١) أهميّة عدن بالنسبة لبريطانيا تجارياً، حيث قال فيها: "إنّهم أخذوا عدن المتحكّمة في جنوب البحر الأحمر الطريق البحري التجاري بين بريطانيا والهند." فعُدن أصبحت في ذلك الوقت نقطة انطلاق ومراقبة وتجمّع، وأصبح ميناؤها الذي يصل الشرق بالغرب مهماً للغاية بالنسبة لسيطرة بريطانيا على التجارة في الشرق، وازداد هذا الميناء أهميّة بعد افتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩، الأمر الذي جعل بريطانيا تتمسك بهذا الميناء وبما يحيط به من مناطق بشكل كبير^(٢).

وتظهر الأهميّة الاقتصادية الكبيرة لعدن بالنسبة لبريطانيا والدول المنافسة لها، كفرنسا وروسيا التي بدأ ظهورهما في الخليج يتزايد شيئاً فشيئاً، في رسالة لحاكم بومباي البريطاني موجّهة إلى شركة الهند الشرقيّة يقول فيها: "إنّ عدن بالنسبة لنا لا تقدّر بثمنٍ فهي تصلح كمخزنٍ للفحم طيلة فصول السنة، ويمكن أن تكون ملتقى للسفن التي تستخدم طريق البحر الأحمر، وقاعدة عسكريّة يمكننا بواسطتها أن نحمي ونستفيد من تجارة البحر الأحمر والخليج والساحل المصري المحاذي والغني بمنتجاته، وعدن كجبل طارق متى أصبحت بأيدينا صارت صعبة المنال من البر والبحر، وهناك أمتان كبيرتان تتآمران علينا وتودّان القضاء على نفوذنا، الأولى روسيا القيصريّة وتتّجه نحونا من خلال إيران والثانية فرنسا آتية من مصر. وحتى نتصدّى لهذه التهديدات يتحتم على بريطانيا أن تعدّ لنفسها مراكز دفاعيّة خارج الحدود"^(٣).

وما اهتمام بريطانيا الكبير بالخليج العربي إلّا لأهميّته الكبرى المؤثّرة في مجريات وتطوّرات الأحداث العالميّة الاقتصاديّة والسّياسيّة، وما التّصريحات الصّادرة عن كبار المفكرين السّياسيين في الغرب إلّا تأكيد على أهميّة الخليج العربيّ بالنسبة لبريطانيا وكلّ الدول الاستعماريّة، وعلى تأثيره الكبير على الاقتصاد العالميّ نظراً لما تحويه أرضه من موارد طبيعيّة غنيّة وما يتمتّع به موقعه الإستراتيجيّ الهامّ على طرق المواصلات التجاريّة،

(١)- رغبت بريطانيا بالسيطرة على الشاطئ الجنوبي لليمن، لوقف تقدّم القوّات المصريّة والحدّ من سلطة الباب العالي، فأنشأت في العام ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م مستودعاً للفحم في المكلا وهي منطقة تبعد عن عدن تسعين ميلاً إلى الشرق، واحتلت سومطرى لزيادة تفعيل وجودها في المنطقة، فكانت بعد هاتين الخطوتين على بعد خطوة واحدة من عدن، ولتسريع عمل الزمن وفقاً للغاية البريطانيّة عرضت بريطانيا بعد فترة قصيرة من الإجراءات السّابقة شراء الميناء، إلّا أنّ السّلطان رفض طلبها، فوجّهت له إنذاراً بأنّها ستهاجم الميناء إذا لم يوافق وعندما أصرّ على الرّفص، لم يبق أمام بريطانيا سوى العمل المباشر الذي بدّأته على خلفيّة غرق الباخرة الهنديّة (ديريا دولار)، واتّهامها السّلطان بأنّه محرّض وأنّ جماعته قامت بهذا الحادث، وبالفعل احتلت بريطانيا الميناء في ١٢٥٥هـ/١٦ كانون الثاني ١٨٣٩م، ودفعت للسّلطان مبلغاً مالياً قدره ٦٥٠٠ ريال كبذل مالي عن الميناء، يضيف طابعاً شرعياً على احتلالها له، وقدمت العديد من الوثائق لإثبات حقّها فيه بعد موافقة السّلطان التّخلّي عنه، لكنّ السّلطان العبدلي سرعان ما أعلن تراجعاً عن بيع عدن لهم، وشكّل حركة مقاومة للاحتلال البريطاني، الذي بذل جهداً كبيراً لقمعها، متذرّعاً للقضاء عليها أنّ السّلطان تراجع عن عهوده التي قطعها لهم وعلى نفسه ببيعهم الميناء، وأنّه رفض دفع التّعويضات عن حادثة الاعتداء على السفينة (ديريا دولار) ونهب محتوياتها. فما كان منهم إلّا أن أرسلوا قوّة عسكريّة سيطرت على المدينة فلم تتمكّن قوّة السّلطان من مجابهتها، وعلى الرّغم من التّقدير الكبير للمقاومة وجهودها للدفاع عن المدينة حتّى ولو جاءت بعد حين. أنظر: وصف الكاتب المعاصر ريجنالد سورس هذه الوثائق أنها سابقة وحيدة في العلاقات الدوليّة. أنظر: ريجنالد، سورنس، عدن (المحمية واليمن)، دن، لندن، ١٩٦١، ص ٤. أيضاً: الحبشي، اليمن الجنوبي، مصدر سابق، ص ١٠-١٢؛ أيضاً: محيرز، عبد الله أحمد، العقبة "دراسة تحليلية جغرافية وتاريخية لجانب من مدينة عدن، وزارة الثقافة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٩٢-١٩٥.

(٢)- زكريا، محمد، عدن في عهد الاستعمار البريطاني، مجلة تراث وتاريخ، العدد ١٣٩٨٥، مؤسسة ١٤ أكتوبر للصحافة والنشر، عدن، اليمن، ٧ كانون الثاني ٢٠٠٨م.

(٣)- سلطان، ناجي، التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩. ١٩٦٧م، دار العودة. الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٢.

ومن أهم هذه التصريحات ما ورد على لسان المفكر البريطاني ريموند أوسيه في كتابه "ملوك الرمال في عمان"، عن أسباب تشبث بريطانيا بمنطقة الخليج العربي حين قال: "إنها شريان الحياة الرئيسي، وقد أكد اكتشاف النفط وتقدم الطيران هذه الحقيقة، وسيظل الخليج العربي ضمن إستراتيجياتنا لسنوات طويلة". أما المفكر الفرنسي جان جاك بيربي فقد قال: "هذا الشرق العجيب الذي كثر عنه حديث الخبراء والساسة، إنما ينحصر أغلبه في الخليج العربي بصورة خاصة لأن الخليج هو قلب الشرق الأوسط جغرافياً وبابه السحري وصندوقه الذهبي الرائع الذي يسيل له اللعاب"^(٢).

ويظهر رفض بريطانيا لأية منافسة خارجية لها في منطقة الخليج العربي نظراً لأهميته الكبرى بالنسبة لقوة بريطانيا من خلال التصريح الذي عبّر فيه اللورد كيرزون Lord Curzon عن هذا المعنى عندما قال: ((خائن لوطنه كل وزير بريطاني يسمح لدولة أخرى إقامة محطة في الخليج الفارسي))، ومن خلال تصريح وزير الخارجية البريطاني اللورد لانزدون أمام مجلس اللوردات عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣ حيث جاء فيه: ((نحن نعتبر أن إقامة أي قاعدة بحرية أو ميناء محصن في الخليج الفارسي من قبل دولة أخرى يشكل تهديداً مباشراً للمصالح البريطانية ونحن سنواجه هذا العمل بكل الوسائل التي نمتلكها))^(٣).

كل هذه الأقوال والتصاريح تظهر لنا السر وراء كل التحركات الغربية التي تهدف إلى السيطرة على الخليج العربي الذي كانت تعدّه بريطانيا المفتاح السحري للغنّى الاقتصادي لأي دولة تتمكّن منه، وصحيح أن بريطانيا عدت نفسها الوريث الشرعي للبرتغاليين والهولنديين في منطقة المحيط الهندي وجزر الهند الشرقية والخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، ونشاطها المتواصل للسيطرة على هذه المناطق وعلى تجارتها، إلا أنها لم تتسرع في نشر نفوذها على طرق التجارة بين الهند وأوروبا وبالعكس، وذلك بسبب خشيتها من منافسة دولة استعمارية قوية وهي فرنسا الساعية هي الأخرى لتوسيع نفوذها الاستعماري في المنطقة، فشبّح الحرب مع فرنسا القوية كان يدفع بريطانيا إلى العمل ببطء في هذا الميدان، لكن هذا البطء على الصعيد الأوروبي لم يكن كذلك على صعيد منطقة الشرق وتحديداً شبه القارة الهندية، فقد كانت بريطانيا تحرّك قواتها في كل الاتجاهات لحماية طرق الهند، وحددت لنفسها المسار الصحيح لتأمين هذه الحماية وهي اعتماد المعادلة البريطانية الشهيرة أن العراق والخليج وجنوب شبه الجزيرة العربية يساوي أمن الهند.

ولدت المنطقة بأهميتها الجغرافية والاقتصادية منافسةً محتدمةً بين الدول الراغبة في الزعامة العالمية، فبدأ الأمر وكأنه صراع للسيطرة على مراكز القرار الاقتصادية في إفريقيا وشرق آسيا انطلاقاً من المنطقة العربية، كل ذلك دفع بريطانيا إلى السيطرة على تلك المناطق بمختلف الوسائل، ولاسيما بعد ظهور الخطر الفرنسي في حملة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨ وتحالفه مع الوهابيين، وعقد الاتفاقيات مع بلاد فارس، بهدف قطع الطرق البحرية أمام التجارة البريطانية، وكذلك بسبب ظهور الخطر الألماني الذي لم يكن برياً فقط بل بحرياً أيضاً، من خلال حصول الإمبراطور غليوم الثاني من السلطان العثماني على امتياز مدّ سكة حديد، تصل بين برلين وبغداد مروراً

(٢) - بيربي، الخليج العربي ، مصدر سابق ، ص ٣٣

(٣) - متى ، الخليج العربي من الاستعمار حتى الثورة الإيرانية ، مرجع سابق، ص ٥٨-٥٩

بالخليج العربي، والذي حصل عليه بدعمٍ من بنكين ألمانيين كبيرين (ديتشيه بنك، ديسكونتو جيزيلشافت) بهدف مشاركة بريطانيا في السيطرة على الخليج العربي. إلا أنّ هذه المخططات الفرنسيّة الألمانيّة قد أفشلتها معارضة بريطانية لها بصلاية كبيرة.

فقد قاومت النفوذ الفرنسي في مصر عسكرياً، فوجّهت أسطولها المتمركز في المتوسط لمواجهة الأسطول الفرنسي وتمكّنت من تدميره، وفرضت حصاراً على السواحل المصريّة حتى أجبرت الحملة الفرنسيّة على إنهاء مغامرتها في مصر.

أمّا المشروع الألماني لمدّ سكة الحديد بين برلين وبغداد^(١)، فقد استطاعت بريطانيا تأخير العمل فيه حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، والذي سقط نهائياً بعد انتهائها بسبب هزيمة ألمانيا في الحرب^(٢)، اتخذت إجراءات جديدة لحماية طرقها البحريّة التجاريّة، فبعد إنشائها الوكالات التجاريّة في العديد من المناطق المهمّة، وقّعت عدداً من الاتّفاقيّات والمعاهدات مع أمراء المناطق في الخليج العربيّ وشبه الجزيرة العربيّة تحت ذرائع مختلفة منها: محاربة القرصنة التي كانت في واقع الأمر جهاداً وطنياً ضدّ الأساطيل الاستعماريّة في مياههم العربيّة، ومن الذرائع أيضاً منع تجارة الرقيق^(٣)، وغيرها من الحجج التي تسمح لبريطانيا بالتدخّل الدائم إذا تطلب الأمر ذلك، ومن هذه المعاهدات على سبيل المثال لا الحصر معاهدات الصداقة، والتعاون التجاري مع سلطان عمان سلطان بن أحمد عامي ١٢١٣-١٢١٥ هـ / ١٧٩٨-١٨٠٠.

كان هدف هذه المعاهدات ربط الأمراء والحكّام المحليين ببريطانيا، وإبعاد المنافسين المحتملين لها، فالمعاهدات السابقة الذّكر نصّت إضافةً إلى التعاون التجاري على إبعاد الفرنسيين وقطع العلاقات معهم وتعيين وكيل سياسيّ بريطاني في مسقط والتشاور معه في الأمور كلّها، وعندما تطلّب الأمر نشاطاً عسكرياً قامت بريطانيا به دون تردّد، كما فعلت عندما شعرت أنّ الأساطيل الفرنسيّة تهدّد نفوذها، فهاجمتها وعملت على تدميرها، وفعلت الأمر نفسه مع القواسم في رأس الخيمة (١٢٢١-١٢٣٤ هـ / ١٨٠٩-١٨١٩) عندما شعرت أنّ ازدياد قوتهم يهدّد نفوذها ومصالحها في الخليج العربي^(١)، ثم تبعت هذه التّحرّكات البريطانيّة تحرّكاً نحو الكويت بحجّة الخطر الوهابي في نجد وفرضت عليها الحماية البريطانيّة^(٢)، وقد تمكّنت بريطانيا بموجب هذه المعاهدات المانعة مراقبة الكويت وقطر والبحرين وغيرها من إمارات الساحل المهّادن عن كُتب، وجعلت كل التّحرّكات على أراضي هذه الدول تتطلّب الموافقة البريطانيّة عليها مسبقاً^(٣)، وقد عملت كلّ الدول الاستعماريّة التي تولّت على المنطقة ولاسيما بريطانيا على خنق كلّ محاولة وحدويّة عربيّة، أو أيّ تطوّر اقتصاديّ سياسيّ فيها قد يضرّ

(١)- للمزيد من المعلومات حول المشروع راجع : الحصري ، ساطع، الدولة العثمانية والبلاد العربية، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٠٥

(٢)- للمزيد من المعلومات حول الظهور الألماني في المنطقة راجع : قلججي ، الخليج العربي ، مرجع سابق ، ص ٤٦٦ وما يليها ؛ أيضاً:

متى، الخليج العربي من الاستعمار حتى الثورة الإيرانيّة ، مرجع سابق ، ص ٥٧-٦٠

(٣)- مصطفى ، نادية ، أوروبا والوطن العربي ، ط ١، د.ت، بيروت ، ١٩٨٦، ص ٤٠-٤١

(١)- العيدروس، محمد حسن، التطورات السياسية في الإمارات العربيّة المتحدّة ١٩٣٢-١٩٧١، دار الكتاب الحديث، دبي، ٢٠٠٢م، ص ٧٠-

(٢)- متى، الخليج العربي من الاستعمار حتى الثورة الإيرانيّة، مرجع سابق، ص ٤٨-٤٩

(٣)- بيربي، الخليج العربي، مصدر سابق ، ص ٥٥

بمصالحتها ولا يخدم أهدافها، وهذا ما نبّه له السياسيون والمفكرون الغربيون ومنهم الكاتب السياسي البريطاني برنارد ريلي، الذي نبّه من خطورة ما يسمى ظهور القومية العربية في منطقة الخليج العربي وفي أرجاء المنطقة العربية عموماً^(٤)، ممّا دفع بريطانيا إلى الضرب بسرعة على اليد التي تسعى إلى بناء قوّة مؤثّرة في المنطقة، وهذا ما حصل على سبيل المثال مع القواسم ومع محمد علي، عندما حاول بناء دولة عربية قويّة على النّمط الحديث، بغض النّظر سواء أكانت أهدافه عروبيّة أم لا.^(٥)

أمّا المشروع الألماني لمدّ سكة الحديد بين برلين وبغداد، فقد استطاعت بريطانيا تأخير العمل فيه حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، والذي سقط نهائياً بعد انتهائها بسبب هزيمة ألمانيا في الحرب^(٦). كلّ ذلك لمنع القوى المحليّة في هذه المنطقة الإستراتيجيّة من القدرة على الاستغلال النّسبي لها، وتهديد المصالح الاستعماريّة، فقد سعت الدّول الأوروبيّة نحو المناطق ذات الأهميّة الجيوبوليتيكيّة وذات القدرة التّأثيريّة على مجريات التّطورات السياسيّة، ولاسيّما بعد قيام الثّورة الصناعيّة في أوروبا في القرن الثّامن عشر، وضرورة البحث عن أسواق استهلاكيّة جديدة، ومصادر لتوفير المواد الخام اللاّزمة للصّناعة الحديثة.

(٤) - متى، مرجع سابق، ص ١٢٠

(٥) - فقد عملت بريطانيا إلى إيقاف وصول محمد علي إلى شبه الجزيرة العربيّة بعد أن استطاع من خلال سلسلة من الحروب السّيطرة على بلاد الشّام، وأصبح على أبواب القسطنطينيّة، فقد نظرت بريطانيا لتوسّع نفوذ محمد علي كونه يشكّل خطراً كبيراً على نفوذها، ومصدراً لتهديد محمياتها، فردّت بريطانيا والمتخوفون مثلاً (النّمس والّدولة العثمانيّة) من تصاعد قوته بضرب سواحل عكا مجبراً إبراهيم باشا على الانسحاب، كما أجبرت بوارج أوروبا المرباطة على سواحل الإسكندريّة محمد علي على الخضوع لطلبات الدّول الغربيّة، وعلى سحب جيوشه من الشّام، وعلى توقيع اتفاقية ١٢٥٦هـ/١٨٤١، التي أجبرت محمد علي في وسط هذه الظروف على إيقاف مشروعه ببناء دولة قويّة قادرة على حماية نفسها . للمزيد راجع: أمين، جلال أحمد، المشرق العربي والغرب، بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية، ط٣، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٦-٢٧

(٦) - للمزيد من المعلومات حول الظهور الألماني في المنطقة وحول المشروع راجع : الحصري ، ساطع، الدولة العثمانية والبلاد العربية، بيروت، ١٩٦٠م ، ص ٢٠٥ ؛ أيضاً: قلعجي ، الخليج العربي ، مرجع سابق ، ص ٤٦٦ وما يليها ؛ أيضاً: متى، مرجع سابق ، ص ٥٧-٦٠

وازدادت أهمية المنطقة بعد الدراسات المبدئية التي أثبتت وجود مكامن نفطية كبيرة في ترابها ومياهاها، فقد احتفظ الخليج العربيّ ذو الشواطئ الكلسيّة التي تميّزت حتّى وقتٍ قريبٍ بالقحط والفقر، وبأبنائه الذين لم يفكروا بهجرانه، على الرّغم من ظروف العيش القاسيّة فيه، ولعلّ بقاءهم هذا كان بوعيٍّ ما أخبرهم أن يصبروا قليلاً على فقرهم وسوء عيشتهم، لأنّ تلك الصحارى الجافّة ستحمل في القادم من الأيام ذهباً وخيراً لن يشهد له إلاّ تسابق دول الغرب على استغلاله، فما أن أطلّ النّصف الثّاني من القرن الثّاسع عشر حتى حصل تغيّر هائلٌ في نمط العمل الاقتصاديّ العالميّ، فقد أدّى تحوّل مصادر الطّاقة (المحرّك الرّئيسي للفعل الإنتاجيّ الاقتصاديّ العالميّ) من الفحم إلى النّفط والغاز، إلى ازدياد أهميّة المناطق المخزّنة لمصادر الطّاقة الجديدة. من هنا ازدادت أهميّة المنطقة العربيّة بما فيها الخليج العربيّ وشبه الجزيرة العربيّة، فالأهميّة الجيوسياسيّة لهذه المنطقة تحوّلت مع مرور الوقت وظهور النّفط فيها إلى أهميّة اقتصاديّة كبرى، تحمل في طياتها إمكانيّة هائلةً في التأثير على موازين القوى العالميّة، فالنّفط والغاز أصبحا مصدراً للفعل الاقتصاديّ، ومحرّكاً للأذرع الاقتصاديّة العالميّة كلّها، ومصدراً رئيساً للثروة، والثّروة تعني القوّة، وهذا يعني زيادة السّعي والجهد للإمساك بمصادر إنتاجهما، فكيف تكون الأمور بالنّسبة إلى المنطقة العربيّة إذا ما عرفنا أن هذه المنطقة من البحر الأحمر امتداداً إلى المتوسط وقناة السويس تشكّل مع المحيط الهندي والخليج العربيّ تعد من أهم الممرّات المائيّة التي يمرّ منها جزءٌ أساسيٌّ من إنتاج نفط الخليج والعراق وشبه الجزيرة العربيّة، وفي الوقت نفسه كان هذا الطّريق الممرّ الرّئيس للسلع والبضائع القادمة من الدّول المستوردة للنّفط، الأمر الذي جعل من المحيط الهندي مركزاً إستراتيجيّاً حيويّاً للاقتصاد العالميّ، وأصبح من الممكن أن نطلق عليه لقب (قلب العالم الجديد)، فمن استطاع السّيطرة على نبض هذا المحيط استطاع السّيطرة على العالم كلّهُ، فالجزء الرّئيس من النّفط يمرّ من أبواب المحيط الهنديّ المتمثلة بالمضائق والممرّات الآتيّة: هرمز على باب الخليج العربيّ^(١)، باب المندب جنوب البحر الأحمر، ملقة بين ماليزيا والمحيط الهندي، رأس الرجاء الصالح في الطرف الجنوبي لإفريقيا^(٢).

أدى تركّز ثلثي إنتاج النّفط في منطقة تدور حول الخليج العربيّ إلى تحويله، وما يدور في فلكه من مناطق في هذا العالم إلى مركز إستراتيجي تسعى للسيطرة عليه القوى العالميّة القادرة على المجابهة والتّصدي ولديها الإمكانيات اللازمة، لتكون الأداة الفاعلة على مستوى السياسة الاقتصاديّة العالميّة.

من هنا نرى أنّ النّفط ومناطق إنتاجه أصبحا المركز الذي تدور حوله الأحداث السياسيّة الاقتصاديّة العالميّة أغلبها. لذلك، لم يعد السّؤال عن سبب وجود الأجانب في مناطق صحراويّة لا فائدة منها أمراً مطروحاً،

(١) - يقول الصحفي اللبناني رياض نجيب الريس في كتابه دوفار التصادم العسكري والسياسي في الخليج العربي ١٩٧٠-١٩٧٦م أنه يمر في مضيق هرمز ٢٠ مليون برميل في الدقيقة. أنظر : العمري ، محمد بن سعيد بن محمد كنعلات ، التسوية القانونية لمنازعات الحدود بين دول شبه الجزيرة العربيّة ، المكتب الجامعي الحديث ، د.ن، ٢٠٠٧م، ص١٢٨

(٢) - متى ، الخليج العربي من الاستعمار حتّى الثورة الإيرانيّة ، مرجع سابق ، ص٢٠-٢١ ؛ أيضاً : الإسلامولي ، عبد الحميد "تدويل البحر الأحمر مؤامرة ترفضها مصر ، الأهرام ، ١٩٧٧/٥/٢٨م ، ص٣

كما لم يعد السؤال عن سبب دخول بريطانيا في نزاعاتٍ محليةٍ وقبليةٍ بعيدةٍ كلَّ البعد عن نمط السياسة البريطانية الحديثة المبنية على العمل المؤسّساتي أمراً مطروحاً أيضاً^(١) .

ظهر في كلّ الصحارى العربية رجالٌ يتجولون في المنطقة بالزّي التقليدي لها، فظهور النفط وإدراك أهميته الكبيرة دفع الكثير من الفرق الأجنبية للعمل على التنقيب في الصحارى العربية بحثاً عن النفط، وبما أنّ البريطانيين يسيطرون على المنطقة، فقد نشروا قواعدهم وفرقهم وشركاتهم النفطية في كلّ مكان، إلا أنّ الأهمية الكبيرة للنفط أظهرت على السّاحة الدّولية منافسين آخرين للبريطانيين وهم الأمريكيون، الذين استطاعوا أن يعملوا إلى جانب البريطانيين في المنطقة، وخاصة أنّ أهل البلاد لم يتحرّكوا بعد لاستثمار خيرات أرضهم. فهم لم يدركوا بعد الأهمية الكبيرة لهذا السائل الأسود الذي تختزنه أوطانهم، وتحولت المنافسة على استثماره إلى حوارٍ أشبه بالحرب (حرب نفط وحرب سلطة)، حرب نفط بين الدّول الاستعمارية السّاعية للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط على أرض العرب، وحرب سلطة بين الأمراء السّاعين لتأكيد سلطتهم بالعقود التي يوقعونها مع الشركات النفطية الغربية، ليؤكدوا على شرعيتهم في حكم مناطقهم من خلال تلك العقود الرّسمية مع مندوبي الشركات الأوروبية والأمريكية، وحقيقة الأمر أنّ هذا المصدر الجديد للطاقة تحوّل إلى مصدر للصراعات والمشكلات الدّولية إلى جانب كونه مصدراً للفعل الاقتصادي العالمي، فالجميع أرادوا أن يكون لهم حصة من هذا الذهب الأسود.

أدّى ظهور النفط إلى إنذار بريطانيا بأفول نجمها في الخليج العربي، هذا الخليج الذي ظلّ عقوداً طويلة تحت السّيادة البريطانية دون منازع، فقد انتهت هذه المعركة الاقتصادية السياسيّة الجديدة بين بريطانيا والولايات المتّحدة الأمريكيّة بخسارة بريطانيا لمواقع النفوذ السّابقة، فلم يكن يمرّ يوم في القرن العشرين، إلّا وكان لمصلحة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، فبعد عشرات العقود من الجهود البريطانية لإبعاد أي نفوذ غريب عن مناطق نفوذها في الخليج العربي، وعن كلّ طريق يصل إلى الهند منذ أول رحلة استكشافية حتى نهاية القرن التّاسع عشر، حتى أصبحوا أسياد الخليج العربي دون منازع، وطوال هذه الفترة لم تتوان بريطانيا عن التّدخل في الشّؤون الخارجيّة والدّاخلية لإمارات الخليج العربي، وإجبارها على توقيع معاهدات الحماية التي سمحت لها بالتّدخل أينما شاءت ومتى شاءت، للحفاظ على ما كانت تسمّيه السّلام البريطاني في مياه الخليج العربي. كلّ تلك السيطرة أخذت تتلاشى بعد الحرب العالمية الثانية، ليشهد منتصف القرن العشرين على بدايةٍ جديدةٍ لدولةٍ استعماريّةٍ جديدةٍ أقوى وأقدر على إدارة العالم في هذه المرحلة تمثّلت في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وذلك كون الإمبراطوريّة البريطانيّة لم تعد تمتلك القوة اللاّزمة لمواجهة التّفوق الأمريكي، وبَدَت كأنّها تسلّم مفاتيح الخليج العربي لواشنطن بدلاً من لندن، أمّا الولايات المتّحدة الأمريكيّة فلم تضيّع الفرصة، وحاولت منذُ اللّحظة الأولى أن تتفرد بالصدارة العالميّة، كما فعلت بريطانيا قبلها في القرون السّابقة، وبالفعل نجحت بعد صراعٍ دوليٍّ طويلٍ مع كلّ القوى العالميّة الفاعلة، مستغلّة تطوّرات أحداث الحربين العالميّتين، وخروج كلّ القوى الاستعماريّة القديمة منهكةً ومتعبةً، لدرجة

(١) - للمزيد راجع : جويس ، جريجوري ، العلاقات اليمنية- السعودية بين الماضي والمستقبل ، ترجمة سامية الشامي ، طلعت غنيم حسن ،

مكتبة مدبولي ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٤٤-٢٤٦

أنها أصبحت مستعدة لتقبل فكرة ظهور دولة جديدة زعيمة للعالم بدلاً منها، وأن تكون هي ملحقاً بالإمبراطورية الأمريكية الناشئة.

٢- التطور التاريخي للنشاط الاستعماري في شبه الجزيرة العربية:

لعب الموقع الجغرافي المهم للخليج العربي دوراً كبيراً في لفت أنظار العالم بأسره إليه منذ القديم، فقد كان حلقة وصل بين دول العالم القديم، ومصدراً لتبادل السلع التجارية والأفكار والثقافات والديانات، وحفل تاريخ الخليج العربي بالكثير من الحضارات القديمة التي أغنت العالم حضارياً على كل المستويات وليس أدل على قدم حضارة الخليج العربي إلا قول وليام بلجريف: "الخليج العربي هو أحد أقدم الطرق البحرية في العالم. ومن المحتمل أن يكون أول البحار التي مارست فيها البشرية مهنة الملاحة"^(١).

ومن هنا كان اهتمام الإسكندر المقدوني بالخليج العربي الذي قال: "إنني لا أستطيع تأمين مقامي في مصر، إذا كانت للفرس السيطرة على هذه المنطقة"^(٢)، وعندما جاء الإسلام في القرن السابع الميلادي، استطاع المسلمون الوصول إلى سواحل الخليج كلها حتى بداية التغلغل الاستعماري الأوروبي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، عندما بدأ البرتغاليون يبحثون عن طرق تجارية جديدة دون الحاجة إلى توسط المسلمين في نقل التجارة، ومنذ أن استطاع بارتميلو دياز اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح^(٣)، سعوا للسيطرة على هرمز وسواحل الخليج العربي، ويظهر ذلك جلياً من توصيات اللجنة التجسسية التي أرسلها الملك البرتغالي هنري الملاح، التي أكدت على ضرورة احتلال عدن وهرمز^(٤) إذا أراد السيطرة على طرق التجارة الدولية، وعلى ضرورة السيطرة على طرق الهند والوصول إلى التوابل التي اجتذبت الأوروبيين منذ القدم، فاندفع البرتغاليون إلى الخليج العربي وتمكنوا من احتلال معظم مدن الخليج العربي مستغلين ضعف الدولة العثمانية، إلا أن الوجود البرتغالي أخذ يتدهور في الخليج العربي لأسباب عدة أهمها ضم البرتغال إلى إسبانيا، والتعصب والقسوة التي كان يعامل بها البرتغاليون أبناء الشعوب المغلوبة على يدهم، ومقاومة دولة اليعاربة الكبيرة لهم^(٥)، وقد واجه الاحتلال البرتغالي في الخليج عدة منافسين كان أولهم الهولنديين، حيث تمكنوا من اجتياز طريق رأس الرجاء إلى الهند عام ١٠٠٤هـ/١٥٩٥^(٦)،

(١)- بلجريف ، تشارلز ، ساحل القراصنة ، ط١، دار الخيال ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص١٦

(٢)- نوفل ، سيد، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ، جامعة الدول العربية، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص١٩-٢٠

(٣)- رأس الرجاء الصالح : هو تلك النقطة من المساحة الأرضية الواقعة في أقصى جنوب القارة الإفريقية ، بالقرب من كيب تاون ، وتشبه في شكلها الرأس المحدب ، كانت تمر منها السفن التجارية المتوجهة من وإلى آسيا ، وأطلق عليها اسم رأس الرجاء الصالح هو ملك البرتغاليين عندما علم أن بارتميلو دياز المستكشف البرتغالي قد وصل إلى الهند ١٤٨٨م ، في حين أطلق عليه دياز اسم رأس العواصف لشدة العواصف التي تعرض لها فيه . للمزيد من المعلومات راجع: الموقع الإلكتروني المعرفة <http://www.marefa.org/index.php> ؛ أيضاً: الموقع الإلكتروني: الموسوعة الحرة ويكيبيديا <http://en.wikipedia.org/wiki>

(٤)- مضيق هرمز يقع في المياه الإقليمية لسلطنة عمان، ويصل بين الخليج العربي وخليج عمان والمحيط الهندي، يصل عرضه إلى ثلاثين

ميل وعمقه يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ متر. للمزيد من المعلومات راجع: صحيفة ٢٦ سبتمبر، العدد ٦٠-٣٦١ في ١٧/١٩٨٣م، ص٣

(٥)- للمزيد راجع: محمد، نجاح، تاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٦م، ص١٣٨

(٦)- المرجع السابق، ص١٣٨

وقد ازدهرت التجارة الهولندية في بلاد فارس، وأصبح الهولنديون على علاقة ممتازة مع فارس، مما ساعدهم على تعزيز نفوذهم الاستعماري في الخليج^(١).

أما المنافس الثاني للبرتغاليين فهو بريطانيا التي يعد تاريخ تأسيسها "شركة الهند الشرقية البريطانية" التاريخ الرسمي للاستعمار الغربي بوجهه الكامل في الخليج العربي، حيث تأسست هذه الشركة بأمر من جلالة الملكة البريطانية إليزابيث عام ١٦٠٠/هـ ١٠٠٩ وأعطتها امتياز التجارة في الهند والشرق^(٢)، وكان هدفها حماية الطرق التجارية بين الهند وأوروبا، وحماية الاحتكار البريطاني للمحيط الهندي والمناطق المجاورة له^(٣)، حيث أرسلت الشركة بعدها بعام واحد أول رحلة استكشافية وصلت إلى سقطرى، ومنذ ذلك التاريخ أدركت بريطانيا أهمية وجودها في منطقة الخليج العربي بشكل فعال، إلا أنها عندما وصلت المنطقة وجدت البرتغاليين قد سبقوها إلى الاستعمار فيها بعشرات السنين منذ احتلالهم هرمز وتحصينها عام ٩١٩هـ/١٥١٣م على يد ألبوكيرك. ولذلك، كلفت حكومة بومباي بمهمة إدارة شؤون بريطانيا في المنطقة، بعدما أهدى البرتغاليون ١٠٧٢هـ/١٦٦١ قلعة بومباي للتاج البريطاني بمناسبة زواج الملك تشارلز من أميرة برتغالية بعد فترة من الصراع بين البلدين للسيطرة على قلعة بومباي، وبدوره منحها الملك البريطاني لشركة الهند البريطانية الشرقية لقاء إيجار اسمي وأعطائها صلاحيات لإدارة شؤونها الإدارية والعسكرية، وأصبحت مركز نشاط الشركة بدلاً من منطقة "سورات"، ومن بومباي انطلق النشاط الاستعماري لشركة الهند تحت غطاء العمل التجاري، حيث استطاعت الشركة خلال القرن السابع عشر من إقامة مجموعة من الوكالات في العراق وإيران والخليج العربي والبحر الأحمر^(٤)، فأصبحت بريطانيا قادرة على حماية المنطقة بمدافعها، وبالتالي أصبح بإمكانها أن تتحرك بحرية أكبر لإدارة شؤونها الاستعمارية في أي منطقة تحتاجها، وأصبحت حكومة بومباي البريطانية تدير النشاط السياسي في المناطق السابقة الذكر إلى جانب النشاط الإداري.

إنّ النشاط البريطاني كان حاسماً من ناحية رفض أي نشاط منافس من أية دولة أخرى في المناطق التي ترى فيها بريطانيا تهديداً لنفوذها على طرق التجارة العالمية، ولا سيما في شبه القارة الهندية، فقد كانت حكومة

(١) - لا شك أن التعاون بين هولندا وفارس أثار لدى العرب شكوكاً بأن فارس تساهم في تثبيت النفوذ الأجنبي في الخليج العربي، مما دفعهم لمهاجمة السفن الفارسية والهولندية على السواء، وقد استمر التعاون بين الجانبين إلى أن جاء البريطانيون إلى المنطقة، حيث لم يستطع الهولنديون ثني الشاه عن التعاون مع بريطانيا، مما اضطرهم إلى إقفال وكالتهم في بندر عباس سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م. أنظر: المرجع السابق، ص ١٣٩

(٢) - Panikare ,K .M, Asia and Western Dominance, Calcutta, 1954,p,61-63

(٣) - Marsion Thomas . E , Britain's Imperial Role in the Red sea Area (1800-1878) Hamden Conn , shoe string press , 1961, p 3

(٤) - البحر الأحمر حوض طويل يغطي مساحة تبلغ ١٧٨ ألف ميل مربع بين خطي عرض ١٢-٣٦ ، يحده باب المندب من الجنوب وخليج السويس في الشمال الغربي وبلغ طوله من المندب إلى خليج السويس ١٣٨٠ ميلاً ، في حين تذكر بعض المصادر أن طوله ١٢٠٠ ميل من المنبع إلى المصب وأقصى عمق للبحر الأحمر هو ١٠ آلاف قدم ، والرصيف القاري للبحر الأحمر هو ضيق عموماً يتراوح عرضه بين ستة أميال ومئة ميل. للمزيد راجع: محمود، توفيق محمود، البحر الأحمر في الاستراتيجية الدولية، السياسة الدولية، العدد ٥٧، السنة ١٥ تموز ١٩٧٩م، ص ٢٧-٢٨ ؛ رؤية ممراته البحرية راجع الملحق رقم (١٦)

بومباي تتصدى له بشكل حازم^(١)، وبعد تكوين بريطانيا القاعدة الأساسية لعملها الاستعماري في الهند أخذت تتحرك نحو المناطق التي تحتاجها لتدعيم نفوذها على المنطقة التي تقع على طريق قاعدتها في الهند، والتي كان لها دور مؤثر على طرق التجارة العالمية، ومن هنا تحركت بريطانيا ابتداء من مطلع القرن السابع عشر نحو إيران تحت ستار التعريف بالبضائع البريطانية، وحصلوا على فرمان من الشاه الإيراني عباس الصفوي ١٠٢٩هـ/١٦١٩ يسمح لهم بفتح وكالة عند مدخل الخليج في ميناء جاسك، بعيداً عن مضائق البرتغاليين في هرمز، ومع مرور الوقت أدى التنافس الاستعماري بين الطرفين إلى الصدام بين السفن البريطانية والسفن البرتغالية، فكان النصر حليف البريطانيين، فطردوا البرتغاليين من هرمز ونقلوا على إثرها وكالتهم من جاسك إلى بندر عباس، كما افتتحوا وكالة في البصرة ١٠٤٠هـ/١٦٤٣، ثم وكالة في بوشهر ١١٧٧هـ/١٧٦٣، لنتقل بذلك النشاط البريطاني من مدخل الخليج في جاسك وبندر عباس إلى أعلاه في البصرة وبوشهر^(٢).

وقد سعت بريطانيا للوصول إلى مسقط، إلا أن حاكمها لم يسمح لهم بإرسال ممثل رسمي لبريطانيا إليها حتى عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨ تاريخ توقيعها اتفاقية مع سلطان عمان سلطان بن أحمد الذي سمح لهم بموجبها إرسال مبعوث رسمي لبريطانيا إلى عاصمته^(٣)، وقد تأخر وصوله حتى ١٢١٥هـ/١٨٠٠، إلا أن وزارة الخارجية أرسلت هارفورد جونز ممثلاً عنها إلى بغداد نظراً لخطورة النشاط الفرنسي المنافس لها في المنطقة^(٤)، ولا سيما بعد خطة نابليون بونابرت بغزو الهند ومصر عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧، ومحاولاته تنشيط تجارة البحر الأحمر في مقابل النشاط البريطاني التجاري عبر المحيط الهندي ورأس الرجاء الصالح^(٥).

وهكذا كان لحكومة بومباي البريطانية معتمد سياسي في بوشهر، ومقيم في البصرة ومسقط، وقنصل في بغداد، وعندما تأسست الدولة السعودية في نجد^(٦)، دفعت بريطانيا موظفيها الرسميين للتواصل معهم في الدرعية لتحقيق مصالحها.

(١) - عبد الله ، محمد مرسى، إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣-١٨١٨م، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٨م، ج ١، ص ١٥٣-١٥٦

(٢) - المرجع السابق ، ص ١٥٨-١٥٩؛ أيضاً : محمد ، تاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث ، مرجع سابق ، ص ١٣٩

(٣) - وقد تم التأكيد على هذه الاتفاقية بتوقيع اتفاقية عام ١٨٠٠م بين مالكوم والسلطان سلطان بن احمد في ١٨ كانون الثاني ١٨٠٠م جاء فيها للمزيد راجع : C . W . Aitcheson , Collection of Treaties Engagement and sands Relating to India and Neighboring Countries , Vol. v , p 206-208

(٤) - قاسم ، الخليج العربي ، مرجع سابق، ص ١٨٥-١٨٦

(٥) - جلال ، يحيى ، البحر الأحمر والاستعمار ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص ٢٧-٣٠

(٦) - تعني لفظة نجد ما ارتفع عن الأرض، وهي المنطقة التي تقع بين الحجاز والعراق، تحد شمالاً ببحر الشام وبالشرق العراق والإحساء وجنوباً اليمن ومن الغرب الحجاز، وإقليم نجد هو مجموعة من الواحات التي يتوافر فيها الماء الجوفي القريب من سطح التربة، مما جعلها منطقة خصبة، من أهم واحاتها: القصيم، سدير، الحوطة، الحريق، وادي الدواسر، الوشم، المحمل، العارض، الخرج، واحات جبل شمر، ولم تكن نجد تابعة للدولة العثمانية حتى القرن السابع عشر، تاريخ وضع قانون التقسيمات الإدارية، حيث لم تكن ضمن تلك التقسيمات حتى القرن التاسع عشر، والسبب في ذلك أن الدولة العثمانية لم تكن مهتمة بفرض نفوذها المباشر على تلك المناطق الداخلية، واكتفت بفرضه على الأطراف في الإحساء. أنظر: الألوسي، محمود شكري، تاريخ نجد ، تحقيق محمد بهجة الأثري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ٧-٨؛ أيضاً: كحالة، محمد رضا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤، ص ١٤؛ أيضاً: الحصري، الدولة العثمانية والبلاد العربية، مرجع سابق ، ص ١٣

أسهم التوسع البريطاني في منطقة الخليج العربي في تحكّم بريطانيا بتجارة المنطقة بشكل كلي، ووزعت المهام التجارية على المناطق المسيطر عليها وفقاً لمصلحتها، فمسقط تقوم بتوزيع بضائع الهند القادمة من الخليج العربي، في حين تقوم البصرة بتوزيع البضائع الأوروبية القادمة من الطريق الصحراوي.

ومن هنا كان التفكير البريطاني بضرورة حماية هذه الطرق بتفعيل تواجدها، وزيادة نفوذها، وإبعاد أي خطر يهدّد نفوذها. لذلك، وجدت بريطانيا نفسها مضطّرة لمواجهة النشاط الفرنسي المتزايد في شبه الجزيرة العربية بشكل عام وفي مسقط بشكل خاص، فبعد إقامتهم وكالة لهم في البصرة، وتوجّه الفرنسيين عسكرياً إلى بندر عباس عام ١١٧٧هـ/١٧٦٣^(١)، استطاعوا الحصول على موافقة الإمام سعيد بن أحمد ببناء وكالة لهم في مسقط ١٢٠٠هـ/١٧٨٥، وجاءت موافقة الإمام إثر رفض الفرنسيين تقديم المساعدة إلى سيف بن أحمد، الذي طلب دعمهم ضد الإمام، وبالفعل تمّ تعيين الرحالة الفرنسي المحامي جوزيف دي بوشمب قنصلاً في مسقط عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥.

بعد هذا التاريخ شهدت العلاقات التجارية بين مسقط وفرنسا نمواً كبيراً فرض على بريطانيا ضرورة إيقافه قبل أن يزداد متانة وتأثيراً على نفوذها في المنطقة، فقامت بمتابعة البعثات الفرنسية وملاحقتها والعمل على عرقلة نشاطها حتى عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨ حين عين الماركيز آرثر ولسلي حاكماً عاماً في الهند عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨، حيث اتبع سياسة حربية جريئة، فقام بمهاجمة تيبو سلطان حاكم مملكة ميسوري في الهند (١٧٥٠-١٧٩٩) وجزيرة ليل دي فرانس الفرنسية في المحيط الهندي، وتنفيذ حملة بلانكيت في البحر الأحمر، إضافة إلى أنّه اتخذ خطوة إستباقية بتوقيع ممثل حكومة بومباي في مسقط اتفاقية مع السلطان سلطان بن أحمد عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨^(٢)، فيها يتعهد أن يقف إلى جانب البريطانيين في الصراع الدولي، وأن يقطع معاملته التجارية مع الفرنسيين والهولنديين، على أساس أنّه إن لم يفعل ذلك سوف تواجه بلاده الخطر السعودي الرّاجب في التوسع على حساب جيرانه^(٣)، مستغلين خوف السلطان من هذا الخطر، ليفرضوا عليه شروطهم، إلّا أنّ السلطان لم يلتزم بالاتفاقية بشكل كلي، ورفض استقبال ممثل عن الشركة، ولم يرق بقطع علاقاته مع الفرنسيين وخاصة بعد وفاة السلطان سلطان بن أحمد وتولي سعيد بن سلطان الحكم^(٤)، حيث كان يخشى النفوذ السعودي

(١) - قاسم ، جمال زكريا، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات ١٥١٤-١٩٤٥، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٨٥-١٨٦

(٢) - استطاع البريطانيون من خلال هذه الاتفاقية إبعاد النفوذ الفرنسي، فالاتفاقية المؤلفة من سبع مواد، اختصت المادة الأولى والثانية فيها بتعزيز علاقات الود مع شركة الهند البريطانية، أما باقي المواد فخصصت لعرقلة النفوذ الفرنسي في مسقط. للمزيد راجع: بيربي، الخليج العربي، مصدر سابق، ص ٤٤؛ أيضاً: المرجع السابق، ص ١٨٥-١٨٦

(٣) - عبد الله، إمارات الساحل، مرجع سابق، ص ١٦٤-١٧١

(٤) - للمزيد من المعلومات حول التطورات التي رافقت تلك المرحلة لدى سلطان مسقط والبريطانيين راجع :

C.U. Aitchison ,Treaties And , Engagements ,Relating to Arabia And The Persian Gulf ,Archive Edition ,London , 1987, P182-183

والإشارات الخطيرة الآتية من عاصمتهم الدرعية^(١) التي تهدد بلاده. لذلك، اقتنع أنه بحاجة لأي دعم خارجي سواء أكان بريطانياً أم فرنسياً.

وهكذا ظل التنافس الفرنسي-البريطاني شديداً في عمان والمحيط الهندي حتى عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩، حيث نجح السيد هارفورد جونز في بعثته إلى بلاط الشاه الإيراني وتدمير حكومة بومباي جزيرة فرنسا في المحيط الهندي عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠، لينتهي معها التنافس البريطاني-الفرنسي، ولتتفرد حكومة بومباي بالمنطقة دون منافس، الأمر الذي جعل السلطان سعيد بن سلطان أمام خيار واحد، ألا وهو الالتجاء إلى حكومة بومباي لمساعدته على حماية بلاده من خطر التوسع الوهابي الذي تمّ تضخيمه بريطانياً لكسب المشيخات الخائفة على وجودها^(٢).

كانت مسقط مثلاً صريحاً للتنافس الاستعماري الفرنسي-البريطاني. فمنذ عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨ تاريخ تعيين فرنسا قنصلاً لها في مسقط حتى زوال القنصلية في عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠، شهدت أرض مسقط الكثير من المغامرات الناتجة عن تداعيات هذا التنافس، ففرنسا القاصدة إزعاج بريطانيا هناك، سمحت للسفن العربية التي تعمل بالتهريب برفع العلم الفرنسي، الأمر الذي جعلها قادرة على الإفلات من رقابة الأسطول البريطاني الساعي لوقف القرصنة وأعمال التهريب، وذلك على الرغم من الاحتجاج البريطاني الرسمي لدى حكومة باريس، إلا أن هذه الأعمال استمرت بهدف خلق الفوضى والاضطراب للعمل البريطاني في المنطقة، عندئذ وجهت بريطانيا إنذاراً لسلطان عمان لوقف تلك الأعمال عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩، لكن الأمور ظلت على ما هي عليه حتى عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣، حيث حصلت أزمة كبيرة بعد احتجاز سلطان عمان سفناً عمانية كانت ترفع العلم الفرنسي بإيحاء بريطاني، فردت فرنسا بإرسال مدرعة فرنسية إلى مياه مسقط، فإذا بها تجد أمامها بوارج بريطانية، مما دفع الطرفين إلى نقل الخلاف إلى محكمة لاهاي الدولية، التي أصدرت حكماً سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥ يدين القناصل الفرنسيين لأعمالهم غير المشروعة لتنتهي عندها المنافسة الكبيرة بين الدولتين وينتقلا من حالة المجابهة الدولية إلى حالة التعاون والتنسيق الدوليين^(٣)، ومنذ عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤ أصبح في الكويت مقيم بريطاني سياسي ما لبث أن تحول مع مرور الوقت إلى الحاكم الفعلي للكويت وصاحب السلطة الفعلية فيها، ومنذ افتتاح قناة السويس ١٢٨٦هـ/١٨٦٩ تضاعفت أهمية الخليج العربي والجنوب العربي (عدن) وازداد تأثير هذه المنطقة بشكل كبير على حركة الملاحة البحرية الدولية، فتوجهت أنظار بريطانيا إلى مصر والسودان، وأصبح الوجود البريطاني في الخليج العربي وعدن إحدى نقاط الانطلاق لاحتلال مصر والسودان، وإلغاء النفوذ العثماني فيها، وأصبحت

(١)- الدرعية هي بلدة من بلدان منطقة العارض بنجد عندما انتقل إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية تجمع حوله الكثير من أبناء البلدة المعروفة بضيق أحوال أهلها فكان الرجال يعملون ليلاً لتتاح لهم الفرصة للاستماع إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب. أنظر: أبو علي، عبد الفتاح حسن، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، دار المريخ، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١، ص ١٩

(٢)- أبو علي، المرجع السابق، ص ١٦٤-١٧١

(٣)- بيربي، الخليج العربي، مصدر سابق، ص ١٩٨-١٩٩

بريطانيا بعدها تسيطر على ممرات المنطقة العربية المائية الثلاث البحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب، الأمر الذي ساعدها على أن تحتل مرتبة الصدارة العالمية حتى الحرب العالمية الثانية^(١).

كانت بريطانيا مستعدة دوماً لاتخاذ كل الإجراءات الضرورية لتحافظ على سيطرتها المطلقة على الخليج العربي، الأمر الذي ظهر جلياً عند ظهور القواسم بسفنهم في مياه الخليج^(٢)، فقد شكل ظهور القواسم الوهابيين على ساحل عمان ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧ دافعاً للسلطات البريطانية لاتخاذ خطوات وقائية تدعم وجودها هناك، فقامت بتكليف السير هارفورد جونز مساعد المعتمد البريطاني في البصرة خلال عامي ١٢٠٣-١٢١٠هـ/ ١٧٨٨ و ١٧٩٥ بدراسة الحالة الوهابية، وتقديم تقرير عنهم لمعرفة كيفية التعامل معهم في المنطقة، لكن الاصطدام المباشر لم يتأخر كثيراً بين الوهابيين والبريطانيين، وذلك عندما هجم القواسم الوهابيون على السفن البريطانية في الخليج العربي، وكانت تلك هي اللحظة التي شعرت بريطانيا بخطورة الوضع، وخطورة التوسع السعودي في عمان على ميناء مسقط، وفي إثارة فكرة الجهاد بين أهل الخليج، وقد أكدت كتابات السيد مانستي هذه المخاوف، حيث أكد فيها على أن السعوديين هم من حرّضوا القواسم على تلك التصرفات، وهذا ما أكدته بنود الاتفاقية بين القواسم بشخص سلطان بن صقر زعيم القواسم وبين البريطانيين عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦، فقد نصت المادة الخامسة من الاتفاقية على أنه: ((إذا أرغم ابن سعود القواسم على نقض الصلح فعلى القواسم أن يعطوا إنذار مهلته ثلاثة أشهر مهما كانت الأحوال))، مما يوضح إدراك البريطانيين الكلي للعلاقة بين القواسم والسعوديين^(٣).

أصبح التهديد السعودي لعمان مثار بحث لدى البريطانيين، وذلك بسبب خشيتهم على ميناء مسقط من أن يتحول إلى مأوى للقرصنة، ومهاجمة السفن البريطانية، وبسبب شكوك بريطانيا أنه هناك تعاون بين السعوديين ونابليون بونابرت. كل هذه الأمور خلقت حالة من العداء الضمني بين بريطانيا والسعوديين، لكن ذلك لم يمنع البريطانيين من المحافظة على بعض الشكليات الودية معهم، خاصة أن السعوديين سيطروا على بادية العراق، مما يمكن أن يشكل خطراً على بريد الصحراء البريطاني الذي يصل بين البصرة وحلب. ولذلك، كلفت بريطانيا السيد هارفورد جونز والسيد صموئيل مانستي في البصرة للاتصال بالأمير عبد العزيز ابن سعود وابنه الأكبر سعود وذلك لتوثيق علاقاتهما معهما.

(١)- الرميحي والسقاف، مستقبل العلاقات اليمنية الخليجية، مرجع سابق، ص ٥٠-٥٢

(٢)- القواسم هم العائلة التي ينتسب إليها في أيامنا الحالية حكام إمارة رأس الخيمة والشارقة، وقد تمكنوا خلال القرن الثامن عشر من السيطرة على ساحل عمان، وأنشأوا هناك إمارة مستقلة لهم وقد وصف الرحالة نيبور إمارة القواسم أثناء رحلته عام ١٨٦٥م قائلاً: إنها "تمتد من رأس مسندم على طول الساحل ويسمىها الإيرانيون بلاد جلفار وهي رأس آخر يمتد في البحر قرب رأس مسندم ، وقد تعود الأوروبيون أن يطلقوا على اسم عرب جلفار... ويتبع الأمير جزر الشارقة ومواقع هامة على الساحل الإيراني المقابل مثل كنج ولنجة ...". وقد اعتنق القواسم مذهب الإمام محمد بن عبد الوهاب في بداية القرن التاسع عشر، وذاع صيتهم في تلك الفترة بسبب تصديهم لتحركات شركة الهند البريطانية الشرقية في الخليج العربي. للمزيد راجع : Niebuhr . m , Travels in Arabian, Edinburg , 1992, VOL 2, P 122-124 ؛ أيضاً : I.O. Factory records , Persia And Persian gulf , VOL 32 , Elphinstion to Count of Directores , 4th January , 1820

(٣)- العقاد ، الاستعمار الإنجليزي في الخليج الفارسي ، مرجع سابق ، ص ٧٢ ؛ أيضاً ، قاسم ، جمال زكريا، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، إمارات الخليج العربي في ظل التوسع الأوروبي ، المجلد الأول ١٥٠٧-١٨٤٠، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٤١٧، ١٩٩٧م ،

وعلى الرغم من أن بريطانيا قدّمت الدّعم لسلطان عمان ولدولة البوسعيد، إلّا أنّها طلبت من السيّد دافيد ستون الذي كلّف بمرافقة الحملات البحريّة للبوسعيد أن يشرح للوهابيين ويفهمهم أنّ الإنجليز راغبين بإقامة علاقات مودّة معهم ومع كلّ أمراء شبه الجزيرة العربيّة، وهذا ما حصل بالفعل، فبعد تدمير كلّ السفن الرّاسيّة في رأس الخيمة وتدمير قوة القواسم كتب الإمام سعود بن عبد العزيز رسالةً إلى حكومة بومباي يطمئنّها ويؤكد لها على عدم التّعرض للسّفن البريطانيّة، وعلى الرغم من ذلك لم تكن بريطانيا مطمئنّةً للسعوديين، وكانت تخشى نفوذهم. لذلك، رفضت توقيع اتفاقيةٍ معهم منتظرةً تطورات حملة محمد علي في شبه الجزيرة العربيّة، ومكتفيةً بمراقبة ما ستؤول إليه التطورات السياسيّة لهذه الدولة التي قضى عليها محمد علي عام ١٢٣٤هـ/١٨١٨، عندها اغتتمت بريطانيا الفرصة، وشنت هجوماً ساحقاً على القواسم في رأس الخيمة، ودمّرت مواقعهم عام ١٢٣٥هـ/١٨١٩ مظهرهً بذلك عداؤها الكامل للدولة السّعودية الأولى، التي وصفها الدّبلوماسيين البريطانيّين ومنهم قنصل بريطانيا في القاهرة بأنّهم عصابة من اللّصوص^(١).

وفي مسار تاريخيٍّ ثابت للتّحركات البريطانيّة نحو الخليج العربيّ وقّعت بريطانيا معاهدات حماية مع إمارات ساحل عمان والمشايخات العربيّة على ساحل الخليج العربي، ولاسيما بعد القضاء على القواسم عام ١٢٣٦هـ/١٨٢٠ وتمزيق شملهم^(٢)، وجددتها عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣ تحت اسم (معاهدات السّلام البحري الدائم) والتي ضمّت إليها البحرين وقطر^(٣)، وأطلقت بريطانيا على المشايخ الذين وقّعوا هذه المعاهدات اسم الرّؤساء البحرين، والهدف من هذه التّسمية عزل السّاحل الذي تسيطر عليه عن الدّاخل الذي تجد صعوبةً في السّيطرة عليه، وأطلق على السّاحل الجنوبي للخليج العربيّ بعد هذه الاتّفاقات ساحل الصّلح أو السّاحل المهادن (Trucial Coast)، في حين كان يعرف قبل ذلك في الخرائط الجغرافيّة الأوروبيّة في القرن الثّامن عشر بساحل القراصنة Pirate Coast^(٤). كانت بريطانيا تقتل المشكلات والعقد بين هذه المناطق، لتجبر زعماء هذه المشايخات على توقيع المعاهدات معها كما حصل بالضّبط بين البحرين وقطر، عندما افتعلت بريطانيا مشكلةً بينهما مستغلةً الخلاف الدّائم بين حاكمي البلدين (الشيخ محمد بن خليف حاكم البحرين والشيخ محمد بن ثاني حاكم قطر)، ودفعتهما للتّصادم فيما بينهما، وعندها تدخّلت بعد تدمير قوارب قطر، تحت بند الحفاظ على السّلام في المنطقة، وأجبرتهما على قبول الحماية البريطانيّة بموجب معاهدات واتّفاقيات السّلام البحري. ثمّ وقّعت بريطانيا معاهدةً مع سلطان عمان ١٢٥٥هـ/١٨٣٩ وساعدته ضدّ الثّورة العمانيّة، ومعاهدةً أخرى عام ١٣٠٩هـ

(١) - للمزيد من المعلومات حول القواسم راجع: بيري، الخليج العربي، مصدر سابق، ص ٤٥-٤٦؛ أيضاً: عبد الله، إمارات الساحل، مرجع سابق، ص ١٧٢-١٧٧؛ أيضاً: الإبراهيم، حسن علي، الكويت دراسة سياسية، دار البيان، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٨

(٢) - حيث عقدت اتفاقيات مع شيوخ المدن الساحلية، فاستقلت عجمان ثم الفجيرة، وانفصلت رأس الخيمة عن الشارقة، وبعد تمزيق إمارة القواسم أدخلت هذه الإمارات الصغيرة في صراعات مع بعضها البعض زيادة في تعزيز سيطرتها وضعف القوى المحلية في الخليج العربي. للمزيد راجع: البوريني، أحمد قاسم، الإمارات السبع على الساحل الأخضر، دار الحكمة، بيروت، ١٩٥٧، ص ٦٤-٦٥

(٣) - I.O.R L/Pts/10/162 (India Office library) British relation with Turkey in the Persian Gulf
Memorandum on Lieutenant Colonel Cox's Telegram repeated in Government of India's Telegram of 1st DECOMENT 1910

(٤) - إلّا أن هذه الرغبة البريطانيّة تبدلت بعد اكتشاف النفط وتطور سلاح الطيران البريطاني. للمزيد راجع: 67 I.O. Persian Gulf No

London 1920, P 44 . نقلاً عن: قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٣٨٠

١٨٩١/ اعترف السلطان بموجبها بخضوع مسقط وعمان معاً للحماية البريطانية، ثُمَّ توجّهت القوّات البريطانيّة إلى الكويت^(١)، ووقّعت مع أميرها اتّفاقيّة التعاون والصّداقة عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩ التي تضمّنت مجموعة من البنود التي قيّدت استقلال الكويت، حيث نصّت المعاهدة على بنود تعرقل حرّيّة الأمير وقدرته على اتّخاذ القرار المستقلّ ومنها: (٢)

١- عدم قبول أي ممثل أجنبي دون موافقة بريطانيا.

٢- عدم تأجير أو بيع أي أرض لأيّ دولة دون موافقة بريطانيا.

٣- حماية الكويت من أي اعتداء أجنبيّ على ألاّ تتدخّل في الشؤون الداخليّة للكويت.

٤- حصول شيخ الكويت على مساعدة مالية سنوية من الحكومة البريطانيّة^(٣).

أمّا النشاط العربيّ الثّاني في الخليج العربيّ، والذي تصدّت له بريطانيا بكلّ قواها، فكان وصول قوّات محمد علي إلى شبه الجزيرة العربيّة (١٨١١-١٨٤٠)، حيث شكّلت أهداف محمد علي في بناء إمبراطوريّة عربيّة كبيرة من ضمنها شبه الجزيرة العربيّة والخليج العربيّ خطراً كبيراً على المصالح البريطانيّة، لأنّ سيطرته على سواحل جنوب وشرق الجزيرة العربيّة تجعّله متحكّماً في كلّ من طريق البحر الأحمر والخليج العربيّ المنفذين الحيويّين المؤدّيين إلى المستعمرات البريطانيّة في الشّرق، إضافةً إلى أنّ هيبة الحكومة البريطانيّة تعرّضت إلى هزّة عنيفة أمام أنظار سكّان الخليج بوصول قوّات محمد علي إلى سواحلهم، الأمر الذي شجّع الكيانات العربيّة الصغيرة في إمارات الخليج العربيّ إلى التّوحد تحت حكم واحد، فأخذ محمد علي يتوسّع جنوباً وشمالاً لتحقيق ذلك الهدف، لكنّ التطوّر الدّولي أجبر محمد علي على الانسحاب من الجزيرة العربيّة وأوقف مشروعه وهو ما يزال في طور التّكوين، ارتابت بريطانيا من توسّع محمد علي في شبه الجزيرة العربيّة، واحتمال توحيد المنطقة تحت زعامته، ولاسيما بعد تعاطف شيوخ الخليج معه رغبةً منهم في التّخلص من الضّغوط البريطانيّة عليهم، حيث كانت ترغب في المحافظة على تكوين الخليج العربيّ على شكل إماراتٍ وكياناتٍ سياسيّةٍ صغيرةٍ يمكن التّعامل معها بسهولةٍ أكثر وأفعل من دولةٍ مركزيّةٍ واحدةٍ قادرةٍ على أن تقول لا في وجهها^(١).

(١)- تقع الكويت عند مدخل شط العرب في رأس الخليج العربي وتمتلك موقعاً استراتيجياً هاماً بوصفها منفذاً لقسم كبير من شبه الجزيرة العربيّة ومن أهم جزرها: بوبيان وفيلكا عند مدخل الخليج العربي. للمزيد من المعلومات حول الكويت راجع: لوريمير ، دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي ، ج ١ ، مصدر سابق، ص ٤١١؛ أيضاً: الصباح ، ميمونة الخليفة ، الكويت في ظل الحماية البريطانيّة ، ط١، دون دار نشر ، الكويت ، ١٩٩٨ ، ص ١٥

(٢)- راجع الملحق رقم (٣٣) ورقم (٢٩)

(٣)- للمزيد من المعلومات حول الاتفاقيات بين بريطانيا وأمراء الخليج العربي باللغة الإنكليزية راجع :

C . W . Aitcheson , Treaties and Engagement Relating to Arabia And The Persian Gulf
Archive Edition London 1987 vol. v, p 244-254

لوريمير ، دليل الخليج العربي ، القسم التاريخي ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٣٥٧٤-٣٥٨٤ ؛ أيضاً: الرميحي والسقاف، مستقبل العلاقات المينية الخليجية ، مرجع سابق ، ص ٥٠-٥٢ ؛ أيضاً: نوار، عبد العزيز، تاريخ العراق الحديث ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٤٠٥-٤٠٦

(١)- قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٣٩٥-٣٩٦

من هنا قرّرت بريطانيا العمل على جانبين؛ الأول محاولة الاستفادة من الوجود المصري^(٢) للتخلص من القواسم والوهابيين في نجد، والثاني التفرغ لمحمد علي والتصدي لمشروعه وطرده من المنطقة، خاصة بعد فشل بريطانيا بمحاولة استقطاب محمد علي للعمل لصالحها، وبالفعل بعد القضاء على القواسم، اتخذت بريطانيا سلسلة من الإجراءات بدأتها باحتلال عدن عسكرياً ١٢٥٥هـ/١٨٣٩، وتوقيع العديد من الاتفاقيات والمعاهدات مع أمراء الخليج العربي لمقاومة النفوذ المصري في شبه الجزيرة العربية^(٣)، والدفاع عن طرق مواصلاتها في جنوب الجزيرة وساحل اليمن الجنوبي والخليج العربي، وأخذت بريطانيا خوفاً من طموحات محمد علي تؤلب الجو الدولي عليه وعلى دولته^(٤)، متخذة من تمرده على الدولة العثمانية ذريعة لذلك، وأخذت تراقب التطورات السياسية بانتظار الفرصة المناسبة لشن هجومها على الوجود المصري في شبه الجزيرة العربية، وقد سنحت لها هذه الفرصة مع بدء محمد علي حروبه في بلاد الشام بين عامي ١٢٥٥-١٢٥٧هـ/١٨٣٩-١٨٤١، فسارعت لعقد مؤتمر دولي لمناقشة مسألة تمرّد محمد علي، وأسفر هذا المؤتمر عن نتائج انصبّ معظمها في خدمة المشروع الاستعماري البريطاني، وقد قوضت نتائج المؤتمر نفوذ محمد علي في بلاد الشام والخليج العربي وشبه الجزيرة العربية والأناضول، ليقصر وجوده على مصر مع استمرار خضوعه للسيادة العثمانية، وتم تأكيد ذلك بمؤتمر لندن ١٢٧٨هـ/١٨٤١ المنعقد لمناقشة المسألة الشرقية.

٣- التنافس العثماني-البريطاني وأثره في ظهور منازعات الحدود فيها:

شهدت أوائل القرن السادس عشر دخول العثمانيين إلى الوطن العربي، حيث استطاعوا بعد معركتي مرج دابق ٩٢٢هـ/١٥١٦ والريدانية ٩٢٣هـ/١٥١٧ إنهاء حكم المماليك^(٥)، والأسر المحلية لصالحهم، إلا أنّ العثمانيين في أثناء احتلال العراق عام ٩٤١هـ/١٥٣٤ كان عليهم أن يواجهوا التدخّل البرتغالي في شؤون الخليج العربي. لذلك، بدأ الحكام المحليون هناك يتوجّهون إلى السلطان العثماني بطلبات الحماية من البرتغاليين، ومنهم حكام القطيف^(٦).

(٢)- من الممكن القول في هذا المجال أن بريطانيا سكنت عن الوجود المصري حتى عام ١٨٤١ لعدة أسباب أولها: أن محمد علي بقي بعيداً عن سواحل الخليج العربي. ثانياً لم يقيم بأي عمل ضد مصالح بريطانيا في البحر الأحمر. (الباحث)

(٣)- حيث حاول خورشيد باشا قائد القوات المصرية في الإحساء الاتصال بمشايع الخليج العربي في الكويت والبحرين، الأمر الذي تصدّت له بريطانيا بقوة كبيرة لأنّ سيطرة محمد علي على الخليج العربي أيضاً سيشكل خطراً على الخطوط الملاحية بين أوروبا والهند. للمزيد قاسم، الخليج العربي " دراسة لتاريخ الإمارات العربية المتحدة ١٨٤٠ - ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٦٥-٧١

(٤)- للاطلاع على تطورات الخليج العربي في عهد محمد علي والعلاقة بين محمد علي وإماراته راجع : المرجع السابق، ص ٤٠٠ وما يليها

(٥)- للمزيد من المعلومات حول المعارك راجع: رافق، عبد الكريم، المشرق العربي في العهد العثماني، ط٧، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٩، ص ٤٤ وما يليها

(٦)- القطيف :أهم مدن الإحساء تقع على ساحل الخليج العربي على بعد ٢٣٠ ميل جنوب شرقي مدينة الكويت و٣٦ ميلاً شمال غربي البحرين وعلى بعد ٦٤ ميلاً شمال غربي ميناء العقير، وأهم توابعها جزيرة تاروت وداررين . للمزيد من المعلومات راجع: لوريمير، دليل الخليج، القسم الجغرافي، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٧١٤-٢٧١٥ ؛ لقد كان حكام القطيف خاضعين لحكم البرتغاليين، فوجدوا بالعثمانيين منقذاً لهم خاصة أنهم كانوا يعتبرون السلطان العثماني خليفة المسلمين ومنقذهم من الغزو الخارجي. للمزيد راجع : ويلسون ، آرنولد ، الخليج العربي ، ترجمة عبد القادر اليوسف ، الكويت ، د.ت ، ص ٢٢٠

بعدها تحرك العثمانيون للسيطرة على الخليج العربي وظلت الأمور في أخذ ورد حتى تمكنوا من بسط سلطتهم على غالبية مناطقه عام ١٥٨١^(١)، إلا أنهم لم يستمرّوا في حكم الخليج العربي بشكل مباشر مكتفين بالولاء الدّينيّ لهم، في حين خلف بنو خالد^(٢) العثمانيين في حكم الإحساء^(٣) وشرقي الجزيرة العربيّة في القرنين السّابع عشر والثّامن عشر، وأصبح الحكم العثماني في مناطق شرقي شبه الجزيرة العربيّة والإحساء حكماً اسمياً لا فعلياً^(٤).

اتّبعت الدّولة العثمانيّة سياسة تقوم على تدمير القوى المحليّة الكبرى والكيانات السّياسيّة في المنطقة بشتى الطرق، وكانت في غالبيتها تؤدّي إلى مواجهاتٍ عسكريّة بين العثمانيّين من جهة وبين هذه القوى من جهة أخرى، ومنهم الزّيديّون في اليمن والوهابيّون في نجد^(٥) وكلّهم أصحاب دعوات دينيّة كان لها مناصروها الكثر والأقوياء. ففي اليمن مثلاً استطاع الزّيديّون إجبار الدّولة العثمانيّة بعد معارك ضارية على ترك اليمن خلال عاميّ ١٠٣٦-١٢٦٦هـ/١٦٣٦-١٨٤٩، حيث كان الحكم الفعليّ فيها للأئمّة الزّيديّين ومناصريهم، وكذلك

(١) - لقد كانت الحملة برئاسة والي مصر سليمان باشا، ففرضوا سيطرتهم على عدن ومسقط وحاصروا جزيرة هرمز، فثار أهل القطيف على البرتغاليين وطردوهم منها، مما دفع البرتغاليين إلى توجيه أسطولٍ مكوّنٍ من ١٩ سفينةً على متنها ١٢٠٠ رجلٍ بقيادة (أنطونيو دي فورتها)، لمساعدة حاكم البصرة الذي خلعه العثمانيون والموالي للبرتغاليين وحاكم القطيف وتمكنوا من تدمير الحامية العثمانيّة في القطيف، لكنهم لم يحقّقوا الانتصار في البصرة، وعاد الأسطول إلى هرمز دون أن يحقّق أهدافه كاملة، واستمرّت المناوشات بين البرتغاليين والعثمانيّين حتّى عام ١٥٨١هـ/١٩٨٩ حيث تمكّن العثمانيّون من السيطرة نهائياً على مسقط، هناك مصادر تقول أن عدد السفن البرتغالية اثنتين وعشرين سفينة. أنظر:

أوزبران، صالح، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١، ترجمة عبد الجبار ناجي، بغداد، د.ت، ص ٥٤

(٢) - حيث يعود الفضل في تأسيس حكم بني خالد في الإحساء إلى الشيخ براك بن عريعر الذي أنهى الوجود العثماني هناك عام ١٦٧٠م. للمزيد راجع: النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٧٥م، ص ٣٧؛ أيضاً: أبو حاكم، مصطفى أحمد، محاضرات في تاريخ شرقي شبه جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٢٥؛ أيضاً: ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢٢-١٢٣

(٣) - واحة كبيرة تقع في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة العربيّة، وتشمل الساحل الغربي من الخليج العربي الممتد من حدود الكويت الجنوبية إلى حدود قطر وعمان، ويحدها من الشرق الخليج ومن الغرب الصحراء، ومن أهم القبائل التي استقرت فيها قبيلة العجمان التي هاجرت من نجران، وسيطرت على معظم الساحل الغربي للخليج العربي، وقبيلة آل عريعر من بني خالد التي ظلت تحكم الإحساء تحت السيادة العثمانيّة منذ العام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م. للمزيد من المعلومات راجع: لوريمير، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٣٨؛ أيضاً: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٤

(٤) - العيدروس، محمد حسن، سياسة العثمانيين تجاه الخليج العربي، دار المتنبّي للطباعة والنشر، أبو ظبي، الطبعة الأولى، د.ت، ص ٩-١٢؛ أيضاً: لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، مكتبة التحرير، بغداد، ١٩٦٢م، ص ٢٥

(٥) - لا بد من التنويه هنا أن نجد قبل وصول السعوديين إلى الحكم كانت مقسمة إلى عدة إمارات: إمارة الدرعية ويرعى أمورها محمد بن سعود - إمارة الرياض (وهي وسط نجد تنخفض عن البحر ١٠٠ متر وتحيطها بساتين النخيل وقد اتخذها آل سعود عاصمة لهم بعد تخريب الدرعية ويتولاها الأمير دھام بن دواس - إمارة العيينة (تقع شمال غربي الرياض) ويقوم عليها الأمير عثمان بن معمر - إمارة الخرج (تقع في الجنوب الغربي من العارض في وادي حنيفة ومن حدودها الحريق والحويضة، وهي من أغنى مناطق نجد بالمياه الجوفية وأخصبها وتولاها الأمير زيد بن زامل الديلمي. للمزيد من المعلومات الجغرافية حول مناطق نجد راجع: الألوسي، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٢٤-٢٩؛ أيضاً: درويش، تاريخ الدولة السعودية، مرجع سابق، ص ١٣

استطاع آل سعود نشر دعوتهم في بلاد نجد والإحساء وعسير واليمن وبادية الحجاز وبعض مناطق عمان ومكة والمدينة بين عامي ١١٥٦-١٢٣٠هـ/١٧٤٣-١٨١٤^(١)

وقد أدت السياسة العثمانية آنذاك إلى استنزاف طاقات القوى المحلية، فلم تعد هذه القوى قادرة على التصدي للقوى الأجنبية التي واجهتها، وكذلك لم تفعل الدولة العثمانية التي وقفت في البداية في وجه النفوذ البرتغالي والهولندي والفرنسي في القرنين السادس والسابع عشر لكنها تراجعت عن هذا الدور في المراحل التالية، مكتفية بسياسة تقوم على جمع الأموال، في حين أهملت كل الأمور الأخرى كالصحة والتعليم والاقتصاد، ومما زاد الطين بلة محاولاتها التعويض عن ضعفها بمنح الدول الغربية الامتيازات على الصعد كلها سواء أكانت قنصلية سياسية أم اقتصادية أم دينية أم ثقافية، في وقت كانت الدول الغربية الاستعمارية تنتظر الفرصة المناسبة للانقضاض على أملاك الدولة العثمانية في كل الأرجاء العربية بما فيها شبه الجزيرة والخليج العربي^(٢).

ولم تستطع الدولة العثمانية في ظل ظهور النشاط البريطاني في الخليج العربي القيام بدورها كدولة مهيمنة على المنطقة، فازدياد النفوذ البريطاني كان واضحاً خلال القرن السابع عشر، حيث أصبح الحكم الفعلي في الخليج العربي للأساطيل القوية منذ عام ١٠٣٥هـ/١٦٣٥، فقد أصبح للانجليز وكالة قوية ونشطة في البصرة، في حين أصبح النفوذ العثماني ضعيفاً، وتدهورت قوة الأسطول العثماني إلى حد بعيد. لدرجة أن الإحساء و القطيف في عهد حكم أسرة أفرسياب للبصرة كانت تابعة لها^(٣)، واستمر ذلك إلى أن أنهى السلطان العثماني حكم هذه الأسرة عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨، وانتقل الحكم المباشر لها لمصلحة بغداد، مع أنها في أغلب الأحيان كانت تحت حكم بني خالد^(٤).

تراجع النفوذ العثماني في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي بسبب تغير اهتمامات العثمانيين وتوجههم لمعالجة مشكلاتهم مع الدول الأوروبية^(٥)، وعندما ظهر الوهابيون على ساحة الصراع في شبه الجزيرة العربية، وجهت الدولة العثمانية محمد علي للقضاء عليهم، وتابعت بريطانيا نشاطها لتعزيز نفوذها وفرضت نفسها طرفاً مقررًا في المنطقة، فأرسلت الكابتن جوزيف ف. سادليير ممثلاً عنها للتفاهم مع محمد علي، حيث طلب منه مهاجمة سواحل الإمارات العربية للقضاء على القواسم وتدمير أسطولهم الذي شكّل خطراً على المصالح البريطانية

(١) - بكنغهام ، جيمس ، رحلتي إلى العراق ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ، د.ن ، ١٩٦٩ ، ج٢ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ؛ أيضاً: الرميحي والسقاف، مستقبل العلاقات اليمنية - الخليجية، مرجع سابق ، ص ٤٥-٤٧

(٢) - الرميحي و السقاف ، المرجع السابق ، ص ٤٥-٤٧

(٣) - لقد كانت البصرة تابعة للدولة العثمانية ، إلا أن صعوبة تعاملها مع القبائل دفعها لبيع البصرة عبر واليها العثماني درويش باشا إلى كاتب الجند في البصرة أفرسياب الديري السلجوقي بثمانية أكياس من الذهب عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦ ، على أن تستمر الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني محمد الثالث ، وقد استمر الحكم في أسرة أفرسياب بعد وفاته . للمزيد من التفاصيل راجع : النبهاني محمد بن خليفة بن حمد بن موسى ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية المكتبة الوطنية البحرين ، ١٩٨٦ ، ص ٣١١-٣١٤ ؛ أيضاً: غرايبة ، عبد الكريم ، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠ ، ج٢ ، ص ٩٩-١٠٣

(٤) - نوار ، سليمان عبد العزيز ، داود باشا في العراق ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢٢٣

(٥) - ولاسيما روسيا الساعية لإحياء أمجاد الدولة البيزنطية، واستعادة مضائق البوسفور والدردنيل، وقد استغلت بريطانيا تراجع العثمانيين وعززت نفوذها هناك، وقد تغاضت الدولة العثمانية عن تعاظم النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربي (البحرين وعمان والإمارات) خلال القرن التاسع عشر. للاطلاع على مصور للخليج العربي في القرن الثامن عشر راجع : الملحق رقم (٢)

في الخليج العربي، لكن إبراهيم باشا اتخذ موقفاً وطنياً ورفض العرض البريطاني، مقررًا الانسحاب من الجزيرة العربية بعد توقيعه تسوية لندن ١٨٤١، فقرر البريطانيون ملء الفراغ السياسي والإداري الذي تسبب فيه خروج إبراهيم باشا من شبه الجزيرة العربية وتركه مسألة الأمن فيها لأبنائها، فشنت قواتهم هجوماً على شواطئ الإمارات العربية، ولاسيما على رأس الخيمة عام ١٢٣٥هـ/١٨١٩، وفرضت شروطها على حكام الإمارات، وسيطرتها على الخليج العربي والمناطق الساحلية في شبه الجزيرة العربية^(١).

وهكذا أدى التخاذل العثماني والتردد المصري إلى تحول منطقة الخليج العربي إلى منطقة نفوذ بريطاني، الأمر الذي أثار رغبة محمد علي وخوفه من النفوذ البريطاني في مصر، فالخليج العربي قبل حملة محمد علي ليس مثله بعدها، فعندما عادت القوات المصرية إلى شبه الجزيرة العربية والخليج كانت بريطانيا حاضرة للتصدي لها، متخذةً موقفاً معادياً لها لأنها قوات تشكل تهديداً لنفوذها في المنطقة، خاصةً أنه يسيطر على البحر الأحمر، فقد خشيت أن يصل إلى الطريق الثاني في الخليج العربي أي نقطة الوصل بين المحيط الهندي وأوروبا، وبالتالي ستكون طرق المواصلات البريطانية في خطر.

صحيح أن الدولة العثمانية حاولت بعد خروج القوات المصرية أن ترثها، وكلفت والي البصرة معشوق باشا آنذاك بمراسلة شيوخ القبائل، ورغبتهم في الدخول في فلك السيادة العثمانية^(٢)، إلا أن نفوذها ظل مقتصرًا على

(١) - العيدروس ، التطورات السياسية في الإمارات العربية المتحدة ، مرجع سابق ، ص ٣٠-٣٤

(٢) - حيث أكمل بناء المحمية البريطانية في عدن أوائل العشرينات من القرن العشرين، حيث وقعت المملكة البريطانية عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م في لندن اتفاقية مع الدولة العثمانية تضمنت تخطيط الحدود بين المناطق التابعة للدولة العثمانية والمناطق التابعة لنفوذ بريطانيا، وبما أن الدولة العثمانية قد احتلت اليمن الشمالي عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م قسمت اليمن اصطناعياً وبشكل تلقائي إلى اليمن الشمالي والجنوبي. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى احتلت الدولة العثمانية منطقة لحج الخاضعة لسلطة بريطانيا وحاولت احتلال عدن، إلا أن هزيمتها في الحرب اضطرتها إلى مغادرة اليمن، والانسحاب من لحج. وقد اعتمدت بريطانيا سياسة اقتصادية جعلت كل القبائل العربية في منطقة الجزيرة العربية بحاجة لها بصورة دائمة، فبعد تدمير الطرق التقليدية هناك نتيجة الحصار البريطاني في أثناء الحرب على موانئ البحر الأحمر والخليج العربي، أصيبت القبائل بضربة قوية فقدت فيها طرق التجارة القديمة التي كانت تدرّ عليها بعض الأموال، كما أضعفت السياسة البريطانية التجارة التقليدية للقبائل (الجمال والخيول)، ولاسيما بعد الحظر الذي فرضته على قبائل شمر، حيث منعتها من ارتياد السوق التقليدي لهذه التجارة في العراق بعد احتلاله عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م، فأصبحت القبائل مضطرة للبحث عن مصادر جديدة للتمويل، عندها كانت بريطانيا تتدخل وتقدم المساعدات المالية مقابل خدمات القبائل بضمّان بقاء نفوذها، والخضوع لسلطانها، والتحرك وفقاً لأوامرها، التي كانت كثيراً ما تتعلق بهجوم قبيلة على أخرى، أو مهاجمة الإمام يحيى وآل الرشيد في حائل وكل من يعادي بريطانيا، الأمر الذي كان يزيد من مشكلات القبائل مع بعضها البعض، ويجعلها مضطرة بعد ذلك للحصول على رضا بريطانيا. واستغلت بريطانيا الفوارق المذهبية بشكل متقن لتفتيت المجتمع اليمني، وتدمير السلطة المركزية في اليمن، بإثارة سكان الجنوب و معظمهم من السنة على المذهب الشافعي، على سكان اليمن الشمالي وغالبيتهم من أتباع المذهب الشيعي ، وتخفيف رغبتهم بالاتحاد مع أبناء اليمن الشمالي، بحجة أن أئمة اليمن الشمالي الزيديين، لا يمكنهم أن يحكموا أبناء الجنوب اليمني وهم من الشوافعة. لقد أرادت بريطانيا إظهار الخلافات الدينية بين أبناء اليمن، لتعزيز الانقسامات السياسية المفروضة عليهم وبالتالي تعزيز نفوذها في المنطقة. للمزيد من المعلومات حول سياسة بريطانيا في اليمن الجنوبي راجع : ف.ف. ناومكين ، الجبهة القومية ونضالها من أجل الاستقلال والديمقراطية ، موسكو ، د.ن ، ١٩٨٠م ، ص ٢٠-٢٣ ؛ أيضاً : R.G. Gavin , 1839-1967, p252-256 Aden under British Rule ، أيضاً: مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٦٦ ؛ أيضاً: الحبشي ، اليمن الجنوبي ، مصدر سابق ، ص ١٩-٢٠ ؛ أيضاً: حبيب ، مهدي جواد ، وثائق عثمانية غير منشورة عن البصرة وأسطولها وصلاتها بالخليج العربي أواسط القرن التاسع عشر ، مجلة الوثيقة ، العدد السابع عشر ، السنة التاسعة البحرين ، تموز ١٩٩٠م ، ص ١٠٧-١٠٨

بعض المناطق في وسط شبه الجزيرة العربية، تاركةً باقي المناطق تحت رحمة التنافس الكبير الذي ظهر بين الفرنسيين والبريطانيين، وحتى الإيرانيين، لكن بريطانيا كانت أسبق وأكثر فاعليةً في تثبيت أقدامها من الدول الأخرى، على الرغم من محاولات الفرنسيين إظهار قدرتهم على منافسة الإنجليز والتصدي لهم، فسعوا لإقامة علاقات مع الأسر الحاكمة في المنطقة كآل سعود في نجد وسلاطين عمان، ولإثبات قدرتها على التصدي للنفوذ البريطاني أمام المناهضين لها في المنطقة أرسلت سفينة مسلحةً إلى مياه الخليج العربي، واتصلت بالحكام المحليين ولاسيما ابن سعود حاكم نجد الذي عينه علي رضا والي العراق^(١).

دفع نشاط فرنسا في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية بريطانيا للتحرّك والتصدي له^(٢)، فهي لم توفر أيّ طريقة للدفاع عن مصالحها مستخدمةً الحل العسكري تارةً (احتلال سوقطرى ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م واحتلال عدن ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م)، والاتفاقيات والحلول الاقتصادية تارةً أخرى (اتفاقية ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م مع سلطان لحج) التي فتحت بموجبها عدن أمام التجارة البريطانية ومعاهدة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م، التي حصلوا بموجبها على التسهيلات التجارية والسياسية والاقتصادية)، فبريطانيا لم تسقط من حساباتها أيّ طريقة ممكنة لتحقيق مصالحها وأهدافها، سواء أكانت سلمية أم حربية^(٣)، فبعد افتتاح قناة السويس ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، وتضاعف أهمية عدن في الملاحة العالمية، واقتزان ذلك بعودة سيطرة الإمبراطورية العثمانية على اليمن الشمالي انتهت بريطانيا إلى مخاطر التدخل العثماني، وخصوصاً لجهة كسب بعض شيوخ القبائل إلى جانبها، فقررت السلطات البريطانية التغلغل إلى داخل اليمن لمنع القبائل من الدخول في دائرة النفوذ العثماني، وذلك من خلال تكبيلمهم باتفاقيات ومعاهدات لدرء أخطار النفوذ العثماني، ممّا مكّن بريطانيا من إحكام سيطرتها على المنطقة باستخدام عملاء محليين دون الحاجة إلى استخدام أجهزة سياسية أو عسكرية ضخمة التكاليف^(٤).

قامت الدولة العثمانية بدورٍ إن لم يكن موازياً للدور البريطاني، فهو يفوقه في بعض الأحيان في سقوط منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي تحت النير الاستعماري، فلا لوم على دولة استعمارية همّها الوحيد زيادة قوتها وتفعيل دورها، بل اللوم كلّ اللوم على الدولة التي ادّعت أنّها حامية المسلمين والمدافعة عن أراضيهم فالدولة العثمانية سيطرت على تهامة اليمن ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م وعلى صنعاء ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، وتركت بريطانيا

(١)- الرميحي والسقاف ، مستقبل العلاقات اليمنية - الخليجية ، مرجع سابق ، ص ٥٢

(٢)- فقامت بالعمل على إسقاط الحكام غير الموالين لنفوذها، وعلى تفعيل سيطرتها على البحرين والإمارات وعمان والنّخلص من كل تأثير للدولة العثمانية، وخاصةً بعد الانتهاء من محمد علي، ومن توسّعه في الخليج والجزيرة العربية، فسياسة بريطانيا منذ القرن التاسع عشر كانت تقوم على تدمير الدول المركزية، وبناء إماراتٍ صغيرةٍ ترتبطُ بها وتظلُّ دوماً بحاجةٍ لمساعدتها وتدخّلها، وهذا ما حصل على سبيل المثال في اليمن، فالدولة المركزية التي حكمت نحو قرنين من الزمن تمّ تفتيتها في القرن التاسع عشر بهمة الإنجليز الذين لعبت دسائسهم دوراً فعالاً في تقسيمها إلى شطرين شمالي وجنوبي، حيثُ وجدت بريطانيا في ذلك فائدةً كبيرةً لها وخدمةً لهدفها في السيطرة على تجارة شبه القارة الهندية .

للمزيد راجع : أباطة، الحكم العثماني لليمن، مرجع سابق ، ص ١٤

(٣)- قاسم، الخليج العربي ١٨٤٠-١٩١٤، د.ن، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ٢٠٣-٢٠٤ ؛ أيضاً : صحيفة ٢٦ سبتمبر ، أسبوعية سياسية

اقتصادية ، العدد ١٠٤٤ ، ١٢ كانون الأول ٢٠٠٢م، من موضوع بحوث ودراسات ، ص ١٥

(٤)- الصراف، اليمن الجنوبي، علي، اليمن الجنوبي "الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة"، رياض الريس للكتب والنشر، لندن،

قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م ، ص ٣٤-٣٥

تتمدد على حساب المحميات الجنوبية واحتلال الجنوب اليمني، واستثمار أراضي شبه الجزيرة العربية، وتكبير أمرائها بالاتفاقيات والمعاهدات الجائرة، وبهذا تكون قد أسهمت في تقسيم البلاد كما حصل مع اليمن، الذي انقسم إلى يمنين شمالي وجنوبي، والأسوأ أن اليمن بعد هدنة مودرس^(١) ١٣٣٧هـ/١٩١٨، وخروج العثمانيين من الأرض العربية ظلّ مقسماً، فالمنطقة الشماليّة التابعة للعثمانيين نالت استقلالها، أمّا المنطقة الجنوبيّة الخاضعة للنّفوذ البريطاني فظلّت خاضعة لهم فترة طويلة بعدها تخلّوها الكثير من المآسي بين أبناء اليمنين، وأحياناً كانت تحصل نزاعات أهليّة وصراعات دمويّة بتحريض ودفعٍ من بريطانيا، وهذه النزاعات تركت جرحاً عميقاً بين أبناء اليمنين، حصل كلّ ذلك والدولة العثمانية تراقب على ما يحصل، ودليل ذلك موافقتها على الاتفاقية مع بريطانيا ١٣٣٢هـ/١٩١٣ بأنّ الحدود الجنوبية الشرقيّة لشبه الجزيرة العربية تقع خارج نطاق السيادة العثمانية "يسير خطّ الحدود الممتلكات العثمانية في خطّ مستقيم من أكمة الشوب ثجاه الشمال الشرقي ثجاه الربع الخالي التابع لحضرموت مع ميل قدره ٤٥ درجة وينضمّ هذا الخطّ إلى خطّ الدرجة ٢٠ الموازي له ويسيران معاً اليمن والى الجنوب إلى أن يصل إلى نقطة تقع على خليج العقير إلى نقطة تفصل بين سنجق نجد العثماني وأراضي قطر وحمل الخطّ الأول اللون البنفسجي وحمل الخطّ الثاني اللون الأزرق"^(٢).

وقد قامت الدولة العثمانية بمحاولاتٍ جديّة لاستعادة نفوذها في مياه الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، حيث ظهر تغيير واضح في السياسة العثمانية بعد الإصلاحات في عهد محمود الثاني، فقد كان الباب العالي يهدف إلى جعل السلطة المركزيّة مؤثرة في كلّ مكان، وقد لعب الولاة المصلحين دوراً كبيراً في تلك السياسة ولاسيّما والي بغداد نامق باشا ١٢٧٨-١٢٨٤هـ / ١٨٦١-١٨٦٧م ومحدث باشا ١٢٨٦-١٢٨٩هـ / ١٨٦٩-١٨٧٢م^(٣)، فمحدث باشا الذي وصل إلى ولاية بغداد ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م استطاع خلال فترة قصيرة تحقيق

(١)- مودرس هو الميناء الواقع في جزيرة ليمينوس ، وعلى ظهر سفينة انكليزية راسية فيه تم توقيع هذا الاتفاق ومثل الحلفاء الجنرال الأدميرال البريطاني كالتروبي بينما مثل تركيا حسين رؤوف حكمت وقد أملت فيها بريطانيا شروطها على تركيا، وفرضت عليها الاستسلام والانسحاب من كل المناطق التي تسيطر عليها خارج تركيا بما فيها البلاد العربية، وتؤكد هذه الاتفاقية رغبة بريطانيا الصريحة بالسيطرة على منطقة الشرق الأوسط دون غيرها من الدول. أنظر: مجموعة من المؤلفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، ص ٨ أيضاً: الموقع الإلكتروني:

الفسطاط المجلة التاريخية : http://www.fustat.com/C_hist/qarn14_14.shtml#top

(٢)- ولكنسون ، جون.س ، حدود الجزيرة العربية "قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء" ، ترجمة مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة ، د.ت ، ص ١٣٣ ؛ أيضاً : العيدروس، محمد حسن ، الحدود العربية - العربية في الجزيرة العربية ، دار الكتاب الحديث ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ص ٥٠

(٣)- من أهم السياسيين العثمانيين ولد في مدينة الأستانة عام ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م اسمه الحقيقي أحمد شفيق ولقب باسم مدحت باشا بسبب مواهبه الكثيرة. تنقل في العديد من الوظائف الهامة ، تجول في العواصم الأوروبية، عين في العام ١٢٨٧هـ/١٨٦١ والياً على نيش ثم ولاية الدانوب ، ثم والياً على بغداد ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م ، استطاع إعادة السيادة العثمانية على نجد ، عرف فيما بعد بابي الدستور العثماني، لأنه أسهم في صدور الدستور في الدولة العثمانية بدعم من السلطان عبد الحميد الثاني الذي وصل إلى عرش السلطنة عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦ بعد عزل مراد الخامس ، عين والياً على سورية سنة ١٨٧٨م... للمزيد راجع مذكراته في: حيدر بك ، علي ، مدحت باشا ، حياته - مذكراته - محاكمته، ترجمة يوسف كمال بك حتاته وصديق الدمولوجي ، ط ١، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٢م ؛ أيضاً: العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٧ ، بغداد، ١٩٤٩م، ص ٢٦٩-٢٧١

انجازاتٍ كبيرة^(١)، كان أهمُّها على الإطلاق حملة استعادة السيادة العثمانية في منطقة الجزيرة والخليج العربي، حيث بدأ الحملة عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م مستغلاً النزاع بين الأمير سعود وأخيه الأمير عبد الله^(٢) بعد طلب الأخير مساعدة الباشا والي بغداد ضد أخيه سعود، فاستغلَّ الوالي الفرصة لاستعادة نفوذ دولته هناك بحجة أنه يريد وضع حدٍّ للصراع القائم في نجد بين أفراد الأسرة السعودية^(٣)، إضافةً لأسبابٍ مختلفةٍ منها التطور الذي شهدته طرق النقل، ممَّا سهَّل تنقَّلات القوَّات العثمانية من مكانٍ لآخر، ولأسيَّما بعد افتتاح قناة السويس أمام الملاحة البحرية في ١٢٨٦هـ الموافق ١٧ تشرين الثاني ١٨٦٩، حيث فُتِح الباب أمام عاصمة العثمانيين لنشر قوَّاتها البحرية في منطقة البحر الأحمر والخليج العربي وحول شبه الجزيرة العربية^(٤). فلم تتهاون الدولة العثمانية مع هذا الحدث العالمي، وانتهزت الفرصة لحماية ما تبقى لها من وجودٍ في أقاليم المنطقة العربية، وحاولت تعزيز وجودها في منطقة جزيرة العرب خاصَّةً بعد أن أدركت أهمية منطقة الخليج العربي كونها الخطَّ الدفاعي الأوَّل عن الوجود العثماني في العراق في وجه التحرَّكات البريطانية. هذا ما عدا العداء القديم بين آل سعود والدولة العثمانية، وخوف الأخيرة من ازدياد النفوذ السعودي الذي أعاد محاولات التمدد في شبه الجزيرة العربية، إضافةً إلى العامل الاقتصادي^(٥)، وقد سعت الدولة العثمانية في حملتها الجديدة بقيادة مدحت باشا إلى كسب الأهالي وعدم معاداة سكَّان الجزيرة، الأمر الذي أظهرته كلَّ البرقيات الموجهة من الدولة العثمانية إلى الحملة أو إلى الأهالي^(٦)، وأظهرت الرسائل والبيانات الصادرة عن الدولة العثمانية أنها كانت تريد حلَّ المشكلات بالطرق السلمية، إلا أنَّها لم تتمكَّن من ذلك. ومن هنا كانت مضطرةً إلى إرسال الحملة لاستعادة نفوذها في نجد والإحساء^(٧)، وحققت

(١) - للاطلاع على انجازات مدحت باشا في ولايته راجع : الأرشيف العثماني دفتر التعيينات ٨٥١ ، ص ٦٨-٦٩ ، ٩٧-٩٨ ، ص ٧٢ نقلاً عن: قورشون ، زكريا ، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، ط ١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٥م ، ص ١٣٩

(٢) - أوردت الوثائق البريطانية معلومات عن عبد الله تصفه بالمتعصب دينياً وضيق الأفق، في حين يصفه بلغريف الذي زار الجزيرة العربية بين عامي ١٨٦٢-١٨٦٣م بأنه يتصف بقصر القامة وضخامة المنكبين وبشجاعته عسكرياً في حين يصف سعود بالكرم وحب الفروسية .للمزيد راجع : الأرشيف العثماني، الوثيقة (IMM 1667) لف . نقلاً عن: المصدر السابق ، ص ١٥١ ؛ أيضاً :

Gefford William . Palgrave ,A years Journey through Central Macmillan and Eastern Arabia
co , London 1965 , Vol . 1 , P448 -449

(٣) - KELLY ,J.B . Britain and Persian Gulf ,London , 1965 , P. 718

(٤) - عمرو ، عبد الرؤوف أحمد ، قناة السويس في العلاقات الدولية ١٨٦٩-١٨٨٣م ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٢٨-٣٤

(٥) - فقد أصبحت منطقة الخليج العربي نقطةً لالتقاء القوافل والبواخر القادمة من القارتين، ومحطةً لا غنى عنها للمبادلات التجارية، كل تلك الأسباب دفعت العثمانيين إلى التحرك نحو موانئ الخليج العربي، التي أصبحت بعد افتتاح قناة السويس محركاً للتجارة العالمية. للمزيد راجع: أباطة ، فاروق عثمان ، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م ، د.ن ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص ٤٠١-٤٠٢

(٦) - فقد قامت الدولة العثمانية بالاتصال بالقبائل والعربان في سواحل المحيط الهندي والبحر الأحمر وسعت إلى تقوية الروابط مع الشيوخ بعد أن ضعف ولاءهم لها بعد ضعف ترسانة البصرة ولجوء بعض الشيوخ إلى الأجانب ، وبالفعل تم إعادة تقوية ترسانة البصرة ، ونعيين احمد بك قائداً لها .الأرشيف العثماني ، (Imm1611) ، لف : ٣ ، نقلاً عن: قورشون ، العثمانيون وآل سعود ، مصدر سابق ، ص ١٤٣

(٧) - للمزيد من المعلومات حول تلك الرسائل راجع : الأرشيف العثماني ، ID 44002 ، لف ١ ، نقلاً عن : قورشون ، المصدر السابق ، ص ١٦٣-١٦٦ ؛ أيضاً : الأرشيف العثماني، ID 44002 ، لف 2 ، نقلاً عن: المصدر السابق، ص ١٧٥-١٧٧

انتصارات كبيرة^(٢)، إلا أنّ هذه الحملة سرعان ما تحجّم هدفها بعد ظهور الرغبة البريطانية الواضحة بالتصدّي لها، فلم تكلف الدولة العثمانية نفسها عناء شرف المحاولة، فالسير هربرت دسبراو الوكيل البريطاني في بغداد أبلغ حكومة الهند في رسالته أنّ السّفير آليوت (Henry. Elliot)، أبلغه أنّ الحكومة العثمانية أخبرته بأنّها لا تسعى لتثبيت سيادتها في مسقط والبحرين والمناطق المستقلة في شبه جزيرة العرب، وبأنّ الباب العالي أكّد له بأنّه لا يزمع القيام بأيّة عمليات في الخليج العربي، وإنّما هي مسألة إعادة الأمور إلى نصابها في نجد بعد ثورة سعود بن فيصل، ولاسيّما أنّ السير آليوت سلّم الباب العالي نسخاً من الاتّفاقيات الموقعة مع شيوخ وأمرأء الخليج بناء على طلب وزير الهند الدّوق أرجيل ARGYL (١٢٩١-١٢٨٥هـ / ١٨٦٨-١٨٧٤)، وعلى الرّغم من التّطمينات العثمانية، إلّا أنّ بريطانيا ظلّت تتبادل الرّسائل مع الباب العالي ومع مدحت باشا لتحجيم عمل الحملة قدر الممكن، وتراقب تحرّكات الحملة التي حقّقت نجاحاً سريعاً على السّاحل السّعودي، وتسلمت غالبية المدن بسرعة وسهولة^(٣)، ثم سرعان ما امتدّ نشاط الحملة إلى قطر على يد شيخ الكويت، الذي دخل تحت السيادة العثمانية منذ عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م^(٤)، عندها دخل شيخ قطر جاسم آل ثاني في طاعة السّلطان العثمانيّ، ممّا دفع بريطانيا للتّدخّل عبر مقيمها في البحرين السير لويس بيللي (L. Pelly) الذي طالب مدحت باشا بالالتزام بتعهداته السابقة، إلّا أنّ الباشا قال إنّ تعهداته تشمل البحرين وليس قطر والكويت^(٥).

وهنا يتساءل القارئ لماذا لم تمنع بريطانيا الحملة من أساسها؟ والجواب يكمن في زهد بريطانيا آنذاك في البرّ واهتمامها بالبحر، فالحملة وفق الدولة العثمانية بريّة بحثة، أما امتدادها فيما بعد إلى البحر جعل بريطانيا تنتقل من مرحلة البرود في التّعامل معها إلى مرحلة التّصدّي الحازم، والعمل على إيقاف الحملة في مناطق محدّدة من الخليج، حيث وجهوا إنذاراً إلى العثمانيين بعدم التعرّض للبحرين لأنّها تحت سيطرتهم^(٦)، ومنعاً للتّمدّد البحريّ أوقفت بريطانيا العثمانيين عند بعض المناطق البريّة كالزبارة والوكرة والعديد، وصنعت منها سياجاً تقف

(٢) - فاستطاعت السيطرة على القطيف بعد معركة حامية مع حاكمها، ثم سيطرت على الدّمام، ثم العقير، وعلى إثر هذه الانتصارات تهاافت شيوخ القبائل إلى قائد الحملة نافذ باشا معلّنين ولاءهم للدولة العثمانية. للمزيد حول هذه القبائل راجع: الأرشيف العثماني، الوثيقة ID 44196 ، لف ٨ ، نقلاً عن: المصدر السابق ، ص ١٧٢

(٣) - للتعرف على مسار الحملة راجع : لوريمير ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، بدون تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٤٥١-١٤٥٦

(٤) - للمزيد من المعلومات حول موقف الكويت من الحملة العثمانية راجع: المصدر السابق، ص ١٥٦٢ وما يليها

(٥) - للمزيد راجع: المصدر السابق ، ص ١٤٥١

(٦) - حيث كانت بريطانيا قد فرضت نفوذها على الساحل العماني والبحرين من خلال الاتفاقيات المتتالية منذ العام ١٨٣٠م مروراً بمعاهدة ١٨٣٤ و ١٨٥٣ المعاهدة التي عرفت باسم (اتفاق السلام الدائم) ، ثم قامت بتجديد هذه المعاهدات عام ١٨٦١ باسم الاتفاقية المانعة للأبدية ، وهكذا ربطت بريطانيا شيوخ ساحل الخليج العربي باتفاقيات جعلتها تحت النفوذ البريطاني . للاطلاع على هذا الاتفاقيات راجع: الملحق رقم

(٣٤) ورقم (٣٦) C . W . Aitcheson , Collection of Treaties Engagement and sands Relating to India and Neighboring Countries ,Vol. v , p 189-206

عنده السيادة العثمانية، وكلما حاول العثمانيون تجاوز هذا الحاجز كانت بريطانيا تمنعهم بالقوة^(١)، بعد ذلك بدأت بريطانيا بالخطوة التالية وهي استعادة كل ما تملكه الدولة العثمانية في الخليج العربي، فدبرت مؤامرة لقتل الشيخ محمد الصباح وشقيقه جراح المحسوبان على الدولة العثمانية، مستغلةً الخلاف الأسري والتنازع على السلطة^(٢)، فوصل إلى الحكم بعد الشيخ محمد الشيخ مبارك الصباح ١٣١٤-١٣٣٤هـ/١٨٩٦-١٩١٥م الأخ غير الشقيق لمحمد والمقرب من بريطانيا^(٣)، وعلى الرغم من اعترافه في بادئ الأمر بالسيادة العثمانية لتوطيد حكمه، وموافقة الدولة العثمانية على اعتباره موظفاً عثمانياً برتبة قائممقام في الكويت^(٤)، إلا أنه كان ميلاً لبريطانيا التي وقع معها لاحقاً اتفاقية حماية عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩، وقد استطاع بحكمة كبيرة تحسب له السير بالتطورات السياسية في الكويت بما يسهم في دعم الاستقرار والأمن فيها من خلال استغلال الصراع العثماني - البريطاني في الخليج العربي، وأسهمت بريطانيا في دفعه لدعم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل^(٥)، في داخل شبه الجزيرة العربية لتشغل العثمانيين وتقلص نفوذهم، خاصةً أنها لم تكن راغبة في التدخل في الداخل، وتفضل الاهتمام بالساحل^(٦)، بعد ذلك استعادت قطر بعد أن استمالت شيخها منذ العام ١٣١٠هـ/١٨٩٢، ثم البحرين التي لم يستطع العثمانيون بسط نفوذهم عليها، الأمر الذي أثبتته المراسلات بين بريطانيا والباب العالي، حيث تصدت بريطانيا بقوة كبيرة للمحاولات العثمانية في الساحل الغربي من الخليج العربي، فقد واجهت محاولات الدولة العثمانية مد نفوذها إلى الزبارة^(٧) على الساحل القطري، ومحاولاتها بناء الزبارة والعديد وتعيين مديريين عثمانيين لها^(٨)، وعدت الزبارة من

(١) - للمزيد حول أسباب الحملة ومسارها والتطورات التي رافقتها ورد الفعل البريطاني عليها بشكل مفصل راجع: إبراهيم ، عبد العزيز ، عبد الغني، أمراء وغزاة قصة الحدود والسيادة الإقليمية في الخليج دراسة وثائقية، دار الساق، لندن، الطبعة الثانية، ١٩٩١، ص ٢١-٥٧؛ أيضاً: كيلي، جون.ب، بريطانيا والخليج العربي، ترجمة محمد أمين، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٧٩ ، ص٨٥٥

(٢) - حيث أكد المستشار القانوني لوزارة الخارجية البريطانية السير ستافريدس Stavrides أن سبب مقتل الأخوين هو التنازع للوصول إلى السلطة. للمزيد من المعلومات راجع الوثيقة البريطانية:

A . G . SALDANHA , The Persian Gulf précis, Archive Edition 1986 , Vol .v , p 10

(٣) - للمزيد من المعلومات راجع : الوثيقة العثمانية : Y. A Res . 87 /88 نقلاً عن: صابان، سهيل ، الجزيرة العربية في الوثائق العثمانية ، ط ١ ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، ٢٠٠٥م، ص٤٣٢ ؛ أيضاً : لوريمير ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١٥٢٦ ؛ أيضاً: لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق ، مرجع سابق ، ص٣٦٥؛ أيضاً: فيليبي ، تاريخ نجد ، مصدر سابق ، ص٢٧٣

(٤) -لوريمير ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٥٢٧ ؛ أيضاً : الفرخان ، راشد عبد الله ، مختصر تاريخ الكويت وعلاقاتها بالحكومة البريطانية والدول العربية ، مكتبة العروبة القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص٧٦-٧٧

(٥) - هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي مؤسس الدولة السعودية الثالثة ، ولد في التاسع عشر من شهر ذي الحجة ١٢٩٣هـ/١٨٧٧م ومصادر أخرى تقول أنه ولد في الرياض عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م . أنظر: موسيل ، آل سعود ، مصدر سابق، ص١٢١؛ أيضاً : حمزة ، قلب جزيرة العرب ، د.ن، القاهرة ، ١٩٣٣، الجزء الثاني ، ص٣٦١ ؛ أيضاً درويش، تاريخ الدولة السعودية ، مرجع سابق ، ص٧٢

(٦) - حيث تذكر الوثائق البريطانية أن شيخ الكويت طلب في العام ١٩٠٤م من سلطات الخليج العربي البريطانية، فمالت حكومة الهند إلى تأييده على شرط ألا يدخل الحكومة البريطانية في الشؤون الداخلية لشبه الجزيرة العربية ، فمصالح بريطانيا آنذاك كانت تقف عند خط الساحل في شبه الجزيرة . أنظر : B . govt . Henceforth : I.O L/P& S/18/B . 437 , Historical memo on the Relations the . H.M.R.W.S.A.B.G , 1800-1834

(٧) - الزبارة :سميت بهذا الاسم نسبة إلى ارتفاعها ، وتقوم على آثار قرية كبيرة قديمة على الساحل القطري مقابل جزيرة البحرين من جهة الجنوب ، وتمتد في البحر كراس عريض هي من المناطق المهمة جداً بالنسبة إلى آل خليفة ، فمنها انطلقوا إلى البحرين وفيها وضعوا كل

أملاك حاكم البحرين، وأوعزت للشيخ عيسى آل خليفة أن يمنع الدولة العثمانية السّاعية للوصول إلى الزبارة وتعيين ناصر بن مبارك آل خليفة لإدارة هذه المنطقة من تحقيق هدفها، وكذلك تصدّت بريطانيا لمحاولات الشيخ قاسم آل ثاني باتّخاذ الخطوات العمليّة لإعادة إعمار الزبارة بناء على طلب عثماني لتكون قاعدة لتحقيق طموحاتها، مما جعل الدولة العثمانية تتراجع عن الفكرة^(٣)، حيث حصلت مجابهة بين شيخ البحرين ومن خلفه بريطانيا، وبين قبيلة البوعلي وشيخ قطر ومن خلفهم الدولة العثمانية^(٤)، وقامت بريطانيا بتدمير التّحصينات في ميناء الزبارة، واستولت على سبع قوارب تابعة لآل البوعلي، وأوقفت الهجوم المقرّر على البحرين، وعلى الرّغم من احتجاج الباب العالي على التصرف البريطاني^(٥)، إلّا أنّ هذا لا يغيّر في المعادلة الجديدة شيئاً، حيث كانت الهزيمة تعني ضياع نفوذ العثمانيين في الزبارة، لا بل السّاحل القطريّ كلّهُ، ولم تغلح المحاولات العثمانية في إعادة إحكام سيطرتهم على قطر، كمحاولة تعيين مدرء نواحي في الزبارة والعديد والوكرة، وتعيين معاون لقائمقام قطر^(٦)، فرفض الشيخ قاسم لهذه المحاولات والتّهديدات البريطانية للدولة العثمانية جعلاً الهوة تتّسع بين قطر والعثمانيين يوماً بعد يوم^(٧). أمّا بريطانيا فقد بدأت بعد العام ١٣١١هـ/١٨٩٣ مرحلة جديدة في علاقتها مع قطر، ولاسيّما أنّ الشيخ قاسم بن ثاني قد أيقن أن السير على الخطّ البريطانيّ أفضل من الخط العثمانيّ، وأدرك تمام الإدراك أن النفوذ الفعلي في المنطقة هو لبريطانيا وليس للدولة العثمانية.

ومن هنا أخذ التطور السّياسي في قطر ينعكس على بريطانيا التي قالت إنّها لن تسمح للقبائل المعادية لشيخ البحرين أن تستقر في الزبارة، ولا في قطر لأنّ ذلك يشكل خطراً على البحرين، وأكدت أنّ لشيخ البحرين حقوقاً ثابتة على ساحل قطر، الأمر الذي كانت قد تجاهلته سابقاً، ممّا فتح الباب أمام نقاش جديد حول حدود بين قطر والبحرين لم يكن مفهومها ومدلولها السّياسي موجوداً آنذاك، ثمّ تفعّل هذا النقاش عندما بدأت الدولة

خبراتهم بعد مغادرتهم الكويت ، فأصبحت مركزاً لصيد اللؤلؤ ونقل البضائع إلى وسط شبه الجزيرة العربية. أنظر: المنصور، عبد العزيز ، التطور السياسي لقطر ما بين عامي ١٨٦٨-١٩١٦م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ ، ص١٢٨

(٢)- الوثيقة العثمانية : وع/٣٨ ، تاريخ ٥ حزيران ، ٣١٩ ، من نظارة الخارجية إلى الصدر الأعظم نقلاً عن : الخترش و المنصور، فتوح وعبد العزيز، مصادر تاريخ قطر، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٧٩ ، ص١٥٦

(٣)- سيتم مناقشة الصراع العثماني - البريطاني على قطر بشكل مفصل في الفصل الرابع للمزيد حول هذا النزاع راجع: المنصور، التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦ ، مرجع سابق ، ص٨٥-٨٦

(٤)- فقد أرسلت بريطانيا سفينتين حربيّتين (سفنكس والبيجون) وألحقتهما بسفينة ثالثة (بليزي) إلى الخليج العربيّ، وأتبع ذلك بتوجيه احتجاج شديد لدى الحكومة العثمانية في القسطنطينية جاء فيه: إنّ حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بالوجود العثماني على ساحل قطر، ولا بالادعاءات العثمانية بالسيادة على البحرين، ثمّ توجّهت السفن البريطانية إلى ميناء الزبارة للتصدّي لسفن البوعلي المدعومة من العثمانيين والشيخ قاسم الذي نفى فيما بعد علاقته بالموضوع، ورفض دفع الغرامات التي فُرِضت عليه بعد هزيمة البوعلي. للمزيد من المعلومات حول المعارك والمفاوضات بين العثمانيين والبريطانيين راجع: ابراهيم ، أمراء وغزاة ، مرجع سابق ، ص٧٢-٧٥

(٥)- لوريمير ، دليل الخليج ، القسم لتاريخي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١٣٩٢-١٣٩٠

(٦)- الأرشيف العثماني : BOA, Imm 4699 Lef: 4 ، نقلاً عن: قورشون ، قطر في العهد العثماني ، مصدر سابق ، ص١٣١

(٧)- أرشيف وزارة الخارجية التركية ، ملف قطر ، صورة البرقية الرقمية الواردة من ولاية البصرة : نقلاً عن العناني ، أحمد ، وثائق التاريخ القطري ، "من الوثائق البريطانية والعثمانية ١٨٦٨-١٩٤٩م" مكتبة قصر الدوحة ، الديوان الأميري ، قسم الوثائق بمكتب أمير قطر، الدوحة ١٩٧٩م ص١٥٧

العثمانية وبريطانيا مباحثات جدية لإيجاد حدود للفصل بين نفوذ الدولة العثمانية ونفوذ بريطانيا في جزيرة لعرب فكانت اتفاقية ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م (الاتفاقية البريطانية-العثمانية)^(١)، التي رسمت خطأً أزرقاً حدد مناطق النفوذ للبلدين المتنافسين على المنطقة، وأنهى الوجود العثماني في قطر، حيث غادرت الحامية العثمانية قطر عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م بموجب الاتفاقية المذكورة، لتصبح دولة مستقلة تحت الحماية البريطانية، بعد توقيع الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني اتفاقية الحماية مع بريطانيا عام ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م^(٢).

أشعل التنافس العثماني-البريطاني على الخليج العربي نار التنافس بين البحرين وقطر، وجعل من الحدود بينهما مشكلة أدت إلى توتر العلاقات بين البلدين، فعلى الرغم من قلة أهمية موضوع الحدود قبل الحملة العثمانية ١٢٨٨هـ / ١٨٧١، إلا أنه قد أصبح له أهمية كبيرة بعدها وبدأ الحديث لأول مرة بشكل جدي عن الحدود للفصل بين مناطق النفوذ البريطاني ومناطق النفوذ العثماني في المنطقة. والموقف البريطاني الحازم في وجه التوسع العثماني الخائف من استعداد بريطانيا، خشية أن تستخدم عندها القوة ضدهم جعل العثمانيين يستسلمون لهذا الواقع الصعب ويسلمون المنطقة لبريطانيا المسيطرة الفعلية على الخليج العربي، لا بل أكثر من ذلك، فقد شرعت الدولة العثمانية حالة الانقسام التي صنعتها بريطانيا في الجزيرة العربية، ولاسيما في اليمن بتوقيعها معاهدات رسمية مع بريطانيا، حيث وقعت اتفاقية ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م لتنظيم الانقسام بين شطري اليمن، واتفاقية ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م لتوضيح حدود نفوذ كل جانب منهما، وهذا ما يمكن اعتباره اعترافاً صريحاً بشريعة الوجود البريطاني في اليمن الجنوبي^(٣)، وفي سواحل الخليج العربي.

وهكذا يتضح كيف أن تداخل الدولة العثمانية، والتسويات الدولية التي عقدتها مع الدول الاستعمارية، كانت على حساب وجودها في الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، وخدمة للنفوذ البريطاني وتوسعه، فأضاعت بتلك الطريقة المنطقة التابعة لها قانونياً وشرعياً، دون أن تبذل أي جهد حقيقي لحماية سكانها من التنافس الدولي عليها، ودون أن تراعي المشاعر الدينية التي اتكلت على سلاطينها، بوصفهم خلفاء للمسلمين.

(١)- وبموجب هذه الاتفاقية تنازلت الدولة العثمانية عن حقوقها في قطر والبحرين والكويت بشرط أن تبدأ الحدود التي سيتم رسمها من النقطة المواجهة للبحرين عند أكبر النقاط التي يسمح فيها بدخول البصرة اتساعاً أو أن تبدأ الحدود من النقطة التي تواجه جزيرة الزهنونية. للمزيد راجع الوثيقة العثمانية BOA, MV 175, S. ٤٢ نقلاً عن: قورشون، قطر في العهد العثماني، مصدر سابق، ص ١٩٦

(٢)- ولكنسون، حدود الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ١٦٤-١٦٩

(٣)- ماكرو، إيريك، اليمن والغرب، ترجمة حسين عبد الله العمري، د.ن، لندن، ١٩٧٨م، ص ١٩٨

صحيفة ٢٦ سبتمبر، مرجع سابق، ص ١٥

ثالثاً: النزاع بين القوى المحلية وأثره في ظهور منازعات الحدود بين السعودية

واليمن-الأردن -قطر ١٧٦٢-١٩١٣:

شهدت الساحة السياسية في شبه الجزيرة العربية كثيراً من النزاعات الطاحنة بين إماراتها لأسباب عديدة، كان لبريطانيا الساعية إلى التحكم في المنطقة حصة الأسد في إثارتها، وذلك باستغلال تلك النزاعات لتفعيل التفرقة، ونشر الفتنة بين القبائل العربية هناك، من خلال افتعال المشكلات بين القوى السياسية فيها حول أمور متعددة منها حدود هذه الإمارة أو تلك.

١-الخارطة السياسية للقوى المتنازعة في شبه الجزيرة العربية:

بعد انهيار الدولة العثمانية وأول نجمها في المنطقة العربية منذ بداية الحرب العالمية الأولى، أخذت القوى والأسر المحلية في شبه الجزيرة العربية تظهر على الساحة السياسية كقوة حاكمة وفاعلة تدير شؤون المناطق التي توجد فيها، متسلحة بدعم القبائل التابعة لها حيناً، ودعم الدول الغربية الناشطة في شبه الجزيرة العربية أحياناً أخرى، فقد انقسمت المنطقة إلى عدة إمارات وممالك، ففي اليمن وصل الإمام يحيى حميد الدين^(١) إلى صنعاء قادماً من شرارة في جبال اليمن بعد أن أصبح إماماً وبايعته الكثير من القبائل اليمنية عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م^(٢)، وقد كانت علاقاته ببريطانيا سيئة للغاية عل اعتبار أنها تحتل مناطق من أراضيه، الأمر الذي يتعارض مع رغبته في بناء دولة مركزية يمنية قوية تحت حكم الأئمة الزيديين.

أمّا الجنوب اليمني فكان يحكم من الأسر المحلية، ثم بدأ يخضع للاحتلال البريطاني شيئاً فشيئاً منذ عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩ عندما احتلت بريطانيا عدن وأخذت تتوسع في الداخل لتأمين الميناء من أي خطر يتهدده^(٣). أمّا في الحجاز، فكان الحكم فيه بيد الأشراف.

أمّا في عسير^(٤)، فقد كانت السيطرة فيها للأدراسة^(٥)، في حين كانت نجد محكومة من الأسرة السعودية، التي استطاعت بناء نفسها من جديد بعد أن تمّ تدميرها مرتين سابقاً على يد قوات محمد علي والي مصر وآل

(١)- هو المتوكل يحيى بن محمد بن حميد الدين أول الأئمة الزيديين الذين حكموا اليمن بعد جلاء القوات العثمانية عنه حكم بين عامي ١٩٠٤-١٩٤٨م. أنظر: أباطة ، فاروق، الحكم العثماني لليمن، د.ن ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص٤٩٣-٤٩٧

(٢)- مجموعة من المؤلفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر ، ترجمة محمد علي البحر ، مراجعة أبو بكر السقاف محمد أحمد علي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠ م ، ص٩

(٣)- الحبشي ، اليمن الجنوبي ، مصدر سابق ، ص١٣-١٦

(٤)- تقع عسير شمال لواء صنعاء ، وتشتمل على لواء عسير ونجران وجيزان وتشمل سهلاً ساحلياً محاذياً للبحر الأحمر، وينحدر منها عدد من الوديان منها ببشه وشهرات والعقيق وسكانها نحو مليون ونصف المليون غالبيتهم على المذهب الشافعي ويشغلون بالزراعة. كانت عسير متصرفية عثمانية تابعة لولاية اليمن، ادعى الأشراف ملكيتهم لبعض المناطق المتاخمة للحجاز، وكالك ادعى حكام نجد بحقهم ببعض المناطق المتاخمة لنجد في الشرق، وقد استطاع محمد علي الإدريسي من إقامة إدارة للأدراسة فيها بين عامي ١٩١٠-١٩٣٠م إلى أن خضعت للحماية من قبل ابن سعود ١٩٢٦م الذي ضمها إلى ممتلكاته نهائياً ١٩٣٠م. أنظر: مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص٧-٨

(٥)- ينتمي الأدراسة إلى أحمد بن إدريس المغربي المولود في القيروان والي محمد بن علي بن محمد أحمد الإدريسي(١٨٧٦-١٩٢٣م) ولد في صبيا وتعلم في الأزهر، وهو مؤسس أسرة الأدراسة في صبيا وعسير تحالف مع البريطانيين في الحرب العالمية الأولى واستولى على الحديدة

الرشيد^(١)، وقد تمكن آل سعود من إعادة بنائها للمرة الثالثة، دولة قويّة قادرة سعت للتوسّع في المنطقة المحيطة بنجد مستغلّة الظروف المحليّة الإقليميّة والعالميّة و تطوّرات الأحداث وفقاً لمصالحهم ولاسيما حالة التفكك السياسي الذي كانت تعيشها المنطقة.

أما الخليج العربيّ فكان ينقسم إلى عدد من الإمارات، تسمّى إمارات السّاحل المهادن وهي اليوم قسمان، الأولى: دولة الإمارات العربيّة المتّحدة التي كانت سابقاً مقسّمة إلى سبع إمارات (أبو ظبي، دبي، أم العجمان، الفجيرة رأس الخيمة، الشارقة، أم القيوين)، والثّانية: سلطنة عمان التي كانت مقسّمة منذ عان ١٩١٣ حتّى حتى عام ١٩٥٦ إلى جزأين مسقط وعمان. كانت تحكم هذه الإمارات البعيدة طوال قرون سابقة عن السّيطرة الفعلية للدولة العثمانيّة عدد من الأسر المحليّة اسمياً، أمّا فعلياً فكان الحكم للنّفوذ البريطاني الذي فرض على أمراء الخليج اتفاقيات ومعاهدات حماية اعترفت بموجبها بحقّ بريطانيا بالتدخّل هناك متى شاءت^(٢).

أما الكويت، فكان يحكمها آل الصّباح ووقعت هي الأخرى معاهدة حماية، والبحرين يحكمها آل خليفة^(٣) وقطر يحكمها آل ثاني، والإمارتان السابقتان خضعتا هما أيضاً للنّفوذ البريطاني. وهكذا نرى أن شبه الجزيرة العربيّة لم تكن تشكل قوة واحدة قادرة على مجابهة التحديات الخارجيّة. لذلك، وجدت بريطانيا في السّيطرة على إماراتها ومشيخاتها سهولة كبيرة ساعدتها على التحكم في شؤون المنطقة، وتسيير أمورها وفقاً لمصالحها.

، اهتزت مكانة الأسرة بعد وفاته وسلم من تبقى منهم إلى ابن سعود من قبل الإمام يحيى بموجب الصلح الموقع بينهم. وقد وصل الادارسة إلى الحكم مستغلين حالة التفكك السياسي والاجتماعي الذي تعيشه اليمن، وانهماك الأتراك في حربهم ضدّ البريطانيين والإيطاليين في أثناء الحرب وانشغالهم عن شؤونها، فاستطاعوا أن يسيطروا على الحكم هناك من خلال تعاونهم مع بريطانيا وإيطاليا ضدّ الأتراك والإمام يحيى حميد الدين في صنعاء أيضاً. أنظر: غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربيّة الميسرة، ج ١، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١، ص ٩٩

(١) - من خلال الحملتين الموجهتين إلى الجزيرة العربيّة الأولى بقيادة ابنه طوسون ١٢٢٦هـ-١٨١١م فتمكن من السيطرة على ينبع، إلا أن جيشه سرعان ما تعرض لهزيمة في وادي الصفراء، فطلب المدد والمعونة وتمكن بعد حصار المدينة المنورة من دخولها دون قتال بعد انسحاب القوات السعودية إلى الطائف، ثم سيطر على جدة ومكة، استطاع الأمير سعود من أسر طوسون، مما دفع محمد علي للقدوم بنفسه عام ١٢٢٨هـ-١٨١٣م لكنه فضل الصلح بعد معارك غير مجددة، إلا أن الطرفين لم يتفقا، والثّانية بقيادة ابراهيم ١٢٣١هـ-١٨١٦م وفي المرّة الثّانية على يد آل الرشيد عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م بعد الحرب الأهلية بين آل سعود، واستغلال جيرانهم آل الرشيد حكام حائل المواليين للدولة العثمانية الفرصة لإنهاء الدولة السعودية الثّانية وضمها إلى ممتلكاتهم. أنظر: ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٣٢٢-٣٣٣، ٣٨٤-٤١٦؛ أيضاً: Aitcheson, Treaties and Engagement Relating TO Arabia, P183؛

أيضاً: درويش، تاريخ الدولة السعودية، مرجع سابق، ص ٥٣-٥٤، ٦٦-٦٧

(٢) - عبد الله، إمارات السّاحل، مرجع سابق، ص ١٧-١٨-١٥٨-١٦١

(٣) - سكن آل خليفة البحرين منذ العام ١٢١٢هـ/١٧٧٦ بعد أن هربوا من مقر إقامتهم في مسقط بسبب هجمات الدرعية عليها، وعندما نجح السيد سلطان بن أحمد من السيطرة على البحرين غادروها إلى مركزهم القديم في برارة في مسقط، إلا أنهم استردوا البحرين بمساعدة ابراهيم بن عصفان القائد السعودي الذي كلفه الأمير عبد العزيز آل سعود بمساعدة آل خليفة على حاكم مسقط، وبعدها دخلوا في نزاع مع آل سعود الراغبين في ضم البحرين إلى ممتلكاتهم، إلا أنهم فشلوا بسبب مقاومة آل خليفة العنيدة. أنظر: درويش، مرجع سابق، ص ٣٩-٤١

٢- النزاع السعودي اليمني - الإداريسي بين عامي ١٧٦٢-١٩١٣:

يعد النزاع الذي شهدته الساحة اليمنية بين الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن الشمالي، وبين الأدارسة والسعودية من أكثر المنازعات الحدودية قسوة، حيث تركت جروحاً عميقة بين الشعبين اليمني والسعودي لأنها شهدت سلسلة من المعارك العسكرية قتل خلالها أبناء المنطقة بعضهم بيد بعضهم الآخر، وقد أسهمت التطورات السياسية بين القوتين الحاكميتين في البلدين خلال الأطوار الثلاث لتكون السعودية في نشوء هذا النزاع وتطوره الأمر الذي سنشرحه في القادم من صفحات هذا البحث.

أ- البعد التاريخي للنزاع الحدودي السعودي - اليمني:

إنّ خضوع اليمن للحكم العثماني (٩٤٥-١٠٣٣هـ/١٥٣٨-١٦٣٣)، لم يمنع من قيام دولة مركزية في اليمن أسسها الأئمة القاسمية اليمنية، ضمت منطقة امتدت من عسير شمالاً إلى عدن جنوباً وأصبحت دولة قوية يحسب لها حساباً، وبانهيار هذه الدولة بعد مئة عام تفككت إلى عدة أجزاء انسلخت عنها الواحدة تلو الأخرى خلال الربع الثاني من القرن الثامن عشر، وكانت عمان أول هذه الدول ثم حضرموت وبعدها لحج وعدن ثم كانت الضربة القوية بانفصال الجنوب، الأمر الذي شجع الدولة السعودية الأولى الناشئة (١١٥٨-١٢٣٤هـ/١٧٤٥-١٨١٨) على النظر إلى تلك المنطقة نظرة الراغب بضمها، شجعها على ذلك حالة الضعف والتفكك السياسي الذي كانت تعيشه دولة الأئمة الزيديين في اليمن^(١)، والنمو الكبير للدولة السعودية وشعورها بالقوة التي تسمح لها بضم بعض المناطق المجاورة لها، وتعاطف بعض علماء اليمن مع الدعوة الوهابية وخصوبة أرض اليمن، وزاد على ذلك أن الدولة السعودية لم تنس بعد هجوم قبائل نجران على الدرعية والهزيمة التي ألحقها بهم حسين بن هبة المكرمي في عهد محمد بن سعود ١١٧٨هـ/١٧٦٥، فهاجمت قواتهم حدود اليمن بقيادة القائد حزام بن عامر العجمان، الذي أنته الأوامر من الدرعية بعد انتشار الدعوة الوهابية بالتحرك إلى الجنوب على رأس سرية سعودية، وهي أول قوة سعودية تدخل حدود اليمن، مما أخاف أمير صبيا وهي إحدى جهات المخلاف السليمانى الثلاث^(٢).

ونظراً إلى أن أهل المخلاف السابق الذكر لم يكن باستطاعتهم الوقوف في وجه القوات السعودية المتعازمة القوة تدريجياً، اتخذ القرار بإرسال وفد من قبلهم لمفاوضات مع السعوديين، انتهت بأن أصبحوا تحت طاعة ابن سعود، وقبلوا الدعوة لكنهم ما لبثوا أن عادوا عنها، فحاربهم ابن سعود فعادوا إليها باستثناء شيخ منطقة أبو

(١)- ظهرت الإمامة في اليمن حوالي القرن الثالث هجري أي حوالي ٨٧١/٢٨٥هـ وكان أول إمام هو يحيى بن الحسين، ثم توالى حكم الأئمة في اليمن حتى إلغائها عام ١٩٦٢م عندما قامت الثورة اليمنية، وأعلنت قيام النظام الجمهوري أي أنها استمرت حوالي ١١ عشر قرناً. أنظر: أوبالاناس ، إدغار، اليمن الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م، ترجمة عبد الخالق و محمد لا شيد، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط٢، ١٩٩٠م

، ص ٥-٦

(٢)- والأقسام الثلاثة هي أبو عريش- صمد- صبيا والمخلاف هنا يعني الإقليم أو المنطقة وهي تنسب إلى سليمان بن طرف الحكمي الذي وحد المخلاف، وكان يحكمه في القرن الرابع الهجري. أنظر: الهاجري، يوسف، السعودية تبطل اليمن ، الصفا للنشر والتوزيع ، لندن، ١٩٨٨م، ص ٢٦؛ أيضاً: الشهاري ، محمد علي ، المطامع التوسعية السعودية في اليمن ، دار ابن خلدون للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٩م، ص ١٠

عريش. فأمر ابن سعود القبائل القريبة منه بمهاجمته^(١)، وطلب من إمام صنعاء القيام بمهاجمة أبو مسمار والضغط عليه، فما كان من الأول إلا تقديم الطاعة لابن سعود.

إلا أن أمير أبو عريش الشريف حمود رفض طلبات ابن سعود بمهاجمة إمام صنعاء وأهلها وتوجه بأنظاره إلى الإمام المتوكل، حيث عقد معه اتفاقاً عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠ نصّ على اعتراف الإمام بسيطرة الشريف حمود على المناطق التي يسيطر عليها، فوجّه ابن سعود قوّات لمهاجمته فهزمته في قلعته في أبو عريش، بعد ذلك تابع السّعوديون توسعهم، فحاصروا لحية ودخلوها ثمّ الحديدية^(٢)، وتمكّنوا من الوصول إلى نجران عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥، لكنهم لم يستطيعوا الاستقرار فيها^(٣).

لكن في هذه المرحلة كانت التّطورات السّياسيّة تشير إلى أن أيام الدّولة السّعوديّة النّاشئة قد دنت وأصبحت نهايتها أكيدة، فقد كلف السّلطان العثماني محمد علي والي مصر بتوجيه قوّاته إلى شبه الجزيرة العربيّة للقضاء عليها. وهذا ما حصل بالفعل حيث سقطت الدّولة السّعوديّة الأولى عام ١٢٣٤هـ/١٨١٨ على يد قوّات ابراهيم باشا ابن محمد علي، ونقل آخر أئمتها إلى مصر ومنها إلى الأستانة لينفذ عليه حكم الإعدام^(٤).

بعد سقوط الدّولة السّعوديّة الأولى أصبح محمد علي حاكمها الفعلي حتّى عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠ تاريخ خروج قوّات محمد علي من الجزيرة العربيّة، فأصبحت المنطقة تابعة للحكم العثماني^(٥)، عندما هزمت القوّات العثمانية أمام قوى الحلفاء والثّورة العربيّة الكبرى، باستثناء المحميات البريطانيّة في اليمن الجنوبي بعد اعتراف سلطان لحج بالسيطرة البريطانيّة على عدن اثر هزيمة قوّات سلطنة العبدلي، التي كانت قائمة على شواطئ عدن و كانت على علاقة طيبة مع الإمام يحيى حميد الدّين، الأمر الذي شرع الوجود البريطاني في تلك المناطق وأطلق عليها فيما بعد اسم المحميات^(٦).

حيث نصبت بريطانيا نفسها سيدة لهذه المنطقة، وأخذت تلعب دور الحَكَم بين القبائل لحلّ التّزاعات فيما بينها ظاهرياً، في حين كانت هي من يشعلها في الخفاء بين الحين والآخر.

(١) - أمير أبو عريش هو حمود أبو مسمار، حيث قام ابن سعود بإغراء قبائل عسير على مهاجمته فقاموا بأعمال السلب والنهب وهو رد عليهم ، وكذلك طلب من إمام صنعاء محاربته، مما دفع أبو مسمار إلى الطاعة لابن سعود. أنظر: الهاجري ، المرجع السابق ، ص ٢٦

(٢) - مدينة وميناء على الساحل الجنوبي للبحر الأحمر وتبعد عن صنعاء ٣٥٠ ميل، وقد ظهرت المدينة في القرن الثامن الهجري الربع عشر ميلادي كممنطقة صيد، وأصبحت منذ العام ١٣٦٤هـ/١٨٤٨م قاعدة للدولة العثمانية ومركزاً لتحركهم باتجاه صنعاء، نافست ميناء عدن، وأصبحت مع مرور الأيام مدينة تجارية مزدهرة. للمزيد راجع: المقحفي، معجم القبائل اليمنية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٣٦

(٣) - الشهازي، مرجع سابق ، ص ٢٦

(٤) - أبو عليّة ، حسن عبد الفتاح، تاريخ الدولة السعودية الثانية، دار المريخ للنشر، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ/١٩٩١ ، ص ٣٧

(٥) - للمزيد من المعلومات حول التّطورات التي شهدتها الإحساء والبحرين وقطر بعد خروج القوات المصرية من الجزيرة العربية . للمزيد راجع : شهاب ، حسن صالح ، الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية ، ندوة رأس الخيمة التاريخية ١٤٠٩/١٩٨٨م، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة الإمارات العربية ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ ، ص ٦١

(٦) - الحبشي ، اليمن الجنوبي ، مصدر سابق ، ص ٣١

ب- ظهور الأدراسة في عسير وبداية الانشقاق عن اليمن:

بدأ تاريخ الأسرة الإدريسية مع وصول محمد بن أحمد بن علي الإدريسي إلى عسير^(١)، حيث استطاع استغلال الأوضاع السياسية، وحالة التضعف الذي كانت تعيشه الدولة العثمانية، وحالة الفساد والإرهاق الذي كان يعيشه المجتمع العسيري نتيجة إهمال الإمام يحيى حميد الدين للمنطقة، فأخذ يدعو إلى الإصلاح الديني آملاً من خلاله تحقيق أهدافه السياسية، ولما أرادت الدولة العثمانية ضرب نفوذه أرسلت فرقة من الجيش بزعماء سعيد باشا، واستطاع الإدريسي أن يقنع الوفد أنه وجد المنطقة في حالة فساد وأنه قام بإصلاح الأمور فيها، وأن لا نية له في منافسة الدولة العثمانية، فحافظ على مكانته، وحصل من القائد العثماني على تفويض للقيام ببعض المهام الضرورية للإصلاح الديني، مما زاد في قوته وسطوته التي أخذت تتصاعد بعد التغاف أعداد غفيرة من الناس حوله، وعندما حانت الفرصة أمامه أعلن العصيان على الدولة العثمانية، واستطاع تأليب الناس عليهم، حيث أصدر منشوراً في ٤ ذي الحجة ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٩ قال فيه: (تعلمون ما كنتم فيه من دون سائر المسلمين... ما من ظلم الأتراك لكم في النفس والأموال جعلوا عليكم سبة أقلام ما أنزل الله بها كل سلطان مع أنهم لم يؤمنوا خوفاً أو الصلح بينكم... فما سعى الحقير (وهنا يقصد نفسه) إلا من أجل منافعكم أيها المسلمين... وهم الآن لو آمنوا لم يظلموا أحداً غيركم ولم يمتهنوا أحداً سواكم. لأن كل المسلمين قد طردهم من بلادهم. وأنتم هذا وقت الفرصة فاغتنموها فالله الله جاهدوا بأموالكم وأنفسكم...)^(٢).

فأرسل قوات بقيادة عمه السيد مصطفى الإدريسي إلى عسير السراة (أبها)، وفرض على المدينة حصاراً لإجبار المتصرف العثماني سليمان شفيق كمال باشا على الاستسلام، واستمر الحصار إلى أن فكّه الشريف حسين بن علي الذي سارت قواته إلى المدينة، مما أجبر الإدريسي على الهرب إلى جبل فيفا فترة وجيزة، عاد بعدها إلى تهامة مستغلاً اندلاع الحرب بين العثمانيين والإيطاليين، حيث حصل على الدعم من إيطاليا، وسيطر على صبيا وجيزان وأبو عريش، لكن علاقته بالإيطاليين اقتضت على بعض الذخائر التي أهدته إياها، فانتقل إلى جانب البريطانيين الأكثر قوة في المنطقة، ووقع معهم معاهدة صداقة عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥ جددتها عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧، اعترفت بريطانيا بموجبها بسيادته على تهامة حتى اللحية في الجنوب والقفزة في الشمال، وتعهّدت بحمايته من أي تعدّ، وأقامت معه علاقات تجارية وسياسية بشرط ألا يتصل بأي حكومة أجنبية دون علم بريطانيا، فازدادت قوة الإدريسي، وعمل على احتلال الحديدة، وأقام علاقات حسنة مع ابن سعود، واتفقا على التعاون لتحقيق مصلحة الطرفين، الأمر الذي استجلب له عداء العدوين الكبيرين لابن سعود الشريف حسين

(١) - يعد اسم عسير مصطلحاً جغرافياً حديثاً، ويقال أنه ينسب إلى أحد سكان المدينة الجبلية الوعرة واسمه عسير بن عامر، وهناك رأي يقول أنه اسم جاء من كلمة العسر وذلك نظراً لصعوبة الطرق في البلاد بسبب وعورتها، كانت عسير في العهد العثماني متصرفية عثمانية، إلا أن الحكم العثماني لم يستقر فيها طويلاً، بسبب كثرة الثورات فيها وتقسّم عسير إلى قسمين عسير تهامة وعسير السراة، حكمها بعد الأتراك آل عائض ومن بعدهم الأدراسة، ثم ضمها ابن سعود إلى دولته. للمزيد من المعلومات راجع: العقيلي، أحمد محمد، أضواء على تاريخ الجزيرة العربي الحديث، دار العلم، السعودية - جدة، ١٩٩٢م، ص ١٤٤؛ أيضاً: سلطان، عبد الرحمن، حروب بلا نهاية "الصراع اليمني - السعودي"، مؤسسة الرافد، لندن، ١٩٩٦م، ص ١٠-١٢.

(٢) - لقراءة المنشور راجع وثيقة ٤٥ في كتاب محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ٣، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثانية، ص ٧٨٧.

والإمام يحيى، وكان الأخير يسعى وراء توحيد اليمن منطلقاً من الحق التاريخي، حيث وجدا بهذا الاتفاق السعودي - الإدريسي المدعوم من بريطانيا خطراً على وجودهما وعلى نفوذهما في شبه الجزيرة العربية^(١). استغل الإدريسي التطورات السياسية في المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى وأثنائها، فأخذ يعمل لزيادة نفوذه وتوسيع المناطق التابعة له، فالعثمانيون والإمام منشغلون في صدّ الهجمات التي تأتيهم من الإيطاليين والبريطانيين، والبوارج الإيطالية تقصف السواحل اليمنية، فاستغل الفرصة وأخذ يؤلّب الناس على الإمام، ويوزع السلاح على أطراف القبائل (زارح و جماعة) ويستدعي زعماء القبائل ويغريهم بالمال والمناصب، مستغلاً الدعم البريطاني له، واضطراب قبائل سحار وحجور وبني مروان، فحاول تأليبهم على الإمام تارةً، ومحاصرتهم من كلّ الأطراف تارةً أخرى بتوزيع السلاح على القبائل المحاذية لهم والمالية له، ممّا استرعى انتباه الإمام، فأرسل إلى سيف الإسلام محمد بن الهادي قائد الجيوش اليمنية المدعومة من القوات العثمانية المرابطة في اليمن التي عرضت المساعدة على الإمام.

وزاد في إصرار الإمام على مقاتلة الإدريسي خطر التّدخل الإيطالي لديه لمنع التّصدي والتّعرض للإدريسي، مما دفع الإمام إلى توجيه قواته إلى مناطق نفوذ الإدريسي وتجهيز حملة معدّة بشكل جيد، اتخذت من منطقة ساقين مركزاً لتجميع القوات موجّهة النّداء إلى رجال القبائل للتّلاقى فيها، عندما وجد الإدريسي أنّ الإمام أخذ قراراً بقتاله بدأ يؤلّب القبائل ويمدّها بالمال والسّلاح لإعلان الثّورة على الإمام، وسعى إلى تشتيت قوّات الإمام وزيادة الضّغط عليها بفتح جبهة في حجور معتمداً بعض القبائل كبني سعد وبني أحمد من بني هوبني مروان والمستبي والخميسين، التي هاجمت عامل الإمام المتمركز في حصن الموشح عام ١٣٣٠هـ/١٩١١، لكنّ النّجّادات التي أرسلها الإمام إلى الحصن المحاصر أفشلت خطّته المقررة بالسيطرة على الحصن، واستمرّت الصّدّامات بين قوّات الإمام والقبائل الموالية للإدريسي حتّى عام ١٣٣١هـ/١٩١٢، فالتّكاليف الباهظة لهذه الحرب المتّقلة من قبيلة إلى أخرى الدّعم الذي كان يقدمه الإدريسي للقبائل الموالية من خلال الدّعم الذي كان يأتيه من إيطاليا إضافة إلى تملل الجنود العثمانيين الذين انضموا إلى جيش الإمام أثرت على قدرة الإمام، فكان اقتراح الوالي العثماني بضرورة الذهاب لمقابلة الإدريسي ومعرفة وجهة نظره وأهدافه من هذه الثّورة، وبالفعل تشكّل وفد من الوالي العثماني محمود نديم والسّيد قاسم بن حسين العربي وأحمد بن كي عامر، وتمّ اللقاء مع الإدريسي في معقل الإمارة الإدريسيّة في جيزان، إلا أنّ المفاوضات فشلت لأنّ أصدقاء الإدريسي (الإيطاليين) قد عملوا على بقاء الفتنة بين اليمنيين، والثّورة على العثمانيين أكثر الأمور المريحة للإيطاليين، ممّا أدى إلى استمرار القتال بين الإمام والإدريسي والقبائل الموالية له ومن خلفه بريطانيا وإيطاليا^(٢). بعد فترة من الزّمن وجد الإدريسي أنّ الدّعم الإيطالي له لم يعد كافياً، فتوجّه بأنظاره إلى بريطانيا التي كانت تنظر إلى خصمه الجنوبي (الإمام) بعين الرّيبة،

(١) - العرب ، عبد الله بن محسن ، تاريخ اليمن الحديث منذ فترة خروج العثمانيين الأخير ، تحقيق محمد عبد الله الحبشي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٧م ، ص ٨٣-٨٥ ؛ أيضاً : كشك ، محمد جمال ، السعوديون والحل الإسلامي ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤م ، ص ٤٠١

(٢) - للمزيد من المعلومات حول المعارك بين الإمام وقوات الإدريسي بين فترتي ١٣٢٩-١٣٣٦هـ . راجع: العرب ، تاريخ اليمن الحديث ، مرجع سابق ، ص ٨٩-١٠٤

فوقَّع معها معاهدة صداقة وتعاون عام ١٢٣٤هـ/١٩١٥، وقد حقَّقت هذه المعاهدة للإدريسي طموحه بالسيطرة على عسير، حيث اعترفت بريطانيا بالإدريسي حاكماً على عسير الممتدة من القنفذة شمالاً حتى المخا جنوباً، ونجد في الشرق والبحر الأحمر في الغرب^(٢).

نفذت بريطانيا هذا الاتفاق مع الإدريسي، وعملت على مده بالمال والسلاح، وقام الأسطول المرابط في البحر الأحمر بتقديم الدَّعم العسكري للإدريسي في أثناء هجماته على الجزء الشمالي من تهامة اليمن، لزيادة الضغط على العثمانيين، وتمكَّن الإدريسي بفضل هذا الدَّعم الكبير من السيطرة على المنطقة الشماليَّة من تهامة اليمن حتى الحديدة، وفي الوقت نفسه كانت هجمات الإدريسي على العثمانيين ذات فائدة كبيرة للبريطانيين^(٣)، فقد حقَّقت الضَّغط الَّذي كانت تقوم به القوَّات العثمانيَّة عليهم في لحج، وبهذا الشَّكل التَّقت مصالح الطامعين للسلطة والنَّفوذ، فعمل كلا الطَّرفين على التَّوسع في محيط المنطقة التي يسيطر عليها، فالبريطانيون اتَّخذوا من عدم استسلام القوَّات العثمانيَّة المرابطة في محميَّة عدن، وقيامها بالانضمام إلى قوَّات الإمام يحيى ذريعة لاحتلال مناطق واسعة تقع شمال الخطِّ الفاصل في تهامة اليمن وفقاً للاتفاقيَّة البريطانيَّة - العثمانية عام ١٢٣٣هـ/١٩٠٥، وبذلك وقعت منطقة الحديدة تحت الرِّقابة الفعليَّة لبريطانيا، وباحتلال المدينة انقطعت الرِّوابط بين المناطق الداخليَّة الجبلية والمناطق الساحليَّة التَّهامية، ممَّا شكَّل ضربة موجعة للتَّجارة اليمنيَّة الخارجيّة، وزيادة في تعميق التَّحالف وتفعيله بين الإدريسي والبريطانيين سلَّمت بريطانيا مدينة الحديدة للإدريسي عام ١٢٤٠هـ/كانون الثاني ١٩٢١^(٤)، الأمر الَّذي سيكون منطلقاً لتحركات عسكريَّة وحربيَّة كثيرة بين الإمام والبريطانيين من جهة، وبين الإمام والإدريسي وابن سعود الدَّاعم للإدريسي من جهة أخرى.

(٢)- الخترش، فتوح عبد المحسن، تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، ذات السلال، الكويت، ١٩٨٣، ص ٤٣

(٣)- ولكنسون، حدود الجزيرة العربية، ص ٢٠١-٢٠٣

(٤)- مجموعة من المؤلفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، ص ١١-١٢؛ أيضاً: مهنا، محمد نصر، تحديث الخليج العربي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٠٣-١٠٥

٣- النزاع بين السعوديين والأشراف بين عامي ١٧٦٢-١٩١٣:

كانت شبه الجزيرة العربية شاهداً على نزاع طويل بين أسرتين عريقتين في النظام السياسي لتلك المنطقة، حيث أدى التنافس بينهما على زعامة شبه الجزيرة العربية إلى صراع استخدمت فيه كل الوسائل السياسية والعسكرية والاقتصادية رغبة من كل طرف لتحجيم الآخر.

أ- البعد التاريخي لصراع النفوذ بين آل سعود والهاشميين:

لم يكن الخلاف بين السعوديين والأشراف^(١) وليد اللحظة التي نشأت فيها إمارة شرقي الأردن، بل هو خلاف له تاريخ طويل بدأ منذ ظهور قوة آل سعود على مسرح الأحداث السياسية في شبه الجزيرة العربية، ودعمهم للدعوة الوهابية، واعتناق الكثير من الأعراب لها، وقد حاول الأشراف الحد من نفوذها بمنعهم من دخول مكة للقيام بشعائر الحج^(٢).

وظل التوتر يحكم العلاقة بين الأشراف وآل سعود حتى سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧ تاريخ وصول الشريف غالب بن مساعد إلى الإمارة ووقوفه في وجه السعوديين بقوة منذ البداية، فكان يتصل بالباب العالي بشكل مستمر ليحرضهم على السعوديين ويحذرهم من الدعوة (الوهابية)^(٣)، واستمر الوضع على هذه الحال إلى أن قرر الشريف غالب إنهاء الحكم السعودي، فكان لابد من الصدام المباشر بين الطرفين، إلا أن آل سعود استطاعوا إنهاء هذا الصراع لمصلحتهم^(٤)، إلا أن الظروف تغيرت عكس الهوى السعودي في عهد سعود الكبير ابن محمد بن سعود، حيث أدت سياسة آل سعود في تحجيم دور الدولة العثمانية في شبه الجزيرة العربية بطرد ممثليها من نجد والحجاز، وعدم الاعتراف بأي سلطة دينية أو سياسية لسلطان فيها، إلى خوف الدولة العثمانية من ازدياد نفوذ السعوديين، فأوعزت إلى واليها في مصر محمد علي للقضاء على الدولة السعودية الأولى، فوجه الأخير إليها حملتين الأولى ١٢٢٦هـ/ ١٨١١ بقيادة ابنه طوسون والثانية ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦ بقيادة إبراهيم الذي قضى على الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١٨^(٥).

(١)- خضع الحجاز لسلطة الأشراف منذ القرن الرابع الهجري، فقد تولى أبو محمد جعفر الموسوي مؤسس الأسرة الشريفية حكم إمارة مكة، وكان الشريف يختار من كبار الأشراف في الحجاز ويطلب من والي مصر أو السلطان العثماني تثيينه فيما بعد، وكانت من أهم أعمال الشريف تأمين قافلة الحج. وقد وضع أبو ندى جد الأسرة الهاشمية قانون للتعامل مع الأشراف، وهو كدستور ينظم العلاقة بين الأشراف والحجازيين، تألف من ستة و ثلاثين بنداً أهمها حصر منصب الشرافة بالهاشميين. للمزيد من المعلومات راجع: درويش ، تاريخ الدولة السعودية، مرجع سابق، ص ٤٥؛ أيضاً: نصيف، حسين بن محمد، ماضي الحجاز وحاضره، الجزء الأول، مكتبة ومطبعة خضير، الطبعة الأولى، مصر، ١٢٤٩ هـ، ص ١٧-١٨

(٢)- أبو علي ، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ، مرجع سابق ، ص ٥٥

(٣) - عبد الله ، إمارات الساحل ، مرجع سابق ، ص ١٢٥

(٤)- بعد أن حققوا انتصاراً كبيراً مكّنهم من ضمّ الحجاز إليهم سنة ١٢٠٨ هـ/ ١٧٩٣م، وبعد فشل الصلح مع الشريف أرسل آل سعود قوة لدخول مكة سنة ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣م، ففرّ الشريف إلى جدة وتحصّن فيها، ولم يستطع ابن سعود دخولها لمتانة أسوارها، وعاد إلى الدرعية تاركاً عماله في مكة لإدارة شؤونها، فاستغلّ الشريف غالب ذلك واستعاد مكة، فعاد ابن سعود وحاصرها مرة ثانية وسيطر عليها، فاضطرّ الشريف غالب لطلب الصلح والعمل تحت يد ابن سعود. أنظر: درويش ، تاريخ الدولة السعودية ، مرجع سابق ، ص ٥٢-٥٤

(٥)- المرجع السابق، ص ٥٢-٥٤

لينته الفصل الأول من فصول العداء بين الأشراف وآل سعود، حيث استعاد الأشراف حكمهم في الحجاز، وانتهت دولة آل سعود الأولى. وبعد استعادة السعوديين الحكم في نجد وإعادة بناء الدولة السعودية الثانية، أخذت العلاقة بين السعوديين والأشراف شكلاً آخرًا، فقد أصبح لزاماً على السعوديين دفع مبلغ من المال بعد الاعتراف السعودي بسيادة الدولة العثمانية اسماً على نجد، وذلك من خلال أشراف مكة^(١).

فالأشراف كانوا يتدخلون في شؤون نجد على اعتبارهم المسؤولين عن إدارة المناطق الداخلية في شبه الجزيرة العربية. وذلك، بحكم أنهم يعدون ممثلين للدولة العثمانية في المنطقة^(٢). ومع ازدياد قوة آل سعود في نجد ازدادت حدة الخلافات السياسية بين الطرفين، فأخذ كل طرف يقدم الدعم لأعداء الطرف الآخر طمعاً بزيادة نفوذه^(٣)، وأدى هذا الدعم إلى عداء مضمّر بين الجانبين وانتظر آل سعود الظروف المناسبة ليأخذوا بثأرهم من الأشراف، وهم لن ينسوا تدخل الأشراف بشؤون المناطق التابعة لهم، لكن الوقت لم يمهل الأمير فيصل للانتقام، فبالخلافات الداخلية التي حصلت في الأسرة الحاكمة في نجد، دفعت آل رشيد لاستغلال ذلك لمهاجمة نجد، والقضاء على حكم السعوديين فيها إلى حين آخر من الزمن.

ب- الشريف حسين وعبد العزيز ابن سعود:

بعد أن تمكن عبد العزيز بن سعود من استعادة الرياض وإعادة بناء الدولة السعودية الثالثة، عادت العلاقة المتوترة بين الأشراف والسعوديين إلى الماضي المليء بالعداء والترقب، فقد كان التوسع السريع الذي شهدته أملاك آل سعود يشكّل خوفاً من قبل الأشراف، الذين كانوا يعيشون حالة من التردد محلياً في حكم شبه الجزيرة العربية في العقد الثاني من القرن العشرين، فالثورة العربية الكبرى والتفاهم الكبير بين الشريف حسين^(٤) والبريطانيين، دفعاً

(١) - فموجب نظام الالتزام العثماني يتوجب على السعوديين دفع مبلغ من المال للسلطان العثماني تعبيراً عن الولاء له، وهذه الوسيلة كانت تؤثر العلاقة بين السعوديين وأشراف مكة، فالالتزام كان يعني أن يضطرّ الشريف للحصول على المال بالقوة إذا ما تأخر ابن سعود بالدفع، وبالتالي إلى التصادم والاقتتال في نهاية المطاف. وتشير الوثائق الأجنبية أن شريف مكة محمد بن عوف استقطع من الحكومة العثمانية ولاية نجد بمبلغ ٦٠ ألف تومان في السنة، والشريف بدوره يأخذ المال باسم الدولة العلية، وفي كثير من الأحيان كانت العلاقة تسوء بين الأشراف وآل سعود بسبب تأخر السعوديين بدفع الخراج لأسباب مختلفة، مما كان يزيد المشكلات بين الجانبين، التي وصلت في بعض الأحيان إلى التصادم العسكري. انظر: أبو عليّة، تاريخ الدولة السعودية الثانية، مرجع سابق، ص ١٨٧-١٨٨

(٢) - حمزة، قلب جزيرة العرب، مصدر سابق، ص ٣١٢

(٣) - ففي عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م قام الأشراف بتقديم الدعم لإقليم القصيم الثائر ضدّ الدولة السعودية طلباً للاستقلال الداخلي عن إقليم نجد، حيث شجّع الأشراف الإقليم على الثورة بشرط أن يتبع اسماً بعد الاستقلال المفترض للحجاز، وعلى الرغم من انتصار الأشراف على السعوديين بعد معركة بين الطرفين ودخول الأشراف القصيم، إلا أنه تمّ حلّ الخلاف بين فيصل والشريف عن طريق الاتفاق بأن يدفع ابن سعود ٢٠ ألف ريال للسلطان العثماني عبر الشريف في مكة بعد مفاوضات قادها عن الجانب السعودي عبد الله أبو تركي وعن الشريف عبد الله بن لؤي. انظر: ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١٢٢؛ أيضاً: أبو عليّة، مرجع سابق، ص ١٨٨

(٤) - الشريف حسين هو: الحسين بن محمد بن علي بن عبد المعين بن عون بن محسن يتصل نسبه بالإمام علي بن أبي طالب. ولد في استانبول منفى والده عام ١٢٧٠/١٨٥٤م، وبقي في هذا المنصب حتى الانقلاب العثماني ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م وإعلان الدستور. عين عضواً في مجلس شورى الدولة ١٣١١هـ/١٨٩٣ في استانبول، عين شريفاً على مكة ١٣٢٦/١٩٠٨م بعد وفاة عمه عبد الإله الشريف السابق، في العام ١٣٣٤/١٩١٦ أعلن الثورة العربية الكبرى للاستقلال عن الدولة العثمانية. وفي العام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م نودي به ملكاً على الحجاز بشكل رسمي. للمزيد من المعلومات راجع: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، أيار ٢٠٠٢م، مجلد ٢، ص ٢٤٩

الشَّريف إلى اختصار كلِّ البلاد العربيَّة الآسيوية بشخصه بحكم أنَّه قائد الثَّورة العربيَّة الكبرى ١٣٣٥هـ/١٩١٦، وبحكم العهود التي قطعها البريطانيون له بأن يصبح ملك العرب جميعاً في ظلِّ دولة عربيَّة كبرى بعد طرد العثمانيين من المنطقة العربيَّة، غير أنَّ التَّحرَّكات السَّعوديَّة ولاسيَّما بعد اعتراف الدَّولة العثمانيَّة بحكمهم في نجد وإعطاء عبد العزيز لقب الباشا عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤، وتعزيز ابن سعود لنفوذه بدعم بريطانيا لحكمه بتوقيع اتِّفاقيَّة معهم ١٣٣٤هـ/١٩١٥^(١)، إضافة إلى تعزيز ابن سعود نفوذه بالحصول على الدَّعم البريطاني لحكمه بتوقيع اتِّفاقيَّة معهم عام ١٣٣٤هـ/١٩١٥^(٢)، حيث تعهد فيها بتقديم الدَّعم لبريطانيا وحلفائها^(٣)، وبدأ العداء يأخذ طابعاً ظاهراً بين الشَّريف حسين وبين ابن سعود، فبعد القضاء على حكم آل الرِّشيد في حائل، وضم عسير والإحساء، زادت مشاعر الرِّبة من السَّعوديين، وفي الواقع إن عوامل الخلاف بين الشَّريف حسين وابن سعود أكثر بكثير من عوامل التَّوافق، فابن سعود كان يسعى لتعزيز مكانته في شبه الجزيرة العربيَّة وسط ظروف سياسيَّة وعسكريَّة صعبة، أمَّا الحسين فكانت طموحاته أكبر من ذلك بكثير، حيث حمله طموحه إلى السَّعي لتحقيق حلم زعامته للدَّولة العربيَّة الكبرى بعد انتهاء الثَّورة العربيَّة الكبرى ضدَّ العثمانيين، وكان هذا الحلم يسيطر على كلِّ تحركاته السياسيَّة والعسكريَّة، فلم يكن حتَّى ذلك التَّاريخ يتخيل أن ينازعه أحد في شبه الجزيرة العربيَّة. لذلك، نعت ابن سعود بأنَّه فقد عقله وأنَّه مخمور عندما اشترط على الحسين عدم التَّدخل في القبائل النّجديَّة، لقاء دعمه له في الثَّورة، وقد زاد الخلاف بين الجانبين كثرة النِّزاعات القبليَّة التي كانت تعيشها شبه الجزيرة العربيَّة، فقد شهدت تلك المنطقة محاولات متبادلة لكسب القبائل المنتشرة على أطراف كل من القوتين المتصارعتين^(٤). هذا ماعدا الخلافات الدينيَّة التي كانت تزيد من العداء بين الحجاز ونجد، فالحجاز كانت تمثل العقيدة الإسلاميَّة التقليديَّة الرافضة للمذهب الوهابي السَّعودي. في حين كان الوهابيون يعارضون الكثير من الممارسات الدينيَّة التي يقوم بها الأشراف^(٥).

كلَّ تلك الأسباب إضافة إلى العداء التَّاريخي الَّذي ورثه الحسين وابن سعود عن أجدادهم، خلال تاريخ الدَّول السَّعوديَّة الثَّلاث، فلن ينسى أبناء سعود مساعدة الأشراف الدَّائم لأيِّ عدو لآل سعود (محمد علي- أمراء حائل). كان للتَّحَبُّب والتَّنَاقُض في السَّياسة البريطانيَّة مطلع القرن العشرين دور في ظهور قوتين متناقضتين

(١)- عقد هذا الاتفاق في ١٥ أيار ١٩١٤ سمي بن سعود بموجبه حاكماً على ند وضمن الاتفاق لابن سعود كل صلاحيات الوالي على أن لا يبرم أي اتفاقيات مع الدول الأجنبية كما أعطى الاتفاق للحكومة العثمانية الحق بالاحتفاظ ببعض الحاميات التركية في نجد ... راجع: I.O. R/15/6//36 , from the chief Pol . officer in charge , Iraq station to director Arab Bureau , Cairo , 12 Jan ,19917

(٢)- C . W . Aitcheson ,Treaties and Engagement Relating to Arabia And The Persian Gulf Archive Edition London 1987 vol. v, p 188

(٣)- وهبة ، جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ص ٢٥٠-٢٥٣

(٤)- فقد فرض عبد الله بن الحسين الضرائب على قبائل حرب وعتيبه ، في حين أعلنت قبائل عنيزة وأجزاء من قبائل شمر ولاءها للحسين ، الذي استطاع شراء ولاء قبائل من عنيزة وشره ومضنب ، حيث جاءه أكثر من أربعة آلاف مقاتل من القصيم .

(٥)- من التقاليد الدينيَّة الهاشمية التي كان يرفضها الوهابيون الصلاة عند أضرحة الأولياء ويعتبرونها شركاً بالله، حتى إنهم كانوا يعتبرن تلك الممارسات كفراً وفقاً لتعبير المندوب السامي البريطاني في مصر. أنظر: كوستر ، العربية السَّعوديَّة ، جوزيف، العربية السَّعوديَّة ١٩١٦-١٩٣٦م من القبيلة إلى الملكية، ترجمة شاكر ابراهيم سعيد ،مكتبة مديولي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٧-٢٨

متضاربتي (الأشراف وآل سعود)، فوزارة الخارجية البريطانية كانت ترى في شخصية الحسين الشخصية الأنسب التي تساعد في تحقيق مطامحها في المنطقة، فقد كان يحكم بصفته الدينية كونه من نسل الرسول الكريم^(١). في حين أنّ حكومة بومباي كانت ترى في ابن سعود البديل الموضوعي للشريف في المستقبل، لأنها من خلاله تتحرّر من الوعود الكثيرة المقطوعة للحسين، هذه الازدواجية (المقصودة برأيي) في السياسة البريطانية تركت حالة من الخوف والترقب بين الأشراف والسعوديين، فالحسين منذ تولّيه منصبه في مكّة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م عمل على إرسال حملة بقيادة ابنه عبد الله إلى القصيم، ليطالب أهلها بالضرائب فتصدّى له عبد العزيز، مما اضطرّ عبد الله إلى العودة، ومنذ تلك اللحظة بدأ الحسين يفكر بطريقة لتحجيم ابن سعود^(٢)، وقد جاءت الفرصة سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١ عندما رغب أولاد عمومة عبد العزيز من أولاد سعود بن تركي بحكم نجد، فاستغلّ الشريف ذلك لتحقيق أهدافه وقدم لهم الدعم ضدّ عبد العزيز، عندها وجد عبد العزيز نفسه أمام عدوين لدودين آل الرّشيد في الشمال وأولاد عمه ومن ورائهم الشريف من الغرب، فاضطرّ إلى الصّلاح مع آل الرّشيد، ليتفرّغ لصراعه مع أولاد عمومته، ولمحاربتهم جهّز ابن سعود جيشاً بقيادة أخيه سعد^(٣)، ورفع شكوى عبر بريطانيا إلى الأستانة احتجاجاً على تدخل الشريف في شؤون بلاده، فطلب الصدر الأعظم إبراهيم حقي باشا من الشريف إلّا يتدخل بصراع أولاد العمومة^(٤)، فخرج الشريف بجيشه تجاه الكويعة (ديرة قبيلة عتيبة)، حيث توجه أيضاً جيش سعد، فوقع الأخير أسيراً بيد الشريف بعد وقوف قبيلة عتيبة الموالية للشريف في وجهه وأسروه وسلموه للشريف، الذي كان يرغب من تحرّكه الأخير في إجبار عبد العزيز على طلب الصّلاح بشروطه الخاصة لإزعاج ابن سعود وإخضاعه^(٥).

وبعد الصّلاح بين الجانبين ظلّت حالة الرّيبة والتوتر تحكم العلاقة بين الأشراف وابن سعود، ونظراً لأنّ المجتمع في شبه الجزيرة العربيّة يقوم في أساسه على النظام القبليّ أصبح التفكير باكتساب ولاء القبائل باباً للصّراع بينهما، فقد عدت القبائل الخزان الرئيسي للجنود المقاتلين والمرجّحين لقوّة هذا الطّرف أو ذاك، ومن هنا كان الشريف حسين يعمل على إخضاع القبائل المتردّدة، ويسعى لكسب ولائها كقبيلتي حرب وعتيبة، وكذلك الأمر سعى ابن سعود، لكسب ولائهما ممّا أدّى إلى التّصادم بين الشريف وابن سعود، فقام الشريف بشنّ حملة

(١) - وهبة، جزيرة العرب، مصدر سابق، ص ٢٥١-٢٥٣

(٢) - حيث قدم الحجاز دعماً لعبد الله في وجه أخيه سعود وأرسلت إليه طابورين عسكريين، وأرسلت إلى القبائل العربية المنتفذة للوقوف إلى جانبه، حيث كانت الحجاز واثقة بكرة قبائل الحجاز لسعود. للمزيد من المعلومات راجع: الأرشيف العثماني (ID445511)، لف: ٥، ٧ و

الأرشيف العثماني (ID44551)، لف: ٣. نقلاً عن قورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، ص ١٨٨-١٨٩

(٣) - الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث وملحقاتها، المطبعة العلمية ليوسف صادر، بيروت، ط ١، ١٩٣٨م، ص ١٧١-١٧٣

(٤) - الحسين، عبد الله، مذكراتي، الأهلية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، عمان-الأردن، ١٤٠٩هـ-١٩٠٨م، ص ١٦١

(٥) - لقد توسط أمير الخرمة خالد بن لؤي وهو من أشراف الحجاز وابن عم الحسين، وقد دخل أهله المذهب الوهابي منذ عهد سعود الكبير وظلوا محافظين عليه، وقد عرض خالد على عبد العزيز شروط الصّلاح التي قدمها الشريف وهي اعتراف عبد العزيز بسيادة الأشراف على نجد أو على الأقل على القصيم، وأن يدفع عبد العزيز مبلغاً من المال تعبيراً عن خضوعه للشريف، مقابل إطلاق سراح سعد وهذا ما كان حيث تعهد عبد العزيز بدفع ستة آلاف مجيدي فكان الصّلاح. أنظر: الريحاني، مصدر سابق، ص ١٧٣

على الخرمة واخضع قبائلها، وعندما حاول ابن سعود التدخل ضد الشريف هددته بتسليم أخيه سعد للعثمانيين ما لم يعلن عبد العزيز ولاءه لهم. وقد انتهت الأزمة كما ذكرنا سابقاً بعد وساطة أمير الخرمة خالد بن لؤي.

٤- النزاع القطري - السعودي بين عامي ١٧٦٢-١٩١٣:

تعود العلاقات السعودية-القطرية إلى تاريخ طويل يعود في جذوره إلى بداية قيام دولة آل سعود الأولى، فقد كانت قطر في كثير من الأحيان تخضع لسيادة آل سعود، وفي أحيان أخرى تبتعد عنها وتتوتر العلاقة بينهما إذا ما تناقضت مصالح الطرفين.

أ- الأوضاع السياسية في قطر قبل بناء المشيخة:

عاشت شبه الجزيرة القطرية سنيماً عديدة كجزء من مشيخات ودول قبل أن تتحول إلى دولة قائمة بذاتها وفق المفهوم السياسي للدولة، فقد شهدت شبه الجزيرة العربية هجرة قبائل العتوب^(١) من وسطها في مطلع القرن السابع عشر، ليتخذوا من قطر مقراً لهم لحوالي نصف قرن، إلا أن هذه الفترة شهدت صراعاً كبيراً بينهم وبين آل مسلم^(٢) حكام قطر آنذاك، فاضطروا عندها للهجرة إلى الكويت، التي تحولت بوصولهم إلى مركز تجاري مزدهر، إلا أن اقتسام الحكم فيها بين آل الصباح والجاهلية أدى إلى استياء آل خليفة من ذلك التقسيم الذي عدوه تهميشاً لهم، فعادوا أدراجهم إلى قطر، واستقروا في الزيارة عام ١١٨٠هـ/١٧٦٦^(٣). ويعتقد أن شبه جزيرة قطر في هذا التاريخ كانت تابعة لبني خالد في الإحساء^(٤).

في هذه الأثناء كانت تحركات قبائل العتوب تعمل على تحرير البحرين^(٥) من الحكم الفارسي في عام ١١٩٧هـ/١٧٨٣^(٦)، بعد اتحاد العتوب وتعاونهم مع قبائل قطر المحلية من آل مسلم من الحويلة، وآل القويرط وآل سودان من الدوحة، وآل بو عيين من الوكرة، والقبسات من خور حسان، وآل سليط من الدوحة، والمناعة من أبو ظلوف، والسادة من داخل قطر، ومنذ ذلك الوقت اختل التوازن السياسي في وسط شبه الجزيرة العربية، حيث تحول اهتمام آل خليفة عن قطر، وتوجهت أنظارهم إلى البحرين وذلك لأرضها الغنية بالزراعة، وتوافر

(١)- قبيلة عربية هاجرت من منطقة الهدار حيث موطنها الأصلي الواقعة في الأفلاج جنوبي نجد نتيجة للقط والجذب وانتقلت في مسيرتها نحو ساحل الخليج العربي ، ومن العتوب تفرعت أسرة آل خليفة في البحرين وأسرة آل الصباح في الكويت. أنظر: طهوب، فائق حمدي ، تاريخ البحرين السياسي : ١٧٨٣-١٨٧٠، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٣م ، ص ٥٥

(٢)- وهم من بني خالد وقسم من آل حميد وهم على المذهب المالكي ويعملون بالتجارة والغوص لصيد اللؤلؤ. أنظر: المنصور ، التطور السياسي لقطر ما بين عامي ١٨٦٨-١٩١٦م ، مرجع سابق، ص ٣٤

(٣)- لوريمير ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١١٩٤-١١٩٦

(٤)- L/PAS/20 E 89 كتيب عن الخليج العربي أصدرته الأدميرالية في حزيران ١٩١٩. أنظر: الخترش و المنصور، مصادر تاريخ قطر،

ص ١٣٤

(٥)- الزيارة تقع في وسط الخليج بين العربية السعودية وقطر بمساحة تقدر ب(٦٢٢ كم) تمتاز بكثرة محاصيلها وبصيد اللؤلؤ، وقد ضمها آل خليفة إلى مركزهم في الزيارة بعد إخراج الفرس منها عام ١٧٨٢/١١٩٦ ثم انتقل إليها مع أسرته ١٧٩٧/١٢١٢ لتصبح مقراً لحكمهم حتى اليوم. للمزيد من المعلومات راجع: الفلكي ، يوسف ، قضية البحرين بين الماضي والحاضر، دن ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٦

(٦)- للمزيد من المعلومات حول استعادة العرب للبحرين من الحكم الفارسي راجع : لوريمير، مصدر سابق ، ص ١٢٧١-١٢٧٣

مصائد اللؤلؤ وازدهار مينائها بالتجارة، وأخذوا ينيبون أحد أفراد أسرته لحكم شبه الجزيرة القطرية^(١)، التي وصفها الألويسي بقوله: (قطر منزل أهل السفائن من العرب الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ، وهم قبائل منهم من قحطان ومنهم من وائل وفي بر قطر بعض من بني هاجر وفي باديته قبيلة تسمى المناصير)^(٢).

اعتمد آل خليفة لضمان استمرار حكمهم في قطر على سياسة فرق تسد، حيث عملوا على تفكيك القبائل القطرية وبث التفرقة بينها، باستخدام المال تارةً والقوة تارةً أخرى، مما مكنهم من حكم قطر فترةً طويلة قبل أن تتمكن القبائل القطرية من إدراك أن آل خليفة سيستمرون في فرض سيطرتهم على بلادهم ما لم يوحدوا قوتهم، ليتمكنوا من الاستقلال بحكم قطر والقضاء على نفوذ آل خليفة فيها. وقد شهدت المنطقة سلسلة من التطورات السياسية أدت إلى تقوية الروابط القومية بين القبائل المتواجدة على أرض شبه الجزيرة القطرية، حيث أثارت العلاقة بين شيخ البحرين وقائد القوات المصرية في الإحساء مخاوف سكان الجزيرة من تعرضهم لخطر جديد، فقد رفضت بعض القبائل دفع الزكاة باسم المصريين في أواخر عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩، وفضلت بعضها الرحيل عن قطر كقبيلة أبو كوار وقبيلة النعيم^(٣)، فتوجّه محمد أفندي الحاكم المصري في الإحساء ببعض قواته النظامية، وبعض البدو الموالين له إلى قطر، لكن اغتياله في الهفوف حال دون وصول تلك القوة، فعادت أدرجها إلى الإحساء، هذه التطورات إضافة إلى انشغال البحرينيين بردع هجمات الوهابيين وآل الجلاهمة، والحرب الأهلية في البحرين بين عامي ١٢٥٦-١٢٥٩هـ/١٨٤٠-١٨٤٣ ساعدت القبائل القطرية على النمو كقوة إقليمية مترابطة ووازنة، حيث أسهمت الحرب الأهلية في البحرين بنمو وعي القطريين، ونبهتهم بخطورة مثل هذه النزاعات التي ساعدتهم على إضعاف نفوذ آل خليفة في قطر، لاسيما بعد استعانة أطراف النزاع في البحرين بالقوى القطرية، مما جعل فكرة الاستقلال في حكم جزيرتهم أو حتى حكم مناطقهم المحلية تظهر بشكل جلي، وساعد على ذلك استطاعتهم إنهاء الحرب الأهلية لصالح الشخص الذي وقفوا إلى جانبه وهو الشيخ محمد آل خليفة، فشعروا بقوتهم وأخذوا يطالبون بالمزيد من الاستقلال في بلادهم، وكانت القوى المحلية القطرية قد أعانت آل عيسى بن طريف في الحرب الأهلية، فانتقلت جماعته من آل علي إلى البدع في قطر، وأصبح والياً على قطر كممثل عن محمد آل خليفة، وسرعان ما ساءت العلاقة بين الرجلين بعد أن توسّط ابن طريف لأولاد الشيخ عبد الله الحاكم المخلوع في البحرين في الحرب الأهلية، حيث استاء من أن أحد ولاته طلب ذلك، فتوجّه بقواته إلى قطر بقيادة أخيه علي ونزل قبيلة النعيم، في حين استعان ابن طريف بالمناصير وأبناء الشيخ المخلوع وبني هاجر، والتقى الجمعان في موقع أم سويه عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧، وانتهت المعركة بموت ابن طريف وخراب الدوحة. واستعان أبناء الشيخ المخلوع في المرة الثانية بقوات الأمير فيصل بن تركي، الذي توجّه بنفسه إلى قطر في بداية عام ١٣٦٨هـ/١٨٥١ في أثناء زيارته لممتلكاته، وصرّح عندها أهل قطر من الوكرة والقويرط وغيرهم بأنهم يفضلون

(١) - للمزيد من المعلومات حول آل خليفة في قطر راجع: الدباغ، مصطفى مراد، قطر ماضيها وحاضرها، منشورات دار الطليعة، الطبعة الأولى، ١٩٦١، ص ١٧٣-١٧٥؛ أيضاً: المنصور، التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦م، مرجع سابق، ص ٣٥-٣٦ وللمزيد من المعلومات حول قبائل قطر راجع: لوريمير، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٣، مصدر سابق، ص ١١٩٦-١١٩٧.

(٢) - الألويسي، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٢٩-٣٠.

(٣) - للمزيد حول اتحاد القبائل القطرية وتحركها إلى البحرين راجع: ولكنسون، حدود الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ٧٠-٧٦.

التبعية للدولة الوهابية بدلاً من البحرين^(١)، وقد دفعته طول مدة الصراع مع القوى القطرية المحلية وحليفها الشيخ محمد آل خليفة للانسحاب، ولاسيما أن القطريين فضلوا عقد الصلح مع السعوديين لخشيته على موسم الغوص. ومن الحوادث الأخرى التي تظهر ازدياد قوة القطريين قضية الدّولاب، وفيها هاجم القطريون على رأسهم الشيخ جاسم آل ثاني قصر الحاكم البحريني لقطر أحمد بن محمد آل خليفة احتجاجاً على سجن رئيس قبيلة النعيم علي بن ثامر، حيث حاصروا القلعة في الوكرة، فهرب الحاكم وأخرج علي بن ثامر من السجن عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣.

إلا أن التطورات التالية كانت النقطة الفاصلة في العلاقة بين قطر والبحرين، حيث استطاع آل خليفة استدراج الشيخ جاسم آل ثاني إلى البحرين وزجّه بالسجن، وهاجموا بعد سجن شيخ قطر ودمروا الوكرة والدّوحة، وهو ما يسمّى خراب الدّوحة الثاني عام ١٢٥٧هـ/١٨٦٧، الأمر الذي دفع القطريين إلى تجميع قواهم ومهاجمة البحرين، إلا أنهم هزموا وعادوا أدراجهم إلى برّ قطر، فلاحقهم البحرينيون طالبين الدعم من حكومة فارس، فظهر حينها قلق بريطانيا من عودة النفوذ الفارسي إلى البحرين^(٢)، ومنافسة بريطانيا في مياه الخليج العربي، فكان التدخل البريطاني عندها حاسماً، فقد وجه الكولونيل بيللي المعتمد البريطاني في مياه الخليج إنذاراً إلى شيخ أبو ظبي والبحرين عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨، بعد قيامهم بهجوم مدمر على قطر عام ١٢٥٧هـ/١٨٦٧، وانتهى هذا الهجوم بتدمير مدينتي الوكرة والدّوحة، طالباً منهما عدم التعرض لقطر، وأتبع هذا الموقف بزيارة قام بها إلى قطر، حيث توجه إلى الوكرة على خلفية الهجوم البحريني والرد القطري بمهاجمة البحرين، واجتمع مع الشيخ محمد آل ثاني ووقع معه اتفاقاً أدخل فيه قطر في المهادنات البحرية لأول مرة عام ١٢٥٨هـ/١٨٦٨^(٣)، لتصبح قطر تحت حكم آل ثاني، جزءاً من الحلقة السياسية المعترف عليها من قبل بريطانيا ككيان سياسي مستقل ولو بشكل سري آنذاك وغير مكتمل. فقد اعترفت بريطانيا بقطر ضمن الإمارات الموقعة على اتفاقيات حماية^(٤)، إلا أنها طالبتها بالاستمرار في دفع الضريبة السنوية التي كان يدفعها آل خليفة للوهابيين عن قطر، لتبدأ قطر مرحلة تاريخية جديدة، ولكن ككيان سياسي مستقل هذه المرة^(٥).

(١) - لويمير، دليل الخليج، القسم التاريخي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٢١٤

(٢) - فقد كانت بريطانيا تخشى من المحاولات الفارسية للسيطرة على الخليج العربي بحجة أن تسميته في كل المصادر الغربية (الخليج الفارسي) وتؤكد تبعية البحرين لها على أساس أن البحرين كانت تدفع الضرائب إلى حكومة فارس، إلا أن هذه الأمور غير صحيح، وإذا كان النقاش حول تبعية البحرين يتم بين بريطانيا وفارس ليس لأن البحرين تتبع إلى فارس، بل بسبب قلة النضوج العربي آنذاك، وأما بالنسبة لادعاءات إيران بالنسبة لتبعية البحرين لحكومة فارس تاريخياً فهذا الأمر غير صحيح، فالفترة الوحيدة التي خضعت فيها البحرين لفارس وتحت ضغط الأمر الواقع هي منذ خروج البرتغاليون منها ١٦٠٢م حتى وصول آل خليفة إلى الحكم ١٧٨٣م، وحتى في هذه الفترة كانت القبائل العربية من عرب الهولة والمطاريش هي التي تدير شؤونها. للمزيد من المعلومات حول التنافس الفارسي- البريطاني على البحرين راجع: قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٣٨٦-٣٩٧

(٣) - للمزيد من المعلومات حول تلك الأحداث راجع: الملحق رقم (٧)؛ أيضاً: لويمير، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٢١٥؛ أيضاً: المنصور التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦م، مرجع سابق، ص ٣٦-٤٢

(٤) - للمزيد من المعلومات راجع نص المعاهدة في الوثيقة الإنكليزية في الملحق رقم (٣٧)

(٥) - Penelope Tuson and Emma Quick, Arabian Treaties 1600-1960, Bahrain .Qatar .United Arab Emirates, Archive Edition, 1992. p 233-236

ب-العلاقة بين آل سعود وقطر قبل اتفاقية عام ١٨٦٨:

لم يكن النزاع السعودي-القطري وليد المرحلة الأخيرة من الدولة السعودية (الثالثة)، بل له تاريخ طويل يعود إلى فترة نشوء الدولة السعودية الأولى، فقد كانت قطر أحد أهداف التوسع الوهابي في شبه الجزيرة العربية، حيث وجد آل سعود في إمارات الخليج العربي منطقة مهمة لزيادة قوة دولتهم، وذلك بحكم الموقع الإستراتيجي المهم لها على الخليج العربي، فكان عام ١٢٠٧/١٧٩٣ هو أول احتكاك مباشر بين الوهابيين والأرض القطرية^(٣)، حيث استولوا عليها وضموها إلى الدولة السعودية الأولى على يد القائد الوهابي إبراهيم بن عصفان^(٤).

أمّا آل خليفة الذين كانوا يحكمون البحرين من مقر إقامتهم في الزبارة في قطر، فقد غادروها إلى البحرين، حيث أقام سليمان آل خليفة أسرته فيها عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧ إلى أن سيطر عليها سبطان عمان سلطان بن أحمد البوسعيد عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠^(٥)، ممّا دفعهم للعودة إلى الزبارة بعد أن أعطاهم آل سعود الأمان، ولم يطل الأمر كثيراً فما هو إلا وقت قصير حتّى استعاد آل خليفة البحرين بمعونة آل سعود، لكن ابن سعود وجّه ضربة قويّة لهم بتعيين فهد بن سليمان بن عصفان قائداً للحامية السعودية فيها بدلاً من أن يعيدها لحكمهم، وفي السنة الأخيرة من فترة حكم الأمير سعود (١٢١٨-١٢٢٥هـ/١٨٠٣-١٨١٠) أصبحت قطر والقطيف والبحرين مقاطعة تابعة للسعودية وممّا ساعدها على تعزيز وجودها في المناطق المذكورة قوتهم، والدعم الكبير الذي قدّمه لهم رحمة بن جابر زعيم الجلاهمة آنذاك، والذي اتخذ من خور حسان في قطر مقراً له، وكدليل على تبعيّة تلك المناطق للدولة السعودية، شكّل الوهابيون حكومة لهم في المنطقة الشرقية مؤلفة من القطيف والبحرين وقطر وجعلوا البحرين مقراً لها، وعهد إلى عبد الله بن عصفان إدارة شؤونها^(٦)، واستمرّ الحكم السعودي يظهر تارةً ويختفي أخرى إلى أن استعان آل خليفة بالفرس وسلطان عمان وأقاربهم من العتوب وطردوا الحامية السعودية، حيث قام سعيد سلطان عمان بطرد الحامية الوهابية من الزبارة وخور حسان ومن البحرين والقطيف، وانهارت حكومة الوهابيين في المنطقة الشرقية بانهايار دولتهم^(٧)، على يد قوات إبراهيم باشا ابن محمد علي لينته مع انهيارها الفصل الأول من المواجهة بين قطر والبحرين من جهة والسعوديين الوهابيين من جهة أخرى.

وثيقة رقم ٢ ، الخترش، المنصور ، مصادر تاريخ قطر ، مرجع سابق ، ص١٣

(٣)-في هذا التاريخ لم تكن قطر قد أصبحت دولة حسب المفهوم الحديث للدول، فقد سكنتها بعض القبائل التي نزحت من ساحل عمان أو من بعض قبائل الإحساء، وهي قبائل آل مسلم وهم الأكثر عدداً ويسكنون مناطق الفريجة والقويرط وآل أبي حسن ويسكنون منطقة اليوسفية والمعاويد ويسكنون الطبيخة والرويضية، وآل خليفة الذين سكنوا الزبارة، وتنسب هذه القبائل إلى بني ربيعة. وقد فر هؤلاء بعد هجوم أمير الإحساء على قطر بتكليف من السعوديين ١٢٠٧-١٧٩٣م إلى البحرين منتظرين زوال دولة آل سعود للعودة إلى قطر. أنظر: أبو عليّة، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ، مرجع سابق ، ص٨٥-٨٦؛ أيضاً: درويش ، تاريخ الدولة السعودية ، مرجع سابق ، ص٣٣٩-

٣٤٢

(٤)- ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، مصدر سابق ، ج١، ص٢١٠

(٥)- للمزيد من المعلومات راجع: المصدر السابق ، ص١٧٨-١٧٩

(٦)- لوريمير ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، مصدر سابق ، ج٣، ص ١٢٠٠

(٧)- لوريمير، المصدر السابق ، ص١٢٠١

وبعد إحياء الدّول السّعوديّة الثّانية في عهد الأمير فيصل بن تركي ١٨٤٣-١٨٦٥ سعى السّعوديون إلى استعادة مناطق نفوذهم السّابقة التي كانت تتبع للدّولة السّعوديّة الأولى، وجدّدوا لهذا الغرض نشاطهم في الخليج العربيّ وسواحلّه منذ عام ١٢٦٧هـ/١٨٥١، وقرّروا السيطرة على البحرين بمساعدة آل ثاني الذين كانوا يحكمون في قطر باسم آل خليفة، الأمر الذي حصل من الجانب القطري، فقد قدم القطريون ٣٠٠ سفينة لمساعدة السّعوديين على نقل الجنود من قطر إلى البحرين، وذلك بعد تمكّن القوّات السّعوديّة من فتح قطر بعد معارك دامية، ومحاصرة قصر البدع الذي تحصّن فيه الشّيخ علي آل خليفة، وقد وقفت خلال الحصار الكثير من القبائل القطريّة إلى جانب الأمير عبد الله بن فيصل الذي تمكّن من طرد الشّيخ علي^(٢)، واستطاع الأمير فيصل بعد سلسلة من المعارك استعادة السّيطرة على معظم المناطق التي كانت تابعة لدولة ابن سعود الأولى، وفرض على تلك المناطق ضريبة سنويّة بما فيها قطر كبرهان على تبعيّتها لنفوذه، وهذا ما يظهر بشكل جليّ في مخطوطة رشيد بن ضاري (نبذة تاريخيّة عن نجد) التي يقول فيها: "إنّ حدود الدّولة السّعوديّة الثّانية في عهد فيصل شملت كلّ المناطق السّابقة "استقرّ الملك لفيصل وجبى نجد كلّها وعمان والإحساء والقطيف وقطر"^(٣). وعلى الرّغم من أنّ السّيادة السّعوديّة في قطر كانت اسميّة، إلّا أنّها كانت تقرض عليهم الزّكاة للإمام إمّا لحمايتهم، أو لعدم تعرّض القوّات السّعوديّة لأراضيهم، وكدليل على الطّاعة الاسميّة للإمام السّعودي، فأمراء البحرين وإن كانوا مستقلّين عن النّفوذ السّعودي وفقاً لتقرير الرّائد البريطاني لويس بيللي بعد العام ١٢٨٢-١٢٨٣هـ/١٨٦٥-١٨٦٦، بناءً على طلب من حكومة الهند البريطانيّة، إلّا أنّهم كانوا يدفعون الزّكاة للأمير الوهابيّين مقابل توفير الرّعاية لرعاياه في قطر^(٤)، وفي سبيل إدارة شؤون قطر عين الأمير فيصل بن تركي الشّيخ جاسم آل ثاني منذ عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢ وكيلاً عنه في شبه الجزيرة القطريّة^(٥)، الأمر الذي شكّل بداية ظهور طموح آل ثاني لبناء دولتهم المستقلة في شبه الجزيرة القطرية.

(٢)- ابن بشر، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ٢٨-٢٨٤

(٣)-ضاري بن رشيد، نبذة تاريخيّة عن نجد، مخطوطة كتب بيد وديع البستاني في بومباي في الهند . دار اليمامة، بيروت، ١٩٦٨، ص ٨

(٤)- لوريمير ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٧٥

(٥)- كانت الضريبة تقدر ب ٤٠٠٠ ريال أو ٢٠ ألف غران تدفعها البحرين للمحافظة على حدودها تسهم قطر ب ٩ آلاف منها تجمعها القبائل القطرية. للمزيد من المعلومات راجع : المنصور ، التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦م ، مرجع سابق ، ص ١٩٤

ج- التنافس العثماني-البريطاني وأثره في ظهور مشيخة آل ثاني في قطر:

ارتبط اسم آل ثاني^(١) باسم قطر المستقلة منذ وصولهم إليها، فتلك الأسرة التي هاجرت إلى قطر في القرن السابع عشر قادمة من مدينة أشيقر في نجد سعت لتحقيق هدفها في الوصول إلى الحكم في قطر بقوتها القبليّة والماليّة التجاريّة وبرغبتها في بناء دولة قادرة على الاستقلال في شبه الجزيرة القطريّة مستغلّة الظروف السياسيّة غير المستقرة في الخليج العربي.

لم يمرّ الكثير من الوقت حتّى أثبت آل ثاني وجودهم في قطر كزعامة ماليّة وتجاريّة، حيث اشتهروا بتجارة اللؤلؤ منذ استقرارهم في الزبارة، وعرف جدّ الأسرة ثاني بأنّه من أشهر تجّار اللؤلؤ في الخليج العربي^(٢)، وقد ساعدتهم قوتهم الماليّة على اجتذاب القبائل حوله وزيادة نفوذهم، لدرجة أصبح فيها محمد آل ثاني وكيل أمير نجد في قطر لجباية الضرائب وتسليمها للسعوديين بين عامي ١٢٦٨-١٢٨٥هـ/١٨٥١-١٨٦٨، وأصبح الشّيخ محمد آل ثاني حاكماً للدوحة باسم آل خليفة في البحرين، وبعد شعور الشّيخ جاسم بن محمد آل ثاني^(٣) بازدياد قوتهم عمل على تحفيز القبائل القطريّة على النّعاون فيما بينها للاستقلال بقطر، وتحجيم النّفوذ البحريني عليها، وقد أدرك الشّيخ حالة النّزاع الواضحة بين العثمانيين والبريطانيين لزيادة نفوذهم في منطقة الخليج العربي، وأراد استغلالها بما يحقّق مصلحة قطر، إلا أنّ الاهتمام البريطاني بقطر لم يكن جدياً في تلك المرحلة، وخلت صفحات المصادر التّاريخيّة من أيّ حديث عن حدث سياسي يربط بريطانيا بقطر، اللهمّ ماعدا ما ذكره المؤرخ ج.ج. لوريمير عن زيارة المقيم البريطاني في الخليج العربي الملازم ماكلاود في عام ١٢٣٩هـ/كانون الثّاني ١٨٢٣ لمدينة الدّوحة (البدع وقتذاك) من ضمن جولة كان يقوم بها على طول السّاحل العربي، ووجدها حينها تابعة لحكم شيخ من أسرة آل بوعينين، ووجد قطر تابعة للبحرين الخاضعة لحكم آل خليفة^(٤)، فكانت الخطوة الأولى لاستقلال قطر بتوقيعه اتفاقية عام ١٢٨٥هـ/١٢ أيلول ١٨٦٨^(٥) مع بريطانيا، التي طلبت من الشّيخ مقابل

(١)- يعود نسب قبيلة آل ثاني إلى قبيلة تميم التي تنقسم إلى ثلاثة بطون في نجد بطن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، وثانيها بطن سعد بن زيد بن مناة بن تميم وثالثها بطن عمرو بن تميم ، وآل ثاني من المعاضيد من بطن حنظلة ومنه أيضاً الوهبة أسرة الإمام محمد بن عبد الوهاب، استقروا في قطر في أوائل القرن الثمن عشر في واحة جبرين الواقعة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة القطرية، ثم غادروها إلى اسكك جنوب قطر ثم انتقلوا إلى الرويس والزبارة ليستقروا بعد موت عيسى بن طريف في الدوحة ، وسرعان ما أصبحت الدوحة تحت زعامة الشّيخ محمد آل ثاني ، الذي عرفت عنه المصادر الأجنبية بشيخ الدوحة... للمزيد من المعلومات حول المعاضيد راجع: لوريمير ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٣٩٣-١٣٩٤

(٢)- فقد كان معروفاً أن الشّيخ كان التاجر الأول في قطر وبخاصة تجارة اللؤلؤ . للمزيد من المعلومات حول آل ثاني وأصولهم راجع : الدباغ ، قطر ماضيها وحاضرها ، مصدر سابق ، ص ١٧٥-١٧٦؛

(٣)- جاسم بن محمد آل ثاني(١٢٣٦-١٣٣٣/١٨٣١-١٩١٣) ناب عن أبيه قبل وفاته ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م ، قام بالإصلاح اثر فتنة استغلت وقدمه أهله وتولى إمارتهم، وعمل على توسيع تجارته باللؤلؤ اشتهر بشجاعته وفروسيته تمكن من تأسيس الدولة القطرية المستقلة بعد فصلها عن البحرين سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، قال فيه المؤرخون أنه أمير قطر وفارسها وخطيبها ومفتيها . للمزيد من المعلومات راجع: الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، ص ١٨٤-١٨٥

(٤)- لوريمير ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٢٠٤-١٢٠٥

(٥)- للمزيد من المعلومات حول المعاهدة راجع: الوثيقة رقم ١ في: الخرش و المنصور ، مصادر التاريخ القطري ، مرجع سابق ، ص ١١

حمايتها لقطر من كل الاعتداءات الخارجية أن يتعهد بعدم إثارة المشكلات أو أي عمل عدواني في البحر، وأن يعود إلى المقيم البريطاني في الخليج العربي في كل المنازعات والخلافات التي تنشأ مع جيرانه^(١).

وبموجب هذه المعاهدة اعترفت بريطانيا رسمياً بآل ثاني على أنهم حكام قطر^(٢).

وقد ظلت هذه المعاهدة سرية ولم تعلن عنها بريطانيا وقتها، لأنها كانت تتحاشى الدخول في معركة سياسية ظاهرة مع السلطان العثماني، الذي كان يعد قطر والبحرين تابعتين لسلطته^(٣). إلا أن هذه الخطوة ظلت ناقصة ولم تحقق الاستقلال الكامل لقطر، فقد نصت المعاهدة على أن يدفع آل ثاني ضريبة سنوية لآل خليفة في البحرين، الأمر الذي يعني ارتباط قطر بالبحرين ولو من الناحية الشكلية. لذلك، أخذ الشيخ جاسم يعمل على التحضير لمرحلة الاستقلال النهائي، مستفيداً من كل الأحداث السياسية في الخليج العربي فاستغل وصول الحملة العثمانية عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م إلى الإحساء، للتخلص من الضريبة المفروضة عليه للبحرين، وأعلن ولاءه للعثمانيين، الذين أطلقوا يده في قطر كحاكم لها، فامتدت سلطة آل ثاني من الدوحة إلى كل قطر^(٤).

وأخذ الأمير جاسم آل ثاني يستغل بحكمة كبيرة النزاع بين العثمانيين والبريطانيين على مياه الخليج العربي، فعندما رأى مصلحة بلده تكمن بالتعاون مع العثمانيين تعاون معهم، وأصبح جزءاً من الدولة العثمانية مستفيداً من رغبة الدولة العثمانية بالتمدد في الخليج العربي آخذاً بعين الاعتبار النفوذ البريطاني، الذي ظهر في رسالة الأمير جاسم إلى متصرفية نجد يعلمهم فيها أنه تعرض للضغط من المقيم البريطاني في بندر شهر^(٥).

كل ذلك كان يعني أن الشيخ يعرف أن النزاع العثماني-البريطاني يفتح له المجال للاستفادة من الطرفين، فمال إلى العثمانيين من سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢ إلى سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦، حيث رفع الشيخ جاسم آل ثاني العلم العثماني^(١)، ووصلت في العام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢ الحامية العثمانية إلى قطر، مما أثار استياء المشايخ فيها^(٢).

(١)- لوريمير، دليل الخليج، القسم التاريخي، جزء ٣، مصدر سابق، ص ١٢١٦

(٢)- المنصور، التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦م، مرجع سابق، ص ٢٤

(٣)- البحارنة، محمد حسين، التطورات السياسية الدستورية في دول الخليج العربية ١٨٢٠-٢٠٠٤م، دار الكنوز الأدبية، الطبعة الأولى بيروت-لبنان، ٢٠٠٥، ص ٢١

(٤)- للمزيد من المعلومات حول تلك الأحداث راجع: المنصور، مرجع سابق، ص ٣٦-٤٢

(٥)- بندر شهر منطقة على خليج البصرة، وهي ميناء تجاري هام، وفي نفس السياق طلب الشيخ جاسم من العثمانيين المساعدة بعد أن أوضح أن المقيم البريطاني طلب منه دفع ثلاثين ألف روبية لقاء تدخله في شؤون البحرين، وهدده أنه إذا لم يدفع سيحرق السفن القطرية التي استولى عليها وذلك عام ١٢٩٨/١٨٨١، إلا أن طلب المساعدة لا يعني أنه يرغب في الوجود القوي للدولة العثمانية، إلا أنه يحاول الحصول على المزيد من المكاسب للحصول على استقلال قطر النهائي، لكنه عندما شعر أن الدولة العثمانية ستشكل عبئاً عليه بعد طلبها القيام بإصلاحات في قطر ومحاولتها تعيين موظفين فيها مال إلى التعاون مع الإنجليز فوراً. للمزيد من المعلومات حول علاقة الشيخ جاسم والعثمانيين راجع: صابان، سهيل، الجزيرة العربية بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني، مصدر سابق، ص ٢٣. الروبية هي عملة هندية مصنوعة من الفضة، وهي من أهم العملات التي كانت مستخدمة آنذاك. للمزيد راجع: الكرمل، أنستاس، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ١٧٤

(١)- استطاع شيخ الكويت القائم مقام عبد الله الصباح إقناع الشيخ قاسم برفع العلم العثماني، على الرغم من معارضة والده الذي لم يرفع العلم فترة لا بأس بها. للمزيد راجع: لوريمير، دليل الخليج، القسم التاريخي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٢١٧

ولعلّ الفائدة الكبيرة التي جناها الشيخ أنّه وجد حامياً آخر بدلاً من الشيخ سعود بن فيصل (١٢٥٨هـ / ١٨٧١)، فأوقف دفع الزكاة والخراج لشيخ البحرين، وهذا ما أظهره ردّ الشيخ على الوكيل البريطاني "حقاً إنكم سلطان البحار، و لكن من يدافع عنّا برّاً في ردّه عن سبب لجوئه للحاميّة التركيّة"، وهذا لا يعني أنّه لم يكن يدرك أنّ البحر هو تحت السيادة البريطانيّة، وهذا ما ظهر في رسالة الشيخ قاسم ١٢٩٩هـ / ١٨٨١ إلى السيّر روث المقيم البريطاني في الخليج العربي، وذلك عندما كان ينوي إعادة إعمار العديد، حيث طلب الإذن لذلك من بريطانيا وليس من الدّولة العثمانيّة

"أرجو إخطاركم أنّي قرّرت إعادة إعمار العديد، ليسكنها بعض الرّجال التّابعين لي، وذلك بهدف حماية مناطقي من هجمات اللّصوص برّاً وبحراً... وأنا أعرف سلفاً أنّ أمور البحر لله يحكم فيها ثمّ لكم" (٣).

وقد أقلقت السّياسيّة العثمانيّة بريطانيا، ولاسيما بعد إعلان شيخ الكويت وشيخ أبو ظبي خضوعهم لها، إضافة إلى نجد ومنطقة الإحساء، وسعي الدّولة العثمانيّة للسيطرة على البحرين (٤)، فكانت التّحرّكات البريطانيّة سريعة، حيث قام الوكيل البريطاني بزيارة المشيخات المتصالحة وحثّها على عدم المشاركة في الحملة العثمانيّة، وعدم القيام بأيّ تحرّكات تعقّد العلاقة بين بريطانيا والعثمانيين. ومن هنا كانت الاستفادة القطريّة، حيث حذر الوكيل البريطاني شيخ البحرين من مهاجمة قطر، على الرّغم من ادّعاء آل خليفة تبعيّة الزبارة وسكانها من آل النّعيم (٥) للبحرين (٦)، لأنّ الشيخ جاسم أصبح قائمقاماً تابعاً للعثمانيين (٧).

في هذه الأثناء ازدادت أعمال القرصنة في المنطقة (٨)، فاستغلت بريطانيا الفرصة واتهمت العثمانيين بعدم القدرة على اتخاذ الإجراءات الرّادعة للقرصنة المنطلقين من منطقة الغور في قطر، رغم وجود حامية عثمانية

(٢) - للمزيد من المعلومات راجع : وثيقة رقم ٦ وهي عبارة عن مذكرة بقلم أ.و.مور تتحدث عن النفوذ التركي على طول الساحل العربي وهي توضح في جزئها الثاني من خلال خطاب سري من الهند رقم ١٢٧ بتاريخ آب ١٨٧٣ يفيد هذا التقرير أن السيادة التركية على قطر تمتد من ساحل قطر حتى العديد. الخرش والمنصور، مصادر تاريخ قطر ، مصدر سابق ، ص ١٤

(٣) - ابراهيم ، أمراء وغزاة ، مرجع سابق ، ص ٦٤

(٤) - حيث عبر البريطانيون عن قلقهم من التّحرّكات العثمانية فقال أتشيون :إن حادثة البدع تبدو مخالفة لروح الضمانات المعطاة من الباب العالي... وإنها بلا شك ستكون الخطوة التالية لتكريس السيادة العثمانية على القبائل الواقعة إلى الشرق من قطر ...انطباعي هو أن العثمانيين على درجة عالية من التصميم لتثبيت سيادتهم على طول الساحل". للمزيد راجع: Richard Schofield , Island and Maritime Boundaries of the Persian Gulf , London 1988 , vol 3 , p 398

(٥) - يرجع نسبهم إلى قحطان وهم ثلاثة بطون : الخواطر -البوخريان البو شميمس وهناك قسم منهم يسكن البريمي . للمزيد من المعلومات عن هذه القبائل راجع: كيلي ، جون.ب، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ترجمة خيرى حماد ، مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٣٦-٣٤٣

(٦) - للمزيد من المعلومات راجع : وثيقة رقم ٦ وهي عبارة عن مذكرة بقلم أ.و.مور ، الخرش والمنصور ، مصادر تاريخ قطر، مرجع سابق، ص ١٤

(٧) - حيث ورد اسم قطر بصفتها قضاء تابع لسنجق نجد وورد اسم الشيخ جاسم كقائمقام لقطر. أنظر: وثيقة رقم و.ع ٥.ب ٢٣ شباط ١٣٢٧ منقول عن أرقام الوثائق العثمانية لدى: المصدر السابق، ص ١٤٠

(٨) - حيث أن سفينة محملة باللؤلؤ تابعة للشيخ جاسم تعرضت للقرصنة من قبل محمد بن زايد من بني هاجر، وشهدت هذه الفترة عمليات قرصنة كبيرة لم تتمكّن الحامية العثمانية في قطر التي يبلغ عدد أفرادها ١٣٠ جندياً من السيطرة على الأمن في المنطقة. للمزيد من المعلومات حول أعمال القرصنة بين عامي ١٨٧٨-١٨٨٥ راجع: لوريمير، دليل الخليج ، القسم التاريخي، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٢٢١-١٢٢٢ . لا

هناك، وشككت في شرعية وجودها في الخليج العربي عموماً، وطلبت من العثمانيين تحديد مناطق نفوذهم بشكل واضح في الخليج، ممّا فتح الباب لمناقشة مسألة الحدود، إلّا أنّ بريطانيا لم تكن تريد في ذلك الوقت تحديداً دقيقاً للحدود بقدر ما كانت تريد المحافظة على مصالحها في الخليج.

من هنا لم تهتم لمطالب شيخ البحرين في الوكرة والزبارة، وركّزت على رسم خط فاصل بين مناطق نفوذها، ومناطق التواجد العثماني، إلّا أنّها غيرت سياستها كلياً، بعد محاولات الدولة العثمانية مدّ نفوذها إلى الزبارة على الساحل القطري، وعدت الزبارة من أملاك حاكم البحرين، وأوعزت للشيخ عيسى آل خليفة أن يمنع الدولة العثمانية السّاعية للوصول إلى الزبارة، وتعيين ناصر بن مبارك آل خليفة لإدارة هذه المنطقة من تحقيق هدفها، ولمزيد من ضمان السيطرة على البحرين، وقع الكولونيل تالبوت (Talbot) معاهدة مع شيخ البحرين عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢، وكذلك تصدّت بريطانيا لمحاولات الشيخ قاسم آل ثاني باتخاذ الخطوات العملية لإعادة إعمار الزبارة بناءً على طلب عثماني لتكون قاعدةً لتحقيق طموحاتها، ممّا جعل الدولة العثمانية تتراجع عن الفكرة^(٢)، وقد ركّزت بريطانيا بعد توقف حكومة الهند عن التّدخل لوقف القرصنة، لا بل التّساهل في بعض الأحيان مع أعمال القرصنة، لإظهار عجز السّيادة العثمانية في الخليج العربي، وعدم قدرتها على حفظ الأمن، لإبعاد العثمانيين من منطقة جنوب الكويت، ووقف نفوذها عند منطقة العقير، وبالتالي السّماح للعثمانيين الاتّصال بقطر في حال ارتضى الطرفان ذلك، لكن منعهم من الاتّصال بالمشيخات التي وقّعت اتفاقيات حماية مع بريطانيا، أي ساحل الصلح ومسقط، وبمعنى أوضح لما سبق، حصر السّيادة العثمانية ما وراء خليج العقير، إلّا أنّ هذا لم يكن يعني أنّ بريطانيا ستتساهل في مسألة فرض العثمانيين لنفوذهم على قطر، لأنّ ذلك قد يدفعها إلى الطّموح بمناطق أخرى في الخليج العربي، فحاولت قدر الممكن تصعيب المهمّة العثمانية في قطر، وذلك بمقاومة كل فعلٍ عثمانيٍّ ساعٍ لتعزيز نفوذ الدولة العثمانية في قطر.

من هنا جاء تصدي بريطانيا عسكرياً لمحاولات الدولة العثمانية توطين بعض القبائل الموالية لها في قطر، متذرعين بأنّ مشايخ قطر يرفضون توطين القبائل المعادية لشيخ البحرين^(٣)، وأكدت أن الزبارة تتبع شيخ البحرين،

بد من التّويه هنا أنّ القرصنة هو مصطلح بريطاني استخدمته لتبرير توسعها في مياه الخليج العربي في حين أنّ الواقع يقول أنّ من حقّ عرب الخليج حماية الشواطئ والحصول على ضرائب لقاء مرور السفن الأجنبية في مياههم.

(٢) - قورشون ، قطر في العهد العثماني ، مصدر سابق ، ص ١٢٦-١٢٧

(٣) - حيث حصلت مجابهة بين شيخ البحرين ومن خلفه بريطانيا وبين قبيلة البوعلي بقيادة شيخها سلطان بن سلامة ، حيث اعتدى أحد إخوة الشيخ عيسى على هذه القبيلة ، فهجر البحرين مع قبيلته ، وأقام في قطر وطلب معونة الشيخ قاسم لغزو البحرين ، الأمر الذي شجّعته الدولة العثمانية ، وقد سمح لهم الشيخ قاسم بالإقامة في الزبارة ، ورفع العلم العثماني، فاستجد شيخ البحرين ببريطانيا التي أرسلت سفينتين حربيتين (سفنكس والبيجون) وألحقتهما بسفينة ثالثة بليزي إلى الخليج العربي، ووجهت احتجاجاً إلى الحكومة العثمانية في القسطنطينية جاء فيه: أنّ حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بالوجود العثماني على ساحل قطر، ولا بالادعاءات العثمانية بالسيادة على البحرين . ثم توجهت السفن البريطانية إلى ميناء الزبارة للتصدي لسفن البوعلي المدعومة من العثمانيين والشيخ قاسم الذي نفى فيما بعد علاقته بالموضوع ، ورفض الغرامات التي فرضت عليه بعد هزيمة البوعلي ، فقد قامت بريطانيا بتدمير التحصينات في ميناء الزبارة، واستولت على سبع قوارب تابعة لآل البوعلي، وأوقفت الهجوم المقرر على البحرين، وعلى الرغم من احتجاج الباب العالي على التصرف البريطاني، إلّا أنّ الهزيمة كانت بداية نهاية الوجود العثماني على ساحل الخليج، راجع : لوريمير ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، مصدر سابق ، ج ٣، ص ١٣٨٩-١٣٩٢

وقامت بتدمير وطرد القبائل الموالية للعثمانيين فيها، الأمر الذي يعني ضياع نفوذ العثمانيين في الزبارة، لا بل الساحل القطري ككل^(١).

وعلى الجانب الآخر للداخل القطري، كان الشيخ جاسم يسعى لجمع كل قبائل قطر حوله لتعزيز موقفه في ظل هذا النزاع العثماني- البريطاني، فاعترف الشيخ جاسم بتبعية خور العديد^(٢) لشيخ أبو ظبي خليفة بن شخبوط^(٣)، في محاولة منه لزيادة المقربين والمتحالفين معه، واستطاع بهذه الطريقة الذكّة فرض سيطرته وكسب المؤيدين له في المناطق المجاورة، لكن محاولته كسب القبائل المحيطة به انعكست سلباً على علاقته ببريطانيا، فتعاون الشيخ مع سعود بن راشد ورِيث آل سعود، ومع قبائل الهجر الذين تتهمهم بريطانيا بالقرصنة دفعته لعدم تجديد اتفاقيات الهدنة البحرية التي وقّعها والده مع بريطانيا سابقاً، وما كان يزيد حالة عدم الاستقرار في علاقة الشيخ جاسم مع بريطانيا تدخلها المستمر في الشؤون الداخلية لقطر، لاسيّما عندما حاولت استغلال الصراع بين الشيخ جاسم وأخيه الشيخ أحمد على السلطة^(٤) لتعزيز نفوذها في قطر، إلا أن موت الشيخ أحمد الذي طلب دعم بريطانيا ضد أخيه سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥ أوقف المحاولة البريطانية^(٥)، ومع ذلك تمكّنت بريطانيا من وقف نفوذ الشيخ جاسم آل ثاني فيما وراء الوكرة على الساحل الشرقي من قطر، ومنعته من الوصول إلى شمال غربي قطر، وبذلك أصبحت قطر أرضاً للنزاع العثماني-البريطاني حتى عام ١٣٣٠هـ/١٩١١، حيث بدأت منذ هذا التاريخ النقاشات الجدّية بين العثمانيين الثوريين (جمعية تركيا الفتاة)^(٦) وبريطانيا، التي حاولت تدعيم موقف شيخ

(١)- خاصة أن ناصر بن مبارك المعين لحكم الزبارة من قبل العثمانيين تراجع عن موقفه الموالي للعثمانيين موضحاً في رسالة إلى المقيم البريطاني في الخليج بريدوكس (Prideaux) عام ١٩٠٥/١٣٢٣م رغبته في إجراء مصالحة مع شيخ البحرين عيسى بن خليفة وان يعود للسكن في الزبارة كواحد من رعايا البحرين. أنظر : IOR R/15/2/4 (India Office Library)

(٢)- خور العديد ذراع من البحر يخترق الساحل بين شبه جزيرة قطر وأبو ظبي بطول ستة أميال وعرض أربعة يمتد من رأس الحولة إلى الوكرة وإلى جزيرة صير بني ياس وأهم جزرها : دلما وغانمة والقفاي . للمزيد من المعلومات حول هذه المناطق راجع: لوريمير، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٣٧١٥ وما فوق

(٣)- حيث كان هناك نزاع عليها بين حاكم أبو ظبي وشيخ القبسات خادم بن نهيان الذي غادر أبو ظبي إلى العديد بعد خلافه مع شيخها وحاول الإقامة فيها كإمارة مستقلة ، متكللاً على دعم شيخ قطر كما أخبر بيللي في رسالة قال فيها: ...أنا خادم بن نهيان تابع لشيخ قطر منذ أيام أبي وجدي، الأمر الذي رفضته بريطانيا رفضاً قاطعاً خشية امتداد النفوذ العثماني وراء العقير . للمزيد من المعلومات حول هذه المشكلة راجع: شركة الزيت العربية-الأمريكية إدارة العلاقات العامة، شعبة البحث، عمان والساحل الجنوبي للخليج العربي، القاهرة، ١٩٥٢ ، ص ٢٥٥؛ أيضاً: Schofield , Arabian Boundary Disputes , London 1992 ,vol 16, p -180-181

(٤)- مكتب وسجلات الهند ١٠/٤/ بي- سي- ل رقم ٧٧ لعام ١٩٠٤ حكومة الهند الدائرة الخارجية سري/خارجي رقم ١٨٥ مؤرخة في ٢٩ ديسمبر/كانون أول ١٩٠٢ (سري) حيث تظهر رسالة موجهة من الكولونيل سي.اي كمبيول القائم بأعمال المقيم السياسي في الخليج إلى القائم بأعمال سكرتير حكومة الهند في الدائرة الخارجية رغبة بريطانيا في استغلال الحالة غير المستقرة بين أفراد أسرة آل ثاني آنذاك أنظر: الخرش والمنصور ، مصادر تاريخ قطر ، مرجع سابق ، ص ١٢٤

(٥)- وقد ورد طلب الحماية في برقية أرسلها نائب الملك في الهند إلى الحكومة البريطانية بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٠٣م. أنظر: L/PAS10/4/160 وثيقة رقم ٧٣ في: المرجع السابق ، ص ٤٢

(٦)- جمعية تركيا الفتاة هي التي نظمت الثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني وأطاحت به عام ١٩٠٩م . للمزيد من المعلومات راجع: المقدسي ، محمد روجي الخالدي ، الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة ، مجلة المنار ، المجلد ١١ ، شوال ١٣٢٦/١٩٠٨م ، ص ٨٣٦-٨٤٣

البحرين بالنسبة لقطر، في حين حاولت الدولة العثمانية تدعيم شرعيتها في قطر والكويت والإحساء والبحرين^(٢)، فأخذ الشيخ جاسم منذ عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م بالتباعد سياسة تقوم على التقرب من بريطانيا، ولاسيما أن القطريين شعروا بأن العثمانيين آنذاك يقدمون دعمهم لأعداء قطر من آل الصباح في الكويت، وذلك عندما هاجم آل الصباح بني هاجر المتمتعين بحماية الشيخ جاسم آل ثاني^(٣)، عندها وجد الشيخ أن النفوذ العثماني في قطر أصبح عبئاً عليه بدل أن يكون داعماً له، وبدأ الانشقاق بين قطر والدولة العثمانية يظهر جلياً منذ عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١، عندما طلب قاسم من قبيلة القبيسات الذين يقيمون في الوكرة أن يسكنوا العديد ووعدهم قاسم بأنه سيكون معهم على الخير والشر^(٤).

ووافقت هذه الجماعة على طلب الشيخ بشرط أن يعين أحد أبنائه أميراً عليهم وليس موظفاً عثمانياً، وظهر الانشقاق في مناسبة أخرى عندما عارض الشيخ قاسم إقامة مركز جمارك عثماني في منطقة البدع متذرعاً بأن الناس سيهجرون المكان في حال أقيم هذا المركز، وقد أصر العثمانيون على المركز، وأقاموه رغماً عن الشيخ. ولذلك، قدم الشيخ قاسم استقالته من منصبه كقائم مقام للباب العالي^(٥)، وطلب من السلطنة العثمانية انتقاء شخص آخر لتسيير الأمور^(٦)، وعلى خلفية هذا الحدث رفض الشيخ قاسم استقبال والي البصرة في أثناء زيارته لقطر عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م وأرسل أخيه أحمد بدلاً منه، ورفض زيارة الوالي عندما طلب منه ذلك، مما أدى إلى حصول اشتباك عسكري بين قوات الوالي وقوات قاسم انتهت بخسائر كبيرة للجانبين. وقد بدأ الشيخ قاسم بعدها يتودد للبريطانيين معلناً أنه سيجدد اتفاقية عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م مع بريطانيا طالباً مساعدتها في حل المشكلة مع العثمانيين^(٧)، وهذا لم يكن يعني حينها الاقتراب من البريطانيين بشكل كامل، فالتعاون الذي حصل بين الشيخ أحمد والبريطانيين عطل علاقة بريطانيا مع الشيخ جاسم، في حين تزايدت مع الشيخ أحمد في الدوحة، واستمرت حالة الاستقرار في تلك العلاقة حتى عام ١٣٢٣/١٩٠٦ حين طلب الشيخ جاسم مقابلة المعتمد البريطاني في البحرين، وجرت المقابلة مع المترجم الخاص للمعتمد بسبب انشغاله شخصياً، ونقل خلالها وجهة نظره للأحداث

(٢) - للمزيد من المعلومات راجع : Wilkinson ,p73-83

(٣) - لوريمير ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٢٥١

(٤) - الأمر الذي أثار استياء حاكم أبو ظبي الشيخ زايد بن خليفة واعتبره تهديداً لسيطرته على جزء من أرضه ، فطلب من بيللي السماح له بالتصدي لهم ، مما دفع خادم بن نهيان شيخ القبيسات إلى بعث رسالة إلى بيللي يؤكد فيها تبعيته لشيخ قطر . للمزيد راجع : Penelope , J.A. Saldanha , COLLECTION , PERSIAN GULF Gazetter , Political and historical materials

(٥) - أيضاً ؛ Tuson , Records of Qatar Primary Documents , London , 1991 , Vol. 4 , P 8

Penelope Records of The Emirates, Primary Documents 1820-1958 , London , 1990 , Vol. 4 , P 86 ,Tuson

(٦) - وقد رفض الباب العالي الاستقالة وطالبه بالاستمرار بعمله، إلا أن إصراره على الاستقالة دفع والي البصرة للطلب من وزارة الداخلية والصدارة العظمى إيجاد البديل. للمزيد من المعلومات راجع الوثائق العثمانية لدى: العناني، وثائق تاريخ قطر، مصدر سابق، ص ٨٨-٨٩

(٧) - للمزيد من المعلومات حول هذه الحادثة وتداعياتها راجع: ابراهيم ، أمراء وغزاة ، مرجع سابق، ص ٧٠-٧٥ ؛ فقد طلبت الحكومة البريطانية من المقيم البريطاني في مسقط روس Charles Ross عدم الضغط على الشيخ قاسم بن ثاني والاكتفاء بالحصول منه على تعهد شفوي يلتزم بموجبه بتجديد المعاهدة الموقعة ١٨٦٨م. للمزيد راجع : Schofield , Arabian Boundary Disputes , 1992 , vol 16 , p177

السياسية في قطر، الأمر الذي كان ينذر بأن التحوّل القطريّ نحو بريطانيا سياسياً أصبح أمراً واقعاً ومسألة وقت لا أكثر، حيث بدأ شيوخ آل ثاني يطلبون الحماية البريطانية منذ أوائل القرن العشرين، وأمّا الأسباب التي دفعت الشيخ جاسم إلى الحماية البريطانية فهي عديدة منها: ازدياد القرصنة على ساحل قطر، خاصة بعد اختلال الأمن إثر اغتيال الشيخ أحمد وإتّهام عبد الله بن جاسم بذلك^(١)، إضافة إلى المشكلات القبلية وعدم قدرة الأتراك العثمانيين على ضبط الأمن في المنطقة^(٢)، وكثرة المبالغ التي كان يدفعها الشيخ جاسم لهم^(٣)، وقد ساعد التعاون بين الشيخ جاسم والبريطانيين ضد أحد القراصنة، وهو الشيخ أحمد بن سليمان الذي وصفه المعتمد البريطاني في الخليج بيرسي كوكس بالشّقي إلى نوع من التقارب بين الطرفين^(٤)، حيث توجه كوكس برسالة في العام ١٩٠٦/هـ إلى الشيخ جاسم يطالبه فيها بإخراج أحمد بن سليمان من الدوحة بسرعة^(٥)، فكان هذا التعاون بداية إدراك بريطانيا أنّ الأمن لن ينتظم في مياه الخليج العربي دون التعاون مع شيوخ قطر، ولا سيما أنّ السيادة الاسمية للدولة العثمانية على قطر كانت حاجزاً أمام بريطانيا، ولم ينته ذلك إلا بعد توقيعها معاهدة الحماية مع قطر ١٩١٦.

شهدت المرحلة التاريخية التي سبقت الحرب العالمية الأولى بعام وما بعدها بعدة أعوام خلوّ الجعبة العثمانية من كلّ مناطق نفوذها في شبه الجزيرة العربية ومياه الخليج العربي، فلم تكن الحرب العالمية الأولى وحدها الضربة القاضية للوجود العثماني في شبه الجزيرة العربية، بل الاتّفاقات التي أعلنت الدولة العثمانية نفسها عن توقيعها أو المفاوضة عليها كما هو الحال في الاتّفاقيّة الموقعة مع بريطانيا عام ١٩١٣/هـ والتي شرعت أبواب شبه الجزيرة العربية للنّفوذ البريطاني بعد تخليها عن مناطق نفوذها هناك، واعترفت فيها بشكل صريح بالنّفوذ البريطاني في الخليج العربي، وقد كانت هذه الاتّفاقيّة بداية لظهور مسألة الحدود الثابتة الفاصلة بين منطقة نفوذ وأخرى، فالخطّ الأزرق والبنفسجي اللذان أسفرت عنهما الاتّفاقيّة البريطانية- العثمانية عام

(١) حيث أصبح الشيخ عبد الله في هذه الأثناء وكيلاً لقائمقام قطر بموجب قرار التعيين العثماني. للمزيد من المعلومات راجع: الملحق رقم (٣٢)

(٢) حيث أنّ الدولة العثمانية لم تستطع إجبار بريطانيا على إعادة أموال الشيخ قاسم التي أمرت الشيخ عيسى آل خليفة الحجز عليها بعد أن حملت مسؤولية الاعتداءات التي تعرض لها الرعايا الهنود بعد مغادرته للدوحة إلى منطقة رأس الزين، وفرضت غرامة مالية عليه. للمزيد من المعلومات راجع :

I.O.R L/P/ts/10/162 (India Office Library) British relations with Turkey in the Persian Gulf . memorandum on Lieutenant – Colonel Cox's telegram repeated in Government of Indi's telegram of 1st December 1910

والوثيقة: I.O.R R/15/2/26 (India Office Library) from Captain F.B Prideaux , political agent , Bahrain To the political Resident in the Persian Gulf Bushire

PENELOPE . TOUSON . Records of Qatar primary , VOL, p 259- (٣)

(٤) فقد كان احمد بن سليمان من القبائل التابعة للحكم العثماني ، لذلك اعتبرت بريطانيا ذلك عجزاً عثمانياً وأرسلت سفينتها سفنكس إلى سواحل قطر والقطيف نهاية العام ١٩٠٥ بجحة مساعدة الدولة العلية ضد القرصنة ، الأمر الذي احتجت عليه الدولة العثمانية ، وأدى إلى مشكلة دبلوماسية بين البلدين. انظر الأرشيف العثماني : الوثيقة BOA, BEO 205990; 189813 نقلاً عن: قورشون ، قطر في العهد العثماني ، ص ٢٣٢

(٥) R/15/2/E/5 ، وثيقة رقم ٧٨-٨١ ، الخترش ، المنصور ، مصادر تاريخ قطر ، مرجع سابق ، ص ٤٥

١٣٣٢هـ/١٩١٣^(١)، كانا بداية ظهور المشكلات الحدودية بعد نشوء الدول الحديثة في شبه الجزيرة العربية، حيث أعطى ترسيم الحدود براً مع السعودية واليمن وفقاً للخطين المذكورين الشرعية لمحميات التاج البريطاني في المنطقة، وبموجب هذه الاتفاقية المؤلفة من **خمس عشرة** مادة أخذت قطر الاعتراف باستقلالها الكامل تحت حكم آل ثاني^(٢)، وغيرها من التفاصيل المهمة التي لا علاقة لبحثنا بها، لتنه الدولة العثمانية فصول تواجدها في شبه الجزيرة العربية، بخاتمة تركت لأبناء المنطقة الكثير من المتاعب والمشكلات التي استعصت على الحل، وشرعت أبواب المنطقة للتدخلات الخارجية.

وهكذا استطاعت قطر فرض نفسها على الساحة السياسية كدولة لها شخصيتها، وتمّ إجراء الحماية العثمانية عن قطر، والضّغط على شيخ البحرين للتخلي عن مطالبه فيها، لتصبح الحدود القطرية مؤشراً على ظهور الدولة القطرية الكاملة السيادة، وإن حدث ذلك بتدخلات بريطانية، ولتبدأ منذ تلك اللحظة مسيرة الدولة القطرية الحديثة، التي استهلّت عملها الرسمي كدولة بتوقيع الشيخ **عبد الله بن جاسم**^(٣) اتفاقية الحماية مع بريطانيا عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦^(٤)، فكانت وقتذاك دعامة لحكم آل ثاني في قطر من جهة، وحاجزاً لمنع التدخلات والاعتداءات الخارجية على قطر من جهة ثانية، ولأسيماً أنّ بريطانيا في اتفاقية دارين (القطيف) مع السعودية عام ١٣٣٤هـ/١٩١٥ أخذت تعهداً من الأمير عبد العزيز آل سعود بعدم التعرض لقطر أو التدخل في شؤونها الداخلية لأنها بموجب الاتفاقية السابقة أصبحت تحت الحماية البريطانية^(٥).

(١) - L /PA/18 Mem B 437 نص يغطي الفترة الممتدة بين العام ١٩٠١ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. راجع وثيقة رقم ١٢٩،

الخرش والمنصور، مصادر تاريخ قطر ، مرجع سابق ، ص ٦٧-٦٨

(٢) - لقد جاء في المادة الحادية عشر أن حكومة الإمبراطورية العثمانية قد أسقطت مطالبها بشأن جزيرة قطر، وأصبح مفهوماً لدى الحكومتين أن الجزيرة يقوم على حكمها الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني وخلفاؤه وإن حكومة صاحبة الجلالة أنه لن يسمح لشيخ البحرين بالتدخل في شؤون قطر الداخلية. للمزيد من المعلومات راجع: ولكنسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص ٩١-٩٣

(٣) - لقد تأخر توقيع الاتفاقية على الرغم من جلاء الأتراك عن قطر لحصول خلافات حول السلطة فور وفاة الشيخ جاسم عام ١٩١٣م حيث نافسه أخوه خليفة على السلطة فور وفاة أبيه ، فاستجد الشيخ عبد الله بالبريطانيين الذين وقفوا إلى جانبه ودعموا موقفه، وقد قدمت بريطانيا كل وسائل الدعم للشيخ عبد الله أنظر: R/15/2/E/14 و P. 4140/1914 وثيقة رقم ١٠٧-١٠٨ نقلاً عن: الخرّش والمنصور، مرجع سابق ، ص ٥٤-٥٥

(٤) - للمزيد من المعلومات حول الاتفاقية راجع : المنصور ، التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦م، ص ١٢٤-١٣٤

(٥) - للمزيد من المعلومات حول الاتفاقية راجع: سعيد ، أمين ، العربية السعودية ، مطابع دار الهلال ، الرياض ، د.ت ، الجزء الثاني،

ص ٧٥-٧٦

د-العلاقة بين السعودية وقطر بعد اتفاقية عام ١٨٦٨ مع بريطانيا:

استمر القطريون يدفعون الضريبة السنوية للإمام الوهابي في نجد، حتى بعد الاتفاق البريطاني- القطري عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨، حيث تعهد الشيخ محمد آل ثاني أن يسلم المبلغ المفروض على قطر لشيخ البحرين ليكون ممثلاً عن القبائل القطرية أمام ابن سعود. أما الموقف البريطاني تجاه التطورات السياسية والعسكرية في ساحل الخليج في أثناء التحرك السعودي لاستعادة أرض آبائهم وأجداهم، فلم يكن موقفاً متشدداً ومتصدياً للسعوديين، لأن القوات السعودية اكتفت بالطاعة الاسمية في قطر والبحرين وبالزكاة المدفوعة، من هنا وافقت بريطانيا على حل المسألة بالطريقة السلمية والموافقة على الزكاة المفروضة على كل من قطر والبحرين، مقابل حماية رعاياها هناك من الهجمات الوهابية. وبعد وفاة الأمير فيصل وحصول فتنة بين ولديه عبد الله وسعود عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥^(١)، بدأ النفوذ العثماني يستعيد عافيته في منطقة الخليج العربي بعد فترة غياب قصيرة، وذلك عندما طلب الأمير عبد الله بن فيصل مساعدة الدولة العثمانية ضد أخيه، فاستغلت ذلك الطلب لاستتياق هواء الخليج العربي سياسياً من جديد، ليبدأ النفوذ العثماني بالتّمدد على إمارات الخليج، فاستمر شيوخ البحرين بدفع الزكاة لحماية حدودهم^(٢)، ثم تلتها قطر التي أصبحت بعد حملة عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١ العثمانية على منطقة الإحساء قضاءً تابعاً للواء نجد^(٣)، فقد قسم لواء نجد إلى أربع أقضية: قضاء الهفوف والقطيف وقطر ونجد^(٤)، لكن الأوضاع السياسية لم تستمر كثيراً على هذا الحال، وفضلت الدولة العثمانية التخلص من حكم الأسرة السعودية على نجد خشية ازدياد قوتهم وتمردهم على العثمانيين مجدداً، فأنتهت عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١ حكم آل سعود عليها^(٥)، ليستمر بعدها الصراع بين أفراد البيت السعودي إلى أن قضى آل الرشيد على الدولة السعودية الثانية نهائياً عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١.

(١) - Aitchison , Treaties And Engagements , P 185

(٢) - المنصور ، التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦، مرجع سابق ، ص ١٩٤-١٩٧

(٣) - أصبحت قطر قضاءً تابعاً للواء نجد وجاء توصيف قطر في حولية البصرة أن قضاء قطر يقع إلى الجنوب الشرقي للواء نجد على بعد ساعة من البحر وهي تدار بواسطة قائم مقام فخري والنائب القاضي الشرعي ومعاون القائم مقام ورئيس الكتاب، ويقيم فيها طابور من العساكر النظامية، ويبلغ عدد سكانها مع ملحقاتها سبعة آلاف وتسعمائة نسمة تقريباً. راجع :النامة ولاية البصرة لسنة ١٣١٠هـ، ص ١٦٩

(٤) - وقد تألف قضاء قطر من البدع ، الزيارة والعديد ، الوكرة ، وقد عرضت بريطانيا تعيين الشيخ عبد الرحمن بن قاسم آل ثاني مديراً للوكة ، الأمر الذي ظهر في رسالة موجهة من القنصل البريطاني في البصرة السير و.أي .كرد إلى الكابتن هنت المقيم السياسي في الخليج العربي جاء فيها " يشرفني أن أعلمكم أن سفير حكومة صاحبة الجلالة يقدم الآن احتجاجات جديدة على تعيين عبد الرحمن في الوكرة ، وطبقاً لتعليمات سعادته فقد ذكرت الوالي بأن أوامره كانت تقطع بعدم تعيين مدير للوكة قد يضر بالوضع الراهن في شبه جزيرة قطر . راجع: الخترش والمنصور ، مصادر تاريخ قطر ، مرجع سابق ، ص ١٢٨

(٥) - وعينت متصرفاً عثمانياً بدلاً منهم، حيث تم تعيين الفريق نافذ باشا قائد الحملة العسكرية كأول متصرف عثماني على الإحساء(١٢٨٨- ١٢٩٨ / ١٨٧١-١٨٧٢م). أنظر: النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٧٥م، ص ٥٤-٥٥

أما قطر فقد دخل شيخها جاسم آل ثاني تحت عباءة الحماية العثمانية بعد أفول قوة السعوديين، خشية أن يكون لقمة سائغة لشيخ البحرين^(١)، وأخذ يستغل الوجود العثماني للسيطرة على الأوضاع في قطر على كل الصعد ولا سيما الاقتصادية، والسعي لتحجيم دور التجار الهنود الذين هم تحت الحماية البريطانية^(٢). مما أثار مخاوف بريطانيا التي سرعان ما تلاشت^(٣)، فالهدوء في علاقة الطرفين سرعان ما تحول إلى توتر على خلفية فتح الشيخ جاسم آل ثاني أبواب قطر في وجه عبد الرحمن الفيصل وأسرته آل سعود، على الرغم من معرفته الأكيدة بحالة العداء بين آل سعود والعثمانيين، إلا أن الضغط العثماني على شيخ قطر وتعزيز الحماية العثمانية النظامية فيها اضطر الشيخ إلى إبعاد آل سعود عن قطر إلى واحة جبرين بعد فترة وجيزة من استضافته لهم، إلى أن تغير الموقف العثماني من آل سعود، وسمحوا لهم بالإقامة أينما أرادوا، وصرفوا للأمير عبد الرحمن راتباً شهرياً، فاستقر الأمير في الكويت حتى تاريخ تمكن ابنه الأمير عبد العزيز آل سعود، من استعادة دولة أجداده بعد مغامرته الجريئة واستعادة الرياض عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م ثم توسعه في نجد والسيطرة على كل المناطق التي كانت تابعة للدولتين الأولى والثانية، وتمكنه من بناء الدولة السعودية الثالثة، التي أصبحت تسمى منذ عام ١٩٣٢ المملكة العربية السعودية^(٤).

وفي هذه المرحلة لم يكن شيخ قطر معادياً للدولة السعودية الناشئة لا بل على العكس، حيث جاء سياق الأحداث السياسية وتطورات العلاقة بين الشيخ القطري والسلطان العثماني، ليخلق نوعاً من التعاون القائم على تبادل المصالح بين السعودية وقطر، فقد كانت العلاقة العثمانية مع شيخ قطر تدخل في كثير من الأحيان في مآزق سياسية وصلت بالشيخ في نهاية المطاف إلى اللجوء إلى الحماية البريطانية بدلاً من العثمانية، ومنها على سبيل المثال موقف شيخ قطر الرافض للهجوم العثماني على الرياض عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، فبعد حادثة الصريف التي خسر فيها شيخ الكويت أمام ابن الرشيد، علم الشيخ جاسم بنية ابن الرشيد مهاجمة الرياض عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م بناءً على رغبة عثمانية بالقضاء على الدولة السعودية قبل أن يشتد عودها، وسارع الشيخ إلى

(١) - I.O.R R/15/2/26 (India Office Library) From Captain F. B . Pprideaux , Political Agent , Bahrain . To – The Political Resident in the Persian Gulf Bushier

(٢) - لقد قد قام الشيخ قاسم باعتقال اثنين من التجار الهنود (راما وتشلا)، وأرسلهما إلى متصرف الإحساء مزيد باشا ١٢٩١-١٢٩٣ / ١٨٧٤م - ١٨٧٦م للتحقيق معهما، وكان هدف الشيخ قاسم من ذلك توجيه ضربة للعمل التجاري لبريطانيا في قطر، لتكون بالتالي تجارة البدع بين يديه.

للمزيد راجع : J.A. Saldanha 14 COLLECTION , PERSIAN GULF Gazetter , Political And Historical

Précis Materials of Bahrain Affairs 1854-1904 , Calcutta 1982, p 13

(٣) - فقد أدى قيام الشيخ قاسم بطرد الهنود من قطر إلى البحرين وما تبع ذلك من تهديدات بريطانية له بقصف الدوحة وإجباره على دفع غرامة مالية (ثمانية آلاف روبية) والاعتذار من الحكومة البريطانية، إلا أن بريطانيا بدأت منذ تلك اللحظة بأهمية توقيع معاهدة حماية جديدة مع شيخها، الأمر الذي ظهر في طلب المقيم البريطاني روس E. Ross من حكومة الهند عام ١٨٨٢م بتوقيع معاهدة مع الشيخ قاسم يعترف بموجبها باستمرار سريان معاهدة ١٨٦٨م. للمزيد راجع: لوريمير، دليل الخليج، القسم التاريخي، مصدر سابق، ج ٣ ، ص ١٢٣١؛ أيضاً: Schofield ,Arabian Boundary Disputes ,Vol.16, P175-177؛ أيضاً: المنصور، التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦ ،

مرجع سابق ، ص ٩٦

(٤) - للمزيد من المعلومات حول تلك الأحداث راجع: المنصور ، المرجع السابق ، ص ٩٥ - ٩٩

تحذير السلطان العثماني من مغبة إصراره على تنفيذ هذه الحملة، حيث أحاطه علماً بأن ابن الرشيد مرفوض في قطر، وأن أهل قطر ينظرون إليه بعين العداء.

وهنا يأتي التساؤل كيف أن شيخ قطر اتخذ مثل هذا الموقف الصريح دون خوف من أي ردّة فعل عثمانية، وكيف أن وجود الحامية العثمانية على أراضيها لم يشكل عليه أي ضغط ولو من الناحية المعنوية؟ والجواب في الحقيقة يعتمد على نقطتين رئيسيتين: الأولى تنطلق من معرفة الشيخ جاسم الأكيدة أن ابن سعود أصبح قوة كبيرة، وأن القوة العثمانية لا تمتلك القدرة الكافية على تهديده عكس وضع قوة ابن سعود التي كانت في حالة تصاعدية^(١)، وأنه سيعرض بلاده لعداء ابن سعود إذا اتخذ قراراً بمساندة العثمانيين ضده، وبالتالي قد يهدّد ذلك القرار استقلال قطر. النقطة الثانية أن الشيخ في هذه المرحلة أصبحت لديه ميول نحو بريطانيا، خاصة أن المدّ العثماني-الرشيدي لن يتوقف بالتأكيد عند الرياض، لا بل سيتمدّد إلى مشيخات الخليج، ومن هذا الموقف انطلقت لحظة جديدة في تاريخ العلاقة بين السعودية وقطر من جهة، والدولة العثمانية وبريطانيا من جهة أخرى، فقد أظهرت الأحداث نوعاً من التضامن بين قطر والكويت التي دخلت منذ العام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م تحت الحماية البريطانية مع ابن سعود في وجه الحملة العثمانية من خلال ابن الرشيد على الرياض ١٣٢٣هـ/١٩٠٥، رغم أن شيخ قطر آنذاك كان يحكم بصفته موظفاً عثمانياً برتبة قائممقام^(٢)، إلا أن خشيته من خسارته لشبه استقلاليته في حكم قطر من خلال الإحساء الخاضعة للسيادة العثمانية بشكل مباشر، بوصفها قاعدة عثمانية متقدمة لتدعيم النشاط السياسي العثماني في مياه الخليج العربي منذ عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢، دفعته إلى التعاون مع ابن سعود، على ألا ننسى أن الروابط التاريخية والاجتماعية بين مناطق شبه الجزيرة العربية قد رجّحت كفة ابن سعود على الدولة العثمانية في تلك اللحظة السياسية^(٣).

وقد تراكمت هذه الأحداث مع ازدياد أعمال القرصنة (تحركات عرب الخليج ضد بريطانيا) بشكل كبير على ساحل الخليج العربي، ممّا دفع بريطانيا إلى التفكير ملياً بإقامة علاقات مع قطر، واتخاذها حاجزاً يفصل بين مناطق نفوذها ومناطق نفوذ الدولة العثمانية، إلا أن بريطانيا الساعية لزيادة نفوذها في قطر لم تكن راغبة في استفزاز الدولة العثمانية، فلم تقم علاقات علنية مع ابن سعود، مع أنها كانت ترسل له إشارات سياسية عبر مسؤوليها برغبتها في التعاون معه، وصبّت بريطانيا اهتمامها في هذه المرحلة الزمنية بالمحافظة على المنطقة العازلة التي أنشأتها عبر استحداث شريط ساحلي في الكويت وساحل وقطر.

(١) - فقد أشار الكاتب كثرى GUTHRIE قائد السفينة مي فريبر إلى أن الحامية العثمانية في الدوحة تتألف من ٣-٤٠ جندياً تحت إمرة

ضابط واحد. للمزيد راجع: Schofield , Island and Maritime Boundaries of the Persian Gulf, VOL 3 , P 399

(٢) - لم يعمل العثمانيون بعد عودتهم إلى الخليج العربي على إزالة حكم شيوخ القبائل ، فأبقوا الشيخ قاسم آل ثاني قائمقاماً على قطر. للمزيد من المعلومات راجع : أبو زيد ، راشد توفيق ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، ط ١ ، دار راشد توفيق ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤-١٥ ؛ أيضاً: العناني ، وثائق التاريخ القطري ، مصدر سابق ، ص ٨٦

(٣) - وثيقة رقم ٥ رسالة من والتر تويتلي إلى الماركيز لاتسدون ، في ٢ يناير ١٩٠٥م. نقلاً: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ، مصدر

سابق ، الجزء الأول ، ص ٤١-٤٥

لذلك، يمكننا تفسير موقفها الحازم ضد محاولات ابن سعود التّدخل في شؤون قطر^(١)، والذي ظهر بشكل جليّ في مسودة البرقيّة الموجهة من مكتب الهند إلى بيرسي كوكس، وتطلب فيها إخبار ابن سعود بأن الحكومة البريطانيّة لن تسمح له بالتّدخل في الشؤون القطريّة مهما كانت المبررات^(٢)، وتكرّس هذا الموقف من خلال المادّة السادسة من معاهدة القطيف (دارين) عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م بين بريطانيا وابن سعود، حيث جاء فيها "يتعهّد ابن سعود كما تعهّد آبؤه من قبله بالامتناع عن كلّ اعتداءٍ أو تدخّلٍ في أراضي الكويت والبحرين وقطر وساحل وعمان".

وهكذا استطاعت بريطانيا ضبط التّطورات الحاصلة في شبه الجزيرة العربيّة لمصلحتها من خلال المعاهدات المانعة مع أمراء الجزيرة والخليج العربي، وذلك من خلال إشاعتها جوّاً يخيف الأمراء في الخليج العربيّ من بعضهم البعض، وتحميلهم جميلة وجودها في الخليج على أساس أنّ هذا الوجود هو الذي يحميهم من الآخرين، فما كان من شيخ قطر سوى الموافقة على توقيع معاهدة الحماية معها عام ١٩١٦م التي أنقذته من التّوسّع السعودي على حدوده الجنوبيّة وابتلاعها^(٣)، حيث جاء في المادّة الحادية عشرة من المعاهدة "وهم أي البريطانيون يتعهدون بمنحي -أي شيخ قطر- معاونة فيما إذا هوجمت أنا أو رعاياي داخل قطر"^(٤)، ولاسيّما أنّ ابن سعود أطلق شعار "استعادة أرض الإباء والأجداد" وفي الوقت نفسه الذي استغلّت فيه بريطانيا التّوسّع السعوديّ لإخافة بقيّة الإمارات، فرضت على ابن سعود الاعتراف بالاتّفاقيّة البريطانيّة-العثمانيّة بوصفه وريثاً للدولة العثمانيّة، وبالتالي كرّست الحدود هناك وفقاً لمصلحتها، وبما يوفّر لها الحفاظ على الحدود التي اتّفقت عليها مع الدولة العثمانيّة، ولاسيّما أنّ هزيمة الأخيرة وألمانيا في الحرب العالميّة الأولى أبعدت كلّ المنافسين لها، وأصبحت السّاحة السياسيّة في شبه الجزيرة العربيّة خالية لها.

أظهرت الأحداث كلّها التي عاشتها منطلقة الجزيرة العربيّة أنّ ابن سعود اقتنع على ما يبدو ولو مؤقتاً بالحدود التي فرضتها الاتّفاقيّة البريطانيّة-العثمانيّة، وبدأ يتعامل إيجابياً مع هذا الواقع، فلم يحاول فرض رأيه على المنطقة العازلة بالقوّة، لا بل أظهر نوعاً من التّعاون مع شيوخها، كما حصل في ثورة العجمان في الإحساء عندما طلب من شيخ البحرين وقطر قطع المؤن عن الثّوار^(٥)، وكان التزام الشّيخ عبد الله بذلك دليلاً على معرفة كلّ طرف لحدود العلاقة بينهما، وعدم استفزاز الطّرف الآخر، لتنتهي مع نهاية الحرب الأولى علاقة السعوديّة بقطر المشيخة على الطّريقة التقليديّة، وتبدأ علاقة جديدة بين دولتين تسعى كلّ واحدة لترسيم حدودها وفقاً للطّرق الحديثة على أن يكون هذا التّرسيم لمصلحتها.

(١)- بن حارب ، عبد الرحمن يوسف ، الخليج العربي والتطورات السياسية ١٩١٤-١٩٧١ ، دار الثقافة العربي ، الشارقة ، ص ١٥

(٢)- وثيقة رقم ٩٠ لدى : الخترش والمنصور ، مصادر التاريخ القطري ، مصدر سابق ، ص ٤٨

(٣)- العيدروس ، محمد حسن ، تاريخ الخليج العربي المعاصر ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨م ، ص ٢٣٣-٢٣٤ ، ٢٤٥-٢٤٨

(٤)- B. 402 -KATE1908-1916 وثيقة رقم ١٢٦: الخترش والمنصور ، مصدر سابق ، ص ٦١-٦٣

(٥)- للمزيد من المعلومات حول ثورة العجمان راجع : ابراهيم ، أمراء وغزاة ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠-٢٧٥

من كل ما سبق، يمكن أن ندرك تمام الإدراك أن كل التطورات السياسية في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي حتى الحرب العالمية الأولى كانت محكومة بالتحركات الاستعمارية في المنطقتين المذكورتين ولا سيما بريطانيا صاحبة النشاط الاستعماري الأقوى. ولعب الموقع الاستراتيجي لشبه الجزيرة العربية على طرق التجارة العالمية وتحكم العرب بها في فترتي النظام العالمي القديم والوسيط دوراً مهماً في لفت أنظار الدول الكبرى وأصحاب القوة في العالم إليه حتى تاريخنا المعاصر.

وقد كان هذا الموقع الجغرافي المهم السبب الحقيقي والمنطقي وراء تدخلات الدول الاستعمارية في شؤون المنطقة العربية، فقديمًا كانت المواصلات هي الشريان الحيوي الذي يزود الدول بالمال والسلطة والقوة، فكيف إذا اجتمعت المواصلات ذات الأهمية المحورية بين قارات العالم في منطقة واحدة مع ثروات باطنية هائلة ومتدفقة أصبحت، مع تطور الحضارة، أداة الفعل الرئيسية في الاقتصاد العالمي المحرك للنظام العالمي الجديد. الأمر الذي جعل المنطقة تتعرض لغزوات استعمارية متتالية عملت على الأرض العربية خدمة لمصالح بلادهم، على حساب أصحاب البلاد الأصليين الذين أصبحوا يعانون من التجزئة والفقر والتخلف، مما ولد بينهم مشكلات وخلافات مستعصية على الحل. ويأتي في مقدمتها المشكلات الحدودية بين الدول العربية، التي كانت بمثابة القنابل الموقوتة القابلة للانفجار في أي لحظة يختارها المستعمرون، لأنها كانت مؤامرة خفية حاكها نساجو السياسة الغربية بكل حنكة ودقة. ومن هنا كان حل تلك المشكلات الحدودية غير ممكن دون الرجوع إليهم.

الفصل الثاني

منازعات الحدود السعودية - اليمنية وطرق تسويتها

بين عامي ١٩١٣ و ١٩٩٥

شهدت المرحلة التاريخية التي رافقت إعادة بناء الدولة السعودية الثالثة سلسلة من التطورات التوسعية، والمشكلات الحدودية بين الدول المتجاورة في شبه الجزيرة العربية، لتوفير مقومات قيام الدولة القوية والقادرة وفقاً لوجهة نظرها، ولاسيما أنّ هذه الدولة شهدت دعماً ملحوظاً من المؤمنين بالدعوة الوهابية في مناطق واسعة من شبه الجزيرة العربية، ولم تجد مقاومة بريطانية فعلية لقيامها، بل كانت بريطانيا في بعض الأحيان تغض النظر عن الكثير من التحركات السعودية في المنطقة ما لم تتعارض مع مصالحها ومن هذه النزاعات النزاع السعودي - اليمني^(١).

كانت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن الشمالي والجنوبي وعسير ونجران وجيزان) تعيش حالة من التفكك الإقطاعي والأسري، وتخضع لكثير من التبدلات السياسية واللواءات القبلية وفقاً للظروف التي كانت تعيشها المنطقة، وساهم في ذلك حالة الجمود والتخلف الفكري، مما جعلها تتعرض للكثير من الغزوات العسكرية العثمانية منها و الأوروبية، كل تلك الأوضاع غير المستقرة شجعت الطامعين بأرض اليمن من دول مجاورة أو من بريطانيا الحريصة على مصالحها من التطورات السياسية في شبه الجزيرة العربية، فهذه الفترة التاريخية بدأت تشهد ظهور دول وطنية بالمعنى الحديث للكلمة تسعى إلى زيادة قوتها بضم ما أمكنها من الأراضي القريبة منها^(٢)، مما أدى إلى ظهور مشكلة حدودية ذات أبعاد سياسية مؤثرة على مجريات الأحداث في المنطقة، وذلك على خلفية استحواد السعودية على بعض المناطق التي كانت تعدها اليمن تابعة لها.

أولاً: التطورات السياسية بين السعودية واليمن ١٩١٣-١٩٢٦:

شهدت الفترة الممتدة بين الحرب العالمية الأولى واتفاقية الحماية بين الأدارسة والسعودية الكثير من التطورات السياسية التي كانت تعكس أجواء التوتر بين السعودية واليمن، ولا سيما بعد أن أعطى البريطانيون مدينة الحديدة لحلفائهم الأدارسة، الأمر الذي كان له نتائج مدمرة على الاقتصاد اليمني، الأمر الذي جعل الإمام أمام خيار واحد لحل هذه المشكلة وهو القوة العسكرية.

(١) - أسهم الامتداد الواسع للحدود بين اليمن وجاراتها الشمالية السعودية والذي يتراوح بين ١٤٥٨ و ٢٠٠٠ كم في حدوث منازعات حادة وطويلة في تاريخ العلاقة بين اليمن والسعودية ، كان لها تأثير كبير ليس على البلدين فحسب بل على شبه الجزيرة العربية كلها. تقع اليمن جنوب غرب قارة آسيا، في شبه الجزيرة العربية. يحدها من الشمال والشمال الشرقي السعودية، ويبلغ طول الحدود بينهما ١٤٥٨ كم، ويحدها من الشرق سلطنة عمان بحدود تبلغ ٢٨٨ كم ، ومن الغرب يحدها البحر الأحمر ، وبحر العرب وخليج عدن من الجنوب ، تبلغ المساحة الإجمالية لليمن ٥٢٧٩٧٠ كيلو متر مربع . للمزيد راجع : العمري ، التسوية القانونية لمنازعات الحدود ، مرجع سابق ، ص ١٨٣-١٨٤

(٢) - أبو داود ، عبد الرزاق سليمان ، الحدود السعودية - اليمنية والحل النهائي ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد ٣ لعام ٢٠٠٢م ، ص ٥٤٣

١- ثورة آل عائض ضد الأدارسة في عسير وطلب الحماية من ابن سعود:

حلَّ آل عائض^(١) محل القوات العثمانية بعد خروجها من عسير^(٢)، فالدولة العثمانية اضطرت إلى سحب قواتها من منطقة عسير للاستعانة بها في جبهات القتال الأخرى، فسلمت المنطقة إلى السيد حسن بن عائض عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م^(٣).

ونظراً للعداء بين الحسين والأدارسة قام الحسين باستغلال رغبة الحسن بن علي بن عائض في استرجاع أمجاد أسرته، التي حكمت عسير قبل احتلال العثمانيين لها ١٣٢٩هـ/١٩١١م، فوضع نفسه في موضع العداء مع الإدريسي، وحاول الانفصال عن الإدريسي في منطقة عسير السّرة، ليوّسع بعدها نفوذه شيئاً فشيئاً إلى أن يغدو سيد عسير كلها، وهذا ما أظهرته وثيقة ذكرت أنه بعد خروج العثمانيين من عسير سيطر السيد محمد علي الإدريسي على عسير والأمير حسن بن عايض على عسير السّرة، ثمّ ما لبث الأمير أن خرج على الإدريسي وأوقف الأموال التي كانت ترسل إليه (لما أخرج التّرك من بلاد عسير ولي سيدنا محمد بن علي عسير والأمير حسن بن عايض على عسير السّرة... ثمّ أنّه بعد هذه المدة دارت به الشّقاوة والعصيان إلى مخالفة الإمام وجعل ابن عمه محمد بن عبد الرحمن وساطة بينه وبين شريف مكة وصار محمد بن عبد الرحمن يتوصل من ألبها إلى مكة المّرة بعد المّرة حتّى أنّه ظهر فساد عسير السّرة لأجل الأغراض الدّنيويّة)^(٤)، وهنا التّقت المصالح بين ابن عائض الطامع بعسير وبين الشّريف حسين المعادي للنفوذ المتصاعد للإدريسي، والطامح هو الآخر بمد نفوذه إلى عسير. هدف الشّريف حسين من تحالفه مع ابن عائض إلى توجيه ضربات لأعدائه الأدارسة، ومن خلفهم العدو اللدود ابن سعود، ولتكون عسير السّرة قاعدته الإستراتيجيّة المساعدة لتطبيق خطّته التّوسعيّة المستقبلية في اليمن والسّعوديّة، وبالمقابل يقدم الدّعم لابن عائض في وجه الإدريسي، ولهذه الغاية حرص ابن عائض على إعلان الثّورة على الإدريسي وشجّع قبائل بنو شهر الموالية له على دعم الثّورة، في حين أنّ ابن عائض قد أرسل بالتّزامن مع هذه الأحداث إلى الإدريسي ليعلمه أنّه لم يعد يعمل نائباً له في ألبها، وأنّه أصبح صاحب الأمر فيها فاعتقل الإدريسي وفد ابن عائض، وقطع طريق المواصلات بين السّرة وعسير، وضرب حصاراً على جبال عسير، كان سكانها يعتمدون على الاستيراد من ميناء ميدي وجيزان، فاستعاض ابن عائض عنهما بميناء القنفذة الذي كان بيد الشّريف، وليستكمل الإدريسي خطواته في تفويض ثورة ابن عائض أرسل قواته

(١)- آل عائض هي أسرة تعود سلالتها إلى آل أبو سراح من فخذ آل يزيد من بطن مفيد من قبيلة عسير وهم رؤساء قبيلة عسير وقد انتقلت إمارة عسير إلى جدهم عائض من رجال ألمع. أنظر: حمزة ، قلب جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ص ٣٥٤-٣٥٥

(٢)- للمزيد من المعلومات راجع : الريحاني ، أمين ، ملوك العرب "الحجاز - اليمن - عسير - لحج والنواحي المحمية ، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الثانية ، دون تاريخ ، ص ٣١٧-٣١٨

(٣)- وقد حاول الإدريسي الإيقاع بين الأمير حسن والمتصرف العثماني يحيى الدّين باشا عندما كتب لكلّ منهما محدّراً أحدهما من الآخر، الأمر الذي دفع الباشا العثماني إلى التّشكيك بالأمير حسن، فسحب معه سلاحه لحماية نفسه وجنوده، إلّا أنّ الباشا العثماني أعاد السّلاح إلى الأمير حسن قبل وصوله إلى ميناء الشّقيق، وذلك بعد حسن معاملة المرافقين الذين أرسلهم الأمير للباشا وجنوده لتأمين الحماية لهم في أثناء خروجهم من المنطقة واكتشافه المؤامرة التي حضرها الإدريسي . للمزيد من المعلومات راجع : ، عبد المنعم ابراهيم الدسوقي ، عسير خلال قرنين ١٢١٥-١٤٠٨/١٨٠٠-١٩٨٠ "دراسة في ضوء الوثائق والنصوص العسيرة والمصرية وغيرها " د.ن ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠ ، ص ١١٤

(٤)- للمزيد من المعلومات راجع الوثيقة رقم ٤٧ في: الجميعي ، المرجع السابق ، ص ١١٥-١١٦

بقيادة وزيره **حمود سرداب الحازمي** لمقاتلة ابن عائض وإنهاء التمرد، وكانت النتيجة عكس ما انتهى الإدريسي، حيث انكسر جيشه وتقهقر، فاتحاً الطريق أمام ابن عائض للسيطرة على كل عسير السراة، فوجد الإدريسي نفسه محاصراً بالأعداء من الجنوب الشرقي الإمام، ومن الشمال والشرق الشريف حسين وحليفه ابن عائض، فما كان منه إلا التوجه إلى ابن سعود، حيث طلب منه المساعدة فلبى ابن سعود الطلب فوراً، لعلمه بأهمية السيطرة على عسير السراة بما يمكنه من قطع الطريق على الإمام وعلى الشريف من بلوغ عسير، وقد فكر ابن سعود أن السيطرة على عسير السراة قد تكون الخطوة الأولى لاحتلال الحجاز، فلبى عبد العزيز آل سعود نداء الإدريسي، وأرسل بعثة بقيادة ابنه فيصل بن عبد العزيز إلى جيزان عاصمة الإدريسي، حيث وقعت معاهدة صداقة بين الطرفين في صبيحا عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م تنازل الإدريسي بموجبها لعبد العزيز ابن سعود عن القبائل الموالية له مع مناطقها^(١)، ومن أهم هذه القبائل: (وادعة، قحطان، رفيدة، عبيدة، بني طلق بني شهر، بني غامد، أهل بارق...)^(٢). وبتنازل الإدريسي عن هذه القبائل ومناطقها يكون قد تخلّى عن منطقة عسير الجبلية لابن سعود مقابل دعمه له في وجه ابن عائض، وبموجب المعاهدة السابقة أرسل ابن سعود تحذيراً لابن عائض طالبه فيه بالخضوع والطاعة، فما كان من ابن عائض إلا أن هدد ابن سعود بسحق جيشه، وهي منطقة على الحدود الجنوبية بين نجد وعسير، فأرسل ابن سعود ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي إلى جيشه، فاندلعت معارك طاحنة بين القوات السعودية وقوات ابن عائض تكبد في نهايتها الأخير هزيمة موجعة انتهت بأسره وإرساله إلى ابن سعود، إلا أن ابن سعود حاول اكتساب ابن عائض وعامله معاملة جيدة وأطلق سراحه، وعينه نائباً للحاكم الوهابي في أبها^(٣)، لكن ابن عائض لم يتخل عن حلمه القديم بالسيطرة على عسير السراة، فطالب بعزل الأمير الوهابي، وغادر المدينة واتصل بالشريف حسين، الذي وعده بتقديم الدعم له، مما دفعه إلى مغادرة حصنه في حرمة^(٤)، والتوجه بقواته إلى أبها، وضرب عليها حصاراً دام عشرة أيام انتهت بطرد الحاكم الوهابي فهد العقيلي، وبدخول ابن عائض المدينة، فخشي ابن سعود بعد وصول نبأ سقوط المدينة بيد ابن عائض من أن يشجع هذا الانتصار على قيام ثورات في شمر والمناطق الحجازية المسيطر عليها من قبله، فوجه ١٠ آلاف مقاتل من قواته عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م بقيادة ابنه فيصل للتصدي لابن عائض، حصلت على إثرها معركة انتصر فيها فيصل على قوات ابن عائض ودخل المدينة منهياً ثورة ابن عائض^(٥).

عامل فيصل المدينة بقسوة شديدة، حيث ضرب الثوار ومن دعمهم بيد من حديد، ودمر المدينة تاركاً خلفه الكثير من البطش والقسوة والدمار، وعندما عاود ابن عائض المحاولة مرة ثانية اتصل بالشريف حسين للتعاون

(١)- الشهاري ، المطاعم التوسعية السعودية ، مرجع سابق ، ص ٩٩-١٠٣

(٢)- للمزيد من المعلومات راجع: المرجع السابق ، ص ١٠٤

(٣)- وثيقة رقم ٤٩ في: الجمعي ، عسير خلال قرنين ، مرجع سابق ، ص ١١٨-١١٩

(٤)- حرمة حصناً منيعاً يصعب الوصول إليه لأنه يقع في جبال لا يعرف المنافذ إليها غير أهلها لذا، ترك حسن بن عائض عاصمة "أبها"

وتحصن مع رجاله "بحرمة" أملاً أن لا يستطيع رجال ابن سعود الوصول إليه. أنظر: الريحاني ، نجد وملحقاتها ، مصدر سابق ، ص ٣٠٢

(٥)- الخطيب ، عبد الحميد ، الإمام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ، الجزء الأول ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر

الطبعة الأولى ، ١٣٧٠هـ ١٩٥١ ، ص ٣٥-٣٨

معه على الثورة مرة أخرى، ولكن هذا الاتصال كان خطأ تكتيكياً إستراتيجياً واضحاً، فلو كان ابن عائض اتصل بالإمام يحيى الذي يعد الطرف الأقوى في تلك المنطقة من عسير، بدلاً من أن يسعى للتعاون مع الشريف الذي كان واضحاً من مجريات الأمور أنه يسير نحو التفهقر، ربما لتغيرت مجريات الأحداث، ولما كانت الهزيمة هي النتيجة الحتمية لابن عائض وأسرته نهائياً، الهزيمة التي أدت إلى سيطرة الأدارسة على المدينة مؤقتاً ريثما يأتيها السعوديون^(١).

أدت استعانة الأدارسة بآل سعود إلى ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية في اليمن، الأمر الذي سيتسرخ بعد حرب الإمام يحيى حميد الدين مع الأدارسة، حيث استغلها ابن سعود لتفعيل نفوذه فيها تمهيداً لإنهاء حكم الأدارسة هناك وضمها إلى ممتلكاته.

٢- الحرب بين الإمام يحيى والأدارسة وأثرها على العلاقة بين السعودية و اليمن:

بعد انهيار الدولة العثمانية وإعلانها الاستسلام بعد هدنة مودرس ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨، شهد اليمن نزاعاً حاداً بين الإمام يحيى حميد الدين الذي تم استقباله من أهالي صنعاء استقبال الفاتحين، لأنه صاحب الحق في حكم اليمن بما فيها عسير، على اعتبار أنها كانت تابعة للولاية اليمنية في أثناء الحكم العثماني، والدليل على حقه في الحكم تسليم قائد القوات العثمانية نديم بك القوات المرابطة بالقرب من صنعاء مع الأسلحة والمعدات إلى الإمام يحيى بعد انسحابهم من المنطقة، وبين الأدارسة الذين كانوا يعدون أن لهم الحق في حكم عسير، مستفيدين من الدعم الذي قدمته لهم الأسر الارستقراطية التهامية وبعض مشايخ القبائل، إضافة إلى الدعم المالي والعسكري الإيطالي قبل الحرب العالمية الأولى، والتحالف مع البريطانيين في أثناء الحرب، وذلك بسبب موقف الإمام يحيى الموالي للعثمانيين والمعادي لبريطانيا التي أعلن الحرب عليها لتحرير المحميات في اليمن الجنوبي من الاحتلال البريطاني. لذلك، كانت بريطانيا تمد الأدارسة بكل ما يحتاجونه في معركتهم مع الإمام من مال وسلاح ودعم لوجستي، من خلال الأسطول البريطاني في البحر الأحمر، خاصة بعد توقيع اتفاقية مع الأدارسة عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥^(٢)، وقد استطاع محمد الإدريسي من خلال هذا الدعم السيطرة على ميناءي اللحية والحديدة، وكانت بريطانيا تنتظر بعين الرضا إلى هذا النزاع المحلي بين الإمام والأدارسة، وتجد فيه فائدة كبيرة لها ولنفوذه في المنطقة^(٣). خاصة أن بريطانيا استغلت انسحاب العثمانيين من شبه الجزيرة العربية واحتلت بدعم من حلفائها (الإدريسي والشريف حسين) منطقة شمال الخط الفاصل في تهامة اليمن، لتكون نقطة انطلاق لحصار الإمام، وإثارة التوتر بين القبائل في تلك المنطقة.

(١)- الشهاري، المطامع التوسعية السعودية، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٩

(٢)- تم توقيع هذه المعاهدة بين محمد الإدريسي والبريطانيين، وقد نصت على أن تقدم بريطانيا للأدارسة ألفي جنية مقابل إعلانهم الثورة على الإمام يحيى، ووعدهم أيضاً بالاعتراف باستقلالهم في عسير. أنظر: كوستنر، العربية السعودية، مصدر سابق، ص ١٥

(٣)- فقد خفف الضغط عليهم في عدن التي كانت تتعرض لهجمات الإمام، وكمكافأة للإدريسي على حربه مع الإمام أعطته بريطانيا ميناء الحديدة، وذلك بموجب حقه الذي شرعته لها الاتفاقية البريطانية- العثمانية عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣، التي أعطت بريطانيا حق الرقابة على هذه المنطقة، وقد هدفت بريطانيا من هذه الخطوة تشديد الحصار على الإمام، لأن الحديدة تشكل نقطة اتصال هامة بين المناطق الجبلية والمنطقة الساحلية التهامية، الأمر الذي ترك أثراً اقتصادياً اجتماعياً كبيراً، فقد أدى الحصار إلى سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في اليمن الشمالي، مما أعاق بشكل أو بآخر تحركات الإمام ضد بريطانيا.

بعد أن اطمأنَّ الإدريسي إلى استقرار حكمه وتوطيد الأمن في إمارته أخذ يسعى إلى التوسع مستغلاً الدَّعم السَّعودي والبريطاني له، حيث تنازل البريطانيون له عن الصَّليف ولحية والحديدة بعد مغادرتهم لها، فأخذ بالتَّوسع غرب صنعاء، فأصبحت حدود إمارته تلامس منطقة نفوذ الإمام يحيى الجبلية، مما أثار قلق الإمام ودفعه إلى اتِّخاذ خطوات عسكريَّة لتحجيم الإمارة الإدريسيَّة، مستغلاً الخلافات العائليَّة الكبيرة بين أمراء الأسرة الإدريسيَّة بعد وفاة محمد الإدريسي عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣^(١)، حيث كان خلفه علي الإدريسي (ابن محمد الإدريسي) ضعيفاً ودخل في صراع على السلطة مع عمه مصطفى الإدريسي^(٢)، فاجتذب الإمام الكثير من مشايخ الإقطاعيين في تهامة وتجار الحديدة، وفي عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤ احتلَّت القبائل الموالية للإمام مناطق التلال اليمينية المحاذية للإمارة الإدريسيَّة دون قتال، وفي عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥ وأيضاً دون معركة حقيقيَّة استطاعت قوَّات الإمام السيطرة على الحديدة وجنوب تهامة^(٣).

وقد وجَّه الإمام وزيره عبد الله الوزير على رأس قوَّة للاستفادة بسرعة من مجريات الأحداث على السَّاحة الإدريسيَّة، حيث اجتاحت جيش الوزير في الوقت نفسه المناطق المهمَّة القريبة مثل عبال وبني سعيد، ومحيطهما، وفي الفترة نفسها أرسل نجل الإمام الكبير، أحمد، من مركزه في حجة الواقعة شمال غرب صنعاء، جيشاً آخر نحو تهامة بقيادة علي بن حمود، وقد تقدَّم بطفر في سهل تهامة جهة، وادي مور الواقع شمال الحديدة، وقد سهَّل الشَّيخ الكبير لهذه المنطقة هادي هيج الذي كان قد أبلغ الإمام قبل ذلك تضامنه معه لتسهيل عمليَّة الرَّحف، وفي عام ١٣٤٤هـ/كانون الثاني ١٩٢٥ أخذت مدينة الميناء اللحيَّة، وبعد بعض المواقع بين جيش الإمام وجنود الأدراسة قرب الحديدة دخل عبد الله الوزير على رأس جيشه عام ١٣٤٤هـ/نيسان ١٩٢٥ مدينة الحديدة، بينما

(١) لا بد من الإشارة هنا أن العلاقات السعودية اليمنية بدأت منذ عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٣ تأخذ طابعاً عدائياً لاسيما بعد الحادثة المؤلمة التي أشعلت كلَّ الأمور التي كانت حتَّى تلك اللَّحظة مستورة بين الطَّرفين، فقد قامت فرقة من قوَّات السُّلطان عبد العزيز بن سعود بمهاجمة ما بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف من الحجاج اليمنيين وقتلهم عن بكرة أبيهم في أثناء نومهم في وادي تنومة القريب من أبها، وذلك كان بسبب الشُّكوك التي خامرت قوَّات ابن سعود المتمركزة في تلك المنطقة بأنَّ هؤلاء الحجاج جاؤوا لنصرة الشَّريف حسين بن علي، الذي كان في حالة حرب مع ابن سعود الطَّامح لاحتلال الحجاز، وقد جاء هذا الشُّك من العلاقة الطَّيِّبة التي تجمع الشَّريف بالإمام، والموجَّهة بشكل غير معلن ضدَّ ابن سعود، وبهذه الحادثة حصل المحذور، حيث توترت العلاقات بين البلدين والحاكمين، ولا بد من الملاحظة هنا، أن بعض المصادر قالت إن هذه القوَّات كانت مرسلة من الشَّريف لنصرة الإمام. للمزيد من المعلومات راجع: ساعاتي ، الحدود الدولية ، مرجع سابق ، ص ١٤٩؛ أيضاً: الشاعري، صالح يحيى ، تسوية النزاعات الدولية سلمياً ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٨٨-٣٨٩

(٢) فبعد وفاة محمد الإدريسي ظهر بعض الطامحين إلى السُّلطة بدلاً من ابن السَّيد محمد الإدريسي علي الإدريسي ابن الثَّامنة عشرة سنة، الذي لم يستطع إنهاء الخصام بين أفراد الأسرة الإدريسيَّة ويفرض نفسه حاكماً عليهم، وفي عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤ أعلن الأمير مصطفى الإدريسي حاكم المناطق الجنوبية للإمارة، التي من ضمنها منطقة تهامة السَّاحليَّة بما فيها مدينة الحديدة استقلاله عن الأمير علي، وأخذ يشنَّ عليه غزوات عسكريَّة، وعلى الرَّغم من الأمير علي تمكَّن من إخماد تمرد عمِّه مصطفى، لكنَّ سياسته التي اتَّبعها مع شيوخ القبائل المتعاونين مع الأمير مصطفى، ومع المشايخ المتهمين بميلهم للأمير المتمرد، وطرده المستشارين السابقين لوالده خارج البلاد، جعلته يفقد دعم القبائل. للمزيد راجع : مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق ، ص ١٤-١٥؛ أيضاً: الجميبي ، عبد المنعم ، الأدراسة في المخلاف السليماني وعسير ١٣٢٦ - ١٣٤٩ هـ / ١٩٠٨ - ١٩٣٠ ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ١١٥ أكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠٤ م

(٣) مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٢-١٦

هرب القائد والحاكم الإدريسي عبد المطلب بباهرة شراعية إلى جيزان، وكذلك وتم احتلال موانئ ابن عباس، الصليف، الخوية، قرى الضحى، الزهرة، المنيرة، الزيدية، المراوعة، وغيرها من المواقع الساحلية من قبل الجيشين المتقدمين، وفرت بقايا الحاميات الإدريسية إلى ميدي، واستمر الهجوم العام للجيش اليمني في ربيع العام نفسه حتى وصلت فصائله إلى بني ندر على حدود عيس في شمال تهامة، وفي ذهول أتجه الأمير علي بسيارته مصحوباً بوزير بلاطه محمد هارون صوب اللحية، وعندما كان على بعد ميل منها رأى أنها قد غدت في يد الجيش الزاحف باسم توحيد اليمن، وعاد على الفور إلى ميدي، ومن هناك ركب البحر إلى جزيرة كمران في مواجهة اللحية^(١)، ومن كمران أجرى اتصالاً عن طريق البرق بلندن، طالباً المساعدة، ولكن بدون جدوى، وقفل في شهر الحجة ١٣٤٣هـ الموافق أيار ١٩٢٥ عائداً إلى ميدي، ولم يكن بإمكان بريطانيا، التي لم تكن تعد الإدريسي من حلفائها المهمين، أن تحول دون الاستيلاء على هذه المناطق الساحلية من اليمن، وإن كانت قد حاولت أن تمنع جيش التوحيد اليمني من تصفية بقية الإمارة الإدريسية، وكانت مهتمةً بقطع الطريق عليه، لئلا يتقدم بعيداً صوب عسير، ويجهز على الإمارة كلها، ولتحقيق هذا الغرض كان لابد من خلع علي الإدريسي أولاً، حيث إن البريطانيين لم يحصلوا منه على أي فائدة تذكر، فكان الحسن بن علي الإدريسي الذي كثيراً ما حاول انتزاع السلطة من ابن أخيه سابقاً، هو الشخصية التي نوى البريطانيون على جعلها خلفاً لعلي الإدريسي، ذلك أن الحسن كان معروفاً بصداقته مع البريطانيين وولائه الكبير لهم، وعلى الفور بدأ الحسن في إعداد نفسه لإسقاط الأمير الشاب، وفي أول الأمر لم تساعد الظروف في عسير تهامة، حيث إن الجميع تقريباً كانوا في حرب مع يحيى حميد الدين، ومع جيش التحرير والتوحيد اليمني، الذي استطاع الاستيلاء على منطقة عيس، وقضى على الفصائل الإدريسية هناك، واجتاح في عام ١٣٤٤هـ/ تشرين الثاني ١٩٢٥ معسكر الجيش الإدريسي، وقام جيش آخر بفتح جبهة ثانية في جبال عسير تهامة في الشرق، وشن الجيش اليمني الموحد في تهامة وفي الجبال هجوماً شاملاً.

وفي ١٢ جمادي الثانية ١٣٤٤هـ الموافق ١٢/٢٨/١٩٢٥ سيطر على ميدي التي تعد بوابة عسير بسرعة كبيرة، وفي الوقت نفسه اكتسحت مدينة حرض التي تقع في مدخل الجبال على الطريق من صعدة إلى أبو عريش، واحتل جبل شذا وما حوله من مناطق في جبال عسير تهامة، وهكذا أتيح لجيش التحرير والتوحيد اليمني أن يوجه ضربة مدمرة إلى الإمارة الإدريسية، وأن يبعد قوات الأدارسة إلى ما وراء ميدي، وأن ينتزع الجزء الأكبر من إمارتهم التي تقدر مساحتها بحوالي ٢٢٠ كيلو متر^(٢).

وقد مكن الاستيلاء على مدينة الحديدة حاكم صنعاء أن يمد سلطانه أيضاً تدريجياً إلى المنطقة الجنوبية الشرقية، التي كانت تتبع قبيلة الزرائق، وغدت المنطقة الساحلية التي يهيمن عليها الإمام يحيى تنبسط من ميدي

(١) - تقع جزيرة كمران في المياه اليمنية مقابل ميناء الحديدة، وقد جعلتها معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ محجراً صحياً، وقد استخدمتها بريطانيا قاعدة لها حتى انسحابها النهائي من المنطقة ١٩٦٧، وأعطت شركة النفط البريطانية حق التنقيب عن النفط فيها. أنظر: ماكرو، اليمن والغرب، مصدر سابق، ص ٢٠٤

(٢) - العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٤-٢٧٩

في الشمال إلى قرب الشيخ سعيد في الجنوب، بمساحة تقدر بحوالي ٢٢٠٠٠ كم^٢، فتحوّلت الإمارة المعزولة خلف الجبال إلى دولة ذات سواحل بحرية مهمة^(١).

في هذه الأثناء كان الصراع بين الأسرة الإدريسية على أشده، ولم يتوقف حتى تمكن حسن الإدريسي من تنحية الأمير علي والوصول إلى حكم عسير، بعد مفاوضات مع إمام اليمن، انتهت إلى تنصيبه أميراً على عسير مقابل اعترافه بتبعية الحديدة إلى الإمام وبقاء أمير عسير تابعاً لصنعاء.

كل تلك التطورات العسكرية والسياسية بين الأدراسة والإمام يحيى كانت تمهد الطريق للنزاع القادم بين السعودية واليمن على خلفية استعانة الأمير حسن الإدريسي بآل سعود لمواجهة الإمام، فبعد استقرار الأمر للحسن الإدريسي شعر بضعف الإمارة وعدم قدرتها على التصدي لخطر الإمام يحيى، وأن اتفاقه مع الإمام جعله يخشى على استقلال إمارته، فالتجأ إلى ابن سعود، و قدّم له فروض الطاعة طالباً منه الوقوف إلى جانب الأدراسة في وجه الخطر الذي يهدّد إمارتهم ممثلاً بالإمام يحيى حميد الدين والقبائل الموالية له، الأمر الذي انعكس سلبياً على العلاقات السعودية - اليمنية، فقد بدأ التوتر بين البلدين عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥ عندما استولى الإمام يحيى على تهامة التي كانت سلمتها بريطانيا للأدراسة، وازداد هذا التوتر حين وصل السيد حسن الإدريسي إلى السلطة، وبحثه عن دعم طرف قوي يؤمّن له عامل الردع الذي يبعد الإمام يحيى عن التفكير بالإمارة الإدريسية^(٢) الأمر الذي أدى إلى انتقال الصراع مع الإمام من الأدراسة إلى السعوديين.

٣- توتر العلاقات البريطانية - اليمنية وأثرها على ظهور النزاع السعودي - اليمني:

وجد البريطانيون في التحركات اليمنية ضد الأدراسة خطراً على مناطق نفوذهم في المحميات والجنوب العربي، فبريطانيا التي احتلت منطقة عدن منذ عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩ لمقاومة الخطر الفرنسي والخطر المصري ممثلاً في التوسع الكبير لمحمد علي في تلك الفترة في شبه الجزيرة العربية، أصبحت ترى ضرورة محاصرة الإمام بالأعداء المتحالفين معها وفقاً لمصالحها، فوجدت بخلافه مع الأدراسة وابن سعود فرصة ذهبية للضغط وفرض شروطها على الإمام، فاستغلت كلّ فترة عصبية مرّت عليه لتجبره على الاعتراف بنفوذها في منطقة الجنوب العربي، ففي النصف الثاني من عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥ وبعد توقف المعارك العسكرية بين البريطانيين وقوّات الإمام التي كانت تشنّ هجماتها في عمق مناطق اليمن الجنوبية الخاضعة لنفوذ البريطانيين، والتي توقفت بعد استخدام القوّات البريطانية سلاح الجوّ الذي أدخل حالة من اليأس إلى نفوس قوّات الإمام إزاء عجزها عن مقاومته بأسلحتها الخفيفة والتقليدية القديمة، وقد حاولت السلطات البريطانية الاستفادة من توقّف العمليات العسكرية لخطف موافقة الإمام على الاعتراف بشرعيتها في جنوب شبه الجزيرة العربية قبل أن ينعقد مؤتمر لوكارنا^(٣)،

(١) - العقيلي ، المصدر السابق ، ص ١٩٠-١٩٢

(٢) - سالم ، سيد مصطفى ، مراحل العلاقات اليمنية-السعودية ١١٥٨-١٣٥٣هـ/١٧٥٤-١٩٣٤ "خلفية وحوارات تاريخية، مكتبة مدبولي ،

القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م ، ص ٣٥٠-٣٥١؛ أيضاً: الخترش ، العلاقات السعودية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٤٧، ٩٠

(٣) - لوكارنا مدينة في سويسرا انعقد فيها مؤتمر لوكارنا بشأن ضمان الحدود الغربية لألمانيا، حيث تم التوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاقيات لوكارنا ١٩٢٥ وتم التوقيع النهائي في لندن ١/١/١٩٢٥ وفي ١٩٣٦/٣/٧ ، وأعلنت ألمانيا الهتيرية إلغاء كل هذه المعاهدات من طرف واحد.

أنظر: مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٨-١٩

حيث كان من المفترض أن يتحدد في هذا المؤتمر مصير الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية، لمنع أية محاولة فرنسية أو إيطالية لاستغلال المؤتمر لتعزيز نفوذها في المنطقة، فأرسلت وفداً للتفاوض معه^(٢).

لكن محاولات بريطانيا لم تصل إلى نتيجة مرضية لهم، فالأجواء السياسية المحيطة بالإمام لم تكن مهيأة بعد ليقدم تنازلات جوهرية، فقد كان يشعر أنه مازال يمتلك الفرصة لتوحيد اليمن من خلال الضغط على جبهتي عسير واليمن الجنوبي، ومن خلال تأليب القبائل في محميات عدن ضد الاستعمار البريطاني. حيث بدأت القبائل القاطنة في محمية عدن عملاً نشيطاً ضد الإدارة البريطانية مسلحة بالدعم الذي كانت تقدمه لها فصائل الإمام يحيى منذ عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩، وقد أدى هذا النشاط المشترك إلى تحرير مساحات واسعة في القسم الغربي من المحميات (إمارتي الضالع والشعب) بعد أن جدد الإمام نشاطه العسكري ضد بريطانيا بعد فشل المفاوضات بين الطرفين كما ذكرنا سابقاً، إلا أن الرد البريطاني كان يتناسب مع هذه التحركات اليمنية، فاستطاعت بريطانيا تحجيم هذه الإنجازات العسكرية، عندما استطاعت تأليب القبائل ضد بعضها البعض، بإثارة التفرقات القبلية والطائفية، واستطاعت استمالة أمراء المحميات بالمال والسلاح، حيث تشكلت في المناطق الغربية من المحميات وحدات عسكرية نظامية أطلق عليها تسمية (وحدات محمية عدن).

وقد كانت القبائل المحلية الخزان الذي زود هذه الوحدات بالجنود، هذا من جانب أما في الجانب الآخر فقد تولّى سلاح الجو البريطاني مهمة تأديب القبائل المعادية للاستعمار البريطاني^(٣)، وقد استغلت بريطانيا الضغط المتشكّل من جراء القصف الجوي على المناطق اليمنية، والنتائج المدمرة التي تركها هذا القصف من خراب ودمار ودماء، وسوء الأساليب الرجعية التي مارسها الحكام الجدد الذين عينهم الإمام لإدارة المناطق المحررة، فلم يحاول هؤلاء الحكام تطوير الحالة الاقتصادية لأولئك الأشخاص الذين كانوا يدافعون عن الأرض وعن كرامتهم، فكانت النتيجة عكس ما توقعوا، فأصبحت الأرض أرض الحكام أكثر منها أرض الذين دافعوا عنها بدمائهم^(٤).

فاستغلت بريطانيا بحكمة كبيرة الخلافات القبلية، والأطماع السلطوية لبعض الأمراء والمشايخ، لتفرض نفسها حكماً على القبائل تحلّ النزاعات والخلافات بينها، وبكلمة مسموعة من الجميع بقوة السلاح تارةً وبالمال والجاه والسلطة تارةً أخرى^(١).

تحركت قبائل كثيرة لتواجه بأمر من بريطانيا جيش الإمام يحيى حميد الدين الساعي لتحقيق الوحدة اليمنية، فقد قامت على سبيل المثال قبيلة الزرائيق في تهامة بزعامة شيخها أحمد الفتياني فور استيلاء الإمام يحيى على تهامة، بإعلان تأسيس دولة شافعية مستقلة عاصمتها الحديدة، وحصلت الدولة الناشئة على تأييد عصابة الأمم

(٢) - الشاعر عري ، تسوية النزاعات الدولية سلمياً ، مرجع سابق ، ص ٢٠

(٣) - ففي عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨ شنت قوات المرتزقة البرية البريطانية وسلاحها الجوي هجوماً شرساً، انتهى باستسلام القبائل المنتفضة على البريطانيين في المحميات، وإلى انسحاب فصائل الإمام من المناطق المحررة، ولم تتوقف الغارات البريطانية على اليمن الشمالي بين عامي ١٣٤٧-١٣٥٣هـ/١٩٢٨-١٩٣٤

(٤) - الصراف ، اليمن الجنوبي ، مرجع سابق ، ص ٣٨-٣٩

(١) - فعلى سبيل المثال لم تكن تحلّ المشكلات الحدودية بين القبائل في المحميات وبين سلاطينها (القميطي والكثيري) دون تدخل بريطانيا كدليل على أن وجودها هناك مهم لأهل المنطقة، وأنها صاحبة الكلمة العليا فيها. للمزيد راجع: الحبشي ، اليمن الجنوبي ، مصدر سابق ، ص ١٦-١٧

المتحدة عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥، لكن هذه المحاولة لم تستطع النجاح، فقام الزرانيق بمهاجمة قوات الإمام يحيى المتمركزة في تهامة عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨، ليكونوا في الموقع نفسه مع بريطانيا ضد إخوانهم اليمانيين، فقد مدّتهم بريطانيا بالسلاح لا ليكونوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم، بل ليحاربوا بها أبناء جلدتهم في اليمن الشمالي، و مع ذلك شهد عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩ بعض الانتصارات التي أسهمت في رفع هيبة الإمام ومكانته بين القبائل، حيث استطاعت قواته أن تتفاعل مع سلاح الجو البريطاني وتسقط ٣ طائرات بريطانية وتدمر قوات سلطان لحج المتحالف مع بريطانيا^(٢). إلا أن تراجع الإمام أمام ضغط الضربات البريطانية أصبح أمراً واقعاً لا مفر منه، فتراجعت قواته إلى ما وراء الحدود العثمانية-البريطانية المخططة عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥^(٣)، والتي انسحبت فيها بريطانيا من المنطقة الثالثة (الأهداب)^(٤)، ومع ذلك سعت بريطانيا إلى دعم موقفها دبلوماسياً، حيث وجّهت نشاطها إلى إيجاد طريقة تقنع فيها الإمام بالاعتراف بشرعية بريطانيا في الجنوب العربي، خاصة أن الدولة العثمانية قد شرّعت هذا الوجود بعد اتفاقية عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤ بين الدولة العثمانية وبريطانيا^(٥). غير أن ما حصل بعد فترة طويلة من الضّغط وكثرة الأعداء، الذين أحاطوا الإمام من كل الجهات، اضطره إلى التنازل لبريطانيا وتوقيع اتفاقية عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤ معها، حيث اعترف فيها بشرعية الوجود البريطاني في منطقة المحميات^(٦).

وهكذا يتضح من هذا السرد كيف استطاعت بريطانيا أن تحقق أهدافها من خلال إثارة المشكلات بين المناطق العربية حول مسألة الحدود، وافتعال حروب وعداوات مكنتها في النهاية من تقوية نفوذها، وتحكّمها بأحداث المنطقة بالطريقة التي تخدم مصالحها وتوفر لمناطقها الاستقرار والهدوء، دون الاكتراث بالآثار السلبية التي ستخلفها هذه المشكلات بين أبناء المنطقة الواحدة، فتلك الصراعات الأخوية، تترك جروحاً بين الأخوة يمكن لبريطانيا أن توقظها في الساعة التي تشعر أنها بحاجة إلى ذلك، من هنا كانت تلك المشكلات الحدودية ذات فائدة كبيرة لبريطانيا ولوجودها في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي.

ثانياً: المرحلة الأولى من النزاع الحدودي السعودي - اليمني ١٩٢٦-١٩٣١:

١- معاهدة مكة عام ١٩٢٦م وبداية المواجهة بين ابن سعود والإمام يحيى:

بدأت المرحلة الأولى في النزاع اليمني-السعودي الحدودي منذ اللحظة التي التّجأ فيها الإدريسي إلى ابن سعود لطلب الحماية لإمارته من خطر الإمام يحيى حميد الدين، ومن الثورات الداخلية التي كانت تنتفض على

(٢)- حيث واجه هؤلاء جيش الإمام بقيادة ابنه الأمير أحمد البدر، الذي كان بين صفوف مقاتليه رجال من قبائل رفضت أن تبني نفسها إلى المحتل بغض النظر عن سوء الإدارة في الأراضي التابعة للإمام، كقبيلة حاشد واستطاعوا إنزال هزيمة كبيرة بالزرانيق وأسر أكثر من ٨٠٠ شخص من صفوفهم زج بهم في السجون

(٣)- للاطلاع على الحدود وفق البروتوكول العثماني البريطاني عام ١٩٠٥ راجع الملحق رقم (٢١)

(٤)- فبريطانيا كانت قد قسّمت المنطقة إلى ثلاثة أقسام هي: منطقة القلب "عدن" وهي تحت السيطرة البريطانية بشكل كامل، ومنطقة ثانية تشمل المناطق المحيطة بها وهي تحت الحماية البريطانية، ومنطقة ثالثة هي المنطقة الخارجية ولم تكن تابعة رسمياً لبريطانيا

(٥)- ولكنسون، حدود الجزيرة، مصدر سابق، ص ٢٠٢؛ أيضاً: مجموعة من المؤلفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، ص ٣٥-٣٧

(٦)- للمزيد من المعلومات راجع: تاريخ اليمن المعاصر، مجموعة من المؤلفين السوفييت، ص ٤٥-٤٦

الأدارة بين الحين والآخر، ومنها ثورة الحسن بن عائض وتحركات بعض القبائل الطامعة بالسلطة، حيث إن الإمام كان يعدّ التحركات السعودية في إمارة الأدارة غير شرعية، وتشكّل خطراً على دولته وعلى طموحه بتوحيد اليمن يوماً ما، في حين أنّ ابن سعود كان يعتبرها شرعية، على أساس أنّ تدخّل قوّاته جاء بطلب من الأدارة أنفسهم، ونظراً إلى أنّ الدعوة الوهابية قد بدأت تنتشر بشكل واسع في منطقة عسير.

فمنذ اللحظة التي وصل فيها حسن الإدريسي إلى السلطة والتطورات السياسية تمهد الطريق إلى نهاية الإمارة الإدريسية، وبداية تاريخ جديد في الإمارة العسيرية، فجيش الإمام والقوات السعودية المتصارعة على أرض الإمارة التي كانت تتآكل شيئاً فشيئاً، كانا يتصارعان بهدف ضمّ أراضي الإمارة إلى ممتلكاته، ونظراً لأن الحسن الإدريسي قد وصل إلى الحكم وهو في أسوأ أحواله، فقد سعى للحصول على دعم آل سعود ضد الإمام يحيى، معتقداً أنّ السعوديين سيساعدونه دون مقابل، فدخل في مفاوضات معهم للوصول إلى توقيع اتفاقية حماية تؤمن الاستقرار لإمارته.

أدت المفاوضات بين الأدارة وابن سعود إلى توقيع معاهدة مكة في ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ١١ تشرين الثاني ١٩٢٦ حيث تضمّنت الاتفاقية إحدى عشرة مادة جاء فيها:

رغبة في توحيد الكلمة وحفظاً لكيان البلاد العربية، وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن علي الإدريسي على عقد الاتفاقية الآتية:

المادة الأولى:

يعترف سيادة الإمام السيد الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩هـ، المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي والتي كانت خاضعة للأدارة في ذلك التاريخ، تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية.

المادة الثانية:

لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة، وكذلك لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة:

لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة:

لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى.

المادة الخامسة:

يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالي على الأراضي المبينة في المادة الأولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل العقد والحل التابعين لإمامته.

المادة السادسة:

يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية، والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين.

المادة السابعة:

يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى، وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة.

المادة الثامنة:

يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة:

تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة:

دونت هذه المعاهدة باللغة العربية من صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقبتين.

المادة الحادية عشرة:

تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة.

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ، الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦ .^(١)

(١) - للمزيد من المعلومات حول الاتفاقية راجع: جريدة أم القرى ، العدد ٨ في ٣ رجب ١٣٤٥ هـ الموافق ٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٧ ، ص ١ ؛ أيضاً: وزارة الخارجية السعودية، مجموعة المعاهدات الجزء الأول ، الطبعة الخامسة ، بدون تاريخ ، ص ٢٣-٢٤

فتحت هذه الاتفاقية لابن سعود الباب للتمدد شيئاً فشيئاً في عسير، فسارع إلى تطويق الإمارة الإدريسية لتكون له الكلمة العليا في الإمارة، فعين ممثلاً عنه في إمارة صبيا، وأخذ يقلص دور الأدارسة شيئاً فشيئاً، وتدخل في كل الشؤون الداخلية للإمارة وقّصص صلاحيات الإدريسي، متحكماً بكل مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والأمنية للإمارة تاركاً للأمير الإدريسي المنصب شكلياً في حين كان هو الحاكم الفعلي^(١)، حيث استغل الأوضاع المضطربة في الإمارة الإدريسية بسبب كثرة الضرائب والأتاوات التي فرضها الإدريسي لتوفير الأموال اللازمة لقمع الثورات المتعددة داخل الإمارة، والاضطرابات السياسية والخلافات الحادة داخل الأسرة الإدريسية، فأكمل ما بدأه بعد ثورة آل عائض في السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من أراضي الإمارة^(٢). وأخذ يتدخل في شؤون الإمارة الإدريسية متى شاء وأينما شاء.

سارع ابن سعود للاستفادة من الاتفاقية لأقصى الدرجات، فقام بإرسال نسخة من الاتفاقية للإمام يحيى، طالباً منه عدم السماح لقواته بهاجمة الإمارة الإدريسية، لأنهم أصبحوا تحت حمايته وتحت طائلة الرد المباشر من قبله على أي هجوم من قبلهم على الأدارسة، وأظهر أهمية عسير بالنسبة له، الأمر الذي يعني فيما يعني أنه لم يعد هناك الكثير من الوقت لضم عسير إلى ممتلكات ابن سعود^(٣).

أما الإمام يحيى، فكان يعدّ الأراضي العسيرية أرضاً يمنية خالصة انتقلت إلى ابن سعود بموجب معاهدة مكة ١٩٢٦، ولهذا تعد تلك الاتفاقية بداية للأعمال الحربية بين الإمام وبين ابن سعود^(٤). حيث وضعت معاهدة مكة ابن سعود في مواجهة مباشرة مع الإمام، بحكم أن إدارة الشؤون الخارجية والعسكرية والأمنية لإمارة الأدارسة، أصبحت فعلياً بيد الرياض، ولم يبق للأدارسة سوى إدارة الشؤون الداخلية للإمارة.

ومن هذه الأحداث انطلقت الإشارة السياسية لأقول الوجود السياسي الفعلي للأدارسة، وانتقال النزاع الحدودي من نزاع بين الإمام يحيى والأدارسة، إلى نزاع بين الإمام وبين ابن سعود، ممّا سيطيح بعد فترة بالأدارسة، وستضم عسير إلى السعودية، لتتطلق من تلك الخطوة النزاعات الحدودية بين الإمام وبين ابن سعود^(٥)، حيث عدّ كل من الطرفين أن له أحقية بعسير.

(١) - العقيلي، المخلاف السليماني، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ٣٠١؛ أيضاً: الخترش، العلاقات السعودية اليمنية، مرجع سابق، ص ٩٨
(٢) - حيث كان قد احتل عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م شمال عسير التي كانت تحكم من قبل أسرة آل عائض، وفي عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م استغل ابن سعود بذكاء كبير يقدر لهذا الأمير الأزمة السياسية في الإمارة الإدريسية، وتحت غطاء مساعدة الإدريسي لقمع الثورة ضده، ليرسل قواته إلى المنطقة الشمالية من عسير البيشة و الحقوة ليجد لقواته مكاناً فيها . للاطلاع على مواقع المناطق المذكورة في البحث في المملكة العربية السعودية راجع الملحق: رقم (٥)

(٣) - الشاعر عري ، تسوية النزاعات الدولية سلمياً ، مرجع سابق ، ص ٢٨٩-٣٩٠

(٤) - مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٤٨

(٥) - ومسألة الحدود في مناطق شبه الجزيرة العربية ليست كما هي في الوقت المعاصر، فقد كانت الحدود في تلك الفترة الزمنية تعين تعييناً قبلياً غير ثابت وفقاً لتوزيع القبائل التابعة لهذه الإمارة أو تلك الدولة وفقاً لتقلّات القبائل بحثاً عن الرعي والعمل، وتوقيع اتفاقية عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦ هو اعتراف ضمني من السعوديين بالمكاسب الإقليمية التي حققتها قوات الإمام على حساب الإمارة الإدريسية، ومنها الحديدية التي سيطر عليها الإمام عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥ والتي سبق للإنكليز أن سلّموها للأدارسة بعد الحرب العالمية الأولى، ومن المناطق التي سيطر عليها الإمام ميدي وحرص حتى وصلوا الأطراف الجنوبية للإمارة

٢- تطور النزاع الحدودي إثر ثورة الإدريسي على الحماية السعودية عام ١٩٣١:

ارتضى ابن سعود بما حصل عليه من امتيازات كبيرة في الإمارة الإدريسية بعد اتفاقية مكة، وأخذ يسعى إلى تهدئة الأجواء مع الإمام يحيى، إلا أن الأخير كان يسير في الاتجاه المعاكس لتفكير ابن سعود، فحلمه ببناء اليمن الموحد عاد إلى تجديد نفسه بعد أن انتهى من فرض هيئته وهيبة السلطة المركزية في صنعاء على عدد من المدن والمناطق اليمنية (حضرموت والجوبة وقبائل عبيدة)، مما أعاد الأمور إلى مرحلة التوتر الشديد، فقد جدّد الإمام هجومه على مناطق الحدود العسيرة، وأمر قواته باعادة ضم جبل العرو إلى الدولة اليمنية باعتباره جزء من أراضي خولان بن عامر، الأمر الذي كان يدفع إلى الاعتقاد أن الحرب اقتربت، لكن ابن سعود حافظ على هدوئه واعترف بضم الجبل المذكور إلى اليمن بعد مفاوضات انتهت إلى توقيع معاهدة صداقة وحسن جوار عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١ في منطقة النظير قرب الجبل المذكور، وتضمنت المعاهدة تبادل السجناء السياسيين، وطرد الفارين من الطرفين، وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة العرو^(١).

ظنّ الجميع بأنّ المعاهدة الموقعة بين اليمن والسعودية عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١ هي بداية نهاية التوتّر بين البلدين، إلا أنّ ظنّ الجميع قد خاب، فما هي إلا فترة وجيزة حتّى أخذت الفوضى والثورات تتدلع مرّة أخرى، فالمعاهدة خفّفت من حالة التوتر السائدة على الحدود بين البلدين، ولم تنتهها، والأجواء المشحونة تنذر بأنّ الحرب المباشرة بينهما باتت قريبة، وتنتظر حدثاً ما يشعلها. وهذا ما شهدته عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢، حيث بدأت حركة تمرّد ضدّ الملك ابن سعود في عسير، فالأمير حسن الإدريسي استشعر أنّ نهاية الإمارة الإدريسية أصبحت قريبة إن لم يتم بتحريك ما، فابن سعود أصبح الحاكم الفعلي للإمارة وهو يمتلك منصباً شرفياً لا أكثر، فاتصل بمجموعة من الأشخاص المعارضين لابن سعود في منطقة اللّحية من أبرزهم محمد أحمد الشنقيطي وهو من أنصار حسن الدّباغ وعضو بارز في حزب الأحرار الحجازي المناوئ للسعودية، وكان هذا الاجتماع سرّياً، تقرر فيه وضع خطة لإثارة الفوضى والاضطرابات في الإمارة، لكنّ عامل الملك عبد العزيز فهد بن زعير اكتشف هذا الاجتماع، وأدرك خطورته، فأخبر الملك السعودي به، وبأنّ الإدريسي يحضّر للثورة على الحكم السعودي في عسير، وأنّه تلقى وعداً بمساعدته من قبل عبد الله ابن الشريف حسين ومساعدة الإمام يحيى، فتعامل ابن سعود مع المسألة بحنكة وطلب من عامله التّائي ومراقبة الأوضاع دون أن يقوم بأيّ إجراء بحق الإدريسي. أمّا الأخير، فقد قام بعدة مناورات لإطالة الوقت، فأخبر ابن سعود أنّ ما قاله عامله غير صحيح وأنّ المشكلة ما هي سوى خلاف في وجهات النّظر بين فهد بن زعير وبينه^(٢).

(١) - مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق ، ص٤٨؛ أيضاً: الخترش ، العلاقات السعودية اليمنية ، مرجع سابق ، ص١٠٥ ولا بد لنا أن نلاحظ أن الخترش يورد التاريخ الذي تمت فيه المعاهدة إلى كانون الثاني ١٩٣٢م أي ٥ شعبان ١٣٥٠هـ، في حين أن البحر يعيدها إلى تاريخ تشرين الثاني ١٩٣١ والتاريخ الصحيح هو الثاني (١٩٣١) حيث ورد هذا التاريخ في الوثيقة رقم FO.406I71(E 7492I759I25)NO.60(P.R.O) من كالفرت إلى السير جون سيمون جدة في ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٣. نقلاً عن الخترش، المرجع السابق ، ص١٧٠-١٧١ ؛ أيضاً : للاطلاع على بنود المعاهدة راجع: وثيقة رقم (١٧) ، بيان العلاقات بين المملكة العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص٢٢-٢٣

(٢) - الخترش ، المرجع السابق ، ص٩٨

في حين كانت قوّاته عام ١٣٥١هـ/ تشرين الثاني ١٩٣٢ تتحرّك نُجاه جيزان، وقامت بالسيطرة عليها وعلى مناطق سابيه وأبو عريش، ودمّرت الحاميات السّعوديّة فيها، وكان من الواضح أن هذا الهجوم ممولّ ومدعوم من الإمام ومن المعارضة الحجازيّة بزعامة رئيس حزب التحرير الحجازي حسن طاهر الدّباغ، الّذي كان معادياً للنّظام السّعودي، ويحضّ على الثّورة ضدّ الحكم السّعودي على الرّغم من نفيه^(١).

في هذه المرحلة أصدر الملك عبد العزيز مرسوماً أعلن فيه عن قيام المملكة العربيّة السّعوديّة، وعن ضمّ عسير نهائياً إلى أراضيه وإلغاء الإمارة الإدريسيّة، وأرسل حملتين عسكريّتين إلى جبال عسير وإلى تهامة، فشلتا في تنفيذ أهدافه، فأرفدهما بحملة أخرى عام ١٣٥٢هـ/شباط ١٩٣٣، استطاعت في نهاية الأمر تحطيم القوّة العسكريّة للإدريسي، والقضاء على الإمارة الإدريسيّة نهائياً^(٢).

تمكنت الحملتان السّعوديتان بقيادة خالد بن لؤي وعبد العزيز بن مساعد المدعومة بحملة ثالثة من استعادة المناطق التي سيطر عليها الثّوار، وتحجيم الثّورة إلى حد كبير، ولم يبق سوى أن يعلن الأمير حسن الإدريسي الاستسلام، بعد أن فرّ إلى اليمن وطلب اللجوء السياسي من الإمام^(٣).

كانت موافقة الإمام على إجارة الأمير حسن نقطة التّحول نحو الصّراع العسكريّ بين السّعوديّة واليمن، فعبد العزيز ابن سعود رأى في ذلك تشجيعاً للثّورات المعادية ضدّه، في حين أنّ الإمام رأى في إجارة الأمير حسن وعائلته أمراً منطقياً يستند إلى الأعراف والنّقايد العربيّة الإسلاميّة، التي تدعو لحماية المستجير، حيث طلب الإمام من الملك عبد العزيز العفو عن عائلة الإدريسي وعن جماعته، فوافق الملك عبد العزيز شرط أن يعلن الإدريسي استسلامه الكامل، وأن يتخلّى عن مطالبته باستعادة الإمارة الإدريسيّة، فوافق الإدريسي بشرط أن يستعيد إمارته، و بكامل صلاحيّاته كما كانت عليها قبل معاهدة مكة عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦^(٤). رفض الوفد السّعودي ذلك وغادر مقرّ الاجتماع في ميدي (بناء على طلب الإمام)، عندها أصرّ الملك عبد العزيز على تسليم الأدارسة بموجب معاهدة العرو عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١ بين اليمن والسّعوديّة، ولاسيّما المادّتان الخامسة والثّامنة اللّتان تتصّان على عدم استقبال اللّاجئين من الطّرفين، فاعتذر الإمام يحيى عن تنفيذ طلب ابن سعود، حيث كان الأدارسة ورقة رابحة بيد الإمام، للضغط على الملك عبد العزيز^(٥)، لا يمكن رميها بسهولة، فمن الممكن استخدامها للمساومة في مرحلة المفاوضات بين الطرفين وفقاً لوجهة نظر الإمام، الأمر الذي كان الشرارة الفعلية، التي ستتطلق منها الحرب بين اليمن والسّعوديّة .

(١)- كوستنر ، العربيّة السّعوديّة، مصدر سابق ، ص ٢٤٥

(٢)- مجموعة من المؤلّفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٤٩

(٣)- كوستنر ، مصدر سابق ، ص ٢٤٦

(٤)- سلطان ، التاريخ العسكري لليمن ، مرجع سابق ، ص ٨٥.

(٥)- الشاعري ، تسوية النزاعات الدوليّة سلمياً ، مرجع سابق ، ص ٣٩٢

٣-المفاوضات السعودية - اليمنية بين عامي ١٩٢٧-١٩٣١:

بدأت المفاوضات بين البلدين منذ بداية توتر العلاقات إثر توقيع معاهدة مكة التي عدّها الإمام تهديداً لدولته المركزية والوحدة اليمنية المنشودة، حيث حققت قواته الكثير من المكاسب على حساب الإمارة الإدريسية، فسيطرت على الكثير من المناطق المهمة استراتيجياً من حيث موقعها (الحديدة-ميدي-حرض).

عندها وجّه ابن سعود إنذاراً إلى الإمام بعدم التعرض لأراضي الإمارة الإدريسية، ولم يبادر عسكرياً ضدّ قوات الإمام، لا بل سار الطرفان نحو المفاوضات، التي مهّد لها أنّ بريطانيا في ذلك التاريخ كانت تلعب سياسة استرضائية مع الإمام لكي تصرف أنظاره عن الاهتمام بالتخوم اليمنية الجنوبية العدنية، وخشية أن يكون دعمها الصريح لابن سعود ضدّ اليمن سبباً يسمح لإيطاليا بالتدخل في شؤون المنطقة، وكذلك إيطاليا التي كانت تفكر بالطريقة نفسها^(١)، فهي تهتمّ بطرق المواصلات في البحر الأحمر، ووجدت أنّ حلّ المشكلة سلمياً وإبقاء الباب مفتوحاً مع ابن سعود أكثر ضماناً لمصالحها في المنطقة، وهذا ما أكّده المبعوث الإيطالي في جدة لابن سعود.

أما بالنسبة إلى الإمام فكانت المفاوضات ضرورية لكسب الوقت نظراً للنقص الكبير الذي تعاني منه قواته في العتاد، بعد الحصار البريطاني له خلال الفترة السابقة، حيث كانت الطائرات البريطانية ترمي بلهيب قذائفها على المدن اليمنية ومراكز قوات الإمام في المحميات ومدن اليمن المختلفة، ف شعر الإمام بصعوبة الموقف العسكري، فقد كان كمن يحارب على كل الجبهات.

لذلك، فضل أن يأخذ بعض الراحة بمهادنة البريطانيين مؤقتاً ريثما يصبح أكثر استعداداً، فدخل معهم في هدنة عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨^(٢)، إضافة إلى الإرهاق الذي أصاب جيشه بعد التحركات العسكرية الكثيرة التي قامت بها قواته ضد القبائل المعادية له في نجران كقبائل يام، والتي لم تحقق نتائج حاسمة.

أمّا ابن سعود فكان راضياً عمّا أصبح بين يديه من أراضي الإدريسي، إضافة إلى خوفه من الصدام العسكري المبكر غير المسوّغ، فهو لم يكوّن بعد جيشاً نظامياً قوياً، فعلى الرغم من إخماد الثورة العسيرة، لم يكن يملك بعد سوى بضعة آلاف من جنود القبائل، التي كانت ما تزال مستاءة من سياسته الداخلية^(٣).

كلّ تلك الظروف هيأت أجواء المفاوضات بين صنعاء والرياض سواء أكان من خلال الوفود المتبادلة، أم من خلال البرقيات بين الإمام والملك.

توجّهت صنعاء واليمن إلى المفاوضات منذ عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧، حيث كانت معاهدة مكة بين محمد الإدريسي وابن سعود هي النقطة المركزية لتوتر العلاقات بين الطرفين، والتي أدت إلى المفاوضات المباشرة، وكانت قد استبقت هذه المفاوضات بمفاوضات بين الدولتين المتنافستين في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية (بريطانيا وإيطاليا) واللّتان دشنتا في روما عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧ مفاوضات نجحت بتحجيم الخلاف بينهما في تلك المنطقة، واتفقتا على ممارسة الضّغط على حليفهما العربيين (اليمن والرياض) لإبقاء الأمور على ما هي عليه،

(١) - F.O. :371/12235, minutes From Acting Consul mayers, Jedda, Dated 10th January, 1927 نقلًا

عن سالم ، مراحل العلاقات اليمنية- السعودية ، مرجع سابق ، ص ٣٥٩-٣٦٠

(٢) - الشاعري ، تسوية النزاعات الدولية سلمياً، مرجع سابق ، ص ٣٩١

(٣) -كوستتر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ٢٥٩-٢٦٠

والوصول إلى حلّ سلمي للخلاف الحدودي بينهما، والاتفاق على عدم التّدخل في أيّ نزاع محليّ، إلّا إذا دعت الضرورة لذلك^(١).

هذه المفاوضات بين بريطانيا وإيطاليا كانت أشبه بسيناريو مختلف عن المفاوضات بين الرياض وصنعاء، فعلى الرّغم من نصيحة الدّولتين الاستعماريّتين حليفتيهما العربيّين للدّخول في مفاوضات لحلّ الخلافات، كانت كمن يدور في حلقة مفرّغة، لأنّ كلّ وفد من الجانبين يتحدث عن نفسه ولا يستمع للوفد المقابل له ، وهذا ما سنشرحه في السّطور الآتية.

كانت البداية الحقيقيّة للمفاوضات بين اليمن والسّعوديّة في ٣ ذو الحجة ١٣٤٥هـ/٤/٥/١٩٢٧، عندما وصل إلى صنعاء وفد سعوديّ مؤلّف من **سعود بن عبد العزيز بن مشيط** و**عبد الوهاب بن محمد بن أبي ملحّة** و**تركي بن ماضي** وكلهم من عسير، وتألّف الوفد اليمني من **عبد الله بن أحمد الوزير**، و**أحمد هاشم**، و**السّيد محمد حيدر النّعمي**، وكانت المفاوضات آنذاك تدور حول عسير، أكّد الوفد اليمني فيها أنّ عسيراً جزء من اليمن، ولا يحقّ لابن سعود أن يفرض الحماية عليها، وهم لا يعترفون بضم عسير السّراة إلى نجد^(٢)، أمّا الوفد السّعودي فانطلق من زاويّة أنّ عسيراً ليست جزء من اليمن، ولا يحقّ للأئمة الزيديّين المطالبة بها، وأنّ حدود الإمارة الإدريسيّة تمتدّ إلى **المخا وباجل وزبيد**، وهذا ما ورد في نصوص معاهدة مكة عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦، واعتبر الوفد السّعودي أنّ انتزاع الجيش اليمني لهذه المناطق من إمارة الأدارسة غير شرعيّ، مطالباً أن يعيد الإمام هذه المناطق إلى المقاطعة الإدريسيّة. وعندما شعر الإمام أنّ الوفد السّعودي جاء ليثبت حقوق بلاده في الإمارة الإدريسيّة، أمر على الفور بقطع المفاوضات، فغادر الوفد السّعودي اليمن في تموز ١٣٤٦هـ/١٩٢٧ محمّلاً برسالة من الإمام إلى الملك السّعودي، يؤكّد فيها له أنّه لا يمكن ترسيخ علاقات البلدين دون حلّ مشكلة الإمارة الإدريسيّة^(٣).

ثمّ استؤنفت المفاوضات مرّة ثانية عام ١٣٤٦هـ/ تشرين الثّاني ١٩٢٧، عندما أرسل ابن سعود وفداً جديداً مؤلّفاً من **محمد بن دليم** و**تركي بن ماضي**، وقدم هذا الوفد مقترحاً للوفد اليمني المؤلّف من **القاضيّين عبد الله بن حسين العمري** و**عبد الكريم المطهر**، تضمّن تخلّي الإمام بمطالبته بنجران وبعسير مقابل اعتراف ابن سعود بما هو بين يديه من مناطق أقتطعها من الإمارة الإدريسيّة، واستمرّ النقاش في هذه الجولة من المفاوضات ٥٤ يوم، انتهت برفض الوفد اليمني المقترح السّعودي. غادر الوفد السّعودي إلى الحجاز مطلع عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨، يرافقه وفد يمني مؤلّف من **السّادة قاسم بن حسين** و**محمد بن محمد** و**عبد الله بن علي** و**مناح** و**عباس بن إبراهيم**،

(١)- الشاعري ، تسوية النزاعات الدولية سلمياً ، مرجع سابق ، ص ٣٩٢

(٢)- ودخل في مفاوضات مع السّعوديين، حيث كان ابن سعود قد أرسل في وقت سابق من عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧ وفداً إلى صنعاء لمفاوضة الإمام وتعيين الحدود بين الجانبين لكن جواب الإمام كان في غاية الوضوح، حيث عبّر للوفد عن موقف يمني يقول: إنّ عسير ونجران هي أرض يمنيّة لا يمكن التنازل عنها، فأرسل ابن سعود وفداً آخر إلى صنعاء لم يسفر عن تغيير الموقف اليمني. للمزيد من المعلومات راجع: وثيقة رقم (١٠) ، بيان العلاقات بين المملكة العربيّة السّعودية والإمام يحيى حميد الدين ، وزارة الخارجية السّعودية ، مطبعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٣٥٣هـ ، ص ١٦

(٣)- وثيقة رقم (١) و(٢)، المصدر السابق، ص ٢-٤ ؛ أيضاً: الخطيب ، الإمام العادل، مصدر سابق ، ص ٢١٠

بناء على طلب من الإمام يحيى، لتبدأ المفاوضات هناك. وقد حمل الوفد اليمني رسالة من الإمام إلى الملك السعودي لم تحمل أي جديد وردّ عليها الملك السعودي ببرقية حملها للوفد اليمني العائد إلى صنعاء بعد فشل المفاوضات، ولم تكن تحمل هي أيضاً أي جديد^(١).

كانت المفاوضات بين الطرفين منذ البداية تدور في حلقة مفرغة، فالإمام لا يفكر في التنازل وابن سعود لم يكن مستعداً لخسارة الامتيازات التي حققها، فكانت المفاوضات تدور في حلقة مفرغة بين عامي ١٣٤٦-١٣٤٧ هـ / ١٩٢٧-١٩٢٨، ومحاولات ممثلي الحاكمين حل المشكلة عسير فيها اصطدمت بحائط مسدود، جراء تمسك اليمن باستعادة الأراضي الواقعة تحت الحماية السعودية في عسير، واعتبار الملك عبد العزيز بن سعود أنّ الأراضي حتّى المخا جزء من عسير. لذلك، طلب من الأدارسة استعادة تهامة اليمن^(٢).

احتفظ كلا الطرفين بالموقف الذي كان عليه بعد انتهاء الجولة السابقة الذكر من المفاوضات ولاسيما أنّ التحركات البريطانية على الحدود مع اليمن كانت تشكّل خطراً كبيراً على الوجود الكلي للدولة اليمنية المركزية، وقد حاول ابن سعود استغلال هذا الوضع الحرج، لتوسيع نفوذه في الإمارة الإدريسية على حساب الأمير حسن الإدريسي، حيث أراد بعد إلغاء صلاحيات الإدريسي من قبل مندوب الملك السعودي في عسير حمد الشويعر، تمهيداً لضمّها إلى ممتلكاته، فأرسل لجنة برئاسة حمد العبدلي، قرّرت اللّجنة ومجلس شورى صيبا^(٣) في ١٧ جمادى ١٣٤٩ هـ الموافق ٩/١٠/١٩٣٠، إعطاء الملك عبد العزيز حق إدارة الإمارة الإدريسية من الناحيتين الإدارية والمالية، حيث بعث الحسن رسالة إلى ابن سعود قال له فيها: **(تقرر بموافقتنا ورضانا إسناد إدارة بلادنا وماليتنا إلى عهدة جلالكم فأحببنا إشعاركم)**. وبذلك تكون عسير تهامة قد لحقت بمرتفعات عسير المسمّاة عسير السراة في تبعيتها لممتلكات الملك عبد العزيز بن سعود، ويكون قد انتهى حلم الإمام بضمها إلى دولة اليمن المركزية الموحدة، عندها بدت الأمور وكأنها تتجه نحو مكان لا رجعة فيه للمفاوضات.

(١) - الخترش ، العلاقات السعودية - اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٩٨

(٢) - مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٤٨

(٣) - يتألف من محمد الأمين الشنقيطي وعبد القادر بن محمد بن عوض باصهي ومحمد عوض باصهي وحمود بن عبد الله الحازمي ويحيى ابراهيم زكري، حيث تقرر بعد الاجتماع بين الوفد المرسل من عسير من قبل الأمير الإدريسي والمؤلف من محمد العربي الإدريسي ومصطفى السفحي والقاضي محمد بن ابراهيم مبجر ومحمد بن عبد الله باصهي والسيد حسن بن ظافر ومكي بن يحيى زكري، والوفد الحجازي المعين من قبل ابن سعود والمؤلف من: الشيخ عبد الله الفضل وفؤاد بك حمزة والشيخ يوسف ياسين وعبد الله السليمان برئاسة سمو الأمير فيصل، إعطاء الإدارة المالية لجلالة الملك عبد العزيز. للمزيد من المعلومات راجع: الخطيب ، الإمام العادل ، مصدر سابق ، ص ١٨٩-١٩٠

ثالثاً: المرحلة الثانية: المفاوضات السعودية-اليمنية بين عامي ١٩٣١-١٩٣٤:

فرضت الأجواء السياسيّة التي أحاطت ظروف النزاع بين اليمن والسعوديّة على الحدود وحالة التنافس الشديدة التي ظهرت بين إيطاليا وبريطانيا على منطقة البحر الأحمر جولة من المفاوضات التي كانت تتبئ بالفشل قبل أن تبدأ، فكانت الاقتراحات والبرقيّات والوفود تروح وتأتي دون حلول، فالطرفان تمسّكا بوجهة نظرهما لدرجة استحالة فيها الحلّ عبر المفاوضات.

١-حادثة جبل العرو وعودة المفاوضات عام ١٩٣١:

بدأت المفاوضات بعد قرار مجلس شورى صبيا وكأنّها تتجه نحو طريق مسدود^(١)، فبعد سيطرة قوات الإمام على جبل العرو عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١، حصل توتر شديد بين البلدين أعاد المفاوضات إلى نقطة البداية، فهذا الجبل كما هو معروف جزء من الإمارة العسيريّة الواقعة تحت الحماية السعوديّة بموجب معاهدة مكة ١٣٤٦هـ/١٩٢٦. لذلك، أرسل ابن سعود برقيّة إلى الإمام أبلغه فيها احتجاجه الشديد على هذا التصرّف، وطالبه بالانسحاب فوراً من الجبل المذكور، رفض الإمام ذلك متذرّعاً بأنّ أبناء الجبل هم من طلبوا ذلك منه لتعليمهم أصول الدّين^(٢)، عندها اقترح الملك ابن سعود عقد مؤتمر لمناقشة الموضوع، فاجتمع مندوبو الطرفين^(٣)، وأظهر كلّ طرف تمسّكاً شديداً بموقفه، وبدأ الموقف وكأنه يسير نحو الحرب في ظلّ استمرار زحف القوّات اليمنيّة إلى جبل فيفا بعد سيطرتها على جبل العرو وبني منبه، وفي ظلّ الحشود السعوديّة المستعدّة للهجوم في أيّة لحظة، إلا أنّ اللحظات الحاسمة أنقذت الموقف، فابن سعود أدرك بحنكة أنّ الأوضاع غير مؤاتية لإعلان حرب على اليمن، فالغضب الإدريسي بلغ مده بعد ضياع سلطتهم على إمارتهم، فخشي من تمردهم وسار نحو الحلّ السلمي، وكذلك الإمام عرف كيف يستغلّ سوء أوضاع الملك ابن سعود في تهامة عسير، فطلب منه التّحكيم في المسألة، فكان حكمه ببقاء جبل العرو مع اليمن، ممّا أنهى الأزمة بتوقيع اتفاقيّة الصّداقة وحسن الجوار في ٥ شعبان ١٣٥٠هـ/١٩٣١-١٢-١٥، وتبادل الطرفان البرقيّات لتصديق المعاهدة^(٤)، لتنته أزمة جبل العرو، لكنها لم تنه المشكلة الحدودية بين الرياض وصنعاء.

أراد ابن سعود استغلال ما حصل في جبل العرو ليكون ورقة رابحة يستغلّها بإجراج الإمام للموافقة على ترسيم الحدود بشكل نهائيّ وفقاً للوضع التي هي عليه حينها، فطلب من الإمام في خطاب وجهه له في ٨ جمادى الثانيّة ١٣٥١هـ/١٩٣٢ الدّخول في مفاوضات للقيام بذلك، فوافق الإمام في خطاب جوابي في ٨ رمضان ١٣٥١هـ/١٩٣٢ على استقبال وفد الملك عبد العزيز للبدء في جولة جديدة من المفاوضات لحلّ المسائل

(١)- للمزيد من المعلومات حول محاضر جلسات المفاوضات راجع وثيقة رقم (٨-٩)، بيان عن العلاقات السعودية مع الإمام يحيى، مصدر

سابق، ص ١٤-١٥

(٢)- وثيقة رقم (١١)، المصدر السابق، ص ١٨-١٩

(٣)- تألف الوفد اليمني من الشيخ عبد الله بن علي المناق وأبو طالب بن محمد محجب والقاضي عبد الله العريشي. أما الوفد السعودي فتألف من فهد بن زعير ومحمد بن دليم ومحمد يحيى باصهي عبد الوهاب أبو ملحّة وحمد العبدلي وبرئاسة عبد الله بن معمر أمير بيشه. أنظر:

الخطيب، الإمام العادل، مصدر سابق، ص ٢١١-٢١٢

(٤)- من أهم بنود المعاهدة أن يتعهد الطرفان بالحفاظ على الصداقة وحسن الجوار وتسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين الخارجين عن

طاعة أولي المر في البلدين أنظر: المصدر السابق، ص ٢١١

الحدودية، إلا أنه أراد أن يستبق هذه الخطوة ويفرض الأمر الواقع مرة أخرى كما حصل في جبل العرو، وذلك بتحريض من ولي عهد الإمام الأمير سيف الإسلام أحمد بن يحيى^(١)، حيث لم يكد وفد الملك عبد العزيز آل سعود يصل إلى الحدود اليمنية من جهة ميدي حتى تفاجأ بالأخبار الواردة عن سيطرة اليمن على نجران، فالإمام أصدر أمراً لقواته بدخول نجران، فتحركت القوات اليمنية داخل نجران وسيطرت على منطقة بدر مركز آل المكرمي سادة نجران، وهذه المنطقة تقع على مسافة ٧٠ - ٨٠ ميلاً في الشمال من الحدود بين اليمن وعسير، وتم حسم الأمر من الناحية العسكرية إلا أنها لم تحسم من الناحية السياسية، فالوفد السعودي عاد أدراجه، والملك عبد العزيز أعطى أوامره لقواته لإخراج اليمنيين من نجران بالقوة بعد رفض اليمنيين الاقتراحات بتحييد نجران وجعلها منطقة مستقلة تفصل البلدين عن بعضهما كما ذكرنا سابقاً^(٢).

٢- النزاع الحدودي بين السعودية واليمن حول نجران:

ظهرت مشكلة نجران كواحدة من المشكلات الحدودية الكثيرة بين اليمن والسعودية، فمنذ اتفاقية مكة بين الأدارسة وابن سعود عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦، يمكننا القول أن الحدود بين البلدين تقاربت إلى حد التلامس، ففي الوقت الذي كانت فيه الأجواء على جبهة عسير تسير نحو مفاوضات سيتم شرحها في ما سيأتي من صفحات هذا الفصل، كانت نجران مشكلة أكثر تعقيداً، فالإمام كان يؤكد أن نجران جزء من اليمن من حقه السيطرة عليها وضمها إلى اليمن الموحد، وكان ابن سعود يرى في نجران جزءاً من نجد لوجود قبائل اعتنقت الدعوة الوهابية فيها، وبالتالي يجب أن تضم إلى ممتلكاته، ولن يقبل بأي وجود يمني فيها، إلا أنه لم يكن يريد في ذلك الوقت وفي تلك الظروف أن يعلن عن نيته صراحة، فيكون متهماً أمام الجميع بأنه المسؤول عن بداية الحرب، فأصر على أن تتمتع نجران بالاستقلال الداخلي لتكون منطقة عازلة بين السعودية واليمن^(٣).

في ظلّ تمسك كل من الطرفين بوجهة نظره تجاه نجران، رأى الإمام أن من الأفضل فرض الأمر الواقع على الجميع كما حصل عندما سيطرت قواته على جبل العرو، حيث انتهز فرصة أنه يريد نشر السلام وتعليم أهلها أصول الدين عندما قامت جماعة من قبيلة **واثلة** بالخروج عن الطاعة، فأمر الإمام عامله في **(برط)** **اسماعيل المداني** الزحف عليهم، فاستجدوا بقبائل **يام**^(٤)، وبدعم من سيف الإسلام ولي العهد الإمام يحيى استطاعت قوات الإمام دخول نجران والسيطرة عليها، الأمر الذي عده الملك عبد العزيز آل سعود تهديداً مباشراً

(١) وقد ظهر ذلك في الرسائل المتبادلة بين الإمام وصاحب مجلة المنار محمد رشيد رضا، أنظر: المنار، الجزء الخامس، المجلد ٣٣، جمادى الأولى ١٣٥٢هـ.

(٢) وثيقة رقم (٣٩)، بيان العلاقات السعودية والإمام يحيى، مصدر سابق، ص ٣٣؛ أيضاً: الخطيب، مصدر سابق، ص ٢١٢؛ أيضاً: كوستنر، العربية السعودية، مصدر سابق، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٣) راجع الوثيقة رقم FO 406 /72 (E 405/79/25) No.8(P.R.O) من آندرو ريان إلى جون سيمون : نقلاً عن: الخترش، العلاقات السعودية اليمنية، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٤) ينتسب الياميين إلى قبيلة همذان بن زيد واقرب القبائل إليهم قبائل العجمان ومرة من قبائل نجد، وتقسم قبيلة يام إلى ثلاثة أقسام وتنتسب إلى يام بن أصبى بن دافع بن مالك بن حشم الأوسط بن حشم الأكبر بن جيزان بن نوف بن همذان، يقطنون منطقة نجران وفي منطقة حرار غربي صنعاء. للمزيد راجع: المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٨٩٧؛ أيضاً: وثيقة رقم (١٥١)، بيان العلاقات السعودية اليمنية، مصدر سابق، ص ١٧٣-١٧٥.

وسافراً لمنطقته واعتداء على نجران. في ظلّ هذه الأجواء اتخذ ابن سعود موقفاً حازماً بعد رفض الإمام الانسحاب من نجران، وأرسل قوة بقيادة خالد بن لؤي لصدّ الهجوم اليمني، لم تصمد القوات اليمنية في وجهه، ولاسيما أنّ الكثير من الأهالي وقفوا إلى جانب القوات السعودية، فاضطرت إلى الانسحاب من نجران، وبعد هذه الحرب الشرسة بين اليمن والسعودية بدأت مرحلة من المفاوضات بين الطرفين^(١).

استغلت القوات السعودية في هذا الوقت هجمات قبائل **عجمان وقحطان وبني يام**^(٢) على القوات اليمنية والخسائر التي أنزلتها بها لتثبت سيطرتها الكاملة على إمارة الأدارسة، فقد مكّن الزحف اليمني على بدر القوات السعودية من نشر قواتها الرئيسية في عسير، ووصل فيصل بن سعود ابن شقيق عبد العزيز آل سعود إلى جيزان في تهامة وأخوه محمد إلى أبها، وقد عين عبد العزيز آل سعود نجله سعود ليكون المسؤول المباشر عن كلّ العملية العسكرية التي أسهمت بالسيطرة الكاملة للسعودية على عسير^(٣)، والتي لعبت فيها قبائل نجران دوراً رئيساً في حسم الموقف لصالح السعودية، فمنطقة نجران هي منطقة صحراوية لم يستطع العثمانيون قديماً ولا ابن سعود أو يحيى حميد الدين من السيطرة عليها، وفرض سيادتهم الكاملة عليها، ولم يكن ليتمّ نصر أحد الطرفين لولا دعم قبائل نجران^(٤).

٣- المفاوضات بين السعودية واليمن حول عسير ونجران^(٥):

سبق وذكر في هذا الفصل والفصل الأول كيف أنّ بريطانيا وإيطاليا استطاعتا تنظيم خلافتهما في المنطقة، واتفقتا على التفاوض بدلاً من الحرب لعدم تعارض مصالح الطرفين بما يؤدي إلى خسارتهما معاً، ولهذا الغرض بدأت الدولتان تقدّمان الاقتراحات لحلّ مشكلة الحدود بين اليمن والسعودية بشكل سلمي، يحقّق الغاية المرجوة لكلا البلدين، وقد بدأت الاقتراحات منذ عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧، حين قدمت إيطاليا بعد مؤتمر روما عرضاً يتضمنّ اقتسام **صبيا**^(٦) بين اليمن والسعودية على أن تكون الحصة الأكبر من نصيب اليمن، رفضت بريطانيا هذا العرض مباشرة، دون أن يعرض على الطرفين المعنيين بالموضوع، ثمّ تقدّمت إيطاليا باقتراح آخر بالإبقاء

(١)- الخترش ، العلاقات السعودية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ١٦٣

(٢)- كانت قبائل يام القريبة من وادي الدواسر على علاقة جيدة بآل سعود منذ القديم، وقد أعطاهم سعود الكبير وثيقة عهد تحدد شكل العلاقة بين الطرفين. للاطلاع على عهد سعود الكبير راجع: وثيقة رقم (١٥٢) ، بيان العلاقات بين السعودية ، مصدر سابق ، ص ١٧٤-١٧٥

(٣)- كوستنر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ٢٦١

(٤)- وذلك لأنّ سكانها هم من العرب البدو المتقلبين الذين يعتمدون في معيشتهم على الغارات والغزوات على القبائل اليمنية وعلى نجد، الأمر الذي كان يساعدهم على تكوين قوة عسكرية لا تخضع لأي حكومة مركزية، وإنما إلى زعيمهم المحلي المعروف بالداعي المكرمي، وهو زعيم ديني للطائفة الإسماعيلية في اليمن، وهي الطائفة التي تنتسب لها قبائل يام، وقد ساعدهم تماسكهم الاجتماعي والموقع الجغرافي المساعد على الدفاع عن الذات الحفاظ على استقلالهم الذاتي منذ انهيار الدولة القاسمية الزيدية المركزية في نهاية القرن الثامن عشر. أنظر: الشهاري ، المطامع التوسعية السعودية ، مرجع سابق ، ص ١٩٧-١٩٩

(٥)- سميت نجران بهذا الاسم نسبة إلى نجران بن يزيد بن قحطان اليمني، ومن أهم قبائل نجران قبيلة يام التي تنقسم إلى ثلاثة بطون الواجدي وجشم وآل فاطمة. للمزيد من المعلومات راجع : سلطان ، حروب بلا نهاية ، مرجع سابق ، ص ١١٣

(٦)- وهي المنطقة الممتدة عبر السهل الساحلي بين صنعاء في الجنوب وأبها في الشمال. وقد كانت هذه المنطقة تتعرض لخطر الجيران من الجنوب، حيث كانت اليمن تعدّها جزءاً من اليمن الكبرى وأن حكم الأدارسة لها غير شرعي، وازداد الخطر على صبيا بعد توقيع معاهدة مكة التي وضعت الإمارة الإدريسية تحت الحماية السعودية. أنظر : النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص ٣٩

على الإمارة الإدريسية مستقلة داخلياً، وحاجزة بين البلدين المتنازعين، وأطيح بهذا الاقتراح بعد معرفة اليمن وإيطاليا بالمعاهدة الموقعة عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧ بين الأدارسة وابن سعود، والتي أصبحت الإمارة الإدريسية بموجبها تحت السيطرة السعودية، الأمر الذي نسب الاقتراح السابق مرفقاً برفض يماني وإيطالي لمحاولة فرض الأمر الواقع على اليمن، وبعد ضم الإمارة الإدريسية نهائياً إلى ممتلكات ابن سعود عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢ أصبح النزاع الحدودي وقتذاك محصوراً على شريط بعرض ١٢ ميل يمتد من الساحل إلى نجران، التي كانت ما تزال خارج الخلاف آنذاك، وكان الطرفان يتسابقان على هذا الشريط، ثم جرت على إثر عدة تجاوزات حدودية بين الطرفين محادثات انقسمت على أربع جولات بالتناوب بين أبها وصنعاء، لكنها لم تصل إلى نتيجة لأن ابن سعود طلب من مفاوضيه التأكيد على ضرورة ترسيم حدود عصرية واضحة بين اليمن والسعودية وذلك برسم خطٍ حدودي يتناسب مع خطوط التماس العسكرية القائمة آنذاك، مع موافقة الملك السعودي على إبقاء المناطق، التي اقتطعتها القوات اليمنية قبل السيطرة على نجران من الإمارة الإدريسية أي **الحديدة وميدي** بيد الإمام، في حين كان الأخير يفكر آنذاك بعكس الطريقة السعودية، حيث كان يسعى لتوسيع حدود بلاده، مما يفسر رفض اليمن للاقتراح السابق^(١).

إلا أن اليمن سرعان ما وافقت على الاقتراح نفسه، ولكن بعد استيلاء القوات اليمنية على نجران، حيث إن شرط موافقة الملك على إبقاء كل طرف على ما بيده من مناطق سيضاف له من الجانب اليمني منطقة نجران ذات الموقع الاستراتيجي المهم، فجاء الرفض هذه المرة من جهة **الرياض**، التي أكدت عرضها السابق، لكن بدون **نجران**، لأن سيطرة اليمن عليها جاءت بعد الاتفاق المذكور^(٢).

استبق الإمام الهجوم على **نجران** ببرقيتين أرسلهما إلى الملك السعودي لتسوية دخوله نجران، يشكو فيهما استقبال ابن مساعد حاكم أبها وفداً من القبائل المعارضة له، واتهامه بتحريض القبائل اليمانية بالهجوم على القوات اليمنية، ونفى ابن سعود ذلك ببرقيتين جوابيتين، وأكد أن لا نية عنده للهجوم على نجران، وبعد الهجوم تروى قليلاً قبل اتخاذ أي إجراء حاسم، وكلف كلاً من القاضي **عبد الله العمري والقاضي عبد الكريم مظهر** بالاضطلاع على الموضوع بعد عودة الوفد السابق، وراقب المفاوضات شخصياً من عمران. وقدم الوفد السعودي اقتراحاً صريحاً يحمل في طياته تهديداً بالحرب في حال رفضه، وتضمن الاقتراح العودة إلى اتفاقية العرو التي كانت عسير ونجران بموجبها تابعتان للسعودية إضافة إلى الطلب بأن ينقل الحسن الإدريسي من منطقة **ذهب حجر** القريبة من عسير إلى منطقة أخرى لأنه يقوم بالتحريض على السعودية في عسير، فرفض الجانب اليمني الاقتراح السعودي لأن اتفاقية **جبل العرو** اتفاقية مؤقتة لا تتضمن ترسيماً للحدود، وطالب الوفد السعودي بضرورة إعادة عسير تهامة إلى اليمن الأم على أساس أن الادعاء السعودي بأن الأدارسة في حمايتهم قد سقط بعد ثورة الإدريسي ضد الوجود السعودي في إمارته. عندها أراد الوفد السعودي مغادرة اليمن، فماطل الإمام في السماح لهم بذلك بذريعة أنه سيعود إلى **صنعاء** بعد خمسة أيام لاستكمال المفاوضات شخصياً معهم، فانقطعت اتصالات

(١) - النعيم ، المرجع السابق ، ص ٤٣

(٢) - المرجع السابق ، ص ٤٣

الوفد السعودي بآبن سعود، فظن أن وفده محتجز فأبرق إلى الإمام غاضباً، فسوّغ الأخير أن الانقطاع حصل لعطل في محطة البرق في الحديدة، وظلّت هذه الحادثة ترد في كلّ البرقيات بين العاهلين، وآبن سعود يذكر دائماً بحجز وفده ويعده إهانة لا يمكن تجاوزها، وجميع البرقيات آنذاك أظهرت توتراً بين الطرفين، ومقدمة لرّد فعل عسكريّة للسعوديّة لاستعادة نجران، وتعبيراً عن رفضها القاطع طلب الوفد اليمني بإعادة تهامة عسير إلى اليمن، وقدمت مسوّغات جغرافيّة وسياسيّة وتاريخيّة، وأنها سيطرت عليها بثمن غال من المال والأنفس^(١).

وفي ردّ الإمام على برقيات الملك آبن سعود، أكدّ أنه لا يريد أن يقوم بأيّ عمل عدوانيّ ضدّ الأراضي السعوديّة، لكنّه أكدّ على أن نجران وتهامة عسير هما جزء من اليمن، وأنه لا يمكن التنازل عنهما، الأمر الذي رفضته السعوديّة فهي لا تقبل بأن تكون نجران تحت السيادة اليمنية^(٢).

٤- الاقتراحات المتبادلة بين السعودية واليمن:

لم تكن السعوديّة قادرة على احتمال خسارة نجران، فرفضت الاستمرار في المفاوضات، وقدمت اقتراحين لحلّ المشكلة :

الأول: تضمّن عرضاً بإبقاء نجران منطقة محايدة عازلة بين البلدين، يكون لها نوع من الاستقلال الداخلي السياسي والعسكري والاقتصادي، رفضته اليمن، وأصرّت على بقاء نجران تحت السيادة السياسيّة والعسكريّة لليمن.

الثاني: وقد عرض على طاولة المفاوضات، ويقوم على اقتسام نجران على أساس المساواة والتكافؤ بين البلدين، ولكنه لقي مصير الاقتراح السابق نفسه. فعدت السعوديّة موقف اليمن نوعاً من المماطلة والتسويف، وقرّر الملك السعودي تحديد موعد لانسحاب القوّات اليمنية من نجران، وإلا فالحرب ستكون وسيلة الحسم الأخيرة بعد الفشل الدبلوماسي^(٣).

بعد هذا الاقتراح بدأت مرحلة المفاوضات المباشرة بين العاهلين عبر البرقيات المتبادلة، من دون الاعتماد على الوفود، أكدّ فيها الإمام على أحقيّة اليمن بعسير ونجران لأنها أرض يمنيّة، ووافق على أن يتخلّى عن عسير وتهامة شريطة أن تسلّم إلى حكّامها المحليين من آل عائض أو الأدارسة، وهم يختارون مع من يتحالفون لاحقاً، على الرّغم من أنّ المسوّغات التاريخيّة والديموغرافيّة تؤكّد تبعيّة هاتين المنطقتين إلى اليمن، في حين طلب الملك آبن سعود من الإمام في رسالة جوابيّة سريعة توضيح موقفه من المشكلات الحدوديّة، وقد كان خطابه قاسٍ وحازم ويبطن في طياته نوعاً من التهديد، وختم الرّسالة قائلاً: "المراوغة شيء يأباه الدين والشرع، وكما أنّ لأنفسنا علينا حقّ فإن لشرفكم ومقامكم علينا حقّ أيضاً.. فإن أجبتُمونا إلى ذلك فهو الذي نراه.. فإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوّة إلا بالله وإني لا أبدأكم بشرّ إلا أن يكون دفاعاً عن الدين والشرف"^(١).

(١)- الشهاري ، المطامع التوسعية السعودية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢-٢٠٣

(٢)- للاطلاع على مضمون برقيات الإمام الجوابية راجع: وثيقة رقم (٥٠) ، بيان عن العلاقات السعودية مع الإمام يحيى ، مصدر سابق، ص ٧٠-٧١

(٣)- النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص ٤٤

(١)- الخترش ، العلاقات السعودية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ١٦٧-١٦٨

أكّد الإمام في ردّ جوابي على برقيّة ابن سعود السابقة أنّه يسعى إلى صداقته، وعلى حسن نواياه وموافقته على ترسيم الحدود، على أساس إبقاء كل طرف ما بيده من المناطق، ويطمئنه من ناحية الإدريسي مؤكّداً له أنّه لن يقوم بأي عمل عدائي لابن سعود، فردّ ابن سعود برسالة جوابيّة حازمة وواضحة، وتحمل ٣ طلبات من الإمام الأول: التّوقف عن المؤامرات وتعكير صفو السّلام، الثاني: إخلاء نجران وتصفيّة مسألة الحدود والتّعويض عن الخسائر التي نزلت بالجيش السّعودي، والثّالث: تأكيد المعاهدة السّاريّة بين البلدين (معاهدة العرو).

وترافقت الرّسالة بحشد القوّات السّعوديّة على الحدود مع اليمن عام ١٣٥٢هـ/١٤ تشرين الثّاني ١٩٣٣. وكان ردّ الإمام مرناً، حيث طالب ابن سعود أن يخفّف الحشود العسكريّة على الحدود، فردّ ابن سعود بالتّذكير بشروطه الثّلاث مع تأكيد حسن نواياه تجاه اليمن، وعدم رغبته القيام بأي عمل هجومي، والرّدّ السريع على مطالبه، ورفض طلب الإمام في استقبال الوفد اليمني للتّفاوض، بحجّة أنّ الوفود عملت طويلاً دون فائدة، وكانت رسائله الأخيرة تركز على ضرورة توضيح الإمام موقفه بشكل صريح واضح لحسم المسألة بسرعة، فردّ الإمام بأنّه سيّبعد الأدراسة إلى زبيد بدلاً من صنعاء، لأنّهم غير معتادين على برودة جبال صنعاء، فوافق الملك السّعودي، وانتهت مسألة الأدراسة بهذه الطّريقة، ولم يبق سوى مشكلتي الحدود ونجران، وعندها طلب الملك السّعودي من الإمام حلّ المشكلة وفقاً للاقتراح الذي وضعه الوفد السّعودي الأوّل عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧ وما لحق عليه من تعديلات بعد حادثة العرو^(٢)، وذلك في برقية حملها حمد سليمان، وطالبه فيها أيضاً بعدم التدخل في شؤون القبائل العسيريّة، والإنسحاب من نجران^(٣).

في هذه الأثناء كان خالد بن لؤي قد استطاع هزيمة الجيش اليمني، وأصبح الوضع العسكريّ يميل لطرف القوّات السّعوديّة، فاضطرّ الإمام أن يردّ بشكل ايجابي على البرقيّة الأخيرة لابن سعود، حيث تضمن الرّد موافقة الإمام على الشّروط الثّلاث السّابقة، ولم يبق سوى بعض الأمور الحدوديّة، وظهرت الأمور وكأنّها تسير نحو طريق ايجابي، فقد تم التّوصل في أواخر كانون الأوّل إلى اتفاق مبدئيّ ينصّ على إبعاد الأدراسة إلى منطقة زبيد جنوب تهامة، والموافقة على السّيادة السّعوديّة على عسير، أما نجران فيتم الاتّفاق بشأنها في المفاوضات المقبلة بين الطّرفين، ووافق الطّرفان على توقيع معاهدة لمدة عشرين عام يثبت كل طرف على ما بيده من مناطق^(٤).

(٢) - المرجع السابق ، ص ١٦٨-١٧٢

(٣) - كوستنر ، العربية السّعودية ، مصدر سابق ، ص ٢٦٢

(٤) - المصدر السابق ، ص ٢٦٢ ، أيضاً : الشاعري ، تسوية النزاعات الدوليّة سلمياً ، مرجع سابق ، ص ٣٩٣ ؛ أيضاً: الخترش ، مرجع سابق

٥- مؤتمر أبها والاقتراحات المتبادلة عام ١٩٣٤:

اتفق العاهلان السعودي واليميني على عقد مؤتمر لفصل النزاعات بين الطرفين على البنود غير المتفق عليها بشكل نهائي، إلا أن التطورات العسكرية والسياسية التي سبقت المؤتمر خربت كل الاتفاقات السابقة وجرّت البلدين إلى الحرب المؤكدة بين العدوين الشقيقتين، وفي الحقيقة كان للأطماع التوسعية للسعودية واليمن حصة الأسد في نشوب هذه الحرب، فقد خطّط الطرفان ضمناً للحصول على نجران وكلّ ما تمكّنت قوّاتهم من حصده من أراض، فاليمن الساعي إلى الدولة الحديثة العصرية الموحدة رأى في بقاء نجران خارج مناطقه وسيطرته إجحاف في حقه، وفي الوقت نفسه كانت السعودية ترى أن حدود بلادها لن تكون في مأمن دون السيطرة الكاملة على نجران أو على الأقلّ تحييدها عن اليمن، الأمر الذي كان يعني أنّ نجران حتّى لو كانت مستقلة ذاتياً يجب أن تكون أقرب إلى السعودية من اليمن.

من هذه الخلفية انعقد مؤتمر أبها في ٢ ذي الحجة ١٣٥٢هـ - ١٦ شباط ١٩٣٤، حيث كانت كلّ المؤشرات توحى بفشل المؤتمر قبل أن يبدأ، فقد جاء هذا المؤتمر بعد نجاحات عسكرية كبيرة حققتها القوّات السعودية على الجبهات كلّها سواء في تهامة أم في نجران، الأمر الذي سيدفعهم إلى المطالبة بالمزيد من التنازلات اليمنية الشيء البعيد كلّ البعد عن تفكير الإمام، فلم يكن وارداً لديه التنازل عما كان يراه حقّاً شرعياً، على الرّغم من موافقته في الظاهر على بعض الأمور إلا أنّه في الباطن كان يرفضها كما هو الأمر بالنسبة لعسير. فقد كان كمن يكسب الوقت بالمفاوضات في الوقت الذي كانت فيه قوّاته تتحرك بشكل مستمر على الحدود باتجاه جنوب عسير، كلّ ذلك كان يبلغ للملك السعودي في البرقيات بينه وبين **حمد الشويعر** عامله في عسير، والتي أوضح له فيها أن الإمام يحرض القبائل العسيرة ضدّ القبائل الموالية له، حيث قامت قبائل بني خالد وآل سلمه بهجوم على قبائل بني مالك التابعة لابن سعود وذلك مثبت بالدليل والحجّة، فقد قبض على رسالة موجّهة من حسن الإدريسي إلى كثير من مشايخ المقاطعة يحرضهم على الثورة ضدّ الملك ابن سعود، وإنّ أمير منطقة صامطة قبض على هذه الرسالة^(١)، وقد طالب ابن سعود بتوضيح ذلك في رسائله للإمام، فردّ عليه الإمام بأنّه أعطى أوامره إلى سيف الإسلام بالتوقف عن أيّ عمل هجومي، وقد استمرّ تبادل البرقيات بين ٢٠ كانون الثاني وأوّل شباط ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤ حتى وصل عددها إلى سبع حملت كلّها اتهامات ومسوّغات متبادلة بين العاهلين، فالإمام يقول أنّ هدف التّحرّكات العسكرية هو كبح جماح عبد الوهاب الإدريسي الذي يثير القلاقل في المنطقة. أمّا ابن سعود فيقول أنّ هدف تحرّكاته حفظ الأمن والاستقرار^(٢)، وسط تشكيك كل طرف بالآخر، مع عدم الرّغبة لدى أحد الطرفين بأن يكون البادئ بالحرب. لذلك، وافق العاهلان على بدء جولة جديدة من المفاوضات تقرر عقد جلساتها في أبها^(٣).

(١)- وثيقة رقم (٧٢-٧٣-٧٤ - ٧٥-٧٦-٧٧-٧٨ - ٧٩-٨٠ - ٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦)، بيان عن العلاقات السعودية مع الإمام يحيى، مصدر سابق، ص ٩٤-١٠٢.

(٢)- الخترش، العلاقات السعودية اليمنية، مرجع سابق، ص ١٧٤-١٧٧.

(٣)- للاطلاع على البرقيات راجع: (وثيقة رقم ٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦)، بيان عن العلاقات السعودية، مصدر سابق، ص ١٠٧-١٢٢.

كَلَفَ الملك عبد العزيز آل سعود وكيل وزارة الخارجية فؤاد حمزة بقيادة المفاوضات عن الجانب عن السعودي، في حين كَلَفَ الإمام يحيى عبد الله بن أحمد الوزير بقيادة الجانب اليمني، وقد انطلقت المفاوضات في أجواء بدت وكأنها تنتظر حجة ضياع الفرصة الأخيرة لتدخل إلى بوابة الحرب^(١)، فالجيش السعودي كان محتشداً وينتظر إشارة البدء، وكذلك حال الجيش اليمني، وعندما انطلقت المفاوضات أظهرت طلبات كل فريق وجهة النظر التي تخدم مصلحة كل طرف دون أي تنازل، فالجانب السعودي طالب بترسيم الحدود كما جاءت وفق اتفاق جبل العرو ١٣٥٠هـ/١٩٣١، وبإبعاد الأدارسة أو تسليمهم إلى ابن سعود، أما نجران فتبقى محايدة، في حين طالب الوفد اليمني وبتوجيه من الإمام يحيى بقاء كل طرف في المناطق التي بيده، وأنه لا داعي لوضع حدود ثابتة بين البلدين على أساس أن المنطقة لا تتجزأ كونها تشكل جسماً واحداً، وبأن تتبع نجران للدولة اليمنية المتوكلية^(٢).

وفي دراسة للاقتراحين نلاحظ عدة نقاط :

النقطة الأولى: يظهر من الاقتراح السعودي قوة نابعة من قوة الاستعدادات العسكرية التي قام بها ابن سعود تحضيراً للحرب في حال فشل المؤتمر، ولاسيما أن قواته على كل الجبهات قد حققت انتصارات شبه حاسمة، فعلى جبهة تهامة عسير كانت قوات الأمير فيصل متأهبة بشكل جيد، وأصبحت في موقع ممتاز للهجوم، وعلى جبهة نجران استطاع الأمير سعود بالتعاون مع قبائل نجران الحد من تقدم القوات اليمنية، المدعومة من أحمد حميد الدين في صعدة^(٣). إضافة إلى الحشود التي كانت على جانب الحدود من عسير إلى نجران، فبالإضافة إلى قوات القبائل النجدية، تم حشد قوات من بيشه وتربة في الحجاز بقيادة خالد بن لؤي في جيزان، وقوات من عتيبه وقحطان بقيادة عبد العزيز ابن مساعد في أبها.

النقطة الثانية: إن الاقتراح السعودي كان يعني انسحاب القوات اليمنية من المناطق، التي سيطرت عليها وهو يدرك تماماً أن هذا الأمر غير ممكن، فالإمام لم يكن في وارد التنازل عن نجران وعسير تهامة، وكان من الممكن القول إن هذا الاقتراح هو من باب المناورة السياسية، للحصول على المزيد من المكتسبات لو أن التطورات اللاحقة كانت تعكس هذا الجو، لكنها عملياً كانت تعكس رغبة الملك في رفع سقف المطالب لزيادة الضغط على الإمام فيكون الرّفض من جانبه، وعندها تبدأ الحرب وهذا ما أكدته الاستعدادات العسكرية الكبيرة

(١)- الخطيب ، الإمام العادل ، مصدر سابق ، ص ٢١٢

(٢)- للاطلاع على محاضر الجلسات راجع : وثيقة رقم (٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣) ، بيان العلاقات السعودية ، مصدر سابق ، ص ٣٦-٥٢؛

أيضاً: الشهاري ، المطامع التوسعية السعودية ، مرجع سابق ، ص ٢١٧-٢١٩

(٣)- حيث كان قد أرسل حملة بقيادة يحيى بن محمد الصعدي وبمواكبة من عبد الوهاب الإدريسي، فقد سيطر جيش التحرير والتوحيد اليمني وبدعم من القبائل الموالية للأدارسة على مناطق كثيرة كجبال الحارث وجبال العبادل وفيها وبني الغازي وبني مالك وسفيان جنوبي نجران لتمتد سيطرة إمام صنعاء على ما يسمى ساق الغراب الممتد من جبال العبادل على حدود مملكته إلى جبال الريث وبني الغازي تحت عقبة أبها شمالاً. أنظر: كوستنر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ٢٦٢ ؛ أيضاً: الشهاري ، مرجع سابق ، ص ٢١٥

والأسلحة الوافرة التي امتلكها الجيش السعودي، والتي أبلغ الإمام بها لمزيد من الضَّغط^(١)، خاصة بعد أن أمر الملك عبد العزيز آل سعود أولاده فيصل وسعود، بالتَّحرك على مختلف الجبهات العسكرية^(٢).

النقطة الثالثة: لم يقدِّم الاقتراح اليمني شيئاً جديداً عن المفاوضات السابقة، لا بل كان في هذه المرّة يطالب بقسم من الإمارة الإدريسيّة في المناطق التي سيطروا عليها، إضافة إلى **نجران**، والإمام كان يدرك أنّ ابن سعود لن يوافق عليه، ولاسيّما أنّ القبائل في **نجران** كانت في حالة عداة تاريخيٍّ مع الأئمة الزيديين، حيث كان زعماء القبائل في **نجران** وهم **الدّعاة المكارمة**، قد تعرضوا للاضطهاد في صنعاء من الأئمة الزيديين، وقد استيحت أموالهم وأراضيهم، وهو ما كان يخشاه الإسماعيليون في **نجران**^(٣)، ممّا شكّل حافزاً إيجابياً للملك السعودي في إصراره على عدم تبعية **نجران** للإمام.

بعد مرور ست جلسات وبالتحديد تاريخ ١٩٣٤/٣/٢٢م أي بعد مرور شهر على المفاوضات، أعلن الملك عبد العزيز بن سعود قطع المفاوضات وفشل مؤتمر أبها، حيث وجّه الملك السعودي إنذاراً إلى الإمام يطلب فيه تحديد الحدود بين البلدين من خلال معاهدة حدود، وإعادة الفارين من الأدارسة وتسليمهم له، واقتسام **نجران** بالتساوي بين اليمن والسعودية، وفي حال انقضاء الوقت المحدّد للإنذار دون جواب سيعلن الملك السعودي الحرب على اليمن^(٤). لم يكن جواب الإمام قطعياً، فوافق على كل الشّروط إلا شرط اقتسام **نجران** التي لم يكن لدى الإمام أي نيّة للتنازل عنها، فأعطى ابن سعود أمراً لقوّاته على كافة الجبهات بالتّحرك واستعادة ما أخذه اليمنيون بالقوة، وبالفعل ما إن انقضت مدّة الإنذار، حتّى أعلن ابن سعود الحرب على اليمن بحجّة أنّ الإمام قد أعطى أمراً ل**عبد الوهاب الإدريسي** بمهاجمة القبائل التابعة للملك، وقيام جنود الإمام بمهاجمة بعض الجبال في تهامة والتّشكيل بأهلها^(٥).

كانت كل التطورات السياسية في شبه الجزيرة العربية عموماً، وفي كل من السعودية واليمن بشكل خاص، تظهر أن المرحلة القادمة هي مرحلة صعبة ستحمل في طياتها الكثير من الصدامات بين السعودية واليمن، وهو ما كانت تحضر له بريطانيا بكل فرح لتشغل الإخوة ببعضهم وتتفرغ هي لمصالحها.

(١) - الخترش ، العلاقات السعودية اليمنية ، مرجع سابق، ص ١٧٨-١٧٩

(٢) - الشاعري ، تسوية النزاعات الدولية سلمياً ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤

(٣) - الشهاري ، المطامع التوسعية السعودية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٩-٢١٠

(٤) - وثيقة رقم (٣٥) ، بيان العلاقات السعودية ، مصدر سابق ، ٥٨-٥٩ ؛ أيضاً: الشاعري ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤-٣٩٥

(٥) - للاطلاع على جلسات مؤتمر أبها راجع : وثيقة رقم (١٢٥-١٢٦-١٢٧) ، بيان العلاقات السعودية ، مصدر سابق ، ص ١٣٦-

١٤٩؛ أيضاً : الخطيب ، الإمام العادل ، مصدر سابق ، ص ٢١٢

رابعاً: المرحلة الثالثة: مرحلة الحرب السعودية - اليمنية واتفاقية الطائف ١٩٣٤:

١- التنافس الاستعماري وأثره في قيام الحرب السعودية- اليمنية عام ١٩٣٤:

ارتأت بريطانيا في هذه المرحلة الزمنية أنه من الأفضل لها أن تقوم بمفاوضة الإمام حفاظاً على نفوذها في المنطقة، وتعزيزاً لمواقعها وحمايةً لمحمياتها^(١)، فالتنافس الدولي على أشده خصوصاً في منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية، وفرنسا وإيطاليا كانتا تسعيان لإيجاد مكان لهما في ظل هذه الأحداث، والإمام كان يسعى لأي مساعدة له ضد بريطانيا المتشددة في موقفها من عسير و الحدود الجنوبية لليمن، مما سمح للدول الأخرى من العمل على هاشم المشكلات السياسية بين الإمام وبريطانيا، فحاولت إيطاليا انتهاز هذه الفرصة لزراع نفوذها في المنطقة عبر الإمام يحيى^(٢). إلا أن بريطانيا سعت إلى تقوية الفرصة على الإمام، واتبعت سياسة تقوم في ظاهرها على الحياد وعلى عدم التدخل في شؤون القبائل وأن لا علاقة لها بالأمور الداخلية في المنطقة، وفي الخفاء قامت بتأليب القبائل وإثارتها ضد بعضها البعض، إلى جانب هذا الإجراء كلفت الدبلوماسية البريطاني الشهير د.ج. كلايتون بإجراء مفاوضات مع الإمام في صنعاء انتهت بتوقيع معاهدة صداقة تنص على الحفاظ على الإمارة الإدريسية المقربة من بريطانيا والمتحالفة معها، والمهمة للحفاظ على نفوذها في المنطقة، التي زادت أهميتها مع اكتشاف النفط في جزر فرسان.

لذلك، كانت بريطانيا تسعى إلى تثبيت الحدود على ما هي عليه والمحافظة على الإمارة الإدريسية وحمايتها في عسير لتأمين مصالحها وتحقيق أهدافها وحماية مناطقها في الجنوب العربي، لكن الإمام كان بعيداً كل البعد عن هذا الجو البريطاني، و مصرراً كل الإصرار على استعادة كل الأراضي اليمنية لتحقيق الوحدة في اليمن بين الجنوب والشمال. وقد أدركت بريطانيا أهداف الإمام فاتخذت ابتداءً من عام ١٩٢٧/هـ ١٣٤٦/هـ سلسلة من الإجراءات لحماية نفوذها شبه الجزيرة العربية منها: تفعيل وتقوية وجود الفرق القبليّة التي يقودها ضابط بريطاني على الحدود الشماليّة مع اليمن لحماية عدن، وقطع الطريق على الإمام الذي كان يأمل بالحصول على الدعم في صراعه مع بريطانيا في ظل التنافس الدولي على جنوب حوض البحر الأحمر والذي ظهر بشكل جليّ بسعي إيطاليا إلى استغلال الأحداث لتجد لها مكاناً في منطقة الجزيرة العربية، حيث جرى لقاء بين حاكم إريتريا الإيطالي جاسبارين و كلايتون البريطاني في روما واتفق فيه الطرفان على إيجاد حدّ فاصل بين المصالح الإيطالية والمصالح البريطانية في حوض البحر الأحمر، وعلى عدم التدخل في الشؤون الداخليّة لليمن ولا في خلاف الإمام مع ابن سعود والأدارة على الحدود على منطقة عسير. لكن بريطانيا لم تكن مرتاحة إلى حالة

(١)- حيث كان الإمام يقوم بمهاجمة أرض المحميات بشكل مستمر ويخرق الحدود عسكرياً ١٩٣٨/هـ ١٩١٩ تجاوز الإمام الحدود إلى منطقة النفوذ البريطاني وسيطر على سلطنة البيضاء، وفي سنة ١٣٥٠/هـ ١٩٣١ سيطر على قرية العين التابعة للمسابعي المتحالف مع شريف بيحان وبالتالي تابعة لحكومة عدن البريطانية، عندها وجهت بريطانيا إلى الإمام إنذاراً بضرورة الانسحاب من القرية، وإلا ستقوم بقصف المدن اليمنية بسلاح الجو الملكي، فانسحبت القوات اليمنية، وكذلك فعلت القوات اليمنية الجنوبية بعد تلقيها إنذاراً من حكومة عدن يطالبها بالانسحاب من منطقة أم نبيه في منطقة الصبيحة، التي سيطرت عليها القوات اليمنية، ووصلت إلى الساحل. للمزيد راجع: للمزيد من المعلومات راجع : ولكسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص ٢٠٣

(٢)- مهنا ، تحديث الخليج العربي ، مرجع سابق ، ص ١٠٥-١٠٦

اللاستقرار بشأن المناطق الخاضعة لنفوذها، وكانت تريد أن تغطي وجودها باعتراف شرعي من الإمام فقامت في عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧ بتقديم طلب له للاعتراف بمناطق نفوذها في المحميات، لكن الإمام لم يستجب إلى الطلب البريطاني، فلجأت إلى الطرق العسكرية للضغط عليه، وأجبرته على الاستجابة إلى طلبها مستغلة خطف قوات الإمام شيخين من مشايخ القبائل الموالية لها، فشنت هجوماً جويًا على اليمن، حيث قصفت القرى والمدن اليمنية بالطائرات، وفرض أسطولها البحري المرباط في البحر الأحمر حصاراً قاسياً على اليمن، وشنت قوات سلطان لحج الموالية لبريطانيا هجوماً على قوات الإمام المرابطة في منطقة الضالع وقعدة^(١) الحدوديتين، إلا أن قوات الإمام تمكنت من التصدي إلى قوات سلطان لحج، وألحقت بها الهزيمة، واستغلت بريطانيا في هذه الظروف الأطماع الانفصالية لدى بعض شيوخ القبائل، لتكسبهم إلى جانبها واعدة إياهم بالاستقلال، إضافة إلى استغلالها فتنة مذهبية بين الشافعية والزيدية.

ترافق نشاط بعض القبائل التي رشتها بريطانيا مع النشاط الحربي البريطاني والحصار المفروض على اليمن والقصف الجوي مع تمرد بعض القبائل الموجودة تحت نفوذ الإمام، الأمر الذي جعل الإمام يعود إلى الخيار السابق بالبحث عن الدعم من قبل الدول الطامحة إلى منافسة بريطانيا في منطقة حوض البحر الأحمر، ولاسيما أن بريطانيا خالفت الاتفاقية الموقعة مع إيطاليا بشأن عدم التدخل في الشؤون الداخلية لليمن، فوجد الإمام ضالته في استغلال مطامع إيطاليا في المنطقة، ورغبتها في السيطرة على ميناء الحديدة في اليمن وميناء مصوع في إريتريا على ساحل البحر الأحمر والتي تعد من أهم المواقع الإستراتيجية على طريق المحيط الهندي، ورغبتهم في تحويل الطرق التجارية إلى مصوع، وبالتالي الهيمنة على كل الحياة الاقتصادية في المنطقة^(٢)، وكانت إيطاليا قد وقعت اتفاقية صداقة مع الإمام عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦^(٣) اعترفت فيها بالاستقلال التام لليمن مع الوعد بتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية لها عن طريق إرسالها الخبراء وبيعها الأسلحة ومختلف المعدات الحربية، وبالمقابل حصلت إيطاليا على حق تجارة البن اليمني في الخارج، وعلى تسهيلات في مجال تزويد اليمن بالنفط لمدة خمس سنوات، وقد علق الإمام على هذا الاتفاق آمالاً كبيرة، معتبراً أنه سيساعد اليمن على اختراق الحصار، وسيعزز موقعه في صراعه ضد بريطانيا ونجد في المستقبل. إلا أن خيبة أمل الإمام كانت سريعة،

(١)-راجع المصور في ملحق الخرائط رقم ٤

(٢)- مجموعة من المؤلفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، ص ٣٣-٣٧

(٣)- وهي اتفاقية التجارة اليمنية -الإيطالية مدتها عشر سنوات تضمنت عدة بنود أهمها: مادة ١ - تعترف حكومة جلالته ملك إيطاليا بالاستقلال التام لحكومة اليمن وملكه جلالته الملك الإمام يحيى . مادة ٣- تتعهد الدولتان بتسهيل تبادل التجارة بين بلديهما حكومة جلالته الملك تصرح بأنها ترغب أن تجلب طلباتها من إيطاليا من الآلات الفنية التي تساعد على جلب الفائدة في نمو اقتصاد اليمن. وكذلك، في الأشخاص الفنيين والحكومة الإيطالية تصرح أنها تبذل قصارى جهدها حتى يصير إرسال الآلات والفنيين بأنسب وجه في الأنواع والأثمان والرواتب مادة ٤- ٥ - لا تعني المادة الثانية والثالثة حرية الطرفين في التجارة والمطلوبات. مادة ٥ ليس لأحد من تجار البلدين أن يجلب ويتجر في ما هو ممنوع في أحد البلدين ولكل من الدولتين أن تصدر ما منع جلبه. مادة ٦ هذه المعاهدة لا يكون معمول بها حتى تصل إلى جلالته ملك اليمن مصادقة من جلالته ملك إيطاليا. مادة ٧ هذه المعاهدة معمول بها لمدة عشر سنوات، وقبل انتهاء المدة بستة أشهر يمكن تعديلها أو تمديدتها. مادة ٨ يأخذ الطرفان ملك اليمن الإمام يحيى وغاسباريني وكيل الملك الإيطالي نسختين متطابقتين باللغة العربية والإيطالية وفي حال حصول اختلاف بالتفسير في البنود يتم اعتماد التفسير كما هو بأصول اللغة العربية واعتبارها شرطاً . أنظر: سالم ، سيد مصطفى، تكوين اليمن الحديث، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٤م ، ص ٥٢٦-٥٢٩

فبعد مرور سنتين على الاتفاقية استمر الوجود الإيطالي في المنطقة ضعيفاً، فالتعاون الاقتصادي التكتيكي مع إيطاليا لم يحقق آمال الإمام. وكانت البضائع التي وردتها إيطاليا إلى اليمن قديمة وذات نوعية متدنية، والمصانع التي بنتها في اليمن كانت ماكيناتها غير صالحة للاستعمال، والأسلحة التي منحتها إيطاليا لليمن كانت هي الأخرى قديمة وغير فعالة، مما دفع الإمام إلى إلغاء التوكيل الممنوح للشركة الإيطالية كما منع شراء السلع الإيطالية، ولم تأت نهاية العشرينيات من القرن العشرين حتى كانت التجارة اليمنية الإيطالية في أدنى مستوياتها^(١).

اكتشف الإمام أن إيطاليا لم تكن راغبة في الاصطدام المباشر مع بريطانيا، وظهر ذلك عندما تركته وحيداً في مواجهة البريطانيين في عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨، فأخذ يبحث عن بديل لإيطاليا، ووجد ضالته في الاتحاد السوفييتي، فسعى الإمام إلى تقوية علاقاته بها، ووقع معهم اتفاقية الصداقة والتجارة اليمنية السوفييتية عام ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩^(٢).

عول الإمام سياسياً على هذا الاتفاق بشكل كبير، وبنى عليه الكثير من الآمال التي سرعان ما تلاشت، فصحح أن هذا الاتفاق استطاع كسر الحصار المفروض على اليمن، إلا أنه لم يؤثر على المحميات البريطانية في الجنوب العربي بل على العكس، فقد استطاعت بريطانيا استغلال مرحلة اللا حرب واللا سلم بشكل جيد، من خلال تعزيز مواقعها وتقوية مناطق نفوذها مستغلة حالة العداء الكبير بين الإمام وبين ابن سعود في نجد الذي احتل بعض المواقع في عسير، وقد كان الأدارسة ممثلين بالأمير حسن قد وقعوا مع ابن سعود اتفاقية الوصاية عام ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦، واعترفوا بموجبها بالوصاية السعودية على دولة الأدارسة، فانتقلت عسير التي كان يعدها الإمام أرضاً يمنية خالصة إلى سيطرة ابن سعود، وبالتالي انتقلت المواجهة بين الإمام مع الأدارسة إلى مواجهة بينه وبين السعوديين على اعتبار أن السعوديين أصبحوا يحتلون أرضه في تهامة عسير، كل ذلك دفع الإمام عام ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ لإعطاء قواته الأوامر بالتحرك إلى المناطق السعودية في عسير، مما أدى إلى اندلاع حرب أحسنت بريطانيا استغلالها للضغط على الإمام والحصول منه على اعتراف بشرعية الوجود البريطاني في المحميات بعد رفض من قبل الإمام استمر ٤٠ عام، حيث اضطر الإمام إلى توقيع اتفاقية مع بريطانيا عام

(١) - اكسيلد ، اليمن الحديث (الشرق الجديد) ، موسكو ، ١٩٣٠ م ، العدد ٢٨ ، ص ٩٦

(٢) - من بنود الاتفاقية مايلي : مادة ١- تعترف حكومة اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية بالاستقلال التام والمطلق لحكومة اليمن ولملكها جلالة ملك اليمن يحيى بن الإمام محمد حميد الدين. مادة ٢- يتعهد الطرفان المتعاقدان تسهيل المبادلات التجارية بين الدولتين وطبقاً لها التعهد يكون لكل من رعايا الدولتين في بلاد الدولة الأخرى بعد الحصول على الإذن منها الدخول والإقامة طبق نظامها والعمل بالتجارة وإجراء معاملاتها التي تقضيها شريطة أن تكون فصل القضايا التي تحد لرعايا الطرفين في المحاكم المحلية للدولة التي يوجد فيها وفق نظامها. مادة ٣- تصبح المعاهدة نافذة المفعول بعد تصديقها من حكومة اتحاد الجمهوريات السوفييتية ومن قبل جلالة ملك اليمن الإمام يحيى مادة ٤- مادة المعاهدة عشر سنوات ويمكن تعديلها وتمديدتها وفقاً لرغبة الطرفين لمتعاقدين. مادة ٥ -تسمى هذه المعاهدة معاهدة صنعاء وهي تشمل خمس مواد ومقدمة وخاتمة، حيث أمضيت في صنعاء من قبل ممثل اتحاد الجمهوريات السوفييتية حضرة استاخوف بالنيابة عن حكومته ومن طرف الإمام القاضي محمد راغب ممثل جلالة ملك اليمن، وتعد هذه الاتفاقية من أهم الاتفاقيات لأنها من أولى الاتفاقيات الموقعة بين بلد عربي والاتحاد السوفييتي، وقد تم توقيعها أول نوفمبر ١٩٢٨م. أنظر : سالم ، تكوين اليمن الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥٣٥-٥٣٨

١٩٣٤/١٣٥٣ هـ^(١) نصّت على ذلك الاعتراف، وعلى سحب الوحدات اليمنية العسكرية من المناطق البريطانية في اليمن^(٢).

في عام ١٩٣٣/١٣٥٢ هـ ضمت السعودية عسير نهائياً لها، غير آخذة بعين الاعتبار الادعاء اليمني بأحقّيته بها. لذلك، بدأت المفاوضات السياسيّة لحلّ القضية ونظراً لأنّ الإمام قد شعر بضعف موقعه أدخل إيطاليا في المفاوضات السياسيّة لحلّ مشكلة الحدود بين اليمن والسعوديّة، حيث بدأ مسرح العروض بين الدّول الاستعماريّة الطامعة بحصة لها من وراء هذه المسألة، فعرضت إيطاليا اقتراحاً ينصّ على اقتسام المنطقة موضوع النزاع بين البلدين على أن تأخذ اليمن حصّة الأسد، إلّا أنّ بريطانيا رفضت العرض الإيطالي، وشحنت الأجواء العسكريّة أكثر فأكثر، وقدمت للسعوديّة مختلف أصناف الأسلحة في الوقت الذي حاولت فيه إظهار نفسها بأنّها تقف بجانب الحلول السّلميّة، عندما دعت لعقد مؤتمر لمناقشة مسألة الحدود في أبها عام ١٣٥٣ هـ /١٩٣٤، مع إدراكها المسبق أنّ هذا المؤتمر محكوم بالفشل حتّى قبل انعقاده، وما ذلك إلّا لأنّها كانت قد وقّعت معاهدة مع الإمام في وقت سابق من هذا العام، اعترف الإمام بموجبها بشريّة وجودها في الجنوب العربيّ والمحميات، وقد ساد المؤتمر أجواء الحرب التي كان تفرع طبولها خلال انعقاده، وكان ظاهراً للعيان أنّ بريطانيا تريد من السّعوديّة حسماً عسكريّاً للمسألة، وتتمنى خسارة الإمام في الأيّام المقبلة، وكان شعور الغبطة يداعب قلب بريطانيا من حروب الأهل فيما بينهم في منطقة الجزيرة العربيّة، غبطة كانت تعكسها ملامح وقسمات وجوه الدّبلوماسيين البريطانيّين، المرتاحين لتأزم العلاقة بين اليمن والسّعوديّة، فذلك يسمح لها بالتّدخل دوماً ويفرض على كلّ الأطراف أخذ رأيها بعين الاعتبار، وبالفعل ما أن أُعلن عن انتهاء فعاليات المؤتمر، حتّى اندلعت حرب شعواء بين الأشقاء كما هو مقرّر، وشاهدت بريطانيا بأّم عينها قوّة الإمام وهي تتقهقر، ورأت في ذلك تغييراً للإمام على معارضته لها، ووقوفه في وجه رغباتها، واتّخاذ مواقف عدائيّة تجاه وجودها في الخليج وشبه الجزيرة العربيّة، أمّا السّعوديون، فكانوا يرون في حروبهم ضدّ اليمن، دفاعاً عن حقوقهم وحماية لممتلكاتهم، ولم تنته

(١) - حيث كان الإمام يخطط لحربه مع السعودية لذلك انتهج سياسة تقوم على مهادنة طرف، وضرب طرف آخر، ففي الوقت الذي استأنفت فيه القوّة اليمنيّة هجماتها على حدودها مع عسير، سعت إلى تهدئة الجبهة الأخرى مع بريطانيا، فعرض الإمام على البريطانيّين التّفاوض وهذا ما كان، فبريطانيا لم تكن رغبتها بعيدة عن هذا الجوّ، فأرسلت بعثة بريطانيّة برئاسة المَعتمد السّياسي البريطاني في عدن برنارد . ريلي وكشّرت مسبق لتوقيع الاتّفاق البريطاني طلب المَعتمد البريطاني من الإمام سحب قوّاته من ٦٤ قريةً ومحلةً تابعةً لسلطة العوائل و ٨ قرىً تابعةً للضّالع، بعد تنفيذ الإمام الشرط توجهه رايلي برفقة النقيب أ.ب. هاميلتون إلى صنعاء، ولحق بهما شامبيون وبدأت بين الجانبين، مفاوضات مطولة انتهت إلى توقيع اتفاقية صنعاء في شباط ١٣٥٣/١٩٣٤. للمزيد من المعلومات راجع: ولكنسون، حدود الجزيرة العربيّة، مصدر سابق، ص ٢٠٣ دخل الطّرفان في مفاوضات كانت قد انقطعت سابقاً لفترة وجيزة انتهت بتوقيع اتفاقية الصّداقة والتّعاون المتبادل بين بريطانيا واليمن عام ١٣٥٣/١٩٣٤. أنظر: مجموعة من المؤلّفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، ص ٤٥-٤٦

(٢) - وقد اعترف الإمام بموجب هذه الاتّفاقيّة بالحدود القائمة المتّفق عليها بين العثمانيّين والبريطانيّين عام ١٣٢٢ هـ/١٩٠٤، وتنازل عن طلبه الذي أصرّ عليه في مفاوضاته مع جيلبرت كلينتون ١٣٤٥ هـ/١٩٢٦ بحق السّيادة على جنوب غرب شبه الجزيرة العربيّة، أمّا البريطانيّون فقد اعترفوا بالإمام ملكاً على اليمن، وأصرّوا على السّيطرة على كلّ المناطق المتّفق عليها وفقاً للخطّ المذكور باستثناء منطقة سلطنة البيضاء، التي سيطر عليها الإمام سابقاً، واتّفق الطّرفان على التّعبير عن ذلك في المعاهدة بجملة الوضع القائم، لتكفل بقاء الحدود على ما هي عليه لمدة أربعين عاماً، وبهذه الطّريقة انتزعت بريطانيا اعتراف الإمام بمحمياتها، وأبعدت نفسها عن الصّراعات العسكريّة مع الإمام وانتظرت نشوبها بين الإمام وابن سعود. أنظر: المرجع السابق، ص ٤٣-٤٤؛ أيضاً: ولكنسون، حدود الجزيرة العربيّة، مصدر سابق، ص ٢٠٣

الحرب إلا بعد موافقة الإمام، بموجب اتفاقية الطائف عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م وفيه اعتراف بحقوق السعودية في المنطقة المتنازع عليها، وبموجبها ضمت السعودية إلى أراضيها (نجران وجيزان وعسير)^(١).

٢- المواجهة العسكرية بين السعودية واليمن عام ١٩٣٤:

بعد أن ركز الإمام حدوده وعلاقاته مع بريطانيا ولأربعين عام بموجب معاهدة عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤، وجّه أنظاره تجاه السعودية، فما كلّ هذا التنازل لبريطانيا إلا لمصلحة تفرغه على الجبهة العسيرة، وليستعد بشكل جيد لمواجهة ابن سعود، وطبعاً كان هذا ما خطّط له بريطانيا وانجز له الطرفان الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود، وفي تاريخ ١٣٥٢هـ الموافق ٥ نيسان ١٩٣٤^(٢) أعلن ابن سعود الحرب على اليمن بحجة أنّ الإمام قد أعطى أوامره لعبد الوهاب الإدريسي بمهاجمة القبائل التابعة للملك، وقيام جنود الإمام بالسيطرة على بعض الجبال في تهامة والتّكيد بأهلها.

أصدر ابن سعود أوامره لولي عهده الأمير سعود بالتّحرك لاستعادة المناطق التي أخذها جنود الإمام، وللأمير فيصل بن سعد بالتوجّه إلى باقم وأطرافها، وللأمير خالد بن محمد إلى نجران وصعدة، وللأمير عسير حمد الشّويعر بالتّحرك إلى حرض، ولابنه الأمير فيصل للإشراف على جبهة تهامة، وتقدم الأمير محمد بنجدة احتياطية لأخيه سعود من نجد^(٣).

وعلى الرّغم من أنّ المناطق الجبلية الوعرة أعاقَت تقدّم القوّات السّعودية، إلّا أنّها استطاعت تحقيق انتصارات حاسمة وسريعة، فقد احتل حمد الشّويعر أمير عسير حرض المنطقة ذات الأهميّة البالغة من النّاحية الإستراتيجيّة، حيث تتوسّط الطّريق بين السّاحل والدّاخل والتّقدم منه في خطّ يوازي وادي مور وصليل. وفي منطقة باقم ذات الأهميّة الكبيرة، حيث إنّها أوّل قرية على الطّريق الرّئيسي المؤدّي إلى صنعاء، وتمكّنت القوّة السّعودية بإشراف الأمير فيصل بن سعد من هزيمة القوّات اليمنيّة المرابطة عند مضيق باب الحديد الّذي كان يحمي باقم، فاستولى على المضيق وعلى باقم بعد حصار دام أربعة أيّام، وركّزت القوّات السّعودية جهودها على قطع الإمدادات والاتّصالات بين مرتفعات عسير نقطة تمرّكز القوّات اليمنيّة وبين اليمن، وعزلت مرتفعات عسير، وسيطرت على صعدة ونجران، وقضت على مقاومة الأمير أحمد في صعدة، وانتظرت الحرب المعركة النّهائيّة بين قوّات البلدين في تهامة، حيث حشد الإمام قوّاته فيها، وبعد حركة التّطويق السّعودية النّاجحة اضطرّ الإمام

(١)- الشاعري ، تسوية النزاعات الدولية سلمياً ، مرجع سابق ، ص ٣٩١-٣٩٦

(٢)- ذكرت غالبية المصادر أن الحرب أعلنت في نيسان ، إلّا لدى الشّهابي صاحب كتاب السياسة السّعودية التوسعية في اليمن أوردها في ٢٢ آذار والصّحيح أنّه في ٢٢ آذار أعلن السّعوديين نهاية مفاوضات مؤتمر أبها بالفشل، حيث أصدرت وزارة الخارجية السّعودية بياناً قالت فيه : لقد استنفذت حكومتنا جميع الوسائل السلمية بالطرق السياسية مع سيادة الإمام يحيى، ولكن سيادته بقي مصراً وماضياً في خطته العدائيّة من احتلاله لجبالنا في تهامة، واستعماله العنف مع أهلها...وقد صدر أمر جلالة الملك لسمو ولي العهد بالتّقدم إلى الحدود لاسترجاع البلاد التي كان سيادة الإمام يحيى قد احتلها منتهزاً فرصة توقف جنودنا ابتغاء الصّلح، أما الحرب فقد جاءت بعد الإنذار الذي تلا المفاوضات وبالتحديد في ٥ نيسان ، انظر : صحيفة الفتح ، العدد ٣٨٩ ، ٢٠ من ذي الحجة ، ١٣٥٢هـ ، نقلاً عن : الخترش ، العلاقات السّعودية اليمنية، مرجع سابق، ص ٢٢٨ ؛ أيضاً : كوستنر ، العربية السّعودية ، مصدر سابق ، ص ٢٦٢ ؛ أيضاً: الشاعري، المرجع السابق، ص ٣٩٥ ؛ أيضاً: النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ص ٤٥ ؛ أيضاً : مجموعة من المؤلّفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق ، ص ٤٩

(٣)- الخطيب ، الإمام العادل ، مصدر سابق ، ص ٢١٢-٢١٣

إلى الانسحاب، فقد عملت القوّات السّعوديّة على تطويق صعدة من تهامة ومن الدّاخل في آن واحد، وتجنّبت القتال في الجبال، لأنّ القوّات اليمنيّة أكثر قدرة ودراية في تلك المناطق، وتقدّمت في تهامة وتابعت سيرها إلى الحديدة، لكنها سرعان ما انسحبت منها. عندها سارع الإمام بإرسال برقيّة إلى الملك طالبا العودة إلى المفاوضات فردّ عليه الملك بأربعة شروط لوقف الحرب وهي:

١- الجلاء عن نجران.

٢- الانسحاب من الجبال وتسليم الرّهائن الذين أخذوا من القبائل الخاضعة لابن سعود.

٣- عدم التّدخل في شؤون تلك القبائل.

٤- تسليم حسن الإدريسي وإعادة الأدارسة وفقاً لاتفاقية جبل العرو^(١).

وقد رافق هذه الشّروط استمرار تقدّم القوّات السّعوديّة لزيادة الضّغط على الإمام وإجباره على الموافقة عليها، فسيطر ولي العهد الأمير سعود على بلاد (بني جماعة) حول باقم، ونقل مقرّ إقامته إلى (بقصه وبشور) على بعد ساعات من صعدة، وبذلك يكون قد تحكّم بالقوّات اليمنيّة، التي دخلت إلى بني مالك والعبادل وفيفا، وقطع خطّ الرّجعة على الجيش اليمني في نجران، لتتمكّن القوّات السّعوديّة من تطهير نجران من الجيوب العسكريّة اليمنيّة، وبالتالي تشجيع القبائل في البلاد المجاورة لصعدة بتقديم الطّاعة للسّعوديّة دون خوف. أمّا على جبهة تهامة فقد تمكّن الأمير فيصل من السيطرة على منطقة الوديان التي تصل ميدي بحرّض، بعد مقاومة شديدة وبأسلة من القوّات اليمنيّة، فلم يأت تاريخ ١٣٥٢هـ الموافق ٢٨ نيسان ١٩٣٤ أيّ بعد ٢١ يوماً على المعارك حتّى ظهرت الهزيمة المرة للقوّات اليمنيّة، فقد سيطرت القوّات السّعوديّة على معظم المناطق الرّئيسيّة اليمنيّة كحرّض وميدي التي احتلّها في ٢٦ نيسان من العام نفسه بعد مقاومة طفيفة من عاملها اليمني عبد الله العرشي ونجران والحديدة وتهامة، وأصبحت الطّريق مفتوحة باتجاه صنعاء.

كان الموقف العسكري الضّعيف للقوّات اليمنيّة يضاعف من رغبة القوّات السّعوديّة في التّوسع، وتثبيت الأقدام في المناطق التي سيطرت عليها، في حين كانت القوّات اليمنيّة ما تزال تحتفظ ببعض المناطق الجبلية كزبيد، لكنها لم تقم بأيّ هجوم مضاد على القوّات السّعوديّة، أمّا في الجبهة الشّرقية، فقد سقطت تهامة، وأصبحت تحت السيطرة السّعوديّة، ولم يبق أمامها سوى مراقبة فلول الجيش اليمني وهي تقرّ هاربة تّجاه الشّمال نحو صعدة^(٢).

دفعت التّطورات العسكريّة الإمام إلى التّوجه ببرقيّة إلى الملك ابن سعود في عام ١٣٥٢هـ/ ١٤ نيسان ١٩٣٤ يطلب منه الهدنة والعودة إلى المفاوضات، ويعبّر له عن رغبته بالسّلام بين البلدين وضرورة حقّ الدّماء،

(١)- الخترش، العلاقات السّعودية اليمنيّة، مرجع سابق ص ٢٣٠-٢٣٢

(٢)- بعد سلام الحديدة فر الأمير سيف الإسلام الحسين نجل الإمام يحيى، الذي كان يشرف على الدفاع عن المدينة، فانقطعت الطريق إلى الحديدة وذلك بعد ثورة سكان المدينة ضد القوات اليمنية وطردها من المدينة، وتشجعت القوات السعودية على دخول المدينة في ٢١ من محرم ١٣٥٣هـ الموافق ٤ ايار ١٩٣٤ وبذلك تكون قد سيطرت القوات السعودية على تهامة اليمن أي كل المنطقة الساحلية الغنية الممتدة من جيزان إلى الحديدة على مسافة ٢٥٠ كيلو متر، وسيطرت على المناطق التي يسكنها الشوافع جنوبي الحديدة إلى المخا. للمزيد من المعلومات عن مجريات الحرب راجع: المرجع السابق، ص ٢٣٥-٢٤٠

ولاسيّما بعد شعوره بأنّ القبائل في المناطق المتنازع عليها لا يكتّون له الولاء الكامل، فالزرائيق^(١) وبني عبس والواعظات وبني مروان واللىحة، وهم ممن كانوا يعتقدون أنه لا نصيب لهم في تهامة، لأنّهم ليسوا من الطائفة الزيدية. لذلك، مال هؤلاء إلى ابن سعود وأعلنوا ولاءهم له^(٢). وقد أجابه الملك ابن سعود في ١٥ نيسان من العام نفسه أنه لن يوقف القتال حتّى يحصل على الضمانات الكافية لتنفيذ الشّروط السابقة، وحتّى تتسحب قوّاته من نجران ومن جبال عسير، فوافق الإمام، وأصدر أوامره لقوّاته بالجلّاء عن نجران وطلب مدّ الهدنة لتنفيذ بقية الشّروط، وعندها طلب الملك السّعودي من ولديه على طول الجبهتين في تهامة ونجران التّوقف عند المواقع التي سيطروا عليها وذلك في ٣ أيار، ووافق على العودة إلى المفاوضات من جديد في مدينة الطائف. وقد كلف الإمام عبد الله الوزير بتمثيل الجانب اليمني في مؤتمر أبها كممثل فوق العادة، وبدأت المفاوضات تحت إشراف لجنة عربيّة مكونة من رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين الحاج أمين الحسيني ومحمد علي علويّة باشا وزير الأوقاف المصريّة والأمير شكيب أرسلان ورئيس الحكومة السوريّة هاشم بك الأناسي، وعلي أفندي سكرتيراً للوفد، الذي وصل إلى جدة في ٢ محرم ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ناقلاً برقيّة الإمام إلى الملك ابن سعود لإعلامه بقبوله كل الشّروط السّعوديّة^(٣).

وقبل الحديث عن مفاوضات الصلح، لا بد لنا من طرح بعض التساؤلات عن أسباب تطور الأمور بهذه الطّريقة. فلماذا وافق الملك السّعودي على وقف الحرب والدخول في مفاوضات غير مضمونة النتائج، رغم الانتصارات الكبيرة للقوات السّعوديّة؟ ولماذا تمكن الجيش السّعودي أصلاً من تحقيق هذه الانتصارات رغم تفوق الجيش اليمني من حيث العدد؟ وكيف عملت الدوائر الاستعماريّة المهتمة بالمنطقة في أثناء الحرب؟ وما سر كلّ تلك التنازلات التي قدمها الإمام يحيى، لا سيما أن قوّاته هي الأقدر في حرب الجبال، التي لم يكن الجيش السّعودي قادراً على السيطرّة عليها حتى اللحظات الأخيرة من الحرب؟

في الواقع، إن السّعوديين حققوا انتصارات سريعة وبنّاتج فعالة قلبت الموقف لصالحهم لأسباب عديدة، فجوزيف كوستنر يذكر أن تعداد القوات السّعوديّة بلغ ٣٠ ألف مقاتل بينهم ٨ آلاف جندي نظامي، في حين بلغ تعداد القوات اليمنيّة ٣٧ ألف مقاتل بينهم ١٢ ألف جندي نظامي^(٤). أي إنّ الجند النّظامي الزائدين في جيش الإمام كان يجب أن يجعل النّتيجة العسكريّة لمصلحة اليمن لو كانت الكفّة متكافئة من ناحية العتاد بين الجيشين، فالنّفوق في العتاد لدى الجيش السّعودي هو من صنع الفرق، فالجيوش السّعوديّة المتقدّمة كانت مزودة بسيارات حمل ودبابات ومدافع رشّاشة، ومدافع جبليّة وبطاريّات وأجهزة لاسلكيّة وأربع قاذفات قنابل من طراز وايبنا^(٥).

والسبب الثّاني الذي أدّى إلى تفوّق القوّات السّعوديّة هي الإستراتيجيّة الممتازة التي اتبعتها قيادة المعركة، فقد تجنّبت شنّ هجوم مباشر على مرتفعات عسير الجنوبيّة، حيث هناك رجال القبائل التّابعون للإدريسي

(١) - الزرائيق قبائل سنية شافعية، وقد سارعت بالانضمام إلى ابن سعود لأنّها كانت تعارض الشيعة الزيديين

(٢) - الشهاري، المطامع التوسعية السّعوديّة، مرجع سابق، ص ٢٣٥-٢٣٦

(٣) - الخطيب، الإمام العادل، مصدر سابق، ص ٢١٣

(٤) - كوستنر، العربيّة السّعوديّة، مصدر سابق، ص ٢٦٢

(٥) - كوستنر، المصدر السابق، ص ٢٦٢

المعروفون بقدرتهم الكبيرة على القتال في تلك المناطق، والتي ازدادت قوّة بعد الإمدادات اليمنية لهم، إضافة إلى طبيعة البلاد الجبلية الوعرة، فركزت القوّات السّعوديّة على المناطق السّهليّة المحيطة بتلك الجبال، والتي كان اليمنيون يعانون من شدة حرّها، ونفذت بذلك عمليّة التقافيّة طوّقت فيها قوّات الإمام ووضعتها تحت الحصار والضغط^(٢). أما بالنسبة لجيش الإمام، فقد كان يعاني من سوء التّجهيز والإعداد والتّدريب، ولعل سياسة العزلة التي فرضها الإمام على بلده وشعبه لعبت دوراً فاعلاً في إضعاف قدرات هذا الشعب على كل المستويات ومنها المستوى العسكري^(٣). كما أنّ جيش الإمام كان عبارة عن مجموعات قبلية مفكّكة لا تعرف استراتيجيات الحرب الجديدة، التي نفذها الجيش السّعودي السّريع الحركة بفضل سيارات النّقل التي زودته بها بريطانيا.

أما السّبب الثّالث للتّفوق، فكان في العلاقات التّاريخيّة الدّينيّة السيئة بين الأئمة الزيديين وبين سكان المناطق المتنازع عليها. ففي تهامة كان الشّوافع السّنة ضدّ الزيديين الشّيعيّة، وفي نجران كان سكانها من الإسماعيليين الذين حكمتهم علاقات تاريخيّة عدائيّة مع الزيديين، جعلتهم جاهزين للتّعاون مع أيّ طرف ضدّ الأئمة الزيديين، وهذا ما يفسّر تقدّم القوّات السّعوديّة بسهولة في السيطرة على مناطق تهامة ذات الغالبية السّنيّة، ونجران ذات الغالبية التي تعتنق المذهب الإسماعيلي، ويفسّر أيضاً صعوبة حركة القوّات السّعوديّة في مناطق الجبال ذات الأغلبية الموالية للزيديين كونهم من المذهب الزيديّ^(٤).

أما سبب تقديم الإمام لكثير من التّنازلات، فلأنّه أدرك أمرين رئيسيين: الأوّل أنّ الدّعم الموعود به من إيطاليا لن يأت بسبب اتّفاق إيطاليا مع بريطانيا على ذلك السّيناريو الذي حصل، فقد اتّفق الجانبان على عدم التّدخل في أيّ نزاع محليّ بين السّعوديّة واليمن، وفق ضابط واحد لمسار الأمور، وهو عدم الإطاحة بدولة اليمن، مع السّماح بتقليص مساحتها ودورها. والسّبب الثّاني: إدراك الإمام إدراكاً عميقاً أنّ القبائل في مناطق النّزاع لا تكلّ له الإخلاص، وسوف تقوم بخيانتته بمجرد دخول القوّات السّعوديّة إليها وهذا ما حصل بالفعل. وعلى الرّغم من أنّ ولي العهد الشاب السّيف أحمد يحيى حميد الدّين لم يكن يريد من والده أن يقدّم هذه التّنازلات، لكنّه رضخ لها في نهاية الأمر. ولعلّ الأمر الأكثر أهميّة في خسارة الإمام، عدم استغلاله الفرص التي أتته في الوقت المناسب، ففي ثورة الأدارسة وقف على الحياد، ولم يقدّم سوى القليل من الدّعم، ممّا سهّل سيطرة السّعوديين على مناطق الأدارسة، وعندما أراد تعويض إضاعته الفرصة بالسيطرة على نجران كان الأوان قد فات، وكانت القبائل الخائفة من الانضمام إلى ابن سعود قد شعرت بالأمان، وشجّعت القوّات السّعوديّة على التّقدم تجاه مناطقها لتسيطر عليها.

أما بالنسبة لسبب موافقة ابن سعود على إيقاف الحرب، فلأسباب عدّة منها :

(٢) - فيليبي ، تاريخ نجد ، مصدر سابق ، ص ٣٧٨

(٣) - الخترش ، العلاقات السّعودية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٣

(٤) - مجموعة من المؤلّفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٥٠ ؛ أيضاً : كوستنر ، العربية السّعودية ، مصدر سابق ، ص ٢٦٣ ؛ جريدة الأهرام ، عدد ١٧٤٤ في ٢٩-٥-١٩٣٤م مقالة لأمين سعيد نقلاً عن: الشّهاري ، المطامع التوسّعية السّعودية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٩ ،

١- معرفة الملك أنّ القتال في المناطق الجبلية، سيستنزف جيشه بالكامل خاصة أنّ القبائل في تلك المناطق من حلفاء الإمام والأدارسة، وبالتالي سيتعرض لانتكاسة عسكرية، ويستنزف معنويات جيشه، وهذا ما أثبتته التاريخ، فقد اعتصم الجيش اليمني في الجبال عشرات السنين، ولم تستطع الإمبراطورية العثمانية بعظمتها العسكرية آنذاك من تثبيت سلطتها هناك، الأمر الذي أدركه ابن سعود خاصة بعد قيام الإمام بنقل المعركة إلى مناطق تجمع الزيديين ودفعهم للاعتقاد أنّ الحرب هي حرب الوهابية ضد الزيدية، وهي معركة دفاع عن الوجود والمذهب، فحوّلها إلى حرب مذهبية يتعصب فيها أبناء كلّ مذهب لمذهبه، فقد كتبت جريدة مانشستر غارديان البريطانية ونقلتها عنها جريدة الأهرام في ١٠-٥-١٩٣٤ "إذا كان الأمير فيصل مصراً على زحفه فسيقلى قتالاً عنيفاً، لأن الزيود والشيعية الذين يقطنون الجبال لا يمكن اكتساحهم بسهولة مثل رجال القبائل القاطنة في السهول وإخضاعهم بالدعاية الدينية، وهم يعرفون أنّ معتقداتهم مكروهة من الوهابيين، فمن دواعي العجب أن لا يدافعوا عن معتقداتهم"^(١).

٢- عدم انسجام تحركات ابن سعود العسكرية المتوجّهة إلى صنعاء مع المزاج الاستعماري، فقد كان للتدخل الأجنبي دوراً في توقّف المعارك، لعدم رغبته في إحداث تغييرات جوهرية على الخارطة الجغرافية السياسية في شبه الجزيرة العربية، ولاسيما أنّ هناك سفن إيطالية وفرنسية في الحديدة، كان من الممكن أن تتدخل فيما لو استمرّ زحف القوات السعودية. فقد نقلت بريطانيا إلى ابن سعود كلاماً مفاده أنّ احتفاظه بالحديدة سيؤدي إلى فتح الباب لصراعات محلية وأوروبية ضده، وأنّ بريطانيا لن تسانده في تلك الحالة^(٢).

٣- أمّا السبب الثالث، فهو إدراك ابن سعود إدراكاً عميقاً لمدى الصعوبات التي سيعاني منها جراء التكاليف الباهظة بالمال والأرواح، لإيصال الإمدادات من الحجاز إلى قواته في الحديدة، فخطوط الإمداد بين المنطقتين طويلة جداً، وخاصة أن بقايا القوات اليمنية كانت ما تزال تشنّ هجمات على الجيش السعودي^(٣).

أمّا بالنسبة لتصرّف الدوائر الغربية (إيطاليا وبريطانيا)، فقد كانتا من أكثر الأطراف فرحاً بما يجري، فالحرب وما تلاها من المفاوضات، ومن بعدها الحلول والاتفاقيات ستزيد من مساحة التدخل في شؤون المنطقة، وإلاّ بماذا يفسّر موقف بريطانيا الداعم لابن سعود ووقوفها في الظاهر على الحياد وفي الفعل مع التوسع السعودي، وبماذا يفسّر الموقف الإيطالي الداعم للإمام يحيى وتدخلها بعد حين لوقف التوسع السعودي تجاه المملكة اليمنية (صنعاء)، فبريطانيا الساعية أن يكون لها موطئ قدم ثابتة في شبه الجزيرة العربية استطاعت إدارة المعركة بطريقة هائلة، فقد تمكنت من تحييد إيطاليا التي اقترحت عام ١٣٥٣هـ/نيسان ١٩٣٤ مناقشة مسألة الحدود في عسير، فأجابت بريطانيا على لسان وزير خارجيتها سيمون: "مما لا شكّ فيه أنّ السيادة على المنطقة التي يحكمها الإدريسي انتقلت بحكم القانون الدولي إلى الملك ابن سعود.. وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبارها مسألة قابلة للتفاوض.. وتجدر الإشارة أنّه من الطبيعي أن تستمرّ حكومة جلالته عن إحجامها عن التدخل في

(١)- الشهاري، المرجع السابق، ص ٢٤٢-٢٤٣

(٢)- كوستنر، العربية السعودية، مصدر سابق، ص ٢٦٥؛ أيضاً: مجموعة من المؤلفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، ص ٥٠ - ٥١؛ أيضاً: الخترش، العلاقات السعودية اليمنية، مرجع سابق، ص ٣٤٢-٣٤٣

(٣)- كوستنر، مصدر سابق، ص ٢٦٥

الصراع الزاهن كما أنها ستتجنب كل ما يدل على الانحياز لأحد الجانبين المتنازعين"، وقد بعثت بريطانيا بالسفينة ه.م.س بتزانس إلى الحديديّة، عندها سارعت إيطاليا التي كانت قد أرسلت سفينة هي الأخرى إلى إعلام فؤاد حمزة أنها ستبقى على الحياد في هذا الصراع، والموقف البريطاني من طلب إيقاف الحرب يظهر خشيتها من التّدخل الإيطالي، وهذا ما ترجمه ريان لحمزة عندما أبلغه: إنّ اجتياح اليمن يعني الحرب مع إيطاليا، وهذا يفسّر رفض بريطانيا طلب ابن سعود حماية بقائهم في الحديدة بعد إرسال عبد الله السليمان إليها لإدارة موارد الموانئ فيها تأكيداً على بقائهم فيها مقابل امتيازات لبريطانيا، لأنّ ذلك سيجرّها إلى صراعات كانت بعيدة عنها حتى الآن^(١).

وهكذا حققت بريطانيا مصالحها على حساب دماء الأشقاء، أمّا إيطاليا اللاهثة وراء المنطقة والمهتمة بشكل كبير بشواطئ اليمن الغربيّة كخلفيّة لمستعمراتها في أريتريا، كانت تعبّر عن دعمها للإمام، ومستعدّة للتّدخل على ما يبدو لو أنّ الأمور خرجت عن السيطرة إلى القضاء على المملكة المتحالفة معها. لذلك، أرسلت سفنها إلى الحديدة للضغط على بريطانيا وابن سعود لوقف الرّحف السّعودي على اليمن. أمّا فرنسا البعيدة بعض الشيء عن التّنافس فكانت تسعى للحدّ من مكاسب الطّرفين المتنافسين، فأرسلت هي الأخرى سفنها للمشاركة في حلّ هذه المشكلة، ولمنع تدخلها أعطت بريطانيا الأوامر لدوائرها بضرورة وقف هذه الحرب بأيّ طريقة، وهذا ما كان فسرعان ما أعلن ابن سعود موافقته على وقف القتال والدّعوة إلى التّفاوض وعقد معاهدة الصّلح. ومن هنا ندرك تماماً كيف كانت الدّول الاستعماريّة ترى في الصراع بين اليمن والسّعوديّة وسيلة لزيادة النفوذ وتقوية الوجود في مستعمرات كلّ من تلك الدّول.

٣- المفاوضات واتفاقية الطائف عام ١٩٣٤ :

بعد إعلان الهدنة بين الطّرفين المتنازعين السّعودية واليمن، أصدرت وزارة الخارجية السّعودية في ١٣٥٣هـ الموافق ١٣ أيار ١٩٣٤ بلاغاً جاء فيه: "بناءً على قبول الإمام تسليم الأدارسة، وإخلاء الجبال وتسليم رهائنها بدأت مفاوضات الهدنة، وقد أمر الملك ابن سعود جيوشه بالتوقف في الأماكن التي احتلتها، وتوقف القتال في سائر الجهات والدخول في مفاوضات الصّلح"^(٢).

ومن هذا البلاغ انطلق الطّرفان في مفاوضات في مدينة الطائف في ٥ محرم/١٥ أيار ١٣٥٣/١٩٣٤، تحت إشراف لجنة الوساطة العربيّة برئاسة محمد علي علويّة وشكري القوتلي، وكان الجو الودّي ظاهراً في أثناء المفاوضات التي قدّم خلالها الوفد السّعودي تصوّراً كاملاً عن شكل المعاهدة التي تراها السّعوديّة مناسبة، وفي ردّ للوفد اليمني يعكس هزيمة اليمن في الحرب عبّر عنه رئيس الوفد عبد الله الوزير بأنّ الملك السّعودي كان متساهلاً وأحسن معاملة الوفد اليمني، وأظهرته كذلك بنود اتّفاقية الصّلح، حيث فرض على اليمن دفع غرامة ماليّة تعويضاً عن الحرب مع ابن سعود، وهي في مضمونها كتلك التي فرضتها أوروبا على ألمانيا بموجب معاهدة فرساي بعد هزيمتها في الحرب العالميّة الأولى، وقد انتهت المفاوضات في ١٠ محرم /٢٠ أيار، ولكن لم يعلن

(١)- كوستنر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥-٢٦٦

(٢)- جريدة الفتح ، العدد ٣٩٥ ، ٤ من صفر ١٣٥٣هـ ، نقلًا عن: الخترش ، العلاقات السّعودية اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣

عنها بشكل رسمي بسبب خشية الملك ابن سعود من نوايا الإمام، الذي بدا وكأنه يماطل قبل التوقيع، فقد عزت عليه نفسه عندما قرأ الشروط المطلوبة للصلح، وأدرك أنه خسر وإلى الأبد ثلاث مناطق من اليمن وهي : **جيزان** و**عسير** و**نجران**، وأن حلمه في تحقيق الدولة اليمنية الموحدة قد صار بعيداً. ولم يجد الإمام مفرّاً عن الرضوخ و تنفيذ الشروط التي طلبها ابن سعود، فقد ساءت الحال في اليمن، وظهرت خلافات شديدة داخل الأسرة الحاكمة، وبدأ أن هناك من ينازعه النفوذ والسلطة (**ولي العهد**)، وخشي من عودة الأمور إلى مرحلة الحرب، ولاسيما بعد أن وضع ابن سعود موعداً محدداً لتنفيذ الاتفاقية، وإلا فإنه سيأمر قواته باستئناف الحرب، فقد طلب من ابنه فيصل باستئنافها بعد انتهاء الهدنة في ٢١ أيار في حال لم يتم التوصل حتى ذلك الوقت إلى صلح ثابت، وعاد وقبل بتمديدتها إلى ٢٩ أيار بعد وساطة اللجنة العربية بطلب من الإمام يحيى^(١).

فأعطى أوامره بالفعل بإخلاء الجبال، وتسليم الأدارسة وعائلاتهم التي بلغت ٣٠٠ شخص وعلى رأسهم الحسن الإدريسي وعبد العزيز الإدريسي في ٢٤ صفر ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤، وغادر وفد الوساطة الإسلامية على ظهر باخرة إلى صنعاء مع الوفد اليمني ورئيسه عبد الله الوزير، حيث وقّع الإمام كتاب المعاهدة في ٧ ربيع الأول ١٣٥٣هـ/ ١٩ تموز ١٩٣٤ بعد أن وقّعها الملك السعودي عبد العزيز ألف سعود في ٢٥ صفر ١٣٥٣هـ/ ٧ تموز ١٩٣٤^(٢).

وفي ٢٦ تموز أصدرت الخارجية السعودية بلاغاً أعلنت فيه: (أن عبد الوهاب الإدريسي، قد وصل أيضاً إلى الحديدة، وفي طريقه إلى مكة، وكما تم إخلاء الجبال، وإطلاق الرهائن، وبذلك يم تنفيذ الشروط المطلوبة)^(١).

أ- اتفاقية الطائف بين البنود والتطبيق:^(١)

(١) - لقد اشترط الإمام لتنفيذ الصلح أن يجلو السعوديون عن تهامة أولاً، وبعدها يبدأ الجيش اليمني بالجلء عن الجبال، على أن يتم الجلء بإشراف لجنة تتألف من ضباط مصريين وعراقيين، وتألّف لجنة سلام يتم الصلح على يدها وإصدار عفو عام عن الأدارسة وسكان الجبال، الذين انضموا إلى الجيش اليمني، وتذكر جريدة المقطم التي أوردت هذه الأخبار أن الإمام قوي عزمه بعد انضمام الفريق علي سعيد باشا قائد الجيش التركي في اليمن خلال الحرب العالمية الأولى إلى جيش ولي العهد في صعدة، وكذلك الأميرالاي علي فهمي بك. لذلك، عقد ابن سعود مجلساً حربياً ناقش فيه خشيته من استغلال الإمام تمديد الهدنة لتعزيز موقعه والحصول على الذخيرة والسلاح، ولا سيما أن ولي العهد سيف الإسلام أحمد كان يرفض شروط الصلح ويراهها مجحفة بحق اليمن، ويرى أنه من غير الضروري توقيع معاهدة صلح دائمة مع الملك السعودي تتضمن التنازل عن تهامة، ويكفي عقد اتفاق بسيط لصيانة الحدود لمدة خمس سنوات على ألا يتضمن تسليم الأدارسة للملك ابن سعود. المقطم في ١٣ صفر ، ١٣٥٣ هـ. نقلاً عن : الخترش ، المرجع السابق ، ص ٢٤٨-٢٥١

(٢) - أما الخترش فيقول أن الملك السعودي وقع عليها في ١٢ تموز مستنداً إلى وثيقة بين السير آندرو رايان إلى السير جون سيمون في ٢٧ تموز/ يوليو ١٩٣٤م. راجع الوثيقة رقم FO.406 I72(E4452I79I25)NO.4(P.R.O) ، نقلاً عن: المرجع السابق، ص ٢٥٤؛ أيضاً: الخطيب ، الإمام العادل، مصدر سابق ، ص ٢١٣-٢١٤؛ أيضاً: الشهاري ، المطامع التوسعية السعودية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠

(١) - الخترش ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤

(٢) - لقد فوض الملكان السعودي واليميني مندوبين عنهما لإجراء المفاوضات والوصول إلى اتفاق هما: عن الإمام يحيى حميد الدين القاضي عبد الله الوزير وعن جلالة الملك عبد العزيز الأمير خالد بن عبد العزيز نجل الملك عبد العزيز. وقد قامت اللجنة المكلفة تطبيق الاتفاقية عملها، وقامت بإحصاء النفوس والمنازل والقبائل، وتم تأكيد الحدود عبر زرع الأعمدة على جانبي البلدين، حيث فصلت القبائل الموالية لليمن عن القبائل الموالية للسعودية منعاً للشك والنقض في المستقبل، فوصل عدد الأعمدة إلى ٢٤٠ عمود بطول ٤٠٠ ميل ممتدة من البحر الأحمر وعند نقطة بين الموسم وميدي وحتى صحراء الزرع الخالي . راجع: الجميعي ، عسير خلال قرنين ، مرجع سابق ، ص ١٣٣

كانت المفاوضات بين اليمن والسعودية مفاوضات سريعة، فرضت فيها ظروف المرحلة على الطرفين القبول بالتنازلات الضرورية لإتمام السلم بين البلدين، فجاءت المعاهدة بأقل قدر ممكن من الخسائر بالنسبة لليمن على الرغم من النصر الواضح للجيش السعودي، فارتضى الطرفان تطبيق المعاهدة وفق الإمكانيات، فابن سعود لم يتشدد بتطبيق البنود، التي لا تضر مصالحه كثيراً كالتعويضات والسيطرة المؤقتة على الحديدة كما جاء في الاتفاقية، وأصر على انسحاب القوات اليمنية من منطقة الجبال، والمناطق التي نصت الاتفاقية على تبعيةها إلى المملكة العربية السعودية، وكذلك انسحبت السعودية من المناطق التي سيطرت عليها ونصت الاتفاقية على تبعيةها لليمن في ١٤ آب، وبهذه الطريقة وضعت الاتفاقية حداً للتوتر بين البلدين، وعملاً على تطبيق الاتفاقية بسرعة كبيرة، لينزعوا أي فتيل قد يشعل المنطقة مرة أخرى، فقد أعدت لجنة خاصة سميت لجنة الحدود تضم ممثلين عن الجانبين لتنفيذ شروط المعاهدة، وهذا ما فعلته، حيث أتمت اللجنة عملها عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م^(٣).

تم الاتفاق في معاهدة الطائف، التي تألفت من ثلاثة وعشرين بنداً، إضافة إلى عهد التحكيم^(٤) على إقامة خطٍ حدودي معتدل مقارنة مع نتائج الحرب. فقد حافظ على الوضع السابق للحرب باستثناء نجران التي أضيفت إلى المملكة العربية السعودية، وقد واجهت مشكلة الحدود اليمنية السعودية صعوبة كبيرة نظراً للكثافة العالية للسكان في تلك المنطقة فاضطر الطرفان إلى تشكيل العديد من اللجان لوضع وصف تفصيلي للتوزع الديموغرافي للسكان، بما يعكس الواقع في تلك المنطقة، كما نصت عليه المادة الرابعة في المعاهدة، والتي تضمنت وصفاً تفصيلياً للسكان والأودية والمناطق والقبائل بطريقة تنتهي فيها إمكانية الاعتراض والشك مستقبلاً، فتم تعيين العديد من العلامات الحدودية على الأرض غطت المنطقة الممتدة من الساحل حتى جبل ثار، لتثبيت النقاط الحدودية المتفق عليها بقرار اللجنة كعلامات حدودية واضحة على الخرائط، وعلى الأرض بطريقة تعكس الكلام المكتوب على ورق الاتفاقية إلى مادة ملموسة على أرض البلدين^(٥).

عكست بنود الاتفاقية هواجس وشكوك الطرفين، فكل طرف كان يسعى لتثبيت أمر كان يعتقد أن الطرف الآخر قد يهدده في المستقبل، فالإمام يحيى سعى لانتزاع اعتراف سعودي صريح بمملكته وبسيادته على المناطق التي تضمنتها الاتفاقية بما يبعد السعودية عن أي تفكير مستقبلي بشأن حرب أخرى، لضم أجزاء جديدة من المملكة اليمنية حفاظاً على إرث أجداده له ولأولاده وخلفائه من بعده، في حين ذهب ابن سعود إلى الحصول على اعتراف الإمام بالمناطق التي ضمها بقوته العسكرية، والتي وردت في الاتفاقية ليمنع الإمام من المطالبة في المستقبل بتلك المناطق تحت شعار الوحدة اليمنية حفاظاً على مكتسباته الجدية في تهامة ونجران.

وقد جاء في المادة الثانية: يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً وبملكيتها عليها، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً، وبالملكية على مملكة اليمن، ويعترف صاحب الجلالة الإمام يحيى حميد الدين ملك

(٣) - المرجع السابق ، ص ٣٥٤-٢٥٥ ؛ أيضاً: النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، هامش ٧٦ ، ص ١١٤

(٤) - الشاعري ، تسوية النزاعات الدولية سلمياً ، مرجع سابق ، ص ٣٩٦

(٥) - النعيم ، مرجع سابق ، ص ٤٤

اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تاماً مطلقاً وبالملكية على المملكة العربية السعودية، ويسقط كلّ منهما أيّ حقّ يدّعيه في قسم أو أقسام في بلد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة أنّ جلالته الملك الإمام عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أيّ حق يدّعيه من ضمانه حماية أو احتلال أو غيرها في البلاد، التي هي بموجب المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة وغيرها. كما أنّ جلالته الملك الإمام يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أيّ حقّ يدّعيه باسم الوحدة اليمنية أو غيرها في البلاد، التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاد يام^(١).

وما جاء أيضاً في المادة الحادية والعشرين لتثبيت الواقع الجديد الذي تحقّق بعد الحرب حيث جاء فيها: يلغى ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١ على كلّ حال اعتباراً من تاريخ إبرام هذه المعاهدة^(٢).

ويبدو أنّ الطرفين قد وصلا إلى نتيجة مفادها أنّ البلدين يحتاجان إلى الهدوء في بلادهما قدر الممكن ليحافظ كل طرف على ملكه دون مشكلات، وهذا ما تظهره بنود الاتفاقية، ففي المادة الخامسة نظراً لرغبة الفريقين بدوام السلم والطمأنينة والسكون... يتعهدان بعدم إحداث أيّ بناء محصّن في مسافة خمسة كيلو متر في كلّ جانب من جانبي الحدود في كلّ المواقع والجهات على طريق خطّ الحدود، وفي المادة التاسعة تظهر هذه الرغبة حيث تقول: يتعهد كلّ من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يمنع بكلّ ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية، استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأيّ عمل عدوانيّ أو شروع، واستعداد له ضدّ بلاد الفريق الآخر، وفي المادة السادسة عشرة يظهر لدى الطرفين رغبة التعاون والتخلّص من شوائب الماضي، وما حملته صفحاته من مآسي على الجانبين بالعمل المشترك والتعاون لبناء علاقة سوية قوية تقوم على الاحترام المتبادل، حيث جاء فيها: يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية والعنصرية* العربية أنّ أمّتهما أمّة واحدة وأنّهما لا يريدان بأحد شرّاً، وأنّهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أمّتهما في ظلّ الطمأنينة والسكون، وتظهر المادة السادسة عشرة رغبة التعاون الأخوي بين البلدين الشقيقين إذا أخذنا بعين الاعتبار حسن نوايا الطرفين فقد جاء فيها: في حال حصول أيّ اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتّم على الفريق الآخر أن ينفذ التّعهدات التّالية: ١- الوقوف على الحياد علناً وسراً ٢- المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة ٣- الشّروع في المذاكرة مع الطّرف الآخر لمعرفة أنجح الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق ومنع الضّرر عنها. وجاء في المادة الثامنة عشرة في حال حصول فتن داخلية... يتعهد كلّ منهما باتّخاذ التدابير الفعالة لعدم تمكين المعتدين من الاستفادة من أراضيهم... ومنع الإمدادات عن المعتدين. إضافة إلى المواد التي

(١)- للمزيد من المعلومات حول بنود المعاهدة راجع الوثيقة رقم ٥٧ في: الجميعي ، عسير خلال قرنين ، مرجع سابق ، ص ١٣٤-١٣٥

(٢)- المرجع السابق ، ص ١٤٠

* مع العلم أنه تمّ ذكر كلمة العنصرية لأنها جاءت في نص الوثيقة، لكن العروبة ليست عنصرية

تعرّز التعاون الاقتصادي والسياسي بين البلدين وتنتهي حالة الجفاء السياسي، الأمر الذي سنشاهده في المرحلة اللاحقة والذي نصّت عليه المادتان التاسعة عشرة والعشرين^(١).

أثمرت اتفاقية الطائف التي اصطلح عليها اسم معاهدة "الصداقة والأخوة الإسلامية" سلماً مؤقتاً على الجبهة اليمنية السعودية، فهذه الاتفاقية لم تضع نهاية للخلافات الحدودية بين الجارين، بل تركت هامشاً زمنياً للعودة إلى المشكلات بتحديد مدتها بعشرين عاماً، أي إنها فتحت باب المطالبات بتغييرها أو بتعديلها بعد عشرين عاماً، ولعلّ الإمام الذي كان مجبراً على التفاهم مع السعودية حفاظاً على عرشه وأرضه بعد هزيمته في حرب عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤، ولم يكن مقتنعاً بالتنازل عما كان يعتقد أنه أرض الآباء والأجداد، فترك الباب مفتوحاً من باب تحديد زمن محدّد للمعاهدة، ليتمكن أبناؤه إذا أتيحت لهم الظروف من استعادة ما لم يستطع هو استعادته.

تركت مشكلة الحدود السعودية اليمنية حول نجران وعسير تساؤلات كثيرة، منها: بعد حرب قاسية كيف تمّ الاتفاق بسهولة دون أن يغيب الطرف الخاسر بشكل مبالغ فيه؟، في الحقيقة لقد وصل البحث عند الدراسة المستفيضة إلى فكرة رئيسة ألا وهي، أنّ الملك عبد العزيز آل سعود كان يريد ردم الهوة الكبيرة التي تركتها الحرب بين البلدين، خشية اندلاع فوضى لا يستطيع ضبطها، لاسيّما إذا عرفنا أنّ تلك المنطقة التي كانت موضوع النزاع منطقة قبلية تكثّر فيها التّنقّلات من مكان إلى آخر، ومجتمعها قبلي قابل للتغيّر في الولاء وفق المصلحة التي تفرضها وقائع الأمور. من هنا رأينا إصرار ابن سعود في اتفاقية الطائف على عدم التّدخل من قبل أي طرف في قبائل الطرف الآخر هذا من ناحية، أمّا السبب الآخر الذي دفع ابن سعود إلى عدم التّشدّد هو الدّول الغربية وخشيته من ازدياد نفوذها في الخليج العربيّ والبحر الأحمر على حساب نفوذه، فتساهل في مسائل عديدة ومنها مسألة التعويضات المالية المفروضة على اليمن.

أمّا بالنسبة إلى المناطق الحدودية، فلم يكن الخطّ المرسوم مجحفاً بحق اليمن كثيراً بالتوازي مع نتائج المعركة إذا ما استثنينا نجران، التي لم يكن يسيطر عليها أحد الطرفين سابقاً، فالإمام سيطر عليها بشكل جزئي عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣، وابن سعود سيطر عليها أيضاً بشكل جزئي في العام نفسه من خلال العسكر من جهة، ومن خلال تعاون القبائل النجرانية معه من جهة أخرى، ونظراً لذلك لا بدّ من العودة إلى التّاريخ والجغرافيا لتحديد جهة تبعيّة المناطق الحدودية المتنازع عليها بطريقة دقيقة ليكون عل ذلك الأساس الحكم.

فإذا عدنا إلى التّاريخ وجدنا أنّه يضع الأمور إلى جانب اليمن، فحتّى القرن الثّامن عشر تاريخ انهيار الدّولة اليمنية المركزيّة الاسمية كانت نجران وعسير تابعة لها، فحدودها تنتهي عند ميناء اللّيث في أقصى عسير تهامة، وهذا يعني أنّ عسير السّراة وعسير تهامة كانتا تتبعان إلى اليمن، فمنذ تشكّل دولة الأئمة القاسمين بعد احتلال الأتراك لليمن عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م وحد الأئمة مناطق اليمن في دولة يمنيّة مركزيّة امتدّت من أقصى عسير في الشّمال إلى عدن في الجنوب وعمان في الجنوب الشرقي^(١)، وهذا ما يؤكده وصف الهمداني لحدود اليمن في كتابه صفة الجزيرة العربية فيقول: **يفصل بين اليمن وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان و يبرين**

(١)- للمزيد من المعلومات راجع: الجمعي، عسير خلال قرنين، مرجع سابق، ص ١٣٧-١٤٠

(١)- الشّهاري، المطامع التوسعية السعودية، مرجع سابق، ص ٦-٧

... منحدرًا إلى السراة إلى تهامة ... إلى البحر حذاء جبل كدمل^(٢)، ويضيف الهمذاني بتأكيد تبعية هذه المناطق إلى اليمن حينما يعدد المدن في اليمن فيقول: من مدن اليمن التهامة عدن جنوبية تهامية ولحج و بها الأصابع ... وصبيا ثم بيث وفيها موالى قريش... وأم جحدم قرية بين كنانة والأزد وهي حد اليمن، وحين يتحدث عن مدن اليمن النجدية يذكر الكثير من المناطق التي كانت مثار خلاف بين اليمن والسعودية كبدر و الجند و رداع ... وغيرها^(٣) ويرد ذكر السراة لدى الهمذاني على أنها جزء من اليمن جغرافياً، عندما يقول: أما جبل السراة الذي يصل بين أقصى اليمن و الشام^(٤).

كانت عسير منطقة تضم ألوية عسير ونجران وجيزان، وهو ما كان يسمى بالمخلاف السليماني، وعلى الرغم من ادعاءات الأشراف في مكة بتبعية لهم، وادعاء أمراء نجد بتبعية بعض مناطقها الشرقية لهم إلا أنها ظلت جزء من اليمن الموحد إدارياً حتى اقتطاع الأدارسة لها وفرض الحماية السعودية عليها بموجب معاهدة مكة ١٩٢٦/هـ ١٣٤٥^(٥).

ومن هنا نرى أنه من الناحية التاريخية والجغرافية كانت المناطق الحدودية المتنازع عليها بين اليمن والسعودية جزءاً لا يتجزأ من اليمن، على الرغم من كل المحاولات التي قام بها السعوديون للسيطرة عليها في مراحل تاريخية متعددة^(١)، ورغم العلاقة الطيبة بين السعودية وقبائل عسير في ظل الدولة السعودية الأولى و الثانية^(٢). ومن الحوادث الأخرى التي تظهر العلاقة الطيبة بين قبائل عسير وحكامها من آل عائض في عهد الدولة السعودية الثانية، عندما التجأ الأمير سعود إلى آل عائض في عسير، وطلب العون من محمد بن عائض

(٢) - جبل في وسط البحر الأحمر ، راجع: الهمذاني ، الحسن بن يعقوب ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد علي الأكوع ، الطبعة الأولى ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٩٠-٩١

(٣) - الهمذاني ، المصدر السابق ، ص ٩٤ - ١٠١

(٤) - المصدر السابق ، ص ١١٦

(٥) - مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٧-٨ ؛ أيضاً: الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، بيروت ، د.ن ، ١٩٨١ ، ص ١٢١٢

(١) - فمنذ عام ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م سعى السعوديون لنشر الدعوة الوهابية في عسير ونجران، وجردوا الحملات عليها بالتعاون مع القبائل التي اعتنقت الوهابية، فقد جرد عبد العزيز بن محمد حملة بقيادة ربيع بن زيد مؤيداً بدعم شخي عسير محمد وعبد الوهاب ابني عامر العسيري، وفي عام ١٢١٧-١٢١٨ هـ / ١٨٠٢-١٨٠٣ جرد عبد العزيز الأول حملتين بقيادة أمير عسير السراة عبد الوهاب العامري على عسير تهامة وعلى تهامة اليمن وصوب أبي عريش، لإخضاع الشريف حمود بن محمد، الذي كان يحكمها باسم إمام صنعاء المنصور علي بن العباس.

و قد تمكن السعوديون من ضمها بالفعل وغدت إمارته تضم تهامة وعسير إلى منطقة نجد، ولم يقتصر نفوذهم على هذه المناطق بل وصل عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ إلى نجران مع عدم القدرة على الاستقرار فيها، غير أن هذا النفوذ زال مع زوال الدولة السعودية الأولى على يد محمد علي والي مصر. أنظر: الشهاري ، المطامع التوسعية السعودية، مرجع سابق ، ص ١٠

(٢) - ودليل ذلك أن الدولة العثمانية عبر الخديوية في مصر طلبت من الأمير فيصل قمع الثورة العسيرية عام ١٨٦٣ مع إظهار تجاه المنطقة جغرافياً على أنها جزء من اليمن، حيث جاء في الخطاب الموجه من الخديوي إلى فيصل "إنه لا يخفى على حضرتكم ما حل من جهة اليمن من تمرد بعض الأشقياء... ونظراً لصلة الارتباط بالدولة العلية يجب الاجتهاد من كل طرف بقدر ما يمكن لتأديب من تعدى...، ومن القديم مؤكد ومثبت انتساب حضرتكم لمحبة الجهة المصرية والقيام بما يلزم لها من الأشغال..."، فرفض فيصل تقديم أي مساعدات لصلته القوية مع قبائل عسير، الذين كانوا يرسلون إليه بعض غنائمهم دليل الطاعة والاحترام أنظر : أبو علي ، تاريخ الدولة السعودية الثانية ، مرجع سابق ، ص ١٩٠-١٩١

بن مرعي ضد أخيه الأمير عبد الله بن فيصل (١٢٨٢-١٢٨٨هـ/٢-١٢-١٨٦٥-١٨٧١/٤/٩)، والفترة الثانية بين عامي (١٢٩٠-١٢٨٨هـ/١-١٠-١٨٧١، ١٥-١-١٨٧٣)، فكتب عبد الله إلى ابن عائض يطلب منه عدم تقديم الدعم لأخيه سعود في ثورته، وهذا ما كان بسبب رغبة ابن عائض بالحفاظ على العلاقة الطيبة مع أمير نجد^(٣).

كانت القبائل في المناطق المتنازع عليها عاملاً حاسماً في تطورات الأوضاع السياسية فيها، فالفرق المذهبية بين أئمة اليمن والقبائل العسيرة والنجرانية، ساهمت في استحكام عداوة تاريخية، لا يمكن تجاوزها بسهولة^(٤). لذلك، وقعت قبائل اليامين في نجران إلى جانب ابن سعود، لأنهم كانوا يخشونه بدرجة أقل من الإمام وخاصة أنه لم يكن يدعي تبعية نجران إليه كما كان يفعل الإمام تحت شعار الوحدة اليمنية. أما بالنسبة إلى سكان عسير، فكانت غالبيتهم العظمى على مذهب الشوافع السنة، ويدينون بالولاء المذهبي إلى أمراء نجد، لكونهم من الوهابية^(٥). لذلك، وقفوا إلى جانب ابن سعود في كل المعارك التي خاضها على أرض عسير، سواء أكانت ضد ابن عائض، أم الحسن الإدريسي أم ضد الإمام يحيى.

والعامل الذي يعلل بشكل منطقي هزيمة اليمن أمام السعودية في معركتها الحدودية، على الرغم من أن حكم التاريخ والجغرافيا يعطي شرعية للحكم اليمني في تلك المناطق، هو سياسة الإمام المنعزلة التي أدت إلى إضعاف قدرات اليمنيين وخسارتهم لسنوات طويلة من التقدم الحضاري، إضافة إلى سوء الأوضاع الاقتصادية في اليمن، هذا من الناحية الاجتماعية الاقتصادية. أما من الناحية السياسية، فقد تقنن الإمام في إضاعة الفرص التي جاءت على طبق من ذهب لاستعادة أراضي عسير، ففي أثناء ثورة ابن عائض وقف الإمام يراقب الموقف من بعيد ويشاهد ابن سعود وهو يسحق القوات التابعة لابن عائض، وكيف أن الأدارسة سلموا عسير السراة بقبائلها لابن سعود دون أن ينظر نظرة بعيدة للمستقبل الآتي الذي فيه تسيطر السعودية على كل عسير، فمن كان مستعداً لإرسال جيوشه لمحاربة ابن عائض للحصول على جزء من منطقة سيكون مستعداً لإرسال جيوشه مرآت عديدة ليوسع مناطق نفوذ، وعندما قامت الثورة الإدريسية بزعامة الحسن الإدريسي ضد حكم ابن سعود في عسير كان موقف الإمام مرة أخرى موقفاً متخاذلاً، فقد حقق العسيريون نجاحات سريعة في ثورتهم، ولم يكن ينقصها سوى الدعم اللوجستي (المؤن والسلاح) الذي كان سيجعل ابن سعود بالتأكيد في موقف حرج يدفعه إلى تقديم التنازلات ولاسيما أن الأدارسة أبناء المنطقة وهم أدري بشعابها، إلا أن الإمام مرة أخرى أخطأ التقدير وخسرت حساباته التي تفتقد إلى بعد النظر.

ومن هنا نرى أن هزيمة الإمام كان لها مقدمات كثيرة من أهمها بناء مملكة قامت دعائمها على أساس قبلي - إقطاعي - طائفي انعزالي، وسياسته الانعزالية المقتصرة على الدفاع عن عرشه دون التفكير بأن هذا

(٣) - وقد حكم على فترتين الأولى (١٢٨٢-١٢٨٨هـ/٢-١٢-١٨٦٥-١٨٧١/٤/٩) والفترة الثانية بين عامي (١٢٩٠-١٢٨٨هـ/١-١٠-١٨٧١-١٥-١-١٨٧٣). للمزيد راجع: أبو علي، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٤) - فالإسماعيليون بزعامة الدعاة المكارمة تعرضوا لإساءة كبيرة من الأئمة الزيديين بما فيهم الإمام يحيى الذي لم يخضع إسماعيليو صنعاء إلا بالقوة، فسلب أملكهم وأراضيهم، الأمر الذي كان يخشى الإسماعيليون في نجران من حصوله معهم.

(٥) - الخطيب، الإمام العادل، مصدر سابق، ص ٣٥.

العرش يحتاج إلى قوّة أبناء المنطقة التي تخضع له، ليتمكّنوا من الدّفاع عن هذا العرش برغبة المؤمن بنظام بلده القويّ المتحصّر الذي يؤمن لأبنائه الحياة الكريمة. ولا نستطيع هنا تجاهل الدور البريطاني في تغيير شكل المنطقة من النّاحية الجيوسياسيّة، فهي كانت الحارس الأمين لكلّ التّحرّكات العسكريّة في شبه الجزيرة العربيّة، ولم تسمح لدول استعماريّة أوروبيّة أخرى من التّدخل فيها، إلا بما لا يخالف مصالحها، وهكذا فعلت عندما منعت إيطاليا من تقديم الدّعم للإمام في وسط المعارك في حرب ١٣٥٣هـ/١٩٣٤، وعندما رأت في توسع ابن سعود اللامتناهي ضرراً لها أوقفته عند حدّ مدينة الحديدة لكيلا تدخل في صراعات حدوديّة تستنزف فيها قدراتها دون طائل.

كلّ هذه العوامل والمسببات السياسيّة والعسكريّة والدينيّة، أنهت الأمور إلى ما آلت إليه من ضمّ السّعوديّة لإقليمي عسير ونجران^(١)، وقبول اليمن على توقيع اتفاقية الطائف، والرضوخ إلى بنودها التي اعترفت بموجبها ولمدة عشرين عاماً على الأقل بشرعية تبعية المنطقتين إلى ممتلكات السّعودية.

(١) - أما بالنسبة لنجران لم تكن السّعودية نفسها تطالب فيها كجزء من أراضيها خلال مفاوضاتها مع الإمام قبل الحرب، فالملك السّعودي عرض على الإمام بعد اتفاقية الحماية على عسير أن تتمتع نجران بالاستقلال الذاتي، وأن تبقى منطقة عازلة بين اليمن والسّعودية ، كذلك في العام ١٩٢٧ عرض الوفد السّعودي على الوفد اليمني في المفاوضات أن تتبع نجران والمناطق الواقعة شمالها إلى الملك ابن سعود وأن تتبع وائلة والمناطق الواقعة جنوبها إلى الإمام يحيى. أنظر: الخترش ، العلاقات السّعودية-اليمنية ، مرجع سابق ، ص ١٦١-١٦٤

ب- المناطق التي ظلت مثار خلاف بين البلدين:

استطاعت اتفاقية الطائف أن تخفف التوترات الحدودية، إلا أنها لم تشمل مناطق الحدود المشتركة بين البلدين في منطقة الجنوب اليمني الذي كان خاضعاً للاحتلال البريطاني والذي كان يحتاج السعودية بدلاً من أبناء المنطقة، وبعد استقلال اليمن الجنوبي بقيت مشكلة الحدود بين الجانبين مسألة حاسمة في توتر العلاقات بينهما، وبعد الوحدة اليمنية ١٤١١هـ/١٩٩٠، تجددت المشكلات الحدودية بين صنعاء والرياض.

وقد بدأ هذا النزاع على الحدود بعد تقديم السعودية اقتراحاً سمي بخط حمزة، وهو الخط الذي قدمه فؤاد حمزة وادّعت فيه أن لها حقوق في أراض واسعة من حضرموت إلى دائرة عرض ١٧ شمالاً تشمل منطقة واسعة إلى الجنوب الشرقي من نجران وهي النقطة التي وقف عندها خط الطائف، لكن بريطانيا الساعية لإيجاد مجال حيوي لمستعمراتها في المحميات اتخذت قراراً بمد نفوذها إلى تلك المنطقة لتحصل على حقوق تقادمية فيها في حال المفاوضات. ولذلك، تمدد النفوذ البريطاني من المنطقة الممتدة من عدن غرباً إلى ظفار شرقاً، وأصبحت عدن محمية شاملة لحضرموت وتشمل أراضي قبائل القطيعي والمهرة والكثيري منذ عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣^(١). واستمر الحال بالنسبة للنزاع على الحدود بعد تشكل نواة دولة اليمن الجنوبي منذ عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩^(٢).

بدأت الاقتراحات لحل المشكلة باقتراح قدمه فؤاد حمزة عندما وضع قائمة بالآبار التابعة لقبائل مرة والتي يبلغ عددها ١٦١ بئراً، وعلى الرغم من عدم اعتراض البريطانيين على تلك الآبار مع طلبهم على ضرورة اشتراك بعض القبائل التابعة لعدن فيها، غير أن الطرفين وجدا صعوبة بالغة في تعيينها على الخرائط. فصحراء الربع الخالي هي صحراء حملت في طياتها الكثير من القبائل ذات الميل السعودي (قحطان - مرة - الدواسر) وقبائل ذات ميل عدني تابعة للسلطان القميطي والسلطان الكثيري والسلطان المهيري، وقد اعترضت وزارة الخارجية البريطانية على ادعاء السعودية بتبعية آبار تلك المناطق لقبائلها وحدها، وأكدت أن القبائل العدنية كانت تصل في تجوالها بحثاً عن أماكن الرعي شمالاً إلى منطقة الخلاف^(٣)، وقد أكدت الموسوعة الجغرافية أن قبائل حضرمية كالمناهل والعوامر كانت تصل في تجوالها شمال دائرة عرض ١٨ شمالاً، لكن السعوديين نفوا هذا الادعاء وقالوا إن الربع الخالي جزء من مناطق قبيلة مرة، وأما وصول بعض القبائل الحضرمية فهو أمر طبيعي في ظل نظام قبلي قائم على التجوال.

اتجه سير الأمور لمصلحة السعودية في النزاع القائم، فولاء القبائل كان يزداد للسعودية يوماً بعد يوم، وكسبت ولاء الكثير من القبائل في منطقة النزاع كالعوامر والكثير وبني معروف وبيت ايماني و الرواشد،

(١)- للاطلاع على مشيخات جنوب شبه الجزيرة راجع الملحق رقم (٤)

(٢)- حينما تم دمج سبع سلطنات ومشيخات في اتحاد الإمارات الجنوبية، الذي أطلق عليه عام ١٣٨١هـ/١٩٦٢ اتحاد الجنوب العربي بعد انضمام عدد من الكيانات القبلية الصغيرة وعدن إلى الاتحاد، أما المحميات الشرقية التي تضم القطيعية والكثيرية والوحدانية والمهرة، فلم تنضم إلى الاتحاد حتى العام ١٣٨٦هـ/١٩٦٧. أنظر : النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص ٤٥-٤٩؛ أيضاً: نجمي، عبد المجيد ، التنقيب عن النفط في محميات عدن الشرقية ، صحيفة الأيام العدد ٥٤٦٣ ، ٢٤/٧/٢٠٠٨

(٣)- فوزارة الخارجية البريطانية ذكرت في تقاريرها، أن قبائل تابعة للسلطان الكثيري والسلطان القميطي والسلطان المهيري تجوب في شمال المنطقة بحثاً عن المراعي في منطقة تمتد بين تقاطع خط طول ٥٥ شرقاً مع دائرة عرض ٢٠ شمالاً وتقاطع الخط البنفسجي مع دائرة عرض ١٨ شمالاً، وقد أقر المندوب السامي البريطاني في عدن منتصف الثلاثينيات بجهله بطبيعة تلك المنطقة والقبائل الموجودة فيها.

وأصبح نفوذها يمتدّ بين خطي طول ٥١ شرقاً و٥٣ شرقاً لمسافة ستين ميلاً جنوب الرّمال، ممّا يهدّد وجهة النّظر البريطانيّة في ضرورة الاشتراك في مناطق الحدود، وأدركت بريطانيا حرجة موقفها في المناطق المتنازع عليها، فالسّعوديّة كانت الطّرف الأقوى في نزاعاتها على الحدود اليمنيّة الشماليّة و الجنوبيّة، وذلك لسياستها القبليّة النّاتجة عن معرفة بالنّظم القبليّة، ممّا ساعدها على كسب ولاء القبائل الواحدة تلو الأخرى ومنها قبيلة شبوة التي كانت كلّ من عدن وصنعاء تسعى لكسب ولائها، فالتّخوم الجنوبيّة كانت بسبب النّظام القبلي القائم على التّجوال منطقة مفتوحة للنّزاع، وتمّ حصر الخلاف على ثلاث مناطق: الأولى تقع إلى الجنوب الشرقي من نجران وتضمّ العبر التّابعة للصّيعر وهي منطقة خلاقيّة بين عدن وصنعاء والريّاض، والثّانية تشمل الحزام البري الذي يفصل حضرموت عن الرّبع الخالي ويمتدّ بين خطي طول ٤٨ شرقاً و٥٣ شرقاً. أمّا الثّالثة فهي منطقة المهرة الواقعة في أقصى شرق المحميّة. وازدادت رغبة كلّ الأطراف بالسيطرة على المناطق الحدوديّة في أواسط ثلاثينيات القرن العشرين، بعد حديث شركات التّنقيب عن النّفط عن رغبتها في مسح تلك المناطق، وبأنّ هناك احتمالاً كبيراً باحتواء رمالها كميات كبيرة من النّفط^(١). الأمر الذي أثبتته الأيام اللاحقة فاليمين الجنوبيّة التي حاربت بريطانيا على ترابها، ووقفت إلى جانب سلاطينها للدّفاع عن حدودها ضدّ السّعوديّة، وكانت مستعدّة لمجابهة عسكريّة من أجلها اختزنّت ذهباً أسود لا يفرط فيه، وكانت بريطانيا تعرف احتواء الأرض التي هي فيها على كميات هائلة منه، فمن الطّبيعي على بريطانيا التي تخطط لمستقبلها أن تفكر لعشرات السنين المقبلة، وما يمكن أن تحملها من مستجدات تدعم قوتها الدّوليّة وتعزّز نفوذها العالمي. ففي عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ أعلنت شركة (هانت أوليل) عن وجود تدفّقات نفطيّة بكميّات تصديرية كبيرة في المنطقة المحيطة بمدينة مأرب شمال اليمن، وقد وصلت تقديراتها عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ إلى مليار برميل، واكتشافات أخرى من الحقول المنشأة حديثاً، حيث صدرت تقارير تؤكّد أنّه سيتمّ إنتاج ٥٠٠ ألف برميل من النّفط يومياً في منطقة اليمن الشمالي، وكذلك أعلنت اليمن الجنوبيّة عن اكتشافات بتروليّة في الحدود مع اليمن الشماليّة، والتّقدّيرات الأولى تشير إلى أنّ الكميات المحتملة للإنتاج قد تصل إلى ٥٠٠ ألف برميل يومياً على مدار عقدٍ كاملٍ من الزمن^(٢).

في ظل هذا الوضع بدأ كلّ طرف يظهر حقوقه التّاريخيّة بالمنطقة موضوع التّنازع، وعادت بريطانيا (البلد الأوروبي) تؤكّد أحقيّتها على المنطقة كما قسّمها الخطّ البنفسجي الذي يعود إلى الاتفاقيّة البريطانيّة- العثمانية

(١)- فقد دعا وزير الدّولة البريطاني للمستعمرات إلى بسط سلطة بريطانيا بشكل أوضح وأكثر فاعليّة في التّخوم الشماليّة، للحصول على حقوق تقادميّة، في أثناء الصّراع في الأيام المقبلة حول أحقيّة التّنقيب عن النّفط والاستفادة من استثماره في حال ظهوره فيها، ولاسيّما مع اهتمام شركتي النّفط كاسوك وشركة نفط العراق (أي بي سي)، بالتّطلع للتّنقيب عن النّفط في مساحات واسعة من تلك التّخوم، وبدأ النّزاع بين الطّرفين ومن خلفهما شركات النّفط الأمريكيّة والإنكليزيّة، التي كانت تسعى إلى التّنقيب عن النّفط في مناطق واسعة كانت تدعي بريطانيا تبعيةها لعدن ومسقط، في حين كانت تدعي الرّياض تبعيةها لها، فنصحت بريطانيا شركة (أي بي سي) النّفطيّة بعدم تجاوز خطّ الرّياض في عملياتها المسحيّة الاستكشافيّة أي إنّ تحصر نشاطها في دائرة ١٨ شمالاً مع الخط البنفسجي حتى تقاطع دائرة عرض ٢٠ شمالاً مع خط طول ٥٥ شرقاً، وكذلك نصحت الرّياض شركة النّفط الأمريكيّة، بتجنّب تخطّي دائرة عرض ٢٠ شمالاً وخط طول ٥٥ شرقاً، لكنّ الشّركات الأمريكيّة والبريطانيّة لم تلتزم بالنّصائح المقدّمة لها، ممّا جعل الفرق النّفطيّة تصطدم مع الممثّلين الرّسميين لطرفي النّزاع. أنظر : النعيم ، الحدود السياسيّة ، مرجع سابق ، ٤٩-٥٣

(٢)- جويس، العلاقات اليمنية- السّعودية بين الماضي والمستقبل ، ص ٢٤٤-٢٤٦

عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤، ووضع منطقة تمتد من الطرف الجنوبي للخط الأزرق، ثم يتجه نحو الجنوب الغربي تجاه اليمن بشكل مستقيم.

وهكذا منح الخط البنفسجي البريطاني مساحة شاسعة من الربع الخالي تصل إلى دائرة عرض ٢٠ شمالاً، ووفقاً للقانون الدولي لم يكن لهذا الخط أسس قانونية، فهو لم يوقع من السلطة العثمانية الزائلة، وهذا ما عبر عنه أحد الدبلوماسيين البريطانيين بقوله : إن الخط البنفسجي خط اعتباطي رسم في وقت لم تتوافر فيه لدى السلطات البريطانية والعثمانية على حد سواء معلومات ذات شأن بخصوص تلك التخوم، فكانت بريطانيا تعود إلى هذا الخط كلما رأت أن موقفها أصبح ضعيفاً كمنافرة سياسية دبلوماسية لتخفيف الخسائر التي من الممكن أن تتعرض لها.

ونظراً لأن تلك المناطق لم تخضع لطرف معين، بدت كل الأطراف ميالة للمفاوضات، فقدمت بريطانيا اقتراحاً عبر حكومة عدن عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥ تضمن رسم خط مستقيم يصل بين تقاطع دائرة عرض ٢٠ شمالاً مع خط طول ٥٢ بذريعة أن القبائل الحضرية العوامر والمناهل تصل إلى شمال دائرة عرض ١٨ في الطرف الشرقي من خطها المقترح، وكان الهدف من هذا التوسيع لمناطق تجوال القبائل الحضرية إثبات حقها في مناطق واسعة من تلك الأرجاء، رفضت السعودية اقتراح بريطانيا وقدمت مقترحاً بديلاً، وقد اتسم اقتراحها بالاعتدال وترك مساحات واسعة من الربع الخالي خارج سلطة المملكة لحفظ حقوق القبائل الحضرية، وقد أكد تقرير الخارجية البريطانية أن النفوذ السعودي يصل فعلاً إلى جنوب كثبان الربع الخالي، كما جاء في الاقتراح السعودي، وكذلك أكدته الرحالة البريطاني برترام توماس، وعلى الرغم من ذلك رفضت بريطانيا الاقتراح، واعترضت على مطالبة السعودية بمنطقتي سناو التي تملكها قبيلة المناهل والتي تشترك مع بيت اليمن في ملكية ثمود ومنطقة الصيعة التي تقع إلى الغرب منها^(٢).

وقدّمت السعودية اقتراحاً سمي الخط الأحمر (خط حمزة) يتماشى هذا الخط مع دائرة عرض ١٧ شمالاً في المنطقة الواقعة بين خطي طول ٤٨-٥٢ شرقاً، أي ترك شريطاً واسعاً جنوب الكثبان الرملية يصل عرضه إلى ٢٦٠ ميلاً ضمن الأراضي السعودية يضيق بالتدرج مع انحدار الخط البنفسجي في الاتجاه الجنوبي الغربي. اتسم الخط بالاعتدال، حيث ترك آبار سناو وثمرود ضمن أراضي المحمية، رفضت بريطانيا الاقتراح السعودي المرن، وقدّمت اقتراحاً بديلاً أقل تصلباً وأكثر واقعية اقتطعت أجزاء من الحواف الجنوبية لكثبان الربع الخالي وضمّتها للمحمية، لكن الرياض رفضت الاقتراح وعدته مبالغاً فيه، وبعد فشل تلك المباحثات عادت حكومة عدن إلى التدخل مرة ثانية وقدّمت اقتراحاً في آب ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥ تطلب فيه ألا يقل الخط المقترح عن دائرة عرض ١٨ شمالاً وتوصية تنص على أن يتضمن الخط الشريط الصحراوي جنوب كثبان الربع الخالي بعرض ٢٠ ميلاً، فمن وجهة نظرها أن هذه المنطقة تتبع لنفوذ قبائل تابعة لها، وحاولت حكومة عدن إنهاء فكرة القبيلة بمفهومها المستقر، وتمييع هذا المفهوم الذي اعتمد عليه السعوديون في مطالبهم، بزعمها أن قبائل حضرية كانت تشارك القبائل التابعة للسعودية في آبار الربع حتى تلك المستخدمة من قبل القبائل السعودية. ولم تستطع بريطانيا إنكار

(٢)- النعيم ، الحدود السياسية ، المرجع السابق، ص ٥٤-٥٥

تبعية معظم الآبار الواردة في تقرير فؤاد حمزة لقبيلة مّرة السّعوديّة، إلّا أنّها أصرت على إيجاد مقاربة تخدم مصالح بريطانيا فقدمت وزارة المستعمرات اقتراحاً آخر في عام ١٣٥٤هـ/ تشرين الأول ١٩٣٥ يقضي بتوقيع اتفاقيات حماية تضع فيها عوائق أمام المطالب السّعوديّة، وعلى الرّغم من أن الخط الجديد قد جعل الحواف الجنوبيّة للربع الخالي ضمن حدود المحميّة، إلّا أن بريطانيا تنازلت فيه عن شريط ضيق جنوب خط الخارجيّة السّابق، وما تلك المرونة إلّا لرغبتها اتّباع تكتيك لا يؤدي إلى خصومة مع السّعوديين وفي الوقت نفسه تحتفظ المحميّة بمساحات شاسعة من الحدود المختلف عليها، لكن السّعودية رفضت هذا الاقتراح أيضاً^(١).

وبعد اقتراحات كثيرة متبادلة^(٢)، قدمت السّعوديّة مشروعها النّهائي، يتضمّن مطالبته بخطّ حدّه الأدنى خطّ حمزة والأقصى الخطّ البنفسجي، فردت حكومة عدن باقتراح خطّ يمتدّ من ١٩ شمالاً مع خطّ طول ٥٢ شرقاً إلى تقاطع دائرة عرض ١٨،٤٨ شمالاً مع خطّ طول ٤٨،٢٠ مع خطّ طول ٥١،٣٠، حيث يمتدّ من أمّ الصّميم إلى الرّيان، بعدها قرّر الطّرفان اللّجوء إلى الحلّ التّحكيمي القضائي للفصل في الحدود، لكنّ بريطانيا انسحبت منه لأنّه كان يسير ضدّها نظراً لضعف موقفها، وحاولت سنة ١٩٥٥ فرض أمر واقع بمدّ نفوذها على التّخوم الشّرقية والجنوبيّة السّعوديّة، امتدّ الجنوبي من نقطة تقاطع دائرة عرض ١٩ شمالاً مع خطّ طول ٥٢ شرقاً وعلى امتداد الأطراف الجنوبيّة للكثبان الرّمليّة، إلى تقاطع دائرة عرض ١٨،١٠ شمالاً مع خطّ طول ٥١،٠٣ شرقاً، ومن ثمّ إلى تقاطع دائرة عرض ١٨،١٠ شمالاً مع خطّ طول ٤٨،٢٠ شرقاً، ويمتدّ تجاه جنوبي غربي حتّى يلتقي الخطّ البنفسجي^(٣) فرفض الاقتراح وانتهى به التّواصل الدّبلوماسيّ البريطانيّ - السّعوديّ حول التّخوم الجنوبيّة.

ظلّ هذا النّزاع خامداً حتّى خروج بريطانيا من الجنوب اليمني وتشكّل دولة اليمن الجنوبي فأخذ النّزاع عندها طابعاً جديداً ظهر على شكل أحداث وإشكالات في المنطقة الحدوديّة، وبالتّحديد في منطقة الوديعة ١٩٦٩^(٣). لكنّ هذا النّزاع ظلّ ذو طابع سلمي، والمشكلة لم تحلّ بسبب سوء العلاقات بين حكومة عدن والسّعوديّة، مع تمسك كلّ طرف بموقفه، وظلّ النّزاع على هذا الحال بانتظار حصول التّغييرات السّياسيّة الكبيرة في اليمن الجنوبي وقيام الوحدة اليمنية^(٤).

(١) - رسالة من الخارجية البريطانية إلى القائم بالأعمال المقيم في عدن (١٩٣٦/١١/٢٥). نقلاً عن: النعيم، المرجع السابق، ص ٥٥-٥٦

(٢) - حيث أرسلت بريطانيا السير أندرو ريان الممثل البريطاني في جدة إلى الرياض لإجراء مفاوضات وتقديم اقتراحات لحل المسألة بطريقة جدية، وتقدم باقتراح ترك شريطاً ضيقاً عن الاقتراح السابق، إلّا أنه احتفظ مرّة أخرى بالحواف الجنوبية للربع ضمن المحمية، فسقط الاقتراح مرّة أخرى. لقد ارتأت بريطانيا أن النزول إلى الأرض هو الذي سيحسم الخلاف فأخذت خريطة قبلية، وعرضتها على فؤاد حمزة وحصر الخلاف على أربعة مواقع آبار إلى الشمال من خط الرياض هي : تـضو - شـيصور - ثـمود - سـناو، واتجهت لـندن إلى الواقعية في عملها علّها تحل المشكلة لمصلحتها وبطريقة سلمية ودية مع السعودية، ووجهت حكومة عدن لتقديم اقتراح أكثر اعتدالاً من سابقاته لكن حكومة عدن لم تكن متحمسة لتقديم التنازلات المطلوبة، مما أبقى الأمور معلقة بين الرياض ولندن. أنظر: المرجع السابق، ص ٥٦-٦١

(٣) - ولكسنون، حدود الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ٣٨٨-٣٩٠؛ للاطلاع على تطورات الحدود راجع الملحق (٦) و(٧)

(١) - فقد اعتبرت حكومة عدن أنّ الكرب والصيعر تابعتان لها، ممّا يجعل الوديعة البعيدة عن نجران ٣٧٠ كيلاً تابعة لها، أمّا السّعوديّة فقالت أنّها جزء من أراضيها، حيث أنّ القبائل التي عمّرتها أعلنت ولاءها للسّعوديّة.

(٢) - على الرّغم من عدم قيام المفاوضات إلّا أن كل طرف حاول أن يثبت وجهة نظره بوضع خرائط سياسية جغرافية تظهر هذا الحق، ففي العام ١٩٨٦م أظهرت خريطة سعودي تمسك الرياض رسمياً بخط حمزة الذي سبق وأكده وزارة الخارجية السّعودية عام ١٩٥٥. أنظر: النعيم، الحدود السياسية، مرجع سابق، ص ٤٩-٦٣

كل ذلك يوضح كيف أن بريطانيا كانت اللاعب الأساس والمقرر في كل الأمور على الساحة العربية في شبه الجزيرة العربية، وكيف أن مشكلة الحدود لم تكن سوى عقدة تم افتعالها من قبل بريطانيا تحريض كل فريق على الآخر، لتتمكن من خلالها تمرير مصالحها وأهدافها، وبعد مغادرتها المنطقة تركت إرثاً معقداً لدول المنطقة، سبب الكثير من الاضطرابات التي يتحمل قادتها السياسيون قسطاً كبيراً من حصولها، لعدم جديتهم في حلها ولرغبتهم في التوسع على حساب أشقائهم، وعدم التعامل مع المشكلة من باب الأخوة والتنسيق المشترك بين الدول العربية.

خامساً: مرحلة التعاون والتنسيق السعودي - اليمني بين عامي ١٩٣٤-١٩٦٢:

خرجت اليمن بعد معاهدة الطائف أقل قدرة على مجارة السعودية، فحكم المنتصر على المهزوم أضعف من نفسية الإمام، ودفعه إلى التعاون مع ابن سعود، علّه يحفظ ملكه بعد أن ظهر على العلن الكثير من الاعتراضات على حكم الإمام، وعلا صوت المطالبين باستعادة الحقوق المغتصبة وفق اعتقادهم من السعودية. في هذا الوقت تغيرت السعودية في طريقة تفكيرها وموقفها من الإمام، فأرادت الحفاظ على الاستقرار والهدوء في اليمن، ومنع حدوث أي تغيير في نظام الحكم من الممكن أن يعيد خلط الأوراق مع السعودية من هنا قدمت السعودية كل الدعم للنظام الحاكم بشخص الإمام وولي عهده.

شهدت حدود اليمن الشمالية والجنوبية هدوءاً نسبياً بعد المعاهدات مع السعودية وبريطانيا عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤، وبعد إخماد ولي العهد تمرّد بعض القبائل في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية (خولان و صرواح ومأرب وسفيان وجبل برط)، وأخذ الإمام يوسّع مروحة علاقاته مع الدول العربية، فاشترك عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧ في التوقيع على المعاهدة العراقية - السعودية (معاهدة الصداقة والأخوة العربية) المبرمة في بغداد ١٣٥٥هـ/١٩٣٦، والتي بموجبها يتعهد الأطراف بحل نزاعاتهم بالطرق السلمية، والتزام الأطراف المتعاهدة بالتعاون في الصدامات الحربية مع طرف آخر، وأيضاً في حال الفوضى والاضطرابات الداخلية في أي بلد من الأطراف الموقعة على الاتفاقية تتعهد الأطراف الأخرى بالتعاون على قمعها، من خلال الدعم المادي والمعنوي (٣).

إلا أنّ التقارب الحاصل بين البلدين لم يكن كافياً، لينسى الشعب المآسي التي تركتها الحرب ومن بعدها الاتفاقية، فظهرت في أوساط المجتمع اليمني مظاهر التملل من نظام الإمام، الذي فشل في الدفاع عن بلاده، بسبب سياسته الانعزالية التي أدت إلى الفقر والتخلف والانهايار العسكري، وبسبب التخلف في تكتيك الخطط العسكرية وفي المعدات والتدريب، وفي طرق العقاب وفي أساليب العمل، وكلّ ما يخص الخدمات التي تقدّم للمواطن من صحّة وتعليم وضروريات العيش^(١).

شهدت اليمن إثر هذه التطورات السياسية ثورة انقلابية على حكم الإمام عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨ بقيادة عبد الله الوزير حاكم الحديدة، الذي نُحّي عن منصبه بسبب شك الإمام به وبرغبته في الإمامة، وبمشاركة عدد من

(٣) - مجموعة من المؤلفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٥٩-٦٠

(١) - فقد كانت اليمن عام ١٩٤٨ كما وصفها أول بريطاني زار صنعاء عام ١٦٠٩ وهو جون جوردان فلا تقدم في نظم الحياة ولا تطور في

أرجاء المدينة. للمزيد من المعلومات راجع: أوبالانس ، اليمن الثورة والحرب ، مصدر سابق ، ص ٢٩

المستبشرين الرافضين لبقاء انعزال اليمن عن الخارج، كالفاضيين عبد الرحمن الأرياني ومحمد الزبيري والأستاذ أحمد محمد نعمان معلم الأمير محمد البدر نجل ولي العهد الأمير أحمد. إلا أن خشيتهم من السجن دفعتهم للخروج من اليمن والبعض منهم توجه إلى عدن. في هذه الأثناء ظهرت حركة /الأحرار اليمنيين/، التي طالبت في البداية بإصلاحات جزئية، ثم بدأت تفكر بالإطاحة بالنظام الملكي المأزوم، وقد انضم الأمير إبراهيم نجل الإمام يحيى إلى الثوار، وبعد نجاح **القردي** على رأس مجموعة من الكارهين للإمام بقتله ورئيس وزرائه وحرسه الشخصي وحفيده، انطلق انقلاب ثوري على حكم الإمام، وسيطر عبد الله الوزير على صنعاء وانضم إليه الأحرار اليمنيون بعد وصول نبأ مقتل الإمام يحيى، إلا أن الإمام أحمد استطاع بدعم القبائل الزيدية أن ينطلق من منطقة تعز إلى العاصمة صنعاء، وأنهى الانقلاب، وأعاد الحكم لعائلته بشخصه، حيث بويع إماماً على اليمن وخليفة للإمام يحيى، وبعدها تفرغ لمعاقبة الثائرين، فأعدم الكثير منهم وعلى رأسهم عبد الله الوزير والأمير إبراهيم، لينتهى الانقلاب وتبقى الإمامة نظاماً للحكم في اليمن^(٢). ولم تكن السعودية مناصرة للانقلاب الذي قام به الوزير على الرغم من العلاقة الجيدة بينه وبين الملك عبد العزيز، فالنظرات الدستورية التي أرادت تنفيذها حكومة الوزير تهدد شكل الأنظمة الملكية، ونظراً لهذا الموقف أخذت علاقات اليمن مع السعودية الراضية للتغيير الدستوري، الذي جاء به عبد الله الوزير شكلاً أكثر تعاوناً بين النظامين الحاكمين في اليمن والسعودية^(٣).

وبالعودة إلى الحدود، لم تشهد مناطق الخلاف كثيراً من المشكلات بحكم رغبة النظامين الحاكمين في كل من اليمن والسعودية تطبيق الاتفاق بهدوء واستقرار، غير أن اتفاق ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ترك المنطقة الممتدة من جبل ثار إلى جبل الريان إلى الجنوب الشرقي منه معلّقة دون أي حلّ، ولم تدخل في دائرة الأضواء، إلا بعد الزيارة التي قام بها **جون فيليب** مستشار الملك السعودي في أثناء تجوله على النخوم السعودية الجنوبية برفقة مجموعة حراسة وأمن سعودية، مما يعد خرقاً للاتفاقية التي نصّت على منع القوات العسكرية للجانبين تجاوز حدود الجانب الآخر، وعلى الرغم من نفي الملك السعودي عبد العزيز بذهاب فيليب أبعد من نجران. بعدها بدأ النقاش حول المنطقة فقدمت الرياض عام ١٣٧٤هـ/تشرين الأول ١٩٥٥م اقتراحاً ينصّ على جعل المنطقة الممتدة من النهاية الطرفية لخط ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م إلى جبل الريان ضمن أراضي السعودية بينما تترك منطقة مأرب لليمن، سقط هذا الاقتراح واستمرت المنطقة مسألة خلافية بين الجانبين حتى اشتعل النقاش حولها مرة أخرى في التسعينات عندما منحت الدولة اليمنية امتيازات نفطية لعدد من الشركات الغربية، الأمر الذي أثار احتجاجات سعودية موجّهة

(٢) - أوبالانس ، المصدر السابق ، ص ٨٣-٩٠ ؛ أيضاً : مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٨٢-

(٣) - كانت السعودية لا تثق بالأمير أحمد، فأرسل الملك عبد العزيز عام ١٩٣٧م خطاباً إلى الإمام يحيى ليقنعه بعزل ابنه أحمد عن ولاية العهد. لذلك، عندما قام الوزير بالانقلاب طلب من السعودية الدعم ، فكان ردّها أنها لن تعارض أي إجراء ضد أحمد ، لكنها تعارض أي إجراء ضد يحيى، لكن موقف السعودية تغير بعد مقتل الإمام وتتاست أحقادها تجاه أحمد ودعمت جهوده الرامية لاستعادة الحكم. أنظر: جويس ، العلاقات اليمنية - السعودية بين الماضي والحاضر ، مصدر سابق ، ص ٩٦

خطابات للشركات في ١٤١٣-١٤١٤هـ/١٩٩٢-١٩٩٣ تخبرهم فيه أنهم يعملون على الأراضي السعودية الأمر الذي رفضته اليمن^(١).

ولا بد من التنويه إلى أنه بعد انقلاب عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥^(٢)، ورغم حالة فقدان الثقة بين السعودية واليمن في أثناء حكم الإمام أحمد، لم تأخذ السعودية أي موقف ضده، بل هنأته للقضاء على الانقلاب، ووقعت معه اتفاقية جدة عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦، التي ضمت السعودية ومصر واليمن، وهدفت لوضع استراتيجية دفاعية مشتركة بين الأطراف الثلاثة^(٣)، لكن العلاقات بين الرجلين بدأت بالتوتر بعد تبلور شخصية جمال عبد الناصر على الساحة السياسية، فقد وجد الإمام دعوات عبد الناصر التوحيدية بين الدول العربية وسيلة لتحقيق حلم أبيه في الوحدة اليمنية، وفي عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨ ضمّ أحمد دولته في وحدة الدول العربية المتحدة، ووقف في وقت سابق إلى جانب مصر في تأميم القناة، وظهر التعاون بين البلدين، الأمر الذي أدى إلى إثارة حفيظة السعودية تجاه الإمام أحمد، وذلك للتباعد بين السياسة الاشتراكية لمصر الثورة والنظام الملكي السعودي، فأخذت السعودية تشجع المعارضة اليمنية للضغط على الإمام، ووعدت عبد الرحمن الأرياني بدعمه للقيام بالإصلاحات شريطة بقاء النظام الملكي، لكنها لم تقم بأي إجراء ضدّ حكم الإمام أحمد، خشية من انهيار النظام الملكي في اليمن^(٤).

سادساً: العلاقات السعودية- اليمنية وأثرها على الحدود بين عامي ١٩٦٢-١٩٩٥:

انعكست تطورات العلاقات السياسية بين السعودية واليمن بشكل مباشر على النزاع الحدودي بين البلدين، ففي الوقت الذي كانت العلاقة فيها هادئة وجيدة كانت تعيش الهدوء حالة من الاستقرار، أما في حال حصل خلاف سياسي بين البلدين كانت مشكلة الحدود تعود إلى واجهة الأحداث السياسية بينهما.

(١)- النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص ٤٥

(٢)- للمزيد من المعلومات حول الانقلاب الذي كان بين الجيش بقيادة أحمد الثلايا بعد أن أعطى الإمام أوامره باعتقاله بعد تأديبه أحد القرى في تعز خلافاً لأمر الإمام، لكن الضباط حذروه من الأوامر، وأعلنوا طاعتهم له. من هنا انطلق الانقلاب. للمزيد راجع: مجموعة من المؤلفين

السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق ، ص ٩٢-٩٤

(٣)- المرجع السابق ، ص ٩٧

(٤)- المرجع السابق ، ص ٩٦-٩٧

١- ثورة عام ١٩٦٢ وأثرها على العلاقات السعودية-اليمنية حتى عام ١٩٧٠ :

لم يمرّ وقت طويل حتّى أعلن الإمام أحمد انسحابه من اتّفاقيّة دولة الوحدة مع الجمهوريّة المتّحدة، فتوتّرت العلاقات بين مصر واليمن، وانعكس هذا التوتّر إيجاباً على العلاقة بين اليمن والسعوديّة، وظهر التّجاذب بين السعوديّة ومصر على السّاحة اليمنيّة جليّاً، فكلّ منهما دعم جزءاً من المجتمع اليمني. مصر دعمت المعارضين لنظام الإمام ممثّلين بالأحرار اليمنيين، والسعوديّة دعمت النّظام الملكي ممثّلاً بشخص الإمام، ومن هذه النّقطة شهدت اليمن فصلاً مأساوياً بين أبنائها، حيث اندلعت حرب أهليّة، أحرق وقودها الشّعب اليمني، ومسارها خارجي تحرّكه مصر والسعوديّة ومن ورائهما الولايات المتّحدة الأمريكيّة والاتحاد السوفييتي، أمّا الحدود التي ضحّى لأجلها الشّعب اليمني أيّام النّزاع مع السعوديّة فقد أصبحت في آخر أولوياته. وكانت وفاة الإمام أحمد ١٣٨٢هـ/ ١٨ كانون الأوّل ١٩٦٢ بداية نهاية الحكم الملكي في اليمن، وبداية حرب أهليّة ستستمرّ ثمان سنوات، فقد أعلن تنصيب ابنه محمد البدر إماماً خلفاً لأبيه، وأصدر أمراً باعتقال ١٦ عضواً من الضّباط الأحرار، وبدأت بذلك الثّورة وانضمّ إليها رئيس الحرس الملكي السّابق عبد الله السّلال، وأصبح رئيساً لمجلس قيادة الثّورة، وفي ٢٨ كانون الأوّل أذيع بيانٌ تضمّن برنامج عمل الحكومة الجديدة، وأوّل بنوده إلغاء النّظام الملكي وإعلان النّظام الجمهوري الديمقراطي^(١). وعملت الثّورة على تحقيق ستة مبادئ تنسف بها القاعدة التي حكم على أساسها الأئمة^(٢).

وبقيام ثورة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢ تدهورت علاقات السعودية مع اليمن، فالدّعم الذي أعلنته مصر بشكل مباشر بعد الثّورة، وتأكيدّها على دعم الثّورات التّحرّريّة في شبه الجزيرة العربيّة أثار قلق الملك السعودي، و زاده خوفاً إرسال مصر لقواتها لدعم الثّورة اليمنيّة^(٣)، وقيام الطائرات المصرية بقصف القواعد الملكيّة اليمنية على الأراضي السعوديّة، وتوجيه نائب رئيس اليمن الشمالي عبد الرحمن البيضاوي بأن الحرب ستشتعل على الحدود، إذا استمرت السعودية بدعم الملكيين، وما تبع ذلك من إنزال قوات مصرية على الطريق بين مكة وجدة، مما أثار قلق السعودية خاصّة بعد مظاهر التأييد لعبد الناصر من بعض الضباط السّعوديين وأفراد الأسرة المالكة، ممّا هدد الكيان السّياسي لنظام الحكم السعودي، فكان القرار بإعلان التعبئة العسكريّة ضد مصر، وتقديم الدّعم الكامل للملكيين اليمنيين ضد ثورة السّلال.

ساهمت التّطورات السّياسيّة بين مصر والسّعوديّة إلى اندلاع حرب أهليّة طاحنة، لم تنته إلا بعد ثمان سنوات، بعد سلسلة من المؤتمرات المشتركة، التي أدّت في نهاية المطاف إلى تسوية سياسيّة بين السّعوديّة ومصر، اعترفت فيها السّعوديّة بالجمهوريّة اليمنيّة وبنهاية النّظام الملكي، وتعهّدت بوقف الدّعم للملكيين، ومنعهم من القتال انطلاقاً من أراضيها، مقابل انسحاب القوّات المصريّة وتحتي السّلال، وجاء الاعتراف السعودي الكامل

(١)- مجموعة من المؤلّفين السوفييت ، المرجع السابق ، ص ١٢٢-١٢٣

(٢)- فمن النّاحية الاجتماعيّة أقرّت الحكومة مبدأ العدالة الاجتماعيّة، وفي السّياسة الخارجيّة أكّدت على الالتزام بالمبادئ القوميّة العربيّة، وعلى تدعيم علاقات اليمن مع كلّ الدّول التي تحترم سيادة اليمن الجمهوري، وبناء جيش نظامي على أسس وطنيّة فيه يكون الولاء للوطن لا لشخص أو لقبيلة. للمزيد راجع : عبد الله ، عبد الرحيم ، اليمن ثورة وثوار ، تقديم محمد لطفي عبد القادر رئيس مجلة اليمن الجديدة ، ص ٣٩-٤٠

(٣)- ساعاتي ، الحدود الدوليّة ، مرجع سابق ، ص ١٥٩

بالجمهورية عندما وجهت السعودية دعوة لحكومة الجمهوريين، لإرسال وفد إلى اجتماع وزراء الخارجية الإسلامي في جدة عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠^(١)، لتكون تلك الدعوة نهاية لمرحلة تاريخية صعبة بين البلدين الشقيقين.

٢- النزاع الحدودي السعودي - اليمني منذ عام ١٩٧٠ حتى الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠:

بعد توجه الوفد الوزاري اليمني لحضور المؤتمر الإسلامي برئاسة السيد محسن العيني رئيس الوزراء ووزير الخارجية وعضوية الشيخ عبد الله حسين الأحمر رئيس المجلس الوطني إلى السعودية، توصل البلدان إلى اتفاق مصالحة سياسية وطنية أدى إلى عودة بعض القيادات الوطنية إلى وظائفها، وإنهاء الحرب الأهلية، وتم في العام نفسه تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين، وظن الجميع أنه قد تم وضع حد لبند الطائف المتعلق بتجديد المعاهدة، وصرح رئيس الوزراء اليمني عبد الله الحجري ببيان أعلن فيه خط عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م خطأ نهائياً، فأثار ضجة سياسية انتهت باغتياله بعد فترة قصيرة، وعادت الأمور إلى وضعها السابق، وتشكل في عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ مجلس تنسيق يمني سعودي استمر عمله ١٥ سنة، لكن علاقات البلدين تدهورت بعد نشوء أزمة الخليج إثر احتلال العراق للكويت، ووقوف اليمن إلى جانب العراق، الأمر الذي دفع دول الخليج العربي بما فيها السعودية إلى طرد مليوني عامل يمني، وظهور المشكلة على المناطق الحدودية على الواجهة مرة أخرى^(٢). فشهدت الفترة الممتدة بين عامي ١٤١٢-١٤١٤هـ/١٩٩١-١٩٩٣ توتراً شديداً بين البلدين، انتهى بتدخل فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، التي طالبت البلدين بحل مشكلة الحدود بطريقة سلمية في بيان أصدرته عام ١٤١٤هـ/١٩٩٢^(٣)، فتجاوب اليمن مع الدعوة وكذلك السعودية، بعد إدراك الطرفين أن النزاع على الحدود كان سبباً دائماً لتوتر العلاقات بينهما^(٤)، وزاد من هذا التوتر اكتشاف النفط في المناطق المشاع وبكميات كبيرة، وقد أسهمت التطورات اللاحقة بعد حرب الخليج في التأكيد على ضرورة إغلاق الملفات الحدودية منعاً للمغامرات العسكرية في المستقبل^(٥)، فعاد الطرفان إلى اللقاءات الدبلوماسية مرة ثانية ابتداءً من عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢، حيث حصل لقاء بين سياسيين من الجانبين في جنيف، تبعه لقاء في الرياض تم الاتفاق بعده على تشكيل لجان لمناقشة أمر الحدود العالقة اعتماداً على الحقوق التاريخية والجغرافية في ظل مبدأ /لا ضرر ولا ضرار/ وما تضمنته معاهدة الطائف، وبعد محاولة الانفصال الفاشلة بين اليمن الجنوبي والشمالي ١٤١٥هـ/١٩٩٤، التي دعمتها السعودية جرت مرة أخرى اجتماعات على مستوى كبار المسؤولين بين السعودية واليمن استمرت مدة أربعين يوماً، وانتهت إلى توقيع مذكرة تفاهم بين البلدين عام ١٤١٦هـ/٢٦ شباط ١٩٩٥^(٦).

(١)- للمزيد من المعلومات حول الحرب الأهلية راجع: جويس، العلاقات اليمنية السعودية، مصدر سابق، ص ٩٧-١٢٤؛ أيضاً: مجموعة من

المؤلفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر، مرجع سابق، ص ١١٧-١٥٥؛ أيضاً: عبد الله، اليمن ثورة وثوار، مرجع سابق، ص ٢٨-٤٣

(٢)- ساعاتي، الحدود الدولية، مرجع سابق، ص ١٥٩؛ أيضاً: الشاعري، تسوية النزاعات الدولية سلمياً، مرجع سابق، ص ٣٩٧-٣٩٨

(٣)- لقد وجه الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب رسالة تحمل في طياتها ضغطاً شديداً للدخول في مفاوضات مع السعودية لحل مشكلات الحدود، وذلك على خلفية التحذير الذي وجهته الحكومة السعودية للشركات الأجنبية التي تقوم بأعمال التنقيب عن النفط في اليمن. للمزيد حول دور أمريكا في الخلاف الحدودي اليمني- السعودي راجع: العمر، التسوية القانونية للحدود، مرجع سابق، ص ١٩٢-١٩٣

(٤)- أبو طالب، حسن، حالة الحدود اليمنية مع عمان والسعودية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١١١، كانون الثاني ١٩٩٣م، ص ٢١٨-٢١٩

(٥)- كاتز، مارك، حرب اليمن ١٩٩٤، الأسباب والنتائج، مركز الدراسات والأبحاث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٦م، ص ١١٩

(٦)- ساعاتي، الحدود الدولية، مرجع سابق، ص ٣٩٨-٣٩٩

٣- النزاع الحدودي السعودي - اليمني بين عامي ١٩٩٠-١٩٩٥:

لم تكن الأجزاء الشماليّة من اليمن موضوع خلاف مع المملكة العربيّة السّعوديّة وحسب، بل امتدّ الخلاف إلى اليمن الجنوبي (عدن) الذي كان تحت الحماية البريطانيّة، وفي أثناء ذلك كان النقّاش على تلك الحدود بين المملكة السّعوديّة وبين بريطانيا، منذ العام ١٩٣٥ عندما حاول ممثل السّعوديّة فؤاد حمزة خلالها إظهار الفرق الكبير بين نمط الدّيرة القبيلة وهو المفهوم الذي استندت عليه المطالبة السّعوديّة بالمنطقة، وبين مفهوم النّجّوال القبلي وهو المفهوم الذي استندت عليه حكومة عدن في مطالبتها، فالقبائل الحضرميّة التي تجول المنطقة لا تشكّل انتقاصاً لسيادة القبائل السّعوديّة في تلك المنطقة، ولا تنتقص من مفهوم القبيلة المستقرّة في منطقة والتي تكون بحكم البنية الاجتماعيّة القبليّة سيّدة على تلك المنطقة، كسيادة قبيلة مرّة السّعوديّة على منطقة الرّبع الخالي.

ورغم أن اتفاقية الطائف نظمت الحدود بين اليمن الشمالي والسعودية، إلا أن الحدود بين اليمن الجنوبي الخاضع لحكم بريطانيا وبين السعودية ظلّ موضع خلاف بين لندن والرياض حتّى تاريخ انسحابها من المحميات ١٣٨٧هـ/١٩٦٧، لثرت بعدها دولة اليمن الجنوبي التي تشكّلت بعد الانسحاب البريطاني وكانت حكومة اشتراكيّة موالية للاتحاد السوفييتي، ليأخذ النّزاع بين السّعوديّة واليمن الجنوبي طابعاً إيديولوجياً زاد الخلاف حدّة، وفي عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢ هاجم اليمن الجنوبي منطقة الوديعة، وأعلن ضمّها لدولته معتبراً إيّاها منطقة يمنيّة، فما كان من السّعوديّة، إلا أن ردّت بمهاجمة المنطقة واستعادتها بعد فشل كلّ المحاولات السّلميّة، ولم يحصل تطوّر يذكر على الحدود بين البلدين حتّى تاريخ إعلان الوحدة بين شطري اليمن الجنوبي والشّمال عام ١٩٩٠، لتتولّى بعدها دولة اليمن الموحد مسألة الحدود، التي أصبحت بعد الوحدة ذات رأسين.

وعلى الرّغم من ترحيب السّعوديّة على لسان خادم الحرمين السّعودي بدولة اليمن الموحد، إلا أنّ الأمور بينهما اتّخذت منحاً سلبياً، وشهدت علاقات البلدين توتّراً شديداً بعد الدّعم الذي قدّمه اليمن للغزو العراقي على الكويت^(٢). إلا أن البلدين أدركا صعوبة العودة إلى الخيارات العسكريّة، بعد أن جرياها وشاهدا بألم أعينهما قسوة ذلك الخيار، لذلك قررا الدخول في جولة من المفاوضات الدبلوماسية لإيجاد حل سلمي للمشكلة بينهما.

بدأت اللّقاءات الدّبلوماسية بين مسؤولي البلدين لإغلاق الملفّات الحدوديّة في جنيف ١٤١٣هـ/١٩٩٢، وكان لهذه اللّقاءات طابع انفراجي، ولاسيّما بعد أن أعلن وزير الخارجيّة اليمني اعتراف اليمن باتّفاق الطائف، واستمرّت اللّقاءات إلى أن توصّل الجانبان إلى توقيع مذكرة التفاهم في ١٤١٦هـ الموافق ٢٦ شباط ١٩٩٥، وقد وقعها عن الجانب اليمني عبد القادر عبد الرّحمن باجمال، وعن الجانب السّعودي إبراهيم بن عبد الله العنقري^(١)، وفيها اعترف الجانبان بأنّ خطّ عام ١٩٣٤ هو خطّ دائم ونهائي. وكلفت إحدى اللّجان بإعادة نصب العلامات الحدوديّة لخطّ ١٩٣٤، وتشكّلت ستّ لجان فنيّة وتقنيّة لمعالجة ما تبقى من المشكلات السّياسيّة والحدوديّة، و تمحور عمل هذه اللّجان في وضع آليّة لترسيم الحدود في مناطق النّزاع التي تبدأ من رأس المعوج وهي النّقطة

(٢)- المرجع السابق، ص ١٦٢-١٦٣

(١)- الشاعري، تسوية النزاعات الدولية سلمياً، مرجع سابق، ص ٣٩٩

الساحلية التي ينطلق منها خطّ حدود معاهدة الطائف وجبل الثّار وهو آخر نقطة بريّة حدوديّة بين شمال اليمن والسّعوديّة^(٢).

لم يمض وقت طويل على المذكّرة حتّى بدأت اللّجان عملها لرسم خطّ حدوديّ طويل لم يصل حتّى اليوم إلى نهايته، ومنعاً لحصول التّجاوزات العسكريّة وقع الجانبان اتّفاقيّة أمنيّة عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦ تسهم في حلّ المشكلات الأمنيّة بين الجانبين^(٣). وفي عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧ زار الأمير سلطان بن عبد العزيز صنعاء لإنهاء الملف الحدودي، لكنّ زيارته لم تنه الخلاف على المنطقة الممتدّة من النّقطة التي وقف عندها خطّ ١٣٥٣هـ/١٩٣٤ حتّى عقدة التقاء الحدود السّعوديّة اليمنيّة، فقد ثارت النزاعات بين الجانبين حول منطقة المهرة في أقصى الطّرف الشّرقى من تخومهما المشتركة، وهدّد نائب الرّئيس اليمني بالمطالبة بالتّحكيم في حال رفض الأمير سلطان التّصوّر النهائي الذي قدّمه الرّئيس اليمني، ولكي لا تتطوّر الأمور سلبياً طلب الرّئيس تأجيل المفاوضات لحلّ ما تبقى من مشكلات حدوديّة^(٤).

وفي عام ١٤١٩هـ الموافق ١٩ تموز ١٩٩٨ تعرّض الاتّفاق على مستوى القيادة السّياسيّة على تقوية علاقات البلدين لهزة قويّة، عندما قامت القوّات السّعوديّة بالاعتداء على حرس جزيرة الدّويمية المقابلة لنقطة رأس المعوج واحتلالها، وقتل ثلاثة جنود يمنيين، وهي جزيرة صغيرة يراوح طولها بين ستة وسبعة كيلو مترات وعرضها نحو ٢ كيلومتر^(٥)، عندها أدرك البلدان ضرورة إنهاء هذا الخلاف التّاريخي الطّويل، فقام سعود الفيصل وزير الخارجيّة السّعودي بزيارة صنعاء وتوقيع اتّفاق يمّني - سعودي نصّ على ضرورة إنهاء اللّجان عملها بتجديد العلامات الحدوديّة من جبل الثّار حتّى رأس المعوج، كما جاءت في اتّفاقيّة الطّائف ومذكرة التّفاهم خلال شهرين. وتسيير الدّوريات المشتركة في جزيرة الدّويمية لمنع وقوع الحوادث الأمنيّة على طرفي الحدود^(٦).

في ١٢ حزيران عام ٢٠٠٠ وقع الجانبان السّعودي واليمني اتّفاقية جدة^(٧)، لنته مرحلة من الخلافات استمرت ٦٦ عاماً^(٨)، وفيها تمّ الاتّفاق على إنهاء كل النزاعات الحدودية بين البلدين في كافة القطاعات البريّة والبحريّة، وبدأ الجانبان بوضع العلامات الحدودية بعد الاتّفاقية، وأصبحت حدود البلدين بموجبها تتضمّن شريطاً

(٢) - المرجع السابق ، ص ٣٩٩

(٣) - المرجع السابق ، ص ٤٠٠

(٤) - النعيم ، الحدود السياسية ، المرجع السابق ، ص ٦٤-٦٥

(٥) - أبو داوود ، عبد الرزاق سليمان، البحار السّعوديّة: مناطق السيادة وموارد الطبيعة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة ، في السّعودية ، جامعة الملك عبد العزيز ، العدد ١ لعام ٢٠٠٢ م ، ص ٤٢٦

(٦) - الشاعري ، مرجع سابق ، ص ٤٠٠

(٧) - تنصّ المعاهدة على تدعيم أوامر الصداقة بين البلدين والالتزام بمذكرة التّفاهم ١٩٩٥ ، وتشبّث الخط الحدودي بين البلدين. للاطلاع على الخط ومساره راجع الملحق رقم (٨)

(٨) - الهيصمي ، خديجة ، من أوراق ندوة ٢٦ سبتمبر عن الثورة اليمنية ، اليمن والسّعودية حقاً انجازاً في معاهدة جدة ، صحيفة ٢٦ سبتمبر ١٠ (أيلول) العدد ١٨١ ، ص ٣٣.

حدودياً يبلغ طوله ١٣١٤ كم^(٣)، ويربط المملكة العربية السعودية باليمن عبر أربعة منافذ بريّة هي: الطوال في الغرب وعلب ومنفذ الخضراء في الوسط والوديعة في الشرق^(٤).

وقد وقّع الاتفاقية عن الجانب السعودي وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز وعن الجانب اليمني وزير الداخلية اللواء رشاد محمد العلمي^(٥)، وبعد توقيع المعاهدة أكّد الرئيس اليمني علي عبد الله صالح في تصريح صحفيّ أنّه تمّ الاتّفاق على كلّ نقاط الاختلاف في جبل ثار في الشّرق، ورأس المعوج في الغرب، وعلى طول الخط الممتد من جبل ثار إلى خط تسعة عشر إلى اثنين وخمسين تقاطع مع سلطنة عمان، وحدّدت أماكن الرّعي للقبائل من الجانبين، واتّفق على تشكيل لجان من وزيري الدّاخلية ورئيسي هيئة الأركان في البلدين للإشراف على تنفيذ الاتّفاق، وسحب قوّة الدّولتين والمعسكرات إلى مسافة عشرة كيلو مترات بما يمنع أيّ احتكاك مستقبلي، وتشرف اللّجنة على اختيار شركة متخصصة لتقوم بوضع العلامات استناداً إلى خطوط الطّول والعرض عبر الأقمار الصناعية^(٦).

على الرّغم من جهود البلدين لقلب صفحة الماضي وفتح صفحة جديدة من العلاقات السّياسيّة والشّعبيّة والاقتصاديّة، ودمج اليمن في مجلس التّعاون الخليجي ليكون لديها القدرة على العمل التّنموي لشعبها وبناء اليمن الحديث والمعاصر، ما تزال اللّجان الحدوديّة تجتمع حتّى يومنا هذا نظراً لوجود نقاط الخلاف في بعض العلامات والتّجاوزات المستمرة، ولاسيّما من الطّرف السعودي الذي يقيم السّواتر التّرابيّة تحت ستار محاربة التّهريب بين البلدين، الأمر الذي يخالف الاتّفاقيّات السّابقة بين الجانبين خاصّة في المجال الأمني، وفقاً لتصريح العلمي وزير الدّاخلية اليمني، مستدركاً أنّ هناك بعض السّواتر التّرابيّة أقيمت في منطقة عمقها عشرين كيلومتراً بواقع عشرة كيلومترات على كلّ جانب على طول الحدود اليمنيّة - السعوديّة، في حين نصّت اتّفاقية جدّة الموقّعة عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠ أن تكون مخصّصة للرّعي وعدم إقامة أيّة تحصينات من شأنها حجب الرّؤية فيها^(١)، ممّا استدعى لقاءً بين الجانبين أسفر عن اتّفاقية في مدينة نجران السعوديّة لتطوير الاتّفاقيّات الأمنيّة لحماية الحدود المشتركة بين البلدين بطريقة ترضي الطّرفين، وبعد يومين عقد اجتماع مشترك بين اللّجنتين عند السّاتر الأنبوبي الذي أثار جدلاً قانونيّاً حول الاتّفاقيّات الحدوديّة السّابقة التي خرقتها السعوديّة بإقامتها حواجز وعوازل على الحدود بحجّة منع التّهريب من اليمن إلى السعوديّة ومن السعوديّة إلى اليمن، ولاسيّما تهريب الأسلحة، لكنّ

(٣) - للاطلاع على شكل الحدود النهائي راجع الملحق رقم (٨) و(٩)

(٤) - العبدلي ، أحمد ، اتفاقيات الحدود السعودية مع دول الجوار ، صحيفة الوقت البحرينية ، العدد ١٣١٠ ، ٣ شوال ١٤٣٠هـ الموافق ٢٢ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٩م

(٥) - أخبار الغد ، صحيفة الكترونية ، السعودية واليمن يوقعان اتفاقية لتنظيم سلطات الحدود بينهما ، الأحد ٨ يونيو (حزيران) ٢٠٠٣م <http://www.alghadnews.com>

(٦) - رئاسة الجمهورية اليمنية ، المركز الوطني للمعلومات ، ١٢ حزيران ٢٠٠٠م ، <http://www.yemen-2000.nic.info/presidency/detail.php?ID=7013>

(١) - المؤتمر نت من اليمن إلى العالم ، موقع الكتروني ، الثلاثاء ١٧ شباط ٢٠٠٤م

<http://www.almotamar.net/news/6666.htm>

الرغبة المشتركة لقيادتي البلدين في حلّ الخلاف أنهته سريعاً دون أن يصل إلى مرحلة الخلاف الفعلي على المستوى السياسي^(٢).

ومنذ هذا الاتفاق أخذت العلاقات السعودية اليمنية تتطور بشكل مستمر، وتم تشكيل لجان مشتركة للإشراف على مسائل الحدود^(٣). وقد شارك ولي العهد السعودي سلطان بن عبد العزيز في اجتماعات اللجنة اليمنية - السعودية المشتركة، التي عقدت جلساتها من ٥-٧ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ الموافق ١-٣ حزيران ٢٠٠٦ في صنعاء، والتي تم خلالها الاتفاق على تعزيز علاقات البلدين على كل المستويات والتأكيد على الاتفاقات الحدودية والخرائط التي توصلت إليها اللجان المشتركة^(٤)، وتم التوقيع أيضاً على سلسلة من الاتفاقيات الاقتصادية والتنمية، التي ساهمت في توطيد العلاقات الأخوية بين البلدين الشقيقين .

وفي يومنا الحالي مازال هناك بعض الشوائب في العلاقات بين البلدين، وذلك بسبب شعور الكثير من اليمنيين بالظلم، لأنهم خسروا أجزاء كبيرة من أراضيهم وأبنائهم بنيران سعودية صديقة، مما أدى إلى اشتعال الحدود بين الحين والآخر، وآخرها امتداد الصراع بين الحوثيين^(٥) والحكومة اليمنية إلى الحدود السعودية اليمنية، فمدينة صعدة الواقعة على الحدود بين البلدين^(٦)، و المقر الرئيس للحوثيين كانت مركزاً لهجمات الحوثيين على مراكز سعودية أعادت الذاكرة إلى مشكلة الحدود اليمنية - السعودية المشكلة القديمة المتجددة بين الحين والآخر، وفي كل مناسبة يحدث فيها اضطرابات في اليمن مهما كانت. حيث شهدت فترة كتابة هذا الفصل

(٢)- المؤتمر نت من اليمن إلى العالم ، موقع الكتروني ، الأربعاء ٣ مارس (آذار) ٢٠٠٠ م

<http://www.almotamar.net/news/6666.htm>

(٣)- للاطلاع على الشكل النهائي للحدود بين البلدين راجع الملحق رقم (١٠)

(٤)- وزارة الخارجية السعودية ، خطابات المملكة في المحافل الدولية ، اليمن-السعودية بيان مشترك في ١٤٢٧/٥/٥ الموافق ٢٠٠٦/٦/١

الموقع الإلكتروني: <http://www.mofa.gov.sa/Detail.asp?InNewsItemID=50808>

(٥)- الحوثيون هم مجموعة من اليمنيين الثوار على الحكومة اليمنية الوطنية، ويستقي الحوثيون اسمهم من اسم زعيمهم حسين بدر الدين الحوثي الذي اغتيل عام ٢٠٠٤م وخلفه أخوه عبد الملك الحوثي الزعيم الحالي لهم ومعظم الحوثيون هم من الشيعة على المذهب الزيدي، ويقطن غالبيتهم في الجبال في حين أن أبناء المناطق المنخفضة الجنوبية هم من السنة، وقد حكم الزيدون اليمن حوالي ألف عام حتى عام ١٩٦٢م تاريخ الثورة اليمنية الجمهورية، لكن ذلك لا يعني أن كل الثوار الحوثيون هم من الزيديين، فنسبة الزيديين ٤٥ بالمئة، أما السنة فهي ٥٣ بالمئة. أما البقية فهم من الأقليات الشيعية، ونسبة الثوار من الزيديين هي حوالي ٣٠ بالمئة وهم يبحثون عن استعادة ماضي الزيديين. وقد حاولت الدولة تسليح القبائل في منطقة الشمال ضد الحوثيين، واجتمع الرئيس صالح مع شيوخ القبائل لتشكيل جيش لمواجهة الحوثيين مستغلاً النزاع التاريخي بين قبائل بكيل وحاشد وهي قبائل زيدية عرفت بعدائها لبعضها، واستطاع الرئيس تفعيل الصراع القبلي القديم وإعادة إحيائه، فمن المعروف ولاء حاشد للسلطة الحاكمة ومعارضة بكيل لها، مما جعل الصراع في تلك الفترة صراعاً قبلياً عزز الشرخ بين أبناء اليمن، وولد حالة من العداء بين الزيديين والسعوديين على خلفية اتهام الزيديين الحوثيين للسعودية بتحريضها للرئيس صالح عليهم خشية قيام إمارة شيعية على حدودهم في صعدة إلا أن السعودية نفت ذلك ولم تعلق علناً على اتهام يحيى الحوثي شقيق عبد الملك الحوثي لها بتحريض الرئيس ، وبدأت الحرب في حزيران ٢٠٠٤ عندما رفض حسين الحوثي لقاء الرئيس صالح لتبديد هواجسه من مخاطر الحوثيين، فحاولت الحكومة اعتقاله، لكننها فشلت. مما أدى إلى اندلاع صراع بين الحوثيين وبين الحكومة الرسمية، لم تنته إلا بعد وساطة قطرية بين عامي ٢٠٠٧-٢٠٠٨م أوصلت الطرفين إلى حل سلمي وإيقاف المعارك في تموز ٢٠٠٨م. أنظر: أربين شبكة الأنباء الإنسانية ، اليمن النزاع في محافظة صعدة ، صنعاء

في ٢٧ تموز ٢٠٠٨م : WWW.IRINnews.org

(٦)- راجع الملحق رقم (٦)

بصيغته النهائية حرباً قاسية بين الدولة اليمنية والحوثيين، تداخلت فيها الحدود السعودية -اليمنية، حيث قامت القوات السعودية بقصف مواقع الحوثيين، بعد دخولهم مناطق سعودية والسيطرة عليها. لذلك، وجدت أنه من الأهمية بمكان، أن يبذل البلدان المزيد من الجهود، لإنهاء تداعيات تلك المرحلة التاريخية بتسوية نهائية يستفتى فيها الشعبان السعودي واليماني، أو التفكير بطريقة أخرى لحل مشكلة الحدود بين البلدين الشقيقين بشكل نهائي، وتسير بهما نحو تطوير علاقاتهما على المستويين الرسمي والشعبي، بحيث يصب البلدان قوتهما وقدارتهما في مصلحة القضية العربية الكبرى، وتوفير كل الأجواء المواتية لتعزيز التعاون العربي، والاستفادة من رغبة الرئيس اليمني عي عبد الله صالح بإنهاء تلك المشكلة، ومن حكمة الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز، الذي اتبع منذ وصوله إلى السلطة سياسة حكيمة، قامت أسسها على الانفتاح على كل الدول العربية، وتجاوز الخلافات القديمة، بما يسهم في بناء علاقات عربية سوية، وبعيدة عن التأزم.

الفصل الثالث

منازعات الحدود السعودية - الأردنية وطرق تسويتها

بين عامي ١٩١٣ و ١٩٩٥

يعدّ النزاع الحدودي بين إمارة شرقي الأردن^(١) والسعودية، من أهمّ الأحداث التي شهدتها الوطن العربيّ في الفترة التي تلت تشكيل هذه الإمارة، ولم يكن هذا النزاع حدثاً عادياً، بل كان له تأثيراً كبيراً وتداعيات تاريخية لها صلة بأحداث مهمة في المنطقة العربيّة، ولاسيّما ناحيتي الأمن والسلم العربيين، لارتباط الموضوع بشكل مباشر مع حدود دولة فلسطين المحتلة.

بدأ هذا النزاع يأخذ شكله الجدّي منذ تأسيس إمارة شرقي الأردن، و قد كان للموقع الإستراتيجي للمناطق المتنازع عليها بين السعودية وإمارة شرقي الأردن، وللخلافات القبلية ولتذبذب ولاء القبائل بين هذا الطرف أو ذاك دورٌ كبير في تفعيل النزاع الحدودي بين الطرفين، إلا أنّ السبب الرئيسي في هذا النزاع كان بريطاني الطابع بامتياز، فبريطانيا التي كانت وراء نشوء إمارة شرق الأردن كانت مرتاحة للخلاف الدائر بين الهاشميين في مناطق حكمهم وبين السعوديين، لأنّه يحزّرهم من أعباء الوعود التي كانت تلزمهم بها الاتفاقيات السابقة مع الشريف حسين، ويسمح لهم بتحقيق مخطّطاتهم البعيدة المدى في الحفاظ على مناطق نفوذهم، والحصول على منافع ومكاسب الثروات الباطنية في الخليج العربي، ويساعدهم بشكل أكبر في تحقيق وعدهم للصهاينة بإنشاء وطن قومي لهم على أرض فلسطين، وذلك عبر احتواء الفلسطينيين الذين سيتمّ تهجيرهم إلى الإمارة الناشئة. أمّا السعوديون والهاشميون فكانوا يجدون في نزاعاتهم فرصة تسهم في توسيع مناطق نفوذهم وتقوية دولهم الناشئة عبر فرض حدود سياسية جغرافية مع الدول المجاورة لها تضم مناطق إستراتيجية تزيد من قوة دولتهم. لذلك، كان النزاع بينهما ذا بعد تاريخي سياسي من جانب، وبعد اقتصادي جغرافي من جانب آخر، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا النزاع قد ترافق مع أحداث سياسية كبيرة هزّت المنطقة العربيّة، وتركت أثراً مازالت تداعياتها مستمرة حتّى يومنا الحالي.

(١) - تتجاوز أهمية موقع الأردن المساحة المحدودة التي ينحصر بها هذا البلد، والبالغة ثمانية وثمانين ألف كيلو متر مربع ونيّف، فقد واكب ظهور الأردن بداية رسم الحدود السياسية الجغرافية الثابتة، فمنذ العام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠ وضعت كلّ من بريطانيا وفرنسا حدوداً لمناطق نفوذها، فقد حدّدت الدولتان المندبتان على سورية وشرق الأردن الحدود على طول نهر اليرموك، واستكملتها بريطانيا مع فلسطين، بصدر البلاغ البريطاني الصادر عن المندوب السامي ١٣٤١هـ/أيلول ١٩٢٢ الذي جاء فيه "إنّ شرق الأردن تمتدّ من شرق خطّ يبدأ من خليج العقبة إلى الغرب من بلدة العقبة، وفي خطّ مستقيم شمالاً مع المنتصف الهندسي لوادي عربة، فالبحر الميت ونهر الأردن لملتقاه في نهر اليرموك". أنظر: الماضي والموسى، منيب وسليمان، تاريخ الأردن في القرن العشرين، مكتبة المحتسب، عمان، ط١، ١٩٥٩م، ص١٩، وتتسم الحدود الأردنية مع الدول العربيّة المجاورة لها باستقامتها خطياً وهي أشبه بحدود فلكيّة أكثر منها حدوداً أرضيّة، وذلك لأنّ الاتفاقات التي أقرتها اعتمدت في الأصل على التقاء درجات العرض والطول، حيث يقع الأردن على مقربة من الشواطئ الجنوبيّة الشرقيّة للبحر الأبيض المتوسط بين خطّي الطول ٣٤ و٣٩ شرقاً، وخطّي العرض ٢٩ و٢٣ شمالاً. ويمتدّ شرقاً في صحراء بادية الشام ومساحته الإجماليّة ٨٩.٥٢٤ كيلو متراً مربّعاً، ومن الناحية الجغرافية يحده من الغرب فلسطين ومصر، ومن الشرق العراق، ومن الشمال سورية، ومن الجنوب شبه الجزيرة العربيّة، وقد منححت الطبيعة، يتّصف مناخ الأردن بصفات المناخ في بلاد الشام، حارّ جافّ صيفاً، معتدل ماطر شتاءً، وترتفع درجة الحرارة وتقلّ كمّيات الأمطار كلّما اتّجهنا جنوباً، ويقسم إلى ثلاثة أقسام: الغور، سلسلة الجبال الشرقيّة، السهول الشرقيّة والصحراء. للمزيد من المعلومات حول التقسيمات التضاريسية ومدن الأردن راجع: عبيدات، محمود، الأردن في التاريخ "المقدمة من العصر الحجري حتى قيام الإمارة"، مطبعة جرو برس، لبنان - طرابلس، ١٩٩٢، ص١٣-١٤

أولاً: التطورات السياسية بين الهاشميين والسعوديين في الحجاز بين عامي ١٩١٣-١٩٢٤:

شهدت المرحلة السياسية خلال الحرب العالمية الأولى نزاعاً معلناً تارة وخفياً تارة أخرى على زعامة المنطقة بين الشريف حسين وابن سعود، و تفعل هذا الصراع مع انطلاق الثورة العربية الكبرى ١٩١٦، فقبل إصدار الشريف حسين المنشور، الذي أعلن فيه الثورة ضد الدولة العثمانية، وأوضح فيه أسباب الثورة والظلم الذي ألحقه الاتحاديون (جماعة الاتحاد والترقي الحاكمة في تركيا) بالبلاد العربية، أرسل رسولاً إلى ابن سعود عام ١٣٣٤هـ/١٧ كانون الثاني ١٩١٥ يستطلع رأيه حول العلاقة مع تركيا وموقفه من الثورة إذا أعلنت وما هو التصرف الذي سيقوم به عندها، لم يتسرع ابن سعود في الإجابة، وأعلن للإنكليز أنه لن يقف إلى جانب الأتراك في الحرب وأنه يؤيد الثورة، لكنه لا يستطيع المشاركة فيها متذرعاً بخوفه من تمرّد القبائل التي أخضعها حديثاً، وبأن لا طاقة لديه لمحاربة الأتراك وآل الرّشيد معاً، وفي حقيقة الأمر كان ابن سعود يخشى أن تنتهي الثورة ويتحوّل الحسين إلى زعيم لا يمكن الوقوف في وجهه. لذلك، وجد في الوقوف على الحياد تارةً، وتقديم بعض الدّعم غير الصّريح للأتراك تارةً أخرى وسيلةً للحفاظ على استقلاليتهم، وعلى نفوذهم في المناطق التي سيطر عليها. أمّا الحسين فارتاب من موقف عبد العزيز ولاسيما بعد توقيعه الاتفاقية مع الإنجليز، فخشي من أن تتعمّق علاقته معهم ويصبح الزّعيم الأقوى في شبه الجزيرة العربية، فأوقف مفاوضاته مع البريطانيين وأعلن عن انطلاق الثورة بسرعة، وعندما شاهد ابن سعود الدّعم المالي والعسكري الكبير، الذي مدّت به بريطانيا الشريف حسين عبر ميناء بور سودان، وكيف أن الكفة كانت تميل لصالح الثورة الشريفية المدعومة من بريطانيا، تخلى عن حذره وحياده وأعلن أنه يؤيد الثورة^(١)، وأنه مستعدّ للعمل معها بشرط ألاّ يتعدّى الشريف على أملاكه ومناطق نفوذه ولا يتدخل في شؤون شعبه، حيث إنّ شكوكاً كانت تراود ابن سعود بأنّ الشريف طامع بمناطق نفوذه، ولاسيما بعد الانتصار الكبير الذي حقّقه الثورة، خاصة أنّ الشريف سرعان ما أعلن نفسه ملكاً على العرب جميعاً، وبعد وصول القبائل إلى مكة لمبايعته بالخلافة، اعترض عبد العزيز وصرح للإنجليز برفضه إعلان الحسين نفسه ملكاً على العرب، وبأنّه لا يحقّ له التّحدّث باسم العرب جميعاً، الأمر الذي وجدت فيه بريطانيا التي اعترفت بالحسين ملكاً على الحجاز فقط وليس على العرب جميعاً، فرصة للتّخلّص من أعباء عهودها التي قطعتها للحسين، إلّا أنّها في تلك المرحلة التاريخيّة كانت تخشى من انقسام العرب قبل انتهاء الحرب، ممّا يهدّد مصالحها في المنطقة، فحاولت التّقريب بين الحسين وعبد العزيز الذي كان غير مرتاح للحسين ومتردّداً في علاقته به، ولاسيما أنّ انتشار الدّعوة الوهابيّة (السلفيّة) بين القبائل المواليّة للحسين سابقاً كقبيلتي سبيع وعتيبة في منطقتي تربة والخرمة، الأمر الذي سيدعم موقفه أمام الشريف^(٢).

وقد ساعدت الازدواجيّة التي تعاملت فيها بريطانيا مع القوى السّياسيّة في شبه الجزيرة العربيّة في تقاوم الصّراع الدائر بين الشريف وعبد العزيز، حيث سعت إلى إعطاء ضمانات لابن سعود وتعظيم الحسين في الوقت

(١) بعد انتضاح الموقف في الحرب وميل الكفة لمصلحة الشريف، سعى للتقرب من الحسين ومن الإنكليز، ولاسيما بعد أن رأى الأتراك يسلحون آل شمر في حائل. لذلك، كله قام بمصادرة ٧٠٠ جمل اشتراها أحد الأثرياء للأتراك وسلمها للإنكليز في الكويت. انظر: فاسيلييف، أليكسي، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيرى الضامن وجمال الماشطة، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م، ص ٣١٨

(٢) الصباغ، محمد عبد اللطيف، بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م، ص ٣١-٣٤

نفسه لإثارة الحكّام المحليين ضده، وهذا ما صرّح به المندوب السامي البريطاني في مصر سير ريجنالد ريجنيت عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م بقوله: (إنّ تعظيم الشريف وتوسيع نطاق نفوذه أزعج ابن سعود وشيوخاً غيره ممّن سعوا للحصول على ضمانات ومساعدات ماديّة ضده) ^(١)، ممّا يظهر أنّ بريطانيا كانت تعرف أنّ الأمور ستؤول في نهاية المطاف إلى الاصطدام بين القوى السّياسيّة في شبه الجزيرة العربيّة، وهذا ما أكّده القادم من الأيام في علاقة الحسين وابن سعود، حيث انتهت تلك العلاقة وتحت أنظار وتشجيع بريطانيا إلى حرب وجود بين الرّعيّمين انتهت بزوال دولة الحجاز الهاشميّة، وقيام المملكة العربيّة السّعوديّة بزعامة عبد العزيز آل سعود.

فرضت حالة الارتياب والخوف المتبادل بين السّعوديين والهاشميين رغبة لدى الطّرفين في إضعاف الآخر، فقد وجد الحسين في الثّورات المتعدّدة التي عانى منها ابن سعود ضدّ حكمه في شبه الجزيرة العربيّة وسيلة للتّدخل في شؤون المناطق التّابعة له كثورتى الحسن بن عائض ثمّ ثورة الأدارسة ^(٢). حيث استغلّ الحسين ذلك وحرّض ابن عائض على الأدارسة أملاً أن ينهي حكمهم في عسير، وتصبح بعدها قاعدة لخطته التّوسعيّة في اليمن، ومن بعدها في نجد كما كان الشريف يخطّط، مما دفع الإدريسي للتّوجّه إلى ابن سعود لطلب الدّعم منه، فلباه الأخير على الفور، لإدراكه خطورة الأمر وخلفيّات الثّورة بالنّسبة للحسين واستعداد الإدريسي سيطرته المباشرة على أبها، لكنّ حسن العائض كرّر ثورته عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م فوجّه إليه ابن سعود إنذاراً بالهدوء والخضوع، لكن ابن عائض استقوى بدعم الحسين الذي أرسل إليه مبعوثاً عنه (عبد الله بن حمزة الذي اضطرّ للهرب بعد فشل ثورة ابن عائض) وردّ على ابن سعود بآلاً يتدخّل في الشّؤون الدّاخلية لعسير، ممّا أزعج الأخير، فأرسل إليه قريبه ابن مساعد على رأس حملة لم تواجه صعوبة كبيرة في القضاء على ثورة ابن عائض، ثمّ أخذ ابن سعود بعد توقيع معاهدة الحماية / مكّة / عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م مع الأدارسة يقلّص من سلطاتهم، ويدير شؤون عسير بشكل مباشر عبر ممثّل عنه فيها، تمهيداً لضمّها إلى مملكته المستقبلية بشكل نهائيّ ^(٣).

وكما ذكرنا سابقاً كيف أنّ الشريف حسين وقف مع أبناء عمّ عبد العزيز من أولاد سعود بن تركي الذين كانوا يرغبون بحكم نجد بدلاً من عبد العزيز، وقد خلّلت هذه المسألة بالصّالح مع عبد العزيز، إلّا أنّها تركت آثاراً سلبية في علاقة الرّجلين ستظهر في مرحلة الصّراع النهائي بينهما.

أما بالنّسبة لموقفه من محاولات ابن سعود في القضاء على حكم آل الرّشيد في حائل، فكان مخالفاً تماماً لوجهة نظر ابن سعود والبريطانيين، حيث عارض بشدّة سيطرة ابن سعود على حائل خشية ازدياد نفوذه في المنطقة، مع العلم أنّ آل الرّشيد هم حلفاء للدولة العثمانيّة، ممّا يعني أنّ الحسين كان يقف في وجه بريطانيا،

(١) - كوستنر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ٦٨-٦٩

(٢) - ومن هذه الثّورات ثورة الحسن بن عائض ثمّ ثورة الأدارسة، كما وجد فيها وسيلة لمنعه من التّوسع وزيادة حجم نفوذه في المنطقة، فمنذ عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م وقف الشريف حسين مع أسرة آل عائض التي كانت تحكم في عسير قبل الأدارسة وساعده في صدّ حملة قادها الأدارسة ضدّهم عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ووقف ضدّ الأدارسة في ثورتهم التي قاموا بها على العثمانيين على ١٣٢٩هـ/١٩١١م وسبب ذلك أن الحسين كان يرى في الأدارسة أسرة أقلّ شأناً منه كونهم ممّن قدموا من شمال إفريقيا، هذه التطورات أبعدت الإدريسي في كلّ الأحداث المقبلة عن الحسين وقربته من عدوه عبد العزيز بن سعود. لذلك، عندما ثار حسن العائض على الأدارسة عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م، وحاول استرداد ملك أجداده في عسير بعد أن سيطر عليها الأدارسة. انظر: كوستنر، المصدر السابق ، ص ٦٨-٦٩؛ أيضاً: الجمعي ، عسير خلال قرنين ، ص ١١٤-١١٦

(٣) - للمزيد من المعلومات عن الثّورات في عسير ضد حكم ابن سعود راجع الفصل الثاني (ثورة آل عائض)

التي رأت في هجوم ابن سعود على حائل ضرورة لتعزيز الضَّغط على العثمانيين، وإجبارهم على مغادرة المنطقة من جهة، وإبعاد أنظار عبد العزيز عن الحجاز من جهة أخرى. لذلك، أصرَّ المندوب السَّامي الجديد في مصر **وينهايت** على ضرورة ممارسة الضَّغط على ابن سعود للهجوم على حائل، وأرسل لهذا الغرض **رونالد ستورس** مبعوث **وينهايت** إلى بغداد ليخبر **بيرسي كوكس** المعتمد المدني البريطاني في بغداد وقتها^(١)، أمَّا الحسين فقد رفض التَّحالف مع ابن سعود في حربه مع آل الرِّشيد حَكَّام حائل الذين تحالف معهم في عامي ١٣٣٤-١٣٣٥هـ/١٩١٥-١٩١٦ ضدَّ ابن سعود، إلا أنَّ هذا التَّحالف لم يتبلور بشكل نهائيَّ حتَّى تيقن آل الرِّشيد أنَّ هزيمة العثمانيين أصبحت أكيدة، وقد عبَّر جون فيلبي عن انزعاجه الشَّديد من موقف الحسين الرَّاغض لأيِّ رابط عسكريٍّ بينه وبين ابن سعود في حربه على حائل، حيث كان الحسين يخشى أن تزود بريطانيا ابن سعود بالأسلحة، وبالتالي تصاعد قوَّته ويصبح لديه القدرة على منافسة زعامة الحسين في المنطقة ولاسيَّما الحجاز، وقد أثرت مواقف الحسين على الموقف البريطاني حتَّى عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨، حيث رأى **رونالد وينجيت** أنَّه بعد السَّيطرة على فلسطين وهزيمة العثمانيين لم يعد من الضَّروري استكمال الخطة التي تسعى لدفع ابن سعود لمهاجمة حائل، حيث إنَّ بريطانيا رأت أنَّ تسليحها له قد يغضب الحسين ويؤدِّي إلى اختلال الموازين المحليَّة، ممَّا يؤثِّر سلباً على علاقتها مع حلفائها في شبه الجزيرة العربيَّة، خاصَّة بعد تقرير وزارة الحرب البريطانيَّة التي أشادت بالحسين وبأدائه في أثناء الحرب العالميَّة الأولى، غير أنَّ **بيرسي كوكس** كان لديه وجهة نظر مختلفة، فقد رأى أنَّ وقف المعونة عن ابن سعود، وعدم دعمه في رغبته ضدَّ آل الرِّشيد قد تولَّد لديه ردود فعل عنيفة تؤدِّي إلى القضاء على تحالفه مع بريطانيا، وإلى اختلال السَّلم في شرقي شبه الجزيرة العربيَّة، حيث مؤيِّدو ابن سعود كثر هناك، وأكَّد على ضرورة بقاء حالة الصَّداقة معه^(٢). لذلك، تعهَّدت بريطانيا أن تقدِّم لابن سعود الدَّعم الكافي لحربه ضدَّ ابن الرِّشيد، الأمر الَّذي أزعج الحسين ودفعه للتَّقرب من آل الرِّشيد، وعندما بدأ ابن سعود هجومه على حائل انحاز ابن الرِّشيد بشدَّة إلى الحسين، وقد أظهرت إحدى الوثائق أنَّ التَّقارب بينهما وصل إلى حدِّ توقيع اتفاقيَّة تعاون ضدَّ ابن سعود^(٣)، إلاَّ أنَّ الأمور سارت في النِّهاية عكس رغبة الحسين، فقد انتهت الحرب بين ابن الرِّشيد وابن سعود إلى القضاء على حكم آل الرِّشيد في حائل، وضمها لممتلكاته، ليصبح بعدها ملكاً على نجد وملحقاتها^(٤)، وزعيماً لدولة أكثر قوة تطلعت أنظارها بعد حائل إلى الحجاز. تركت العلاقة السيئة بين الشَّريف حسين وبين عبد العزيز ابن سعود تداعياتٍ مأساويَّةً على حكم الأشراف الهاشميين في شبه الجزيرة

(١) - أرسل بيرسي كوكس إلى ابن سعود جون فيلبي للإسراع في العمل العسكري ضدَّ آل الرِّشيد وتتيقن الجو بين ابن سعود والشَّريف حسين . انظر : ابراهيم ، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧ ، مرجع سابق ، ص ١٩٠ ؛ أيضاً : فاسيلييف ، تاريخ العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ٣٢٠

(٢) - I.O L/P/ & S/18/B. 437 H.M.R.W.S.A.B.G 1800-1834

(٣) - هذه الوثيقة عبارة عن مسودة اتفاقيَّة صاغها ابن الرِّشيد وأرسلها مع شخص يسمى الفتيح إلى الحسين للمصادقة عليها، وقد وضعت هذه الوثيقة في تموز ١٩١٨م عقب الهجوم الَّذي شنَّه ابن سعود على حائل ، ومن بين بنود هذه الاتفاقيَّة أن يقدم الحسين الدَّعم لابن الرِّشيد من خلال مساعدته في الحصول على المؤن والوصول إلى الأسواق مقابل انسحاب ابن الرِّشيد من منطقتي يثمة وخيبر المجاورتين للحسين. للمزيد من المعلومات راجع : كوستنر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ٤٧-٥١

(٤) - درمولين ، فان، ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة ، ترجمة ويسبي آي . سي ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض، ١٩٩٩م ، ص ٧٩-٨٠

العربية بشكل عامّ والحجاز بشكل خاصّ، فقد كان ابن سعود ينتظر الفرصة المناسبة في تطورات الأحداث السياسية ليردّ الصّاع صاعين للأشراف لتاريخهم العدائي تجاههم ولاسيّما الحسين، فهو لم يترك عدواً لابن سعود إلّا ووقف معه، ومن هنا كانت العلاقة بين الشّريف حسين وبين ابن سعود خطأً بيانياً سار عليه ابن سعود في التّعامل مع أبناء الحسين لاحقاً. بعدما كان الصّراع بين الرّجلين بالوكالة عبر ساحات الصّراع الأخرى في شبه الجزيرة العربية انتقل في هذه المرحلة إلى صراع مباشر، واتّخذ طابعاً حدودياً، فبعد البعد السّياسي للنّزاع بينهما أصبح البعد المكاني مسرحاً لنشاطهم العسكريّ، وبدأ النّزاع الهاشمي- السّعوديّ بسبب الخلاف حول تحديد الحدود بين نجد والحجاز، وذلك بعد نزاعهما على واحتّي الخرمة وتربة^(٣)، لا سيما بعد اعتناق أهل الخرمة^(٤) المذهب الوهابي عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧، فأرسل الحسين قولته إليها، إلّا أن خالد استنجد بعبد العزيز ودخل في حمايته، فأرسل له بعض الإخوان^(١)، الذين دمّروا القوات القادمة من مكة بتضافر الجّهود بين خالد وعبد العزيز، الأمر الذي كان الخطوة النهائيّة على طريق التّصادم العسكريّ المباشر لاحقاً.

فبعد هذه الواقعة أخذ الحسين يرسل الحملة تلو الأخرى إلى الخرمة للسيطرة عليها^(٢)، إلّا أن هذه الحملات اصطدمت بالتّعاون الكبير بين ابن سعود وخالد بن لؤي. فبعد معركة تربة^(٣)، وهزيمة الحسين أصبح الطريق

(٣) - تقع هاتين الواحتين على الحدود الحجازية النجدية بالقرب من جبل حضن شرق الطائف ، فالخرمة تبعد خمسين ميلاً منه إلى جهة الشرق ، أما تربة فتقع على مسافة خمس وسبعين ميلاً منه إلى الجنوب، فالخرمة تقع في الشمال على الطريق الذاهية من الطائف إلى الرياض، ومعظم سكانها البالغ عددهم ٣ آلاف من قبيلة سبيع وتربة في الجنوب على الطريق الذاهية من نجد إلى اليمن، حيث تسكنها قبائل البقوم والقبيلتين تعيشان حياة البداوة التقليدية الرعي والسلب، إضافة إلى قبيلة الشلاوة التي كانت منتشرة في جميع أنحاء المنطقة بعضها يعمل بالرعي وبعضها حضري يدير المركز التجاري المحلي، ويشير تقرير بريطاني لأحد الموظفين المحليين البريطانيين أن ثلاثة أرباع قبائل البقوم وسبيع وعتيبة من الوهابيين عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م. للمزيد من المعلومات راجع: كوستنر، مصدر سابق، ص ٥٨ ؛ أيضاً: الريحاني، نجد وملحقاتها، مصدر سابق ، ص ٢٢٤؛ أيضاً: ماضي ، عبد الله ، النهضة الحديثة في جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م ، ص ١٤٥

(٤) - كانت الخرمة تحكم من قبل آل لؤي وهم من الأشراف العبادلة أي من قبيلة الحسين وكان حاكمهم في عهد الحسين خالد بن لؤي سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م . وقد كانت العلاقة بين الرّجلين قوية حتى وقعت حادثة خطيرة أثناء حصار الطائف ، الذي امتد بين آذار ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧ و تشرين الثاني ١٣٣٧هـ/١٩١٨م حيث حصل خلاف بين أمير الخرمة خالد بن لؤي وبين أحد شيوخ قبائل العتيبة أثناء مرافقته لعبد الله بن الحسين، فأهين إهانة شديدة أثارت غضبه وجعلته ينفر من الحسين ويتجه إلى الجانب الآخر المعادي له، لأنّه شعر أن الأمير عبد الله لم يأخذ له حقه كما يجب، فاستغل فرصة الحج للاتصال بمجموعة من النجديين ليعلّمهم أنه يريد تبني مذهب التوحيد الوهابي، وبعد فترة من الزمن طرد خالد القاضي الذي بعثه الشريف، فطلب منه الشريف توضيح تصرفه فرفض، عندها بدأ الحسين ينظر لخالد على أنه عدو له..أنظر:

فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية ، مصدر سابق، ص ٣٢١ ؛ أيضاً : درويش ، تاريخ الدولة السعودية ، مرجع سابق ، ص ٩٣

(١) - هم أشد أتباع آل سعود تعصباً للدعوة السلفية من أهل نجد، وقد اصطفاهم ليكونوا الجند الخاص له واللاعبين الأساسيين في الفتوحات (الحروب) السعودية. أنظر: فاسيلييف، المرجع السابق ، ص ٩٣

(٢) - أرسل الملك حسين شاكر بن زيد على رأس قوة مؤلفة من ١٢٠٠ بدوي و ٥٠٠ من مشاة القوات النظامية للاستيلاء على الخرمة ، وفي بداية عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩ أرسل قوة مؤلفة من ٨ آلاف جندي بقيادة ابنه عبد الله ، ووردت في مصادر أخرى سبعة آلاف والأصح الأولى وفقاً لفاسيلييف ولغالبية المصادر الأخرى، وأرسل حملة في أواخر العام نفسه، وقد تمكنت القوات الهاشمية من دخول تربة ونهبها، إلّا أن الإخوان من الغلظ بقيادة سلطان بن بجاد وقوات من قحطان بقيادة حمود بن عمر إلى جانب خالد بن لؤي من الخرمة، أي حوالي ٤ آلاف جندي تمكنت من السيطرة على معسكر عبد الله ليلاً والفتك بجنوده، ففر عبد الله مع بعض ضباطه إلى مكة. للمزيد من المعلومات حول هزيمة عبد الله والمعركة تفصيلاً راجع: فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٣٢٣-٣٢٥؛ أيضاً: درويش، تاريخ الدولة السعودية، مرجع سابق، ص ٩٤-٩٦

مفتوحاً إلى الطائف، لو أراد عبد العزيز وبريطانيا ذلك، إلا أن بريطانيا المدركة لقوة ابن سعود الناهضة كانت ما تزال ترى في الحسين ضماناً لمصالحها في شبه الجزيرة العربية، فأرسلت إلى ابن سعود كتاباً تحذيراً من المعتمد البريطاني^(٤) تطالبه بالانسحاب من تربة والخرمة، وتركها كأرض غير مملوكة ريثما يتم معالجة هذه القضية لاحقاً^(٥)، وقدمت بريطانيا على لسان ويلسون (Wilson)^(٦) تعهداً بأن تبقى المنطقتان شاغرة ونصحت عبد العزيز بالتخلي عن دعمه لخالد أمير الخرمة، عندها وجد عبد العزيز نفسه مضطراً لقبول الإنذار خاصة أن علاقته ببريطانيا أخذت تتعقد، فالحرب ما تزال دائرة والنزاع الهاشمي-السعودي قد يضر بها، فهددت بريطانيا بقطع المعونة عن عبد العزيز.

لذلك، كان مضطراً للتنازل عن النصر الذي حققه في تربة، وعاد مع قواته المرابطة في تربة إلى نجد، منتظراً ظروفاً أفضل للهجوم على الحجاز، وإنهاء حكم الأسرة الهاشمية فيها. أدرك ابن سعود أن بريطانيا أخذت تتحمل من كثرة مطالب الحسين وعناده وعدم رغبته باقتسام الزعامة في شبه الجزيرة العربية مع أي زعيم آخر، فأصيبت بحالة من الضجر خاصة بعد أن أرضت الهاشميين من خلال تنصيب فيصل على العراق وعبد الله على شرق الأردن، فبعد معاهدة فرساي المتعلقة بالانتداب على البلاد العربية أخذت بريطانيا تظهر استياءها من سياسة الحسين، فقطعت عنه المعونة المالية عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠، وهنا بدأ الحسين يهاجم بريطانيا ويتهمها بدعم ابن سعود الذي وصفه بأنه غير متحضر ولا يريد الصلح^(٧). في هذه الأثناء كان ابن سعود يعد نفسه بهدوء وحكمة لتوجيه الضربة النهائية للشريف حسين، ولا سيما أنه دخل في منازعات حدودية مع الدول التي يحكمها أبناءه، فخشي أن يحاصروه من جميع الجهات، فقرّر استغلال لحظة الخصام البريطاني مع الشريف لتوجيه الضربة القاضية له، وبدأ العمل على تحطيم الهالة التي أحاط الحسين بها نفسه بعد نهاية الثورة، فعقد اجتماعاً في الرياض جمع فيه أهل العلم والرأي، وقرروا كتابة خطاب إلى كل الدول الإسلامية يوضح مساوئ الحسين والأخطاء التي ارتكبها، وفي مقدمتها منع أهل نجد من أداء فريضة الحج، وقد وقع على هذا الخطاب فيصل بن عبد العزيز^(٨)، فالسنتان اللتان أعقبتا معركة تربة كانت كالهدهود الذي يسبق العاصفة، فمن الناحية الدينية الروحية

(٣) - راجع الملحق رقم (١١)

(٤) - جاء في الكتاب أن (حكومة جلالة الملكة تعد كل معاهدة بيننا وبينكم ملغية وتتخذ ما يلزم من التدابير ضد حركاتكم العدائية). أنظر: فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٣٢٤

(٥) - فبريطانيا لم يكن لديها موقفاً واضحاً للنزاع النجدي الحجازي، فوزارة الخارجية البريطانية كانت ما تزال ترى في الحسين الحليف المقرب، في حين كانت حكومة الهند البريطانية تميل إلى جعل عبد العزيز الزعيم الأقوى في الجزيرة وهذا الموقف كان مدعوماً من مكتب البصرة، في حين كان المكتب العربي في القاهرة داعماً للحسين. أنظر: درويش، مرجع سابق، ص ٩٥، أما وجهة نظري فتقول أن بريطانيا طلبت من ابن سعود الانسحاب من منطقتي تربة والخرمة كي لا تربك علاقتها مع الشريف حسين لأنها كانت بصدد الدخول في المفاوضات في مؤتمر الصلح، ولا تريد إرباك علاقاتها السياسية مع بعض الأطراف، لا سيما أن بريطانيا معنية بعدم تقاوم الأوضاع في المنطقة لتسهيل تنفيذ وعد بلفور واتفاقية سايكس بيكو. أنظر: درويش، مرجع سابق، ص ٩٥

(٦) - نائب بيرسي كوكس في العراق ثم خليفته فيها.

(٧) - رداً على ما ألمحت إليه بريطانيا للأمير عبد الله بأن ابن سعود يظهر أن لديه روح المصالحة وميال إلى التمدن. أنظر: الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق، ص ٣٩-٤٠

(٨) - درمولين، ابن سعود، مصدر سابق، ص ٨٦

انتشر المذهب الوهابي، ومن الناحية السياسية خسر الحسين الكثير من أنصاره، بسبب سياسته المتبعة في شبه الجزيرة العربية، ورغبته في الزعامة المنفردة، واعتبار نفسه ملكاً للعرب جميعاً، الأمر الذي كان المجتمع القبلي يرفضه من حيث الشكل والمضمون، فكل قبيلة شيخها التي تنثور له إذا تعرض للإهانة كما حصل مع أمير الخرمة.

ومن الناحية الاقتصادية حصل أيضاً نوع من التّخبط في مملكة الحسين الحجازية، فقد كانت الأوضاع الاقتصادية مضطربة وغير مستقرة لأنّ بريطانيا قطعت الإعانة المالية عن الحسين في شهر شباط ١٣٣٩هـ/١٩٢٠ ولم تعدها إلا في أواخر سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١، ممّا جعله غير قادر على تقديم الإعانات المالية للقبائل التي ساندته، فتشدد في جمع الضرائب من القبائل والمناطق التابعة له، ورفع قيمها على التجار الذين يعتبرون النواة الأساسية للحياة الاقتصادية في الحجاز، ممّا أدّى إلى غضبهم وانهايار أساس هام من أسس سلطته، وفي المقابل كانت الحالة الاقتصادية لدى ابن سعود أكثر استقراراً نظراً للإعانة المالية التي كان يحصل عليها من بريطانيا وانضمام الخرمة إليه، حيث كانت السوق الرئيسية لتجارة أهل نجد، ومن الناحية السياسية أيضاً خسر الحسين الدرع البريطاني الوافي من عبد العزيز بشكل نهائي بعد رفض الحسين توقيع معاهدة فرساي بسبب رفضه تسليم سورية للفرنسيين، وإعلان نفسه ملكاً للعرب وافتتاح السوفييت قنصلية عامة في جدة سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤، عندها خاف البريطانيون أن يصبح الحسين الطامع بالخلافة على العرب بعد الأتراك عائناً في وجه مطامعهم الاستعمارية في شبه الجزيرة العربية، وأن يكون ذلك بداية لخسارتهم السيطرة على ملك الحجاز^(٣).

أما من الناحية النفسية، فقد تركت أخبار الانتصارات المتتالية التي حققها عبد العزيز، ولاسيما انتصاره على القوات الهاشمية في موقعة تربة ١٣٣٨هـ/١٩١٩^(١)، أثراً كبيراً لدى القبائل العربية، التي كانت تتأثر كثيراً بشخصية القائد أو الزعيم، وهذا ما كان يجيده عبد العزيز صاحب الشخصية القوية الجريئة، فقد استطاع اجتذاب العديد من القبائل الموالية للحسين حتى في داخل الحجاز نفسها^(٢).

وفي شرقي الحجاز كانت قبائل عتيبه وحرب^(٣)، قد انتقلت إلى جانب ابن سعود بعد اعتناقها المذهب الوهابي، وفي تقرير أعدّه فرحان بج أحد الأشخاص المشاركين في المناقشات بين الهاشميين والسعوديين سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠ وجد أنّ ثلاثة أرباع الشيوخ في شرقي الحجاز أصبحوا وهابيين، ولم يبق منهم سوى ثلاثة مشايخ غير مؤثرين في قبائلهم موالين للحسين، وفي تقرير آخر عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م ذكر أنّ سكان جدة من الفقراء والطبقة الأحسن حالاً (الوسطى) كانت موالية للوهابيين، وفي ١٣٤١هـ/١٩٢٢م ذكر أنّ أهل المدينة وخيبر كان

(٣) - فاسيلييف ، تاريخ العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ٣٤٠-٣٤١

(١) - Aitchison , Treaties And Engagements , P 189

(٢) - فقد اكتشف الحسين جماعة وهابية في الحجاز موالية لها علاقة بخالد أمير الخرمة وعلى رأسها قاضي القضاة وحامي الكعبة الشريفة وعدد من التجار ومندوب الحجاز في القاهرة، وهو شريف شرف أحد وجهاء الحجاز، وقد أخذت هذه المجموعة تتزايد باضطراد في السنوات التالية : أنظر: كوستنر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ص ٩٩

(٣) - حرب قبيلة أكثرها من العرب العدنانية وليست كلها قريبة من بعضها البعض، وينتشرون في نجد والحجاز، وهم ستة بطون هي: بنو علي، بنو سالم، الفردة ، بنو عمرو، الوهوب، مسروح. للمزيد من المعلومات راجع: حمزة ، قلب جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ص ١٣٩-١٤٣

لهم ميولاً وهابية أيضاً^(٤). لعلّ كلّ هذه التطورات قد مهدت السّاحة أمام ابن سعود لتوجيه الضربة القاضية للهاشميين في الحجاز^(٥).

في هذه الأثناء تدخلت بريطانيا الغارقة في الصراعات القبلية في كل أرجاء شبه الجزيرة العربية، وأعلنت عن عقد مؤتمر في الكويت لحل النزاعات الحدودية كلها، ومناقشة المسائل العالقة. فاستجابت الأطراف المعنية، وعقد الاجتماع الأول في العقير^(٦)، وفشلت محاولتها الأولى في ترطيب الأجواء بين الهاشميين على كل الجبهات وبين ابن سعود، ولاسيما بعد ازدياد حدة التوتّر بينهم بعد ازدياد هجمات الإخوان على الحجاز في بداية عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م^(٧)، ثم دعت لمؤتمر ثانٍ فكان مؤتمر الكويت الثاني الذي انعقدت جلساته بشكل متقطع خلال عامي ١٣٤٢-١٣٤٣هـ/١٩٢٣-١٩٢٤م^(٨)، وفشل تماماً في تسوية الخلافات بسبب عدم حضور وفد الحجاز وإصرار وفد شرق الأردن على ضمّ وادي السرحان والجوف إلى دولتهم وإعادة خيبر وشيما ورتبة وخرمة إلى الحجاز، وحائل إلى آل الرّشيد، الأمر الذي رفضه عبد العزيز رفضاً قاطعاً لعدم واقعيته، فغضبت بريطانيا من الشّريف حسين، الذي استغلّ فرصة إنهاء الأتراك الكماليين الخلافة وإعلان قيام الجمهوريّة التّركيّة لإعلان نفسه خليفة للمسلمين لتعزيز سلطته، بالإضافة إلى غضب مصر^(٩) ومسلمي الهند عليه بسبب سوء معاملته لهم، كلّ هذه التّطورات السياسيّة دفعت السّاسة البريطانيّين إلى رفع اليد البريطانيّة التي كانت تمنع ابن سعود عن الإشراف في الحجاز، فسارع عبد العزيز إلى جمع قادة الإخوان في الرياض في عيد الأضحى، وعرض عليهم فكرة غزو الحجاز، فرحبوا بالأمر الذي انتظروه طويلاً، عندها أعطى عبد العزيز قوّاته الأمر بالتّحرّك تجاه

(٤) - كوستنر ، مصدر سابق ، ص ٩٩

(٥) . فقد خشي أن يتوحد الهاشميون عليه في غفلة من أمره ويحصل شيئاً غير متوقع. لذلك، أطلق عبد العزيز يد المقربين منه لضرب المناطق التابعة للحسين، وعلى رأس هؤلاء أمير الخرمة خالد بن لوي، الذي لطالما انتظر الفرصة المناسبة للإنقضاض على الحسين، حيث هاجم منطقة غامد شرقي الحجاز ثم خيبر، وحقق في المنطقتين نصراً حاسماً فأصبح الطريق إلى المدينة مفتوحاً ولا يحتاج سوى لأمر من عبد العزيز الذي لم يتأخر بعد رفع بريطانيا كل الحواجز السابقة التي وضعتها في طريق التوسع السعودي باتجاه الحجاز. للمزيد راجع : وهبة ، حافظ ، خمسون عاماً في جزيرة العرب ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ٢٥٨-٢٥٩

(٦) - العقير: ميناء في الكويت عقد المؤتمر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٢م لمناقشة الحدود العراقية النجدية ووضع حدود ثابتة بين المنطقتين ومناقشة تبعية قبائل شمر لمن ستكون. كان هذا المؤتمر برئاسة بيرسي كوكس، لكنه فشل في تحقيق الأهداف الموضوعة له، مما أدى إلى عودة الخلافات بين الجانبين. أنظر: درويش ، تاريخ الدولة السعودية ، مرجع سابق ، ص ١٠٢

(٧) - اشترط عبد العزيز أن تكون النقاشات مع كل وفد على حدة، ومنع تدخل الوفود الهاشمية دفعة واحدة .

(٨) - ثم دعت لعقد مؤتمر جديد في الكويت عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣، فالاتفاق الذي تمّ في مؤتمر العقير حول الحدود بين نجد والعراق لم يضع آلية تنفيذية لقرارات المؤتمر حول الحدود، حيث رأت بريطانيا أنّ من الأفضل عقد مؤتمر يضمّ كلّ الأطراف لمناقشة خلافاتها الحدودية دفعة واحدة لا يما بعد تصريح الملك فيصل بن الحسين بأنّه لن يستطيع أن يتّخذ موقفاً سلبياً تجاه هجمات ابن سعود على الحجاز وشرق الأردن، وأنّه قد يضطرّ إلى التّعاون مع الهاشميين ضدّ ابن سعود، ووافقت كلّ الأطراف على المؤتمر. للمزيد من المعلومات حول مؤتمر الكويت راجع: وهبة ، مصدر سابق ، ص ٢٦١-٢٦٣

(٩) - فمصر غضبت بعد أن أمر الحسين في حج ١٣٤٣هـ/١٩٢٤ نزع اسم الملك فؤاد عن كسوة الكعبة الشريفة، مما عدته مصر إهانة إلى شرف مصر ومملكتها. أنظر: تقرير رئاسة مجلس الوزراء المصري ، تقرير عن أعمال إمارة الحج الشريف عام ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤ نقلاً عن: درويش ، مرجع سابق ، ص ١٠٥

الطائف، حيث كان علي بن الحسين قائد الجيوش الهاشمية فيها، وفي الوقت نفسه أرسل ثلاث حملات تموينية إلى شرق الأردن وبغداد، لتشتيت الهاشميين ومنعهم من توحيد قواهم على جبهة الحجاز.

أما القوات الرئيسية فتوجهت عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م إلى الطائف بزعامة سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي^(٣)، فتحقق الانتصار^(٤) بعد معركة سفكت فيها الدماء العربية غزيرة، وعاث المنتصرون في المدينة سلباً ونهباً وقتلاً، حتى اضطر عبد العزيز بن سعود إلى إرسال خطاب لقادة جيشه يحرم فيه سلب الطائف وأهلها، أما علي فانسحب بقواته إلى مكة لإعادة تجميعها، فانضم إليه بعض أهلها والبدو، وتحرك لاستعادة الطائف فلاقاه الجيش السعودي في الهدى على بعد أربع ساعات من الطائف فكانت الهزيمة الثانية لجيشه، فانسحب إلى جدة للتحصن بها، وفي هذه الأثناء توقف الجيش السعودي على أبواب مكة ١٥ يوماً بانتظار أوامر عبد العزيز، في حين كان أشرف مكة وأهل الحجاز والمقربين من الحسين ينصحونه بالتنازل عن الملك لابنه علياً^(١)، لحل المشكلة وإيقاف عبد العزيز عن القتال، وهذا ما كان حيث تنازل الحسين عن العرش لابنه علي في ٤ تشرين الأول ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م^(٢).

عندها أرسل محمد الطويل زعيم الحزب الوطني الحجازي ومدير الجمارك في مكة ومقرّب من الحسين رسالة إلى عبد العزيز دعاه فيها إلى الصلح والتفاوض مع الملك الجديد (علي) لكن ابن سعود أعطى أوامره بدخول مكة عام ١٣٤٣هـ/ ٥ كانون الأول ١٩٢٤، ثم تحرك بعدها بإستراتيجية ذكية تقوم على فرض الحصار على جدة والهجوم التدريجي بدلاً من الهجوم الساق، لأنّ الحجاج الأجانب سيكونون عندها على مرمى من المدافع السعودية، ممّا يخلق له مشكلات هو في غنى عنها مع الدول الأجنبية والإسلامية. وبما أنّ الاشتباكات المنقطعة لم تؤدّ إلى نتيجة بدأت الدول الأجنبية بالتدخل لإنهاء المسألة^(٣)، لكنّ وساطاتها فشلت، وبدأ الشّعور يتسرّب إلى عليّ بأنّه لن يستطيع الدفاع عن جدة مدّة طويلة، فطلب من المعتمد البريطاني فيها السير

(٣) - الجيش السعودي مكون من خمسة عشر لواء (اللواء يتراوح بين ١٠٠ و ٥٠٠ جندي) من ألوية الخرمة وتربة وعتيبة وقحطان وبني تميم والغطغط، حيث تمكن هؤلاء من دخول الطائف بسهولة كبيرة كشفت ضعف القوات الهاشمية وقلة المسؤولية باتخاذ الإجراءات الضرورية للمجابهة. للمزيد من المعلومات راجع: الريحاني، نجد وملحقاتها، مصدر سابق، ص ٢٩٩؛ أيضاً: الخطيب، الإمام العادل، ص ٤٥؛ أيضاً: كوستنر، العربية السعودية، مصدر سابق، ص ١٠٣-١٠٤؛ أيضاً: درويش، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٦.

(٤) - Aitchison, Treaties And Engagements, P 189

(١) - للمزيد من المعلومات راجع: درمولين، ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، مصدر سابق، ص ٨٤-٨٨.

(٢) - تنازل الحسين بسهولة عن الحكم، بسبب الضغط الكبير من الحزب الوطني الحجازي عليه، وبعد التنازل عن الحكم غادر الحسين إلى العقبة، إلا أنه سرعان ما غادرها إلى قبرص بعد نصيحة إنكليزية له خشية أن يقصف ابن سعود الميناء، ثم عاد ليقضي ما تبقى من عمره في شرق الأردن لدى ابنه عبد الله حتى وفاته عام ١٩٣١. للمزيد من المعلومات راجع: نصيف، ماضي الحجاز وحاضره، مصدر سابق، ص ١٢٠-١٣٠؛ أيضاً: كوستنر، العربية السعودية، مصدر سابق ص ١٠٥؛ أيضاً: الخطيب، مصدر سابق، ص ٤٩-٥٩.

(٣) - حيث تدخل ممثلون عن إيران وهولندا ومصر والسوفييت، إلا أن جهودهم باءت بالفشل بسبب رفض ابن سعود القاطع لبقاء الحسين أو أي ولد من أولاده على عرشه في الحجاز، وحتى الحزب الوطني رد عليه ابن سعود موضحاً لهم الأمر عينه، وأن من يؤيد بقاءهم يؤيده على مسؤوليته الشخصية. أنظر: كوستنر، مصدر سابق، ص ١٠٦.

تشارلز غوردون^(٤) تنظيم مسألة تنازل علي عن الحكم والشروط المطلوبة لتحقيق ذلك^(٥). وبعد القيام باللازم تنازل الأخير عن الحكم في ٢٢ كانون الأول ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م^(٦).

وهكذا انتهت هذه المرحلة التاريخية المهمة من تاريخ الحجاز بانتهاء الحكم الهاشمي وقيام الحكم السعودي، بعد مجابهة عسكرية استمرت زمناً طويلاً عاشتها شبه الجزيرة العربية بكاملها، وتميّزت بالفوضى والصراعات القبلية وسفك دماء الإخوة، وفيها انهارت دول عديدة وقامت على أنقاضها مملكة قوية مترامية الأطراف عرفت كيف تستغل الفرص، لتفرض نفسها على محيطها في منطقة شبه الجزيرة العربية.

(٤) - للاطلاع على المكاتبات بين وكيل القنصل البريطاني في جدة وبين عبد العزيز راجع: أم القرى ، عن جمادى الثاني ١٣٤٤هـ- ٢٧ كانون الأول ١٩٢٥م

(٥) - أن يسلم كل الضباط والجنود أسلحتهم، ويعفو عبد العزيز عن كل الأشخاص الواردة أسماؤهم في نص التسليم (لا مجال لذكرهم في هذا البحث)، خروج علي بعد التوقيع على نص التسليم مباشرة، السماح لعلي بأخذ كل متاعه الشخصية وممتلكاته الخاصة... للمزيد من المعلومات حول المفاوضات بين علي والحزب الحجازي من جهة، وعبد العزيز من جهة أخرى. راجع: نصيف ، ماضي الحجاز وحاضره ، مصدر سابق ، ص ٢٠٣-٢٠٦ ؛ أيضاً: الخطيب ، الإمام العادل ، مصدر سابق ، ص ٧٣-٧٨

(٦) - درويش ، تاريخ الدولة السعودية ، مرجع سابق ، ص ١١٠

ثانياً: نشوء إمارة شرقي الأردن وبداية النزاع الحدودي مع السعودية عام ١٩٢١:

وجدت بريطانيا في العقد الثاني من القرن العشرين أنّ الهاشميين هم الأسرة الأكثر شعبية لدى الشعب العربي آنذاك لاسيّما لدى أهل العراق والشّام، فقرّرت الاستفادة من تلك الشعبية من خلال تعيينهم في مناطق تحتاجهم فيها، لتهدئة أحوالها وضمان مصالحها، فعينت الأمير فيصل على العراق، وعبد الله على إمارة شرقي الأردن، وأرادت كذلك أن تطيب خاطر الهاشميين خلفاءها المقربين، الذين قدّموا الكثير من التّضحيات في أثناء الحرب العالمية الأولى، حين قادوا الثّورة العربيّة الكبرى ضدّ العثمانيين أبناء دينهم وأعدائهم في الوقت نفسه، على أن تكون نهاية الحرب بناء مملكة عربيّة حديثة قويّة يترعّمها قائد الثّورة الشّريف حسين والد فيصل وعبد الله، إلا أنّ بريطانيا وفرنسا خذلنا الهاشميين ومن خلفهم العرب، وتقاسمت أراضيهم كحصص تصرفوا بها كأنّها ملك ورثوه عن أجدادهم، ولتعويض الهاشميين عن الخلافة قدّموا لهم عروشاً في دول منفصلة ومنها موضوع بحثنا هنا إمارة شرقي الأردن، التي لزمّتها بريطانيا للأمير النّائر لأخيه فيصل بعد طرد الفرنسيين له من سورية، فعوّضت بريطانيا عبد الله بإمارة شرقي الأردن، مقابل عدم إثارة المشكلات لفرنسا وعوّضت على أخيه فيصل بعرش العراق، لتهدئة الأحوال فيها بعد ثورة ١٣٤٠هـ/١٩٢٠.

١- شرقي الأردن قبل نشوء الإمارة:

لم تكن الأردن بتسميتها الحاليّة منذ التّاريخ القديم دولة مستقلّة، فمنذ القدم كانت جزءاً لا يتجزأ من بلاد الشّام من كلّ النّواحي، فإن تعرّضت بلاد الشّام للغزو كانت الأردن جزءاً من هذا الغزو^(١)، وإذا أكلت إدارة بلاد الشّام إلى رجل ما كان الأردن جزءاً من نفوذه، والأمر ينطبق على شرقي الأردن منذ الغزو المغولي لبلاد الشّام ومكافحة الغزو الصّليبي طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، حيث خضعت لحكم الأيوبيين وبعدها لحكم المماليك منذ أواسط القرن الثالث عشر حتّى قدوم الدّولة العثمانيّة إلى المنطقة العربيّة عام (١٢٥٠هـ- ١٥١٦)^(٢)، وكانت المناطق التي تتألّف منها إمارة شرقي الأردن في وقتنا الحالي مقسّمة بين نيابتي دمشق والكرك^(٣). فنيابة الشّام كانت تتألّف من عدد من الصّفقات إلى جانب حاضرتها، أمّا نيابة الكرك، فامتدت من

(١)-منذ القديم تعرض الأردن لنفس الغزاة الذين تعرضت لهم سورية، فمن الصراع العربي مع الروم أيام الفتوحات، حتى الحرب الصليبية، ثم الحمل الفرنسية على سورية ١٧٩٩... كان الأردن بوصفه جزء من سورية تقاتل إلى جانب أبناء المنطقة، ويتقاسم معهم الأفراح والأفراح. للمزيد من المعلومات حول هذه الغزوات وأحداثها راجع: الخطباء، فوزي، الطفيلة الإنسان والتاريخ، دار الفحاء، عمان، ١٩٨٥، ص ١٨-١٩؛ أيضاً: كرد علي، محمد، خطط الشام، ج ٣، دمشق، ١٣٤٢هـ/١٩٢٥، ص ١٤؛ أيضاً: شقيرات، أحمد صدقي، تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن، عمان، ١٩٩٢، ص ٢٥.

(٢)- حيث أرسل السلطان سليم الأول جيشه في ١٧ رمضان ٩٢٢ هـ/ ١٩ تشرين أول ١٥١٦ لإخضاع الزعيم البدوي محمد بن سعيد الغزاوي في جبال عجلون، فأخضعت المنطقة وتشكل لواء عجلون. للمزيد من المعلومات راجع: شقيرات، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣)- وهي الصّفقة الغربيّة والصّفقة القبليّة وهي تشمل جزء من أراضي الأردن حالياً، حيث ضمّت حوران والغور والصّفقة الشّرقيّة والصّفقة الشّمالية. للمزيد من المعلومات حول التقسيمات الإدارية المملوكية راجع: ابن كنان، محمد بن عيسى، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت إسماعيل، الجزء الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط ١، ١٩٩٢، ص ١٧-١٢٣؛ أيضاً: القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تعليق محمد حسني شمس الدين، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٧-٢٠٦.

العقبة إلى بحيرة طبرية شمالاً ومن البلقاء شرقاً إلى سيناء غرباً وتشمل برّها -الشوبك -زغر^(١) مدينة قديمة متّصلة بالبادية-معان^(٢).

أمّا في عهد الدّولة العثمانية فقد اعتمدت في نظامها الإداري على تقسيم المناطق التّابعة لها إلى عدة وحدات إدارية رئيسية "إيالات"^(٣)، وقد انطبق هذا التقسيم الإداري على بلاد الشام التي انقسمت إلى إيلتين هما: دمشق وحلب، ثم أضيف لها بعد ثورة جانبردي الغزالي^(٤) وفخر الدين المعني الثاني (أمير الشوف في لبنان) إيلتي طرابلس وصيدا، وقد ضمّت ولاية دمشق عدداً من الألوية من بينها لواء عجلون ولواء الكرك^(٥).

بدأت الدّولة العثمانية تهتم بشرقي الأردن في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر^(٦)، وفي عام ١٨٩٢/١٣١٠ هـ تمّ تشكيل لواء الكرك ضمن سياسة الدّولة العثمانية تقويّة سلطتها في المناطق

(١)-للاطلاع على المعلومات عن هذه المناطق راجع: الحموي، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج٣، ص٣٧٠؛ أيضاً: الرواشدة، محمد اسماعيل، الشوبك الأرض والإنسان، د.ن، عمان، ٢٠٠٢، ص٢٤-٣٦؛ أيضاً: المقدسي، أحسن التقاسيم ، مصدر سابق ، ص١٥١؛ أيضاً: الأندلسي، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، معجم من استعجم من أسماء البلاد والمواقع، مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥/١٣٦٤ هـ، ج٢، ص٢٩٩

(٢)- كانت السياسة الإدارية في عهد المماليك تعتمد على تقسيم بلاد الشام إلى ست وحدات إدارية تسمى النيابات وهي (دمشق -حلب-حمّاه-صفد -طرابلس-الكرك) و تقسم بدورها إلى عدد من الوحدات الإدارية الأصغر منها (الحاضرة ، أعمال ، نواحي) وكل نيابة منها تتمتع بالاستقلال الداخلي. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق ، ص ١٨٦

(٣)- أصبحت الإيالة تشكل الوحدة الإدارية الرئيسية في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان مراد الأول (١٣٦٢-١٣٨٩). وذلك، على إثر توسع الدولة العثمانية في البلقان، حيث قسمت الدولة إلى إيلتين الروملي والأناضولي، وتتألف كل إيالة من عدد من المقاطعات العسكرية وحاكم الإيالة يحمل لقب الباشا، وظلت التسمية (الإيالة) مستخدمة حتى صدور قانون تشكيل الولايات العثماني في العام ١٨٦٤ عندما استخدمت كلمة الولاية بدلاً من الإيالة . أنظر: الصباغ ، ليلى ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، منشورات جامعة دمشق ، ط٣، ص١٢٤

(٤)- هو أحد القادة المماليك الذين انحازوا إلى جانب العثمانيين في معركة مرج دابق وخان المماليك ، فكافأه السلطان سليم الأول بتعيينه والياً على إيالة الشام ١٥١٦ . أنظر: ابن إياس، محمد بن أحمد ، بدائع الزهور ووقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى ، ج٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٤، ص٢٠٨

(٥)-ضم لواء عجلون نواحي عجلون والسلط وعلان والكرك وطوائف طوائف عربان عجلون ثم أضيفت له نواحي الغور والشوبك ووادي موسى وجبل حميدة والكورة، أما لواء الكرك فقد اعتبر لواء منذ منتصف القرن السادس عشر (١٥٦٨-١٥٧٤)، فكان يضم كرك غور والشوبك ووادي موسى وجبل حميدة، وهنا لابد من ذكر حقيقة هامة كانت تحصل في العهد العثماني ألا وهي كثرة التغيرات في تبعية النواحي للألوية ، وذلك إما لتسهيل جمع الضرائب أو لتسهيل السيطرة عليها وللمزيد من المعلومات حول هذين اللوائين للمزيد راجع : بيات ، فاضل مهدي ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي ، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ ، ص١٧٤-١٧٥؛ أيضاً: البخيت محمد عدنان ، قانون نامة لواء عجلون ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٩ ، ص١٠-١٤

(٦)- ففي العام ١٨٥١/١٢٦٨ هـ جعلت من المنطقة بين نهري اليرموك والزرقاء قضاء مركزه إربد وعيّنت له قائمقام ، يتبع لواء حوران. والمنطقة الواقعة بين نهر الزرقاء والموجب قضاء آخر مركزه السلط ويتبع متصرفية نابلس من ولاية سورية. فأرسلت حملة عسكرية بقيادة محمد رؤوف باشا والي سورية للسيطرة على الكرك ومعان. وقد استطاعت الدّولة إدخال مظاهر الإدارة العثمانية إلى معان، ويكون القائمقام على رأس إدارة القضاء ومرجعه المتصرف الذي يكون على رأس الجهاز الإداري في اللواء، ويعين القائمقام من قبل الحكومة المركزية في الأستانة، وتتخلص مسؤوليته في الإشراف على الدوائر المالية والمدنية والأمنية والقضائية، وله الحق في ترشيح مديري النواحي التابعة لقضائه، ويتولى إدارة مجلس القضاء وعليه تحديد مواعيد انعقاد مجالس إدارة النواحي، وتنفيذ القرارات التي تتخذها تلك المجالس . للمزيد من المعلومات راجع: الدستور ، الجزء الأول ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٣٠١ هـ ، ص٣٨٩ ؛ أيضاً: محافظة ، علي ، تاريخ الأردن المعاصر عهد الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦ ، مركز الكتب الأردن الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ ، ص٨

الجنوبية(معان)^(١)، التي كانت مركز اللواء (معان نام ديكري كرك) أي لواء معان مركز الكرك^(٢)، وظلت معان تحمل هذا الاسم حتى عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨، حيث ورد في سالنامة الدولة العثمانية من ذلك العام اسم لواء الكرك^(٣).

وبعد الانقلاب العثماني عام ١٣٢٦/١٩٠٨ وتولي الاتحاديين للسلطة، بقيت التقسيمات الإدارية في شرقي الأردن كما هي وهو ما يظهر في سالنامة الدولة العثمانية لعام ١٣٢٨هـ/١٩١٢^(٤).

ولابد لنا هنا من أن نوضح أن منطقة شرقي الأردن ظلت حتى دخول الأمير عبد الله بن الحسين إليها منطقة غير واضحة المعالم وغير محددة بشكل نهائي، وقد ورد ذكر لواء الكرك في مراسلات الحسين مكماهون عامي ١٣٣٤-١٣٣٥هـ/١٩١٥-١٩١٦ ضمن الأقاليم التي طالب بها الحسين، إلا أن بريطانيا نظراً لأهمية المنطقة على الطريق البري بين قناة السويس والخليج العربي حرصت على أن تبقى تحت سيطرتها الكاملة، لحماية طريق مواصلاتها إلى الهند. من هنا كانت رغبتها أن تكون المنطقة الواقعة شرق نهر الأردن ضمن منطقة نفوذها في اتفاقية سايكس بيكو عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦^(٥). وقد ازدادت أهمية شرق الأردن بعد مد الخط الحديدي الحجازي عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨، حيث أصبح يقطع البلاد من الشمال إلى الجنوب بما يزيد عن ٤٠٠ كيلو متر^(٦).

وحقيقة الأمر أن العلاقة بين الدولة العثمانية وهذه المنطقة كانت علاقة مصلحة، مصلحة الدولة وليس المواطنين. لذلك، كانت اهتماماتها محصورة بالحجاج، ولم تتعداها للعناية بالأهالي الذين كانوا يعانون من كثرة غزوات البدو وأعمال النهب والسلب، فدفع الخاوة^(١) كان أمراً طبيعياً في تلك المرحلة.

(١)- شكل قضاء معان سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠ ضمن لواء البلقاء، وشمل هذا اللواء الأراضي الممتدة من وادي الحسا شمالاً حتى وادي السرحان جنوباً، حيث امتد قضاء معان من قضاء الطفيلة شمالاً إلى وادي السرحان جنوباً ومن البادية شرقاً إلى وادي عربة غرباً، وفي العام ١٢٩١هـ/١٨٧٤ فصل قضاء معان عن لواء البلقاء وألحق بلواء الشام وفي عام ١٢٩٨هـ/١٨٧٩ ألحق القضاء بمتصرفية القدس ثم أعيد إلى لواء البلقاء عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠ واستمر على ذلك حتى عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢ عندما تحول القضاء إلى لواء: للمزيد من المعلومات حول القضاء ونواحيه وتوزع قراه راجع: سالنامة ولاية سورية، ١٣١٢-١٣١٣هـ، ص ٢٢٧-٢٢٤؛ أيضاً: سالنامة الدولة العثمانية للعام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩

(٢)- سالنامة الدولة العثمانية لسنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧

(٣)- سالنامة الدولة العثمانية ١٣١٦هـ/١٨٩٨

(٤)- فقد كان الوضع الإداري في شرق الأردن على النحو التالي: لواء حوران ويضم: ناحية الرمثا، قضاء عجلون ويضم ناحية كفرنجة والكورة، لواء الكرك ويضم: الكرك مركز اللواء - ناحية العراق - ناحية ذبيان - ناحية خنزيرة، قضاء السلط ويضم: ناحية ثمد مادبا وجيزة وعمان، قضاء معان ويضم: وادي موسى والشوبك وتبوك من الأراضي السعودية. العقبة تابع ولاية الحجاز. للمزيد راجع: شقيرات، تاريخ الإدارة العثمانية، مرجع سابق، ص ٦٠

(٥)- الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق، ص ٦١-٦٣

(٦)- غرايبة، عبد الكريم، سورية في القرن التاسع عشر، معهد الدراسات الغربية العالمية، د.م، ١٩٦٢، ص ٧٩-٨٠

(١)- ضريبة ابتزازية كان يفرضها قطاع الطرق من البدو على شكل أنسجة أو حبوب أو نقود، إذا توافرت على أهل القرى وعابري الطريق مقابل أمنهم والحفاظ على حياتهم والسماح لهم بزراعة أراضيهم. للمزيد من المعلومات راجع: الماضي والموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٣

كان الإهمال العثماني لتلك المنطقة حافزاً لأبنائها ليكونوا أنصاراً للثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦، فما إن انطلقت طلائع الثوار باتجاه دمشق وانطلق النداء إلى الأهالي بالانضمام إلى الثورة، حتى لبى أبناء قبيلة الحويطات^(٢) بزعامة شيخهم عودة أبو تايه النداء، فكانوا من أوائل الأردنيين المنضمين إلى الثورة، ثم ما لبث أن انضمت غالبية القبائل الأردنية إلى جيش الأمير فيصل، حيث أسهم الشيخ عودة والشريف ناصر بن علي في قطع مواصلات الدولة العثمانية عبر العقبة وإتلاف شبكة الاتصالات الهاتفية لهم، فمهدت الطريق للجيش العربي بقيادة الأمير فيصل للسيطرة على العقبة عام ١٣٣٦هـ/٦ تموز ١٩١٧^(٣)، وكذلك حاربت القبائل العربية في معان والمناطق المجاورة لها القوات العثمانية، لتتغلغلها عن القوات البريطانية المتقدمة في جنوب فلسطين تجاه القدس للسيطرة عليها وقد تم ذلك عام ١٣٣٦هـ/تشرين الأول ١٩١٧، واستمرت مساعدات أهالي شرقي الأردن لجيش الثورة العربية الكبرى بشكل فعال ومؤثر، مما أسهم في إجبار القوات التركية على مغادرة سورية بكاملها، حيث تمكنت القوات العربية بقيادة الأمير فيصل من دخول دمشق في عام ١٣٣٧هـ الموافق ١ تشرين الأول ١٩١٨^(٤).

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ظنّ العرب جميعاً أنّ الدولة العربية المستقلة الجامعة للعرب أصبحت قريبة المنال، حيث إنّ الشريف حسين أعلن نفسه ملكاً على العرب، أمّا فيصل، فأخذ ينظّم شؤون بلاد الشام ومن ضمنها شرق الأردن ظاناً أنّ الأمور قد آلت إليه فيها، فبدأ يعيّن أشخاصاً يمثلون الإدارة العسكرية، فعين علي رضا الركابي رئيساً لأوّل حكومة في دمشق شملت صلاحياتها سورية الطبيعية، وقسمت منطقة شرقي الأردن إدارياً إلى ثلاثة ألوية: لواء الكرك، لواء حوران، لواء البلقاء^(٥)، إلّا أنّ الأمور سرعان ما أخذت تتكشف وبدأ زيف الوعود البريطانية يطلّ برأسه، فالاتفاقات السرية بين فرنسا وبريطانيا^(٦) على اقتسام البلاد العربية

(٢) تقع منازل الحويطات بين تيماء جنوباً والكرك شمالاً ووادي السرحان والنفوذ الكبير شرقاً وساحل خليج العقبة وشبه جزيرة سيناء غرباً ، ويدعي الحويطات أنهم من الأشراف ولكن هذا غير ثابت ، وبعضهم يقول أنهم من بقايا الأنباط .للمزيد من المعلومات راجع : حمزة ، قلب جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ١٤٤-١٤٥

(٣) حيث تمكنت القوات العربية من أسر الحامية التركية وهي مؤلفة من ٧٢٠ جندي و ٣٠ ضابط وبلغت خسارة الترك في معان والعقبة حوالي ٦٠٠ قتيل .

(٤) للمزيد من المعلومات حول المعارك التي دارت في العقبة ومعان ووادي موسى والطفيلة وصولاً إلى دخول الأمير فيصل إلى دمشق راجع : سعيد ، أمين محمد ، الثورة العربية الكبرى . تاريخ مفصل جامع للقضية العربية خلال ربع قرن ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ص ٢١٩-٢٥٠

(٥) لواء الكرك ومركزه بلدة الكرك وتتبعه أقضية الطفيلة ومعان والعقبة ونواحي الشوبك، لواء البلقاء ومركزه السلط وتتبعه قضاء الجيزة وعمان وناحية مادبا، لواء حوران ومركزه درع(وهي بلد تجاوره أرض البلقاء وعمان)، وتتبعه أقضية ازرع والمسمية وبصرى الشام وعجلون وجرش .أنظر :الماضي والموسى ، تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ٨٦-٩٦ ؛ للمزيد من المعلومات حول درعا راجع : مقداد ، خليل، درعا مدينة الديكابول ، دار عكرمة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٨، ص ٥٧-٥٨

(٦) للمزيد من المعلومات حول الاتفاقات السرية راجع :الموسى ، سليمان ، دراسات في تاريخ الأردن الحديث ،وزارة الثقافة ، الأردن ، عمان ، ١٩٩٩، ص ١٢٤-١٢٨

كشفت أخيراً عن نفسها، عندما بدأت التصريحات الاستعمارية بالصدور بشكل تدريجي^(٢)، فعبّرت كل من فرنسا وبريطانيا عن مطامعهم في الأراضي العربية، رغم توصيات اللجنة الدولية (كينغ كراين)^(٣)، أكدت على رفض الشعب السوري الانتدابين البريطاني والفرنسي، وطالبوا بالحفاظ على وحدة سورية الطبيعية، لكن الحكومتين الفرنسية والبريطانية رفضتا تقرير اللجنة، وعقدتا اجتماعاً وصل إلى مجموعة من القرارات، كان منها وضع شرقي الأردن تحت الانتداب البريطاني^(٤). عندها انهارت المملكة السورية الحديثة الولادة عام ١٣٣٨ هـ الموافق ٢٠ تموز ١٩٢٠، وانسحبت القوات البريطانية من الأراضي السورية، فانقسمت منطقة شرقي الأردن إلى عدة دويلات صغيرة^(٥) منعاً لانتشار الفوضى بعد غياب الإدارة الرسمية عن المنطقة، ولأقلى ذلك تشجيع الإدارة

(٢) - للاطلاع على المزيد من المعلومات حول الوعود الاستعمارية للشريف ، وما هي الظروف التي أحاطت بالعرب عشية انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وكيفية ظهور التراجع الاستعماري عن الوعود ومطامع بريطانيا وفرنسا : راجع ، سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، مرجع سابق ، ص ١٢٨-١٣٨ ، ٢٩٤-٣٠٩

(٣) - وهي لجنة قرر المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩١٩/٣/٢٥ إرسالها لتقصي رغبة أهالي سوريا والعراق وفلسطين وموقفهم من اتفاقية سايكس بيكو ، وذلك بعد توسط الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون ، إلا أن بريطانيا وفرنسا رفضتا الاشتراك بها فقرر الرئيس ويلسون إرسال لجنة أمريكية مؤلفة من H.G.King و C.R..Crane ، وقررت اللجنة عدة مقررات منها : الحفاظ على وحدة بلاد الشام ، و تعيين فيصل ملكاً على الدولة السورية : للمزيد من المعلومات راجع : محافظة ، تاريخ الأردن ، مرجع سابق ، ص ١١-١٣

(٤) - كان الاجتماع في ١٥ أيلول ١٩١٩ وتقرر فيه ضم الموصل إلى العراق ووضعها تحت الانتداب الإنكليزي، ووضع فلسطين وشرقي الأردن تحت الانتداب الإنكليزي أيضاً. وأما بالنسبة لفرنسا فتقوم بالسيطرة على الساحل السوري وكيليكيا، في حين تحل القوات العربية محل القوات الإنكليزية المنسحبة من سوريا ومن كيليكيا ، في هذه الأثناء كان المؤتمر السوري قد اجتمع في دمشق ١٩١٩/٧/٢ (وهو مؤتمر شمل ممثلين عن كل مناطق سورية الطبيعية) ورفض المؤتمر مزاعم الصهيونية في فلسطين، وأكد على استقلال سورية الطبيعية ، وقد عقد المؤتمر اجتماعاً آخر في ٨ آذار ١٩٢٠ قرر فيه استقلال سورية ومبايعة فيصل ملكاً عليها في هذا الوقت أيضاً اجتمع العراقيون وطالبوا بالأمير عبد الله بن الحسين ملكاً على العراق ، وبموجب هذا القرار أصدر الأمير فيصل مرسوم تعيين على رضا الركابي رئيساً لأول حكومة سورية مدنية، إلا أن هذه القرارات كانت غير قابلة للتنفيذ لأن الإنكليز والفرنسيين رفضوها علناً وعقد المجلس الأعلى لعصبة الأمم المتحدة اجتماعاً في مدينة سان ريمو في إيطاليا بين ١٨-٢٦ نيسان ١٩٢٠ ، وقرر في جلسته وضع البلاد العربية الواقعة ضمن المستطيل الممتد من شاطئ البحر المتوسط إلى الحدود الإيرانية تحت الانتداب وتجزئة البلاد إلى ثلاث كيانات مستقلة هي فلسطين ولبنان وبقية البلاد، وأقر الاجتماع الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان والإنكليزي على فلسطين مع الالتزام بوعده بلفور. أنظر : المرجع السابق ، ص ١٤

(٥) - بعد انفصال شرق الأردن عن سورية تشكلت مجموعة من الدول الصغيرة وهي: إربد برئاسة القائمقام علي خلقي الشرايري ثم شكل المعتمد البريطاني في فلسطين هيربرت صموئيل (هو أحد أقطاب الحركة الصهيونية العالمية) حكومات محلية في إربد هي: حكومة دير يوسف حكومة عجلون -حكومة الوسطية -حكومة الرمثا -حكومة جرش، وكذلك الأمر تأسست في الكرك حكومة محلية (حكومة مؤاب) تحت إشراف الميجر كليفتنك Klinfik وحل محله فيما بعد اليك كير كبرايد (أصبح فيما بعد معتمدا بريطانيا في عمان)، وقد وافقت بريطانيا على كل هذه الإجراءات الإدارية، وقد تم الاتفاق عليها بعد الاجتماع الذي حصل بين المندوب السامي البريطاني في فلسطين وبين زعماء العشائر في شرقي الأردن في منطقة السلط، وبعد الاجتماع عين عدد من الضباط الإنكليز لتشكيل الإدارة في شرق الأردن وهم: الميجر سومرست Sommerset والكابتن برنتون Brunton والكابتن بيك Peak والميجر اليك كير كبرايد Kirkbride والميجر كامب Camp وعندما توجه سومرست لتولي مهمته لاقاه الأهالي عند قرية أم قيس، وطلبوا منه عدداً من الطلبات منها : تشكيل حكومة عربية في البلاد يرأسها أمير عربي -استقلال الحكومة العربية في شرق الأردن عن فلسطين -منع الهجرة اليهودية إلى البلاد وبيع الأراضي لليهود -انضمام شرق الأردن إلى سوريا عندما تتحقق الوحدة السورية... للمزيد من المعلومات حول هذه المطالب والتطورات السياسية في شرق الأردن حتى تشكل إمارة شرق الأردن. راجع: بيك، فريدريك، تاريخ شرق الأردن وقبائلها، تعريب بهاء الدين طوفان، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، ١٩٣٤، ص ٢٠٢؛ أيضاً: محافظة، تاريخ الأردن، مرجع سابق، ص ١٦-١٨؛ أيضاً: عبيدات ، الأردن في التاريخ ، مرجع سابق ، ص ١٨٥-٢٢٤

البريطانية. فلم تكن بريطانيا قد اتخذت قراراً بشأن شرق الأردن، خاصة أن اجتماع القاهرة برئاسة ونستون تشرشل عام ١٣٤٠هـ/كانون الثاني ١٩٢١ لم يكن قد وجد بعد الطرق الأنسب والأخفّ لكلفة لإدارة المنطقة، التي وضعت تحت الانتداب البريطاني (العراق - فلسطين - شرق الأردن). وفي وقت سابق كان الأمير عبد الله بن الحسين قد وصل إلى معان في ١٣٣٩هـ الموافق ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٠ على خلفية طرد الفرنسيين لأخيه الأمير فيصل من سورية، حيث قرّر استعادة سورية بقوة السلاح، وشجّعه على ذلك شيوخ القبائل الذين طلبوا في وقت سابق من الشريف حسين إرسال حملة إلى الشّام بقيادة أحد أبنائه لتخليصها من الفرنسيين، وهذا ما كان حيث توجّه الأمير عبد الله إلى معان، وأخذ يجمع حوله أهل المنطقة ويتّصل بأعيان الشّام وناشد الجنود والضّباط في الجيش العربيّ للالتحاق به في معان، ممّا أثار مخاوف الفرنسيين، فبادروا إلى الاتّصال ببريطانيا التي كانت تبارك تحركات عبد الله، لحلّ المشكلة، فكانت هذه الحادثة بداية تاريخ جديد لمنطقة شرقي الأردن.

٢- وصول الأمير عبد الله إلى شرقي الأردن وتأسيس الإمارة عام ١٩٢١ :

الاحتلال الفرنسي وخروج فيصل من سورية خائب الظن بعد نكران العهود المقطوعة للشريف حسين تركا أثراً واضحاً على مجريات الأحداث في المنطقة العربيّة عموماً وعلى شرق الأردن خصوصاً، فتلك المنطقة شهدت في هذه المرحلة عمليّة تحوّلها من عدّة دويلات صغيرة تابعة لهذه المنطقة أو تلك، إلى دولة موحدة تحت حكم هاشمي مثله الأمير عبد الله، فبعد وصول الأمير إلى معان تجمع حوله زعماء عشائر المنطقة ومعظم الضّباط والجنود، الذين قاتلوا في صفوف الجيش العربي، وأصبح عبد الله حالة لا يمكن تجاوزها من قبل الفرنسيين والبريطانيين، فأعلانه رفع راية الجهاد ضدّ الفرنسيين ومناداته بالتأّر لأخيه فيصل، وإصداره منشوراً يدعو النّاس للتّجمع حوله بصفته نائباً لملك سورية^(١)، أجبر المندوب السّامي في فلسطين أن يرسل إلى المؤتمر المنعقد في القاهرة بزعامة وينستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني(١٣٣٩-١٣٤١هـ/٩٢٠-١٩٢٢) وبحضور لورنس أحد قادة الجيش البريطاني في فلسطين ومستشار تشرشل للشؤون العربيّة، ليعلمهم أنّ الأمير عبد الله قادر على التّخلّص من كلّ الحكومات الموجودة في شرقي الأردن، وأنّ معاداة بريطانيا له قد تؤدّي إلى إفشال السّياسة البريطانيّة في المنطقة، وأنّه من الأفضل احتلال شرقي الأردن ودعم عبد الله، وهذا الموقف كان بداية التّفكير بتعيين عبد الله أميراً على شرقي الأردن، خاصة أن لورنس وتشرشل أيدا ذلك، فاقترح تشرشل تغيير صكّ الانتداب على فلسطين بحيث يستثني شرقي الأردن من أحكام وعد بلفور، فوافقت الوزارة البريطانيّة على الاقتراح^(٢)، وبدأت بريطانيا تفكّر بضرورة السّيطرة على شرقي الأردن بحكومة مركزيّة قويّة لها مهابتها بين الأهالي تساعد بريطانيا في تثبيت نفوذها في المنطقة، ولعلّ من أهمّ العوامل التي دفعت بريطانيا إلى هذا التّفكير أنّ منطقة شرقي الأردن تحوّلت إلى نقطة تجمّع للقوّات المعادية لفرنسا في سورية، وحصول نوع من التّعاون بين قادة الثّورة السّورية، وحكومة إربد بقيادة علي خلكي الشّرايري، وانتشرت الشّائعات عن رضى بريطانيا عنها. لذلك، علّقت بريطانيا مناشير في الكرك وعمان تنفي ذلك الكلام خوفاً من ازدياد الاعتداءات

(١)- الحسين ، مذكراتي ، مصدر سابق ، ص ١٧٦-١٧٨

(٢)- الموسى ، سليمان ، تأسيس الإمارة الأردنيّة (١٩٢١-١٩٢٥) ، المطبعة الأردنيّة ، الطبعة الأولى ، عمان ، ١٩٧١ ، ص ٩٦-١٠٣

على فرنسا ممّا يشير قلق البلدين^(٢)، وأيضاً لضمان الأمن في فلسطين، وتنفيذ الخطط المتفق عليها، وتسهيل فتح سكة حديد الحجاز وإعادة طريق الحج إلى مكة^(٣)، ولا سيما أن هذه الفترة شهدت اندلاع الثورة العراقية. لذلك، كان لا بد أن تنظم بريطانيا شؤون المنطقة بأقصى سرعة، فوجّه اللورد جورج كيرزون (Curson) وزير الخارجية البريطانية ١٣١٧-١٣٢٣هـ/١٨٩٩-١٩٠٥م دعوة إلى الأمير فيصل لزيارة لندن للتباحث في شؤون المنطقة، فتوجه فيصل إلى لندن والتقى تشرشل وزير المستعمرات البريطاني، وأتفق على إعطاء عرب العراق وشرقي الأردن حق إدارة شؤون أنفسهم بأنفسهم، على أن يعيّن فيصل ملكاً على عرش العراق وعبد الله على عرش شرقي الأردن^(٤).

بعدها توجه الأمير عبد الله إلى عمان، حيث المعتمد البريطاني كير كبريد، الذي كان يسيطر على المنطقة الأردنية، بعد تلقيه رسالة من والده يدعو فيه للتوجه إلى القدس ومقابلة تشرشل فيها، فتوجّه إلى القدس في ٢٦ آذار بعد دعوة هربرت صموئيل المندوب البريطاني السامي في فلسطين (١٣٣٩-١٣٤٥هـ/١٩٢٠-١٩٢٥) له أيضاً. رافق الأمير الكولونيل لورنس والمارشال سالوموند، وفي أثناء الطريق شرح لورنس للأمير فكرة تشرشل بتوليته على شرقي الأردن وتولية فيصل على العراق. وفي اليوم التالي لوصول عبد الله إلى القدس بدأت المفاوضات مع الأمير^(٥)، وقد حاول تشرشل إقناع عبد الله بمجموعة من الأمور منها عدم التعرض لفرنسا في سورية، والتخلي عن فكرة ضمّ شرقي الأردن وفلسطين تحت رايته، وتخلي فيصل عن المطالبة نهائياً بعرش سورية، على أن تتعهد بريطانيا بتقريب وجهات النظر بين فرنسا وعبد الله، وتساعد في كلّ ما يحتاجه لإدارة شؤون المنطقة (شرقي الأردن)، وانتهت المباحثات إلى توقيع اتفاقية بين الجانبين تضمنت مجموعة من النقاط أهمّها: - تشكيل حكومة وطنية في شرقي الأردن برئاسة الأمير عبد الله - تكون هذه الإدارة مستقلة استقلالاً تاماً - تقدّم بريطانيا مساعدة مادية للإمارة الناشئة - تسترشد الحكومة برأي مندوب بريطاني يقيم في عمان - تنشئ بريطانيا قاعدتين جويتين في عمان وزيزياء (الجيزة) - تحافظ على حدود سورية وفلسطين من كلّ اعتداء - تتوسّط بريطانيا بين الأمير وفرنسا في سورية - وكانت مدّة الاتفاقية ستة أشهر فقط، وكان الاتفاق أن يزور المندوب السامي البريطاني في فلسطين عمان لإعلان نشوء الإمارة الجديدة^(٦).

بعد هذا الاتفاق توجه السير هربرت صموئيل إلى عمان عام ١٣٣٩هـ/١٧ نيسان ١٩٢١، حيث ألقى خطاباً أكد فيه رفض بريطانيا أن تتحوّل منطقة شرقي الأردن إلى مركز لمعاداة فرنسا في سورية، وأنها ستضرب بيد من حديد كلّ من يحاول ذلك، وأنها مستعدة لتقديم كلّ الإمدادات للأمير لتحقيق الأمن في المنطقة. لقد

(٢) جاء في المنشور: أنه بلغ الحكومة البريطانية وصول شزيمة من الحجاز لقتال فرنسا بسورية، وأن الحكومة البريطانية راضية عن هذه الحركة، فالحكومة البريطانية تحنقر كل شخص يلتحق بهذه الشزيمة وتحذر الناس من الالتحاق بها. أنظر: الحسين، مذكراتي، مصدر سابق، ص ١٨١.

(٣) عبيدات، الأردن في التاريخ، مرجع سابق، ص ٢٣٦-٢٣٨.

(٤) الحسين، مصدر سابق، ص ١٧٨-١٩٠.

(٥) كان يمثل الجانب البريطاني كل من: صموئيل وتشرشل ولورنس وديبز السكريتير الإداري المدني، في حين كان مع الأمير سكرتيره الخاص عوني عبد الهادي أنظر: محافظة، تاريخ الأردن، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٦) للمزيد من المعلومات راجع: محافظة، المرجع السابق، ص ٢٤؛ أيضاً: عبيدات، الأردن في التاريخ، مرجع سابق، ص ٢٤١-٢٤٢.

تمكّنت بريطانيا من خلال إنشاء إمارة شرقي الأردن من تحقيق ثلاث أهداف رئيسة وهامة تخدم مصالحها في منطقة المشرق العربي وهي:

١- أوقفت حالة اللااستقرار، التي كان يعاني منها الوجود البريطاني في فلسطين والفرنسي في سورية، حيث إنّ إنشاء إدارة جديدة في منطقة شرقي الأردن سيؤدّي إلى الهدوء ويوقف الغارات، التي كانت تشنّها قبائل البدو على المستوطنات اليهودية في فلسطين، و الغارات التي تشنّ من منطقة شرقي الأردن على الفرنسيين في سورية من جهة، والمعونات التي يقدّمها شبوخ المنطقة للثوار السوريين من جهة أخرى

٢- ضمان سلامة مواصلاتها على الممرّ الواصل بين رأس الخليج والبحر الأحمر والمتوسط، وذلك من خلال تأمين المنطقة الواصلة بينهما وهي: (العراق والأردن وفلسطين)، وقد استطاعت بريطانيا تأمين ذلك من خلال تطبيقها نظام الانتداب على المناطق الثلاث.

٣- تأمين تنفيذ وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وحمايته من الجنوب والجنوب الشرقي، حيث ستكون الإمارة الناشئة منطقة حاجزة تمنع إثارة المشكلات لليهود في فلسطين^(٢).

كانت بريطانيا تريد أن تجعل من إمارة شرقي الأردن موطناً للعرب الذين سينزحون من فلسطين بعد تزايد عدد اليهود فيها، من هنا نفهم موقفها من الموافقة على إنشاء حكومات محلية عاجزة عن تنفيذ برامج تحقّق طموحات الشعب الأردني، وذلك تمهيداً لإقامة حكومة مركزية قادرة على مجموعة من الأهداف أهمها: - تأمين حدود فلسطين الشرقية الخاضعة للانتداب البريطاني والحيلولة دون تعرّضها لهجمات العرب الوطنيين ولاسيما السوريين - استيعاب الفلسطينيين النازحين بعد تنفيذ وعد بلفور الأمر الذي أوضحه المندوب البريطاني في شرقي الأردن (كير كبرايد) في مذكراته (المناطق البعيدة والمناطق الواقعة شرقي النهر قد عني بها كي تستخدم كأرض احتياطية لاستعمالها في توطين العرب بعد أن يصبح الوطن القومي لليهود في فلسطين...)^(٣).

بهذه التطورات التاريخية المهمة انتهت مرحلة تاريخية لتبدأ مرحلة أخرى، ستشهد نزاعاً طويلاً بين الإمارة الناشئة وبين المملكة العربية السعودية، والحدود هي محور هذا النزاع، حيث وجدت كلّ من الدولتين ضرورة ضمان أمنها وزيادة أهميّة موقعها إستراتيجياً، وزيادة قوّتها بحسم النزاع لمصلحتها مهما كانت الوسيلة.

ثالثاً: النزاع الحدودي السعودي - الأردني على وادي السرحان بين عامي ١٩٢١-١٩٢٥:

تركز النزاع بين السعودية وإمارة شرقي الأردن في مرحلته الأولى على منطقة وادي السرحان، وقد كان لتوزّع القبائل وأهميّة المنطقة جغرافياً واقتصادياً، إضافة للإرث التاريخي الثقيل بين الطرفين نتيجة للخلافات السياسية بين الهاشميين وآل سعود دور مهمّ في تفعيل المشكلات الحدودية التي أنتجت نزاعاً طويلاً بين الدولتين الشقيقتين الناشئتين برضى بريطانيا و تحت إشرافها.

١- النزاع الحدودي حول وادي السرحان حتى عام ١٩٢٢:

(٢)- الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق ، ص ٦٧

(٣)- الموسى ، تأسيس الإمارة الأردنية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧-٢٢٨

ترجع تسمية وادي السرحان إلى قبيلة سرحان، التي استولت على الوادي عام ١١٢١هـ/١٧٠٠، وكان يعرف قبل ذلك بوادي الأزرق، ويشكل الوادي وحدة متماسكة خضراء في وسط الصحراء، وهو ملتقى الطرق الصحراوية في شبه الجزيرة العربية، ومن أهم واحاته سكاكا والجوف، وفي شماله توجد قريات الملح^(١)، وفي أقصى شماله قصر الأزرق^(٢). وللاهمية الكبيرة، التي يتمتع بها وادي السرحان من الناحيتين الاقتصادية والإستراتيجية سعت كل من إمارة شرقي الأردن وسلطنة نجد إلى ضمّه إلى حدود بلادها، فالوادي يعدّ معبراً تجارياً مهماً يصل بين شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام، بالإضافة إلى كونه منطقة رعي حيوية للكثير من القبائل المجاورة^(٣).

كانت منطقة وادي السرحان مهمة جداً لإمارة شرقي الأردن إذا ما عرفنا طبيعة المناطق المجاورة للوادي من جهة الغرب (الأراضي التابعة لشرقي الأردن)، فهي مناطق مسطحة مكشوفة مليئة بالصخور تسمى الصوان، وارتفاعها يصل إلى ثلاثة آلاف قدم فوق سطح البحر، ولا تستطيع القبائل الإقامة فيها في فصل الشتاء بسبب البرودة الشديدة، وتعرضها للرياح العاصفة، ولعدم وجود سواتر، ممّا يصعب من حياة الحيوانات فيها، ولاسيما الإبل، وقلة النباتات في فصل الربيع، إضافة إلى قلة المياه فيها، حيث اقتصر على بئرين (باير والجفر).

هذا بالإضافة إلى قلة الأخشاب المستخدمة للوقود في فصل الشتاء، ويزيد من أهمية وادي السرحان لشرق الأردن أنّ غالبية أراضيّه تقع في المنطقة الصحراوية الجافة^(١)، فالجهات الداخلية في الشرق والجنوب منه هي صحراء خالصة، بعيدة عن البحر وتقع على الأطراف الجنوبية الجافة البعيدة عن الأعاصير التي تزور المناطق الشمالية من البلاد، كما أنّ الغالبية الساحقة من المنخفضات، التي تقبل من الحوض الجنوبي من البحر المتوسط إلى هذه الجهات تكون قد استنزفت في أثناء الرحلة الطويلة على السواحل الشمالية من قارة إفريقيا، فلا تسقط إلا القليل من الأمطار لدرجة أن أعلى جبال الأردن بقمة رم يقع في نطاق خطّ المطر الذي يساوي (٥٠) ملم سنوياً أو أقل^(٢).

(١) - للاطلاع على مواقع هذه المناطق راجع الملحق (١٣)

(٢) - ينحدر وادي السرحان انحداراً خفيفاً من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، ويرتفع الوادي عن سطح البحر حوالي ١٥٠٠ قدم، لكنه يرتفع قليلاً بين وادي العلي وجبل حوران في مسافة عشرين ميل، تغطيه الصخور البازلتية ثم يعود إلى انبساطه بين الكاف والأزرق ويعد وادي السرحان مكاناً لتصريف مياه الأمطار التي تسقط على الصحراء المحيطة به، ويضم أكثر من خمسين بئراً للمياه، لذلك يعتبر مقراً للرعي، إضافة إلى توفر الأخشاب التي يحتاجها الرعاة في فصل الشتاء وتتحدّر الأودية على وادي السرحان من الجانبين، أشهرها أودية باير والعي والحسا وحيدرج، وكلها تنحدر من أرض الصوان التي تقع على امتداده من ناحية الغرب وتقطنها قبائل تابعة لشرقي الأردن منهم الجوازي وهم قسم من الحويطات. أنظر:

1915 , FO 882/ 25 / 33 Northern Desert (Report About El – Jauf) . نقلاً عن: الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق، ص ٧١-

(٣) - النعيم، الحدود السياسية، مرجع سابق، ص ٢٧

(١) - نسبة الأراضي الصحراوية المجدبة ٥٪، ونسبة الأراضي الصحراوية ٩٢٪، ونسبة الأراضي شبه الصحراوية ٣٪، وسبب الجفاف هو البعد عن البحر المتوسط.. أنظر: الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق، ص ٧٤

(٢) - البحيري، صلاح الدين، أرض فلسطين والأردن وطبيعتها وحياتها واستعمالها، معهد الدراسات العربية، د.م، ١٩٧٤م، ص ١٣١١

ودراسة بسيطة للتركيب السكاني في منطقة وادي السرحان والمناطق المجاورة له تمكّنا من فهم العلاقة بين الوادي وبين سكّانه والمناطق المحيطة به، حيث يعمل معظم السّكان هناك على تربية الجياد والإبل والأغنام، وحياة السّكان فيها حياة قبلية بدوية، ويعتمد أهلها على منتجات حيواناتهم وما يحصدونه من غنائم الغزوات التي كانوا يشنونها بين الحين والآخر، وقلة الأمطار في بعض الفترات كانت تفرض على السّكان التّقلّ بحثاً عن الكلأ والمرعى لحيواناتهم^(٣). ومن القبائل المهمّة في وادي السّرحان قبيلة الرّولة، إلّا أن نشاطها ليس مقيداً بالوادي فحسب، بل كانت تنتقل من الجوف إلى جبل الدّروز مروراً بالكاف، وقد اعتادت بعض القبائل على الرّعي في وادي السّرحان، منها بنو صخر والشّرات والحويطة وهم من الحويطات، وهؤلاء لم يرتادوا الوادي بعد ضمّ ابن سعود له، ولم يبق منهم سوى من اعتنق الدّعوة الوهابية^(٤).

من هنا رأى كلّ طرف من الطرفين أن الوادي ضروري له، فابن سعود كان يرى بالوادي وسيلة اتّصال مع سورية، فهو بوابة الجزيرة العربيّة إليها، هذا إضافة إلى أهمّيته الاقتصاديّة الرّعيّة التجاريّة. من هنا كان من الصّعب على كلا الطرفين التّنازل عن الوادي، ومن الصّعب أيضاً على القبائل التي اعتادت الانتقال بحريّة من مكان إلى آخر دون حواجز أو حدود أن تقبل اليوم بحدود ثابتة لا تستطيع بسببها أن تتحرّك مع متطلّباتها واحتياجاتها وفقاً لكلّ موسم.

كانت منطقة وادي السّرحان ذات الأهميّة الاقتصاديّة والإستراتيجيّة أكثر المناطق إثارة للخلاف بين الجانبين السّعوديّ والأردني، فمنذ نشوء إمارة شرقي الأردن بدأ النزاع حول الوادي بينها وبين السعودية. يعدّ النزاع على هذه المنطقة امتداداً للنزاع الذي كانت تشهده شبه الجزيرة العربيّة، فبعد ضمّ عبد العزيز ابن سعود لجبل شمر في مطلع عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١ أصبح يهدّد العراق وشرقي الأردن، الأمر الذي دفع الأمير عبد الله إلى التّفكير بالسيطرة على منطقة وادي السّرحان لتكون حدّاً فاصلاً مع السّعوديّة، فأرسل في عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢ وفداً^(١) إلى الأمير نوري الشّعلان أمير منطقة وادي السّرحان عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢، للتّفاوض معه لضمّ منطقتّه إلى إمارة شرقي الأردن، إلّا أن عبد العزيز بن سعود كان يعدّ وادي السّرحان امتداداً طبيعياً لشبه الجزيرة العربيّة، خاصة بعد قضائه على إمارة آل الرّشيد في جبل شمر^(٢)، والتي كان وادي السّرحان جزءاً منها، وخشيته من سيطرة نوري الشّعلان (زعيم الرّولة)، على الجوف ووادي السّرحان، بعد انتهاء حكم آل الرّشيد

(٣) - من أهم القبائل القاطنة في الوادي السرحان، نزلت إلى الجوف عام ١١١٢هـ/١٧٠٠، وعملوا بالزراعة وبنوا الحصن وسمي وادي الأزرق باسمهم، وتنقسم قبيلة السرحان إلى خمسة بطون هي الرشيد، والهباب، والجل، والمنيد، والحمدان. وتنقسم الأولى إلى ثلاثة عشائر هي: النوافحة، والمجاشعة، والبعايجة، بينما تنقسم البطن الثانية إلى أربعة عشائر هي: الدلعة، والمبادلة، العاصم، المصيفر. راجع: بيك، تاريخ شرق الأردن وقيادتها، مصدر سابق، ص ٢٣٧

(٤) - L / P & S / 10 / 1144 G. Symes , Chief – Sec , Gov . Office Jerusalem to G. Clayton Meorandum by Mr – G- Antonious on the Eastern Frotier of Trans – Jordan , 22 nd Sep . 1925 , Annex B, A . B . Vol . 5 , pp. 58 , 59 . نقلاً عن : الصباغ ، مرجع سابق ، ص ٧٥-٧٦

(١) - تضمن الوفد غالب باشا الشعلان والمستر فيليبي المعتمد البريطاني في عمان والسير هولت مهندس السكك الحديدية . أنظر: الزركلي، خير الدين ، عامان في عمان ، المطبعة العربية ، القاهرة ، ١٩٢٥ ، ص ٩٣ ؛ أيضاً: محافظة ، تاريخ الأردن ، مرجع سابق ، ص ٥٥

(٢) - لقد استطاع ابن سعود ضم جبل شمر عام ١٩٢١، وقد اقتيد آخر حكام بني الرشيد أسيراً . أنظر :

Aitchison , Treaties And Engagements , P 189

فيها^(٣)، لاسيما أنّ بريطانيا كانت تميل إلى الحفاظ على حكم آل الشعلان فيه، لتكون إمارة حاضرة بين السعودية و شرقي الأردن. لذلك، قرّر ابن سعود منعاً لموافقة الأمير نوري على طلب الأمير عبد الله واستباق البريطانيين أرسل قوة من الإخوان (الوهابيين) إلى وادي السرحان احتلّت منطقتي الجوف وسكاكا (واحتين في وادي السرحان)، حيث يقيم الأمير نوري الشعلان وقبيلته (الرولة)، وأخذ المهاجمون يتهيئون للهجوم على شرقي الأردن، فهاجموا مضارب بني صخر في الطيب^(٤) وقصر المشتى في ١٣٤١هـ الموافق آب ١٩٢٢، ولم تتمكن الحكومة الأردنية من حماية المنطقة، ممّا أشعر الناس بعجز الحكومة في الدفاع عنهم، لاسيما أنّ بريطانيا رفضت استخدام قواتها وطائراتها لردّ النجديين، لذلك، أسرع رئيس حكومة شرقي الأردن بالسفر إلى القدس لمقابلة هربرت صموئيل وتدارك الأمر قبل أن يخاف الناس، ويفقدون ثقتهم بالحكومة فتقرر الهجوم على منطقة قريات الملح^(٥) الواقعة على الطرف الشرقي لوادي السرحان والسيطرة عليها لتأمين المدخل الجنوبي من هجمات الوهابيين، وكانت هذه القوة عبارة عن فرقة من الفيلق العربي بقيادة فريدريك بيك استطاعت السيطرة على القرىات بسهولة كبيرة، وقد جاء هذا الهجوم بتأييد نوري الشعلان، الذي طلب من الحكومة الأردنية السيطرة على القرىات وهذا ما كان، ففي العام ١٣٤٢هـ/أيلول ١٩٢٣ سيطرت القوات الأردنية على منطقة الكاف، وحين وجدت الحكومة أنّها لم تكن قادرة الحفاظ على قوتها في القرىات لأسباب أمنية، انسحبت منها وأبقت ٥٠ عنصراً في قلعة الكاف. في هذه الأثناء كان ابن سعود يعد منطقة وادي السرحان جزءاً من جبل شمر، الذي أصبح جزء من مملكته ويفكر بشكل جدّي بضمّها، ومهد لذلك بمحاولة نشر الدعوة الوهابية فيها مظهراً للناس أنّ حكّامهم لا يطبقون الشريعة الإسلامية، وأنّ حكمه وحده القادر على تحقيق ذلك، ممّا يؤدّي إلى زعزعة ثقة الناس بحكّامهم أو إقناعهم بنفسه كحاكم جيد فيأتيه الناس راغبين، وبعد أن شعر أنّ شرقي الأردن والبريطانيين طامعان في المنطقة كلّ على طريقته، وجد أنّه لا بدّ له من التّحرّك السريع عسكرياً، فأرسل قواته إلى وادي السرحان للسيطرة عليه، وسيطر خلال فترة قصيرة على واحتي تيماء وتبوك، وأجبر أهلها على دفع الزكاة للرياض وبعد ذلك زحف الإخوان تجاه وادي السرحان، وهاجموا واحة بني شاكر واحتلوها، وأصبح النجديون على

(٣)- الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق ، ص ٧٨

(٤)- لقد هاجموا القرية بعنف شديد فخلفوا وراءهم ٤٥ قتيل من قبيلة بني صخر (لم يرد هذا الكلام سوى في مصدر واحد وهو في كتاب الدكتور حسن عبد علي ريان صاحب كتاب العلاقات الأردنية البريطانية)، في حين اكتفت باقي المصادر بالحديث عن هجوم قوة من الإخوان تتألف من ١٥٠٠ مقاتل في ٢٢ آب على قبيلة بني صخر جنوبي عمان. للمزيد من المعلومات راجع: ريان ، عيد حسن علي ، العلاقات الأردنية البريطانية ١٩٢٢-١٩٢٩ ، رسالة ماجستير، عين شمس ، ص ٨٤-٨٥ ؛ أيضاً: محافظة ، مرجع سابق ، ص ٥٦

(٥)- تسمى قريات الملح نسبة لما يستخرج منها وهي مجموعة من القرى الصغيرة، تقع عند تقاطع خط الطول ٢٥-٢٧ شرقاً مع دائرة عرض ٣٠.٧ إلى ٣٧ شمالاً . هذه القرى هي جورجور وحليب وطلال وواش واش واثرة ومينور وكاف وأم الجبران، ولم تكن هذه القرى قرى بالمعنى الحقيقي فهي عبارة عن قلعة من الطين ونبع ماء وعدد من أشجار النخيل وعشرات الأشخاص وحقول واسعة من الملح باستثناء منطقتي واثرة والكاف التي كان يتراوح عدد الأولى عام ١٩٠٨ مئة نسمة والثانية أربعمئة نسمة، ولا بد من ذكر أن غالبية سكان وادي السرحان كانوا يتركزون في منطقة القريات. للمزيد من المعلومات راجع: الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٣؛ أيضاً: الريحاني ، نجد وملحقاتها ، مصدر سابق ، ص ٢٨٨

مقربة من عمان ومن حدود سورية، وهَدَدُوا طرق المواصلات البريطانية^(١)، فأصبح الأمر خطيراً. ردت الحكومة الأردنية بمهاجمة **قريات الملح**، فاحتج ابن سعود على ذلك عند كوكس، عندها تدخلت بريطانيا وطلبت من الجانبين تسوية النزاعات الحدودية بينهما، لا سيما أن النزاع الحدودي السعودي - العراقي كان محتدماً أيضاً. لذلك، دعت بريطانيا لعقد مؤتمر لحل النزاعات الحدودية على كل الجبهات.

٢- مؤتمر الكويت (العقير) ومسألة الحدود السعودية - الأردنية عام ١٩٢٢:

وجدت بريطانيا في النزاع الدائر بين الهاشميين على الجبهات الثلاث (العراق - شرقي الأردن - الحجاز) وبين ابن سعود، فرصة لإعادة رسم الحدود في المنطقة العربية، فاستغلت النزاعات الحدودية في ظل غياب التوافق العربي لفرض وجهة نظرها على الجميع، ولما احتدت النزاعات إلى درجة الصدامات العسكرية بين الهاشميين والسعوديين طلبت من الجميع الاجتماع في الكويت، لعقد مباحثات هناك تنتهي بحل النزاعات الحدودية. حدّدت الاتفاقية البريطانية - العثمانية ١٣٣٢هـ/١٩١٣ الحدود الشمالية لسلطنة نجد مع العراق والكويت وشرقي الأردن على النحو التالي: تمتد الحدود من نقطة تقع على الخليج العربي هي رأس القليعة وممتدة على جانب الخطّ المحاذي لنصف الدائرة الحمراء^(٢).

وقد بينت المادة الخامسة من الاتفاقية البريطانية - العثمانية أن تلك المنطقة تمتد إلى ملتقى خط العرض ٢٩ درجة من العرض الشمالي لنصف الدائرة الحمراء^(١).

كانت مسألة وضع حدود برّية ثابتة مسألة جديدة على حكام شبه الجزيرة العربية، فابن سعود مثلاً كان يعتبر قبائل عنزة وشمر تابعة له مهما كانت المناطق التي ينتشرون فيها بعيدة عن منطقة حكمه، وقد كانت القبائل ترى في رسم الحدود أمراً خطراً عليها حيث يحدّ من حرّية تنقلها بين المناطق التي اعتادت على التنقل فيها، فالكثير من قبيلة شمر كانوا ينتشرون على حدود نجد والعراق وسورية وكانوا ينتقلون من منطقة إلى أخرى بحرّية مطلقة ذلك أنّ حكومة العراق لم تكن تهتمّ بفرض سيطرتها على الصحراء كما عبّر عن ذلك قائد الفيلق العربي لشرق الأردن غلوب باشا^(٢).

خشيت بريطانيا من التطورات العسكرية التي شهدتها المناطق الحدودية بين شرقي الأردن والعراق ونجد. لذلك، دعت إلى عقد مؤتمر الكويت بمبادرة منها في عام ١٣٤٢هـ الموافق ١٧ كانون الأول ١٩٢٣م برئاسة الكولونيل نوكس (S.Knox) المعتمد البريطاني في الخليج العربي، وحضره مندوبون عن شرقي الأردن والعراق و نجد (السعودية فيما بعد)، حاولت بريطانيا عرض تصوّر للحلّ يقوم على مبدئين: الأول تنازل ابن سعود عن

(١) - فاسيلييف ، تاريخ العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ٣٣٤-٣٣٥

(٢) - الدائرة الحمراء هي مساحة من الأرض واقعة ضمن محيط دائرة مركزها في الكويت نفسها وطول نصف قطرها أربعين ميلاً . أنظر: حمزة

، قلب جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ص ١٠٩

(١) - حمزة ، المصدر السابق ، ص ١٠٩

(٢) - فقد كتب غلوب باشا عن الحدود قائلاً : لم يكن هناك حدود في أواسط شبه الجزيرة العربية ، ولم تحاول الإدارة في بغداد قط إحكام سيطرتها على الصحراء لمسافة تزيد عن ميلين أو ثلاثة من الفرات ، وكانت حياة العديد من القبائل نفسها مرتبهة بحقها في التنقل بحرية في المناطق الواقعة ضمن الحدود الحالية للعراق وسورية ، وتصرفت القبائل العراقية والسورية على النحو نفسه ، لذا فإن رسم حدود ثابتة بدأ لها أمراً خطيراً . أنظر: فاسيلييف ، تاريخ العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ٣٣٣-٣٣٤

تربة والخرمة للحجاز والثاني تنازل الأمير عبد الله عن وادي السرحان للسعودية، على أن يتنازل الشريف حسين عن معان والعقبة التي كانت تتبع إلى الحجاز تارةً، وإلى سورية تارةً أخرى، وهذا المشروع هو المشروع نفسه الذي حاول لورنس إقناع الشريف حسين به عام ١٣٤٠هـ/ أيلول ١٩٢١ عندما حاول التفاوض عن اليهود السابقة بمملكة عربية كبيرة من خلال إعطائه مملكة حجازية بنفس حدود ولاية الحجاز على أن يتم اقتطاع العقبة ومعان وتبوك وضمها لشرقي الأردن، ويذكر الزركلي في كتابه عامان في عمان أن الشريف رفض المشروع السابق رفضاً قاطعاً، إلا أن لورنس استطاع إقناع الأمير عبد الله به وأخذ توقيعه عليه ١٣٤١هـ/ تشرين الأول ١٩٢١^(٣).

ومنذ الجلسة الأولى للمؤتمر كانت المواجهة بين وفدي نجد وشرقي الأردن محتدمة. فالسعوديون يسيطرون على منطقتي الجوف وسكاكا^(٤)، أما الأردنيون فيسيطرون على القريات. ولذلك، تدرّع كل طرف بأنه يسيطر على الوادي، وأن له الأحقية في ضمّ الوادي إلى أراضيه، وكلّ لغاية في نفسه، فبريطانيا والأردن كانتا تريدان أن تضمنا طريقاً مباشراً بين الأردن والعراق، في حين كانت السعودية تسعى أن يكون لها امتداداً برياً إلى سورية، وقد انعكست مطامع كلّ طرف على أجواء المؤتمر، ففي الجلسة الأولى قدّم رئيس الوفد الأردني علي خلقي ناظر المعارف مطالب شرقي الأردن وتتلخّص فيما يلي: أن تكون الحدود بين شرقي الأردن وبين نجد الحدود القديمة نفسها، على أن تتخلّى نجد عن الجوف وسكاكا إلى الأمير نوري الشعلان لتكون إمارة مستقلة تحت إشراف شرقي الأردن وتتعهّد الحكومتان بمنع الغزو المتبادل وتعيين وكلاء مفوضين في عاصمتي البلدين، وطالب الحكومة النجدية بدفع دية القتلى في حوادث ١٣٤١هـ/ آب ١٩٢٢م حسب تقاليد البدو، رفض الوفد النجدي الاقتراح الأردني باستثناء الطلب المتعلّق بالدية مؤكّدين أنّه لا يحقّ للوفد الأردني التّكلم باسم نوري الشعلان لأنّه وقبيلته تابعان لنجد، وقدّموا من جانبهم التّصوّر الأنسب لحلّ المشكلة وفقاً لرؤيتهم وهو: إخلاء قوّة شرقي الأردن لمنطقة قريات الملح، فالوادي كان تابعاً منذ البداية للدولة السعودية الأولى وحكومة نجد لن ترضى بالتنازل عنه، خاصّة أن اقتصاد نجد يعتمد على تصدير الإبل والأغنام والحياد إلى سورية. ولذلك، هي لا تقبل أن يتمّ وصل الأردن بالعراق لأنّ تجارتها ستعاني من المرور بأراضي تابعة لشرقي الأردن، وهذا لا يمكن القبول به من جانبهم^(١).

أما بالنسبة للعشائر المقيمة في وادي السرحان (الحوازم - الشرارات - قسم من بني عطية - قسم من الحويطات)، والتي تنتقل بين البلدين فتطبق عليها قوانين البلد الذي تختاره، وقد عدّ الوفد النجدي أن هذه

(٣) - الزركلي، عامان في عمان، مصدر سابق، ص ١٥٣؛ أيضاً: نصيف، ماضي الحجاز وحاضره، مصدر سابق، ص ١٨٢-١٨٣

(٤) - واحة الجوف الكبرى مؤلفة من عدد من الغابات حول مدينتي الجوف وسكاكا وبلغ عدد سكانها عام ١٨١٥ ثمانية آلاف نسمة، وتمتد مدينة الجوف ميلين ونصف طولياً وميل واحد عرضياً وعند حافتها الشمالية توجد القلعة والسوق، فيها ست عيون وعدد من الآبار، أما سكاكا فهي أجمل مدن المنطقة فيها عدة آلاف من النخيل، ومركزاً تجارياً كبيراً وفي شمال المدينة توجد القلعة. أنظر:

1915 , FO 882/ 25 / 33 Northern Desert (Report About El - Jauf) , نقلًا عن: الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود،

مرجع سابق، ص ٧٥-٧٦

(١) - كوستنر، العربية السعودية، مصدر سابق، ص ١٤٦

العشائر السابقة الذكر تابعة لنجد، وأنهم مع ذلك يعطونها حق الاختيار في الدولة التي يريدونها. أما بالنسبة لقتلى نجد فنتعهد حكومة شرقي الأردن بدفع الدية لهم وفقاً للأعراف المتبعة آنذاك^(٢).

ولم ينس الوفد النجدي في أثناء عرض مطالبه التذكير بتفوقه عسكرياً في وادي السرحان، والتهديد باللاجوء إلى الحل العسكري في حال تعثرت المفاوضات ولم تستطع الوصول إلى نتيجة مرضية لنجد، الأمر الذي أثار قلق المندوب السامي البريطاني في فلسطين هربرت صموئيل، فأرسل برقية إلى وزير المستعمرات تشرشل أخبره فيها أن مطالب الوفد النجدي تشكل تهديداً كبيراً على طرق المواصلات التابعة لبريطانيا (الطريق من رأس الخليج إلى رأس البحر الأحمر) في حال تم إخراج وادي السرحان من شرقي الأردن وانفصالها عن العراق، وأرسل برقية إلى الكولونيل نويس ليضع هذه المسألة في الحسبان، وفي عام ١٣٤٣هـ/الثاني من كانون الثاني ١٩٢٤ قدّم الوفد الأردني مذكرة أكد فيها أحقية بلاده بوادي السرحان، فالجوف وسكاكا ضمن حدود سورية التي تبدأ من مدائن صالح وشرقي الأردن، وبالتالي تعتبر مراعي الجوف وسكاكا ووادي السرحان مراعي طبيعية لقبائل شرقي الأردن، وتمنت المذكرة طلباً ينص على أن الحل لا يمكن أن يحصل دون تنازل نجد عن المناطق السابقة الذكر، وإعادة تربة والخزعة إلى المملكة الحجازية^(١)، وإعادة شمر إلى آل حائل وعسير إلى آل عائض، وهذا الشرط يعتبر مخالفاً للقواعد التي تم الاتفاق عليها لعقد المؤتمر^(٢). بعد أخذ ورد انفض المؤتمر دون الوصول إلى نتيجة تذكر بعد الاتفاق على الاجتماع في جلسة ثانية لاحقاً.

في عام ١٣٤٣هـ/٢٥ آذار ١٩٢٤ انعقد المؤتمر مرة ثانية بجهود بريطانية، فكرر الوفدان الأردني والنجدي مطالبهما السابقة دون تعديل، وتمسك فيهما الوفدان بالحدود التي ترضيهم^(٣). عندها وجد رئيس المؤتمر أن الحل يكمن في عرض مشروع ثالث من قبله تضمن ثلاثة خيارات:
الأول: أن يقبل الطرفان بإجراء استفتاء لأهالي المناطق المتنازع عليها.

(٢)- كان القتلى النجديون هم حصيلة الغارات التي قامت بها قبائل الحويطات وبني صخر ضد قوافل تجارية نجدية والغارة الرابعة قيام الأمير شاعر باعتقال أحد عشر رجلاً من رعايا نجد وإعدامهم في سوق عمان، فبلغ عدد قتلى نجد حوالي اثنين وعشرين قتيلاً. أنظر: الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق، ص ٨٢؛ أيضاً: الماضي والموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص ٢٢٠-٢٢٤؛ أيضاً: محافظة، تاريخ الأردن، مرجع سابق، ص ٥٦-٥٧.

(١)- ساعاتي، الحدود الدولية، مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٢)- من أهم مبادئ المؤتمر أن يناقش كل وفد من الوفود صاحبة العلاقة على حدة، لأن ابن سعود اشترط للمشاركة في المؤتمر عدم تكتل الأشراف ضده، والمذكرة الأردنية بهذه الحالة تقحم الوفد الأردني فيما لا يعنيه، لذلك تدخل الكولونيل نويس رئيس المؤتمر واعتراض على المذكرة الأردنية معلناً أنها تخالف مبادئ المؤتمر. أنظر: الماضي والموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

(٣)- كان الوفد الأردني يعتبر حدود بلاده تبدأ من مدائن صالح إلى شرق تيماء، تاركة قبائل وادي سليمان حتى تصل إلى هوجا، ثم تسير إلى الشمال الشرقي إلى جبل راف وتلتقي بخط الطول ٤٠ شرقاً تاركة الجوف وسكاكا لشرق الأردن. أما الوفد النجدي فاعتبر أن العادات والتقاليد وطرق المعيشة في وادي السرحان هي نفسها في نجد، وأن هذه المنطقة كانت تابعة للدولة السعودية الأولى، ثم خضعت بعد ذلك لآل الرشيد ولم تخضع يوماً لحكومة سورية، وعندما سقطت حائل بقيت الجوف تابعة لمحمد بن طلال وهو آخر رجال آل الرشيد، أما نوري الشعلان فيرتبط ظهوره في المنطقة بانتصار الجيش النجدي على محمد بن طلال، فرد الوفد الأردني برفض هذا الكلام وقال: أن قبائل شرق الأردن لها مراعي شتوية في الوادي فإذا فقدوها ستغادر شرق الأردن. للمزيد من المعلومات راجع: الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٧.

الثاني: أن يتم تقسيم المناطق المتنازع عليها بين نجد وشرقي الأردن على أن تأخذ نجد الجوف وسكاكا، في حين تعطى القرى لشرقي الأردن.

الثالث: أن تعطى المنطقة المتنازع عليها الاستقلال بقيادة نوري الشعلان، وتعترف الحكومتان له بذلك^(٤). في الواقع كانت الخيارات الثلاث قادرة على حل المشكلة، لو أن العلاقة الشخصية كانت جيدة بين الطرفين، فالعداء التاريخي الكبير بين الأشراف وآل سعود، ترك أثراً سلبياً ساهم في زيادة صعوبة الحل، إضافة إلى أن القبائل الأردنية والنجدية لم تنس بعد دماء قتلاها، التي سقطت بين الجانبين في أثناء الغارات المتبادلة فيما بينهم، فمن الطبيعي أن يتوقع جميع المتابعين للمؤتمر وتطورات الأحداث في المنطقة موافقة الأردن على الخيار الثاني، لأنه يوفر للبلدين الحد الأدنى من مطالبهما. فالسعودية تتمكّن من الاتصال مباشرة بسورية، إذا وافقت على الخيار الثاني، وشرقي الأردن تجد المراعي لقبائلها، إلا أن المفاجأة الكبرى للكلونيل نويس جاءت من الوفد الأردني الذي أعلن في الجلسة الثالثة في ٢٦ آذار بعد انفضاض الجلسة الثانية بناءً على طلب الوفدين لاستشارة حكوماتهم عن رفضه للخيارات الثلاثة مسوَّغاً ذلك بأن قبائل الأردن لم تنس هجمات النجديين عليها، وسيطرة نجد على وادي السرحان يفقده الكثير من الموارد البشرية التي سترتحل إلى الطرف الآخر حيث تتوافر المراعي على اعتبار أن غالبية سكان شرقي الأردن من القبائل الرحل، ويفقده أيضاً الكثير من الموارد الاقتصادية^(١).

أما الوفد النجدي، فقبل بالحل الأول على أن يشمل الاستفتاء مناطق تربة والخرمة، الأمر الذي أظهره متعاوناً ويسعى للحل، في حين أظهر الرّفض الأردني الكامل لكل الاقتراحات أنه غير متعاون ولا يسعى لتحقيق الاستقرار والسلام، وبذلك ربح الوفد النجدي المعركة الدبلوماسية أمام جميع الأطراف، وأخذ يتحضر لكسب المعركة السياسية بضم كل ما يستطيع من المناطق المتنازع عليها إلى مملكته، فهو يرفض فكرة الدولة المستقلة بزعامة نوري الشعلان، لأنه كان يعرف العلاقة الوطيدة بين نوري والأمير عبد الله، وقد ظهرت ميول نوري الشعلان للأمير عبد الله من خلال زيارته لعمان عام ١٣٣٤هـ/تموز ١٩٢٣، ولاسيما أن قبيلة الرولة بقيادة الشعلان كانت تسعى إلى توحيد صفوف القبائل التابعة لقبيلة عنزة (الرولة - العمارات - فدان) لتكون سداً منيعاً في وجه الوهابيين وأنها اتفقت مع الأمير عبد الله على الرّحف تجاه القرى لتكون جاهزة لمواجهة مع الوهابيين في حال تفكيرهم مهاجمة المنطقة^(٢). لذلك، كان من الطبيعي أن يرفض ابن سعود فكرة الدولة المستقلة، لأنها

(٤) - الماضي والموسى ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣-٢٢٤

(١) - 595- R/ 15 / 1 / 595 The 15 th Session of the Con ., 26 th March , 1924 , A. B., Vol . 9 . p . 595- نقلاً عن

الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق ، ص ٨٥

(٢) - يظهر هذا الكلام خلال تقرير للفصل البريطاني في دمشق السير س.ف. بالمر جاء فيه : أخبرني سلطان بن نواف حفيد نوري الشعلان أن محاولات لا تزال تبذلها الدولة لتوحيد صفوف قبيلة العنزة أي الرولة والعمارات وفدان في اتحاد كونفدرالي لوقف زحف الوهابيين ويصرح أن تلك المحاولة باءت بالفشل حتى الآن ، لكنه لم يفقد الأمل كلية وأشار أنه لو تحقق النجاح في نهاية المطاف ستبهرن العنزة على أنها عقبة خطيرة حتى بالنسبة للوهابيين ، وأضاف أنه يزحف إلى قرى الملح ليكون على استعداد في حالة وقوع أي هجمات وهابية جديدة بناء على طلب مباشر من الأمير عبد الله، لكن يبدو أن زعماء الرولة كلهم كانوا على اتفاق مع الأمير عبد الله، وأن نوري قد منح مؤخراً وساماً حجازياً أنظر: كوستنر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ١٤٦-١٤٧

ستكون تابعة بطريقة غير مباشرة لشرقي الأردن، ولأنّ نجد لم تكن ترغب أن يكون هناك اتصال مباشر بين شرقي الأردن والعراق، أما خيار التقسيم، فهو أيضاً خيار مرفوض، لأنّ نجد في أسوأ الحالات ستحصل من الاستفتاء على ما سيعطيها إياه خيار التقسيم لا بل أكثر، لأنّها استطاعت أن تنتشر الدعوة الوهابية في كثير من المناطق الحدودية ووصلوا حتى الكرك^(٣).

انفض المؤتمر مرّة ثانية لمشاورة الوفدين الأمير عبد الله والملك عبد العزيز، إلّا أنّ الحال لم يكن أفضل على مستوى القيادة، فالأمير عبد الله طالب باستثناء وادي السرحان من النقاش، وأن تكون صحراء النفوذ هي الحدّ الفاصل بين نجد وشرقي الأردن، وأن يقتصر الاستفتاء على منطقتي الجوف وسكاكا، الأمر الذي كان يعرف الأمير سلفاً أنّ نجداً سترفضه. وجاء ردّها بتعيين عبد العزيز بن مساعد آل جلوي أميراً على حائل وجعل المنطقة الشماليّة تحت إمرته، وتعيين عبد الله بن محمد بن عقيل على الجوف وزوّدهما بالقوّة الكافية لمهامهم. وعندما اجتمع الطرفان مرّة أخرى عام ١٣٤٣/٩ نيسان ١٩٢٤ قدّم الوفد الأردني مشروع التسوية وفقاً لوجهة نظر الأمير عبد الله وتمنّى شروطاً مستحيلة بالنسبة لنجد وهي:

١- جعل الجوف وسكاكا ووادي السرحان منطقة محايدة وتكون حدود شرقي الأردن هي حدود سورية الطبيعيّة قديماً.

٢- إشراف الحكومة الأردنيّة على الطريق المتّجه إلى العراق.

٣- عودة إمارة آل الرّشيد وإمارة آل عائض في عسير^(١).

رفض الوفد النّجدي الاقتراح السّابق، وقدّم عرضاً بديلاً كمحاولة للتّسوية الوسطيّة بين الطرفين تضمن لنجد حقوقها بحدّها الأدنى من وجهة نظرها، حيث عرض الوفد أن يكون المستطيل الممتدّ بين خطّي الطّول ٣٧ و ٣٩ شرقاً ودائرتي العرض ٣٢ و ٣٣ غير تابع لأحد ويشكّل منطقة محايدة، فرفض الاقتراح من بريطانيا والأردن معاً، ثمّ عدلت نجد عن اقتراحها السّابق، وأصرّت أن يكون لها اتّصال مباشر مع سورية من خلال إتباع المستطيل السّابق الذكر لبلادها، حيث إنّ ذلك الاتّصال سيعطي نجد الكثير من المكاسب التي لا يمكن التّنازل عنها، فذلك الاتّصال سيسهم بكسر الطّوق الهاشمي، الذي أوشك أن يكتمل حول نجد، إضافة إلى أن فصل العراق عن الأردن سيمنع التّسويق بين العرشين الهاشميين ضدّ نجد، وعلى صعيد آخر سعت نجد إلى تعزيز علاقاتها مع الفرنسيين في سورية لتكون ورقة ضغط في وجه النفوذ البريطاني المتعاضم في شبه الجزيرة العربيّة، هذا ما عدا المكاسب الاقتصاديّة الكبيرة، فضمّ المنطقة المتنازع عليها سيساهم في حماية خطوط مواصلاتهم التجاريّة مع سورية، فقد اعتقدت نجد أنّ تجارتهم ستتضرّر من كثرة الحواجز الجمركيّة والنّقاط الحدوديّة.

بعد رفض شرقي الأردن الاقتراح السّابق، وتشديدها على ضمّ المستطيل المذكور لها، ليضمن اتّصال العراق بشرقي الأردن نظراً لما يوفّره ذلك الاتّصال من مكاسب كبيرة للبلدين، وعندما لاحظ ابن سعود الدّعم

(٣) - يتحدث المؤرخ سعد أبو دية أن الدعوة السلفية وصلت إلى الكرك، ويقول أن أحد شيوخ الكرك كان على علاقة وطيدة بسلطان نجد وأن أهالي قبيلته اعتنق الوهابية. أنظر: محافظة، تاريخ الأردن، مرجع سابق، ص ٥٦-٥٧

(١) - محافظة، المرجع السابق، ص ٥٧

البريطاني الكبير لهذا الرأي قدّم الوفد النّجدي عرضاً جديداً يسمح باتّصال العراق بشرقى الأردن بشرط أن تشرف بريطانيا بنفسها على ضمان أمن أراضي القبائل السّعوديّة الشّماليّة، وكذلك المصالح التّجاريّة السّعوديّة مع مصر وسورية، وتضمّن الاقتراح أن تقوم السّلطات البريطانيّة بالإشراف على القوافل السّعوديّة مع سورية ومصر، وأن تعفيها من الرّسوم الجمركيّة، على أن ينتهي مفعول هذا الاتّفاق بانتهاء الانتداب البريطاني على العراق وشرقى الأردن^(٢). كان رفض كلّ تلك الاقتراحات سبباً في انتهاء المؤتمر، الذي كان محكوماً بالفشل منذ بداية انعقاده، فالشّريف حسين وضع شروطاً للمشاركة في المؤتمر، والأمير عبد الله لم يكن قادراً على تقديم التّنازلات الكثيرة، فدلته النّاشئة تحتاج للكثير من العوامل المساعدة لبقاء الإمارة على قيد الحياة. أمّا عبد العزيز فكان يدرك تمام الإدراك أنّه الطّرف الأقوى على كلّ الصّعد، فالدّعوة الوهابيّة خرقت معظم القبائل، وقوّته العسكريّة خرقت معظم المناطق الحدوديّة، والحجاز الهاشميّة كانت على شفير الانهيار، أمّا بريطانيا فلم يكن يزعمها أيّ حلّ ولم يكن يعينها أبداً التّوافق والسّلام العربيّ، فهي تسيطر على كلّ الأطراف وكلمتها هي الكلمة العليا في المنطقة، كلّ تلك الأمور كانت مقدّمات تنبئ بفشل مؤتمر الكويت الذي انعقد بشكل متّقطع بين عامي ١٣٤٢-١٣٤٣هـ/١٩٢٣-١٩٢٤.

٣-المواجهة العسكريّة و التدخّل البريطاني عام ١٩٢٤:

بعد انتهاء جلسات مؤتمر الكويت بالفشل ركّز ابن سعود أنظاره باتجاه الحجاز، حيث قرّر في عام ١٣٤٣هـ/ آب ١٩٢٤ شنّ هجوم نهائيّ على الهاشميين فيها، ليمنع أي نوع من التعاون بين الهاشميين في العراق والأردن والحجاز. وقد وضع ابن سعود خطّة عسكريّة تهدف إلى تشتيت الهاشميين على ثلاث جبهات، مما يمنع الأميرين فيصل وعبد الله من تقديم النّجدة لأبيهم في الحجاز، فأعطى أوامره لغزو شرقي الأردن والعراق والحجاز معاً. وبالفعل أصدر ابن سعود عام ١٣٤٣هـ/آب ١٩٢٤ أوامره لعبد العزيز بن مساعد بن جلوي (أمير حائل)، لتجهيز الحملة على شرقي الأردن^(١). وتحركت القوات الوهابيّة من أطراف وادي السرحان صوب شرقي الأردن، حيث سيطروا على الكاف وقتلوا حاميتها، وبعد الكاف بحوالي عشرة كيلو مترات التقت القوات النّجديّة بقوة من شرقي الأردن متوجّهة إلى قصر الأزرق في القرى لنقل المؤن والعتاد للجند، فهاجمهم الإخوان وقتلهم ما عدا واحداً^(٢)، ومنها توجهوا إلى قرى اللّبن والطّنب وأم العمد والقسطل، وتجاوزوا سكة الحديد، فأصبح الطريق إلى العاصمة عمان مفتوحاً أمام القوات النّجديّة، وتأخر خبر تحرك القوات النّجديّة من

(٢)- النعيم ، الحدود السياسيّة ، مرجع سابق ، ص ٣٠-٣٢

(١)- وقد اختلف الرواة في تحديد عدد القوات، التي توافرت لدى ابن جلوي، فالكثير من المصادر التي أرخت لشرق الأردن تقول أن عدد القوات النّجديّة تراوح بين أربعة آلاف وخمسة آلاف، في حين أن المصادر المقربة من نجد تقول أن تعداد الجنود النّجديين تراوح بين ألفين وثلاثة آلاف جندي. للمزيد من المعلومات راجع: بيك ، تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، مصدر سابق ، ص ٢٠٥ ؛ أيضاً : الريحاني ، نجد وملحقاتها، مصدر سابق ، ص ٢٩٦ ؛ أيضاً : الماضي والموسى ، تاريخ الأردن في القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص ٥٨

(٢)- لقد كان هناك اختلاف في المصادر حول عدد الحامية ، فالريحاني يقول أن عددها هو ٢٥ جندي، في حين يقول منيب الماضي وسليمان الموسى أن عددهم ١٨ و ٤٠ من الصّخور، ويقول الأول أن القوات النّجديّة قتلت جند شرق الأردن ماعداً واحداً، في حين ينكر المصدر الثاني أن عدد النّاجين اثنان تواريا وسط جثث القتلى . للمزيد من المعلومات راجع: الريحاني ، مصدر سابق ، ص ٢٩٧-٢٩٨ ؛ أيضاً : الماضي والموسى ، المرجع السابق ، ص ٢٣٧-٢٣٩

حصن الكاف، لأنّ الحصن لم يكن لديه وسيلة اتصال مع العاصمة، إلا أن هجمات النجديين على قرى شرقي الأردن، واقتربهم من العاصمة دفع الحكومة الأردنية إلى إصدار أوامرها بالتصدي للغزوة النجدية، فأخذت العشائر الأردنية وفي مقدمتهم الصخور والحويطات تستعد لصد الهجوم، تساندها القوات البريطانية بطائراتها ومصفحاتها والمدركات، إضافة إلى الفيلق العربي، الذي قام بمساعدة أهالي البلقاء، المتجمعين في (زيزياء) لصد الهجوم النجدي، حيث دارت معركة دامية استمرت ساعات معدودة تركت على أرض المعركة ما بين أربعمئة وخمسمئة قتيل^(٣)، اضطرّ بعدها الإخوان إلى الانسحاب، لتكون هذه الحملة آخر الحملات النجدية على إمارة شرقي الأردن^(٤).

بعد ذكر هذه المواجهة العسكرية بين نجد وشرقي الأردن، لا بد لنا من مناقشة الموقف البريطاني حولها، فالأخيرة كانت تسعى لإيجاد جسر أرضي يربط رأس الخليج العربي وخليج العقبة، وترغب في أن يتحقق ذلك من خلال منطقة محايدة تحت إمرة نوري الشعلان، لكنها في الوقت نفسه كانت تريد أن يصبح ابن سعود سيد شبه الجزيرة العربية بعد خلافتها مع الشريف حسين، ووجدت في الغارة النجدية طريقة لمنع الأمير عبد الله من تقديم العون لأبيه، حيث تعطيه مبرراً على عدم مساعدته. لذلك، شجعت الغارة لتحقيق هذا الهدف^(١).

لكن التساؤل المطروح هنا كيف أن بريطانيا تشجع الغارة من ناحية وتقوم بالتصدي لها وسحقها بقسوة من الناحية الأخرى؟ في الواقع لقد أرادت بريطانيا من تدخلها في وجه الغارة النجدية بقسوة شديدة إيصال مجموعة من الرسائل السياسية لابن سعود أولها: تحذيره من التفكير بمهاجمة شرقي الأردن، التي كانت تحرص بريطانيا على الحفاظ عليها. ثانيها: توجيه إنذار صريح لكل الأطراف، أنها الأقوى في المنطقة، وأن على الجميع الإنصياع لأوامرها والالتزام بوجهة نظرها لحل مشكلات المنطقة. كل هذه التحليلات تجعلنا نعتقد أن الغارة كانت مدعومة من بريطانيا، لأنها حققت من خلالها كل الأهداف السابقة الذكر. أما الثمن، فدفعت من رصيد دماء الجنود المتحاربين لدى الجانبين الأردني والنجدي.

٤ - اتفاقية حداء والحدود السعودية-الأردنية الثابتة عام ١٩٢٥:

ساهمت التطورات السياسية والعسكرية في شبه الجزيرة العربية (الحجاز)، التي كانت تنبئ بقرب سقوط الحجاز بيد ابن سعود، وإجبار الحسين على مغادرة العقبة إلى قبرص، إضافة إلى استمرار الغارات بين العشائر الأردنية والنجديّة على الحدود بعد انتهاء المعركة الأخيرة بين نجد وشرقي الأردن في تسريع الخطوات البريطانية، لفرض تسوية حدودية بين شرقي الأردن والعراق ونجد، فقد خافت من انفلات الأوضاع السياسية

(٣) - يعد عدد القتلى عدداً كبيراً بالنسبة للغزوات التقليدية بين العرب (البدو)، إلا أنه عدد طبيعي بسبب استخدام الأسلحة الحديثة من قذائف ورشاشات وطائرات في مواجهة مجموعة من الفرسان والهجاة في أرض مكشوفة. أنظر: الريحاني، نجد وملحقاتها، مصدر سابق، ص ٢٩٧؛ أيضاً: فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، مصدر سابق، ص ٣٣٨

(٤) - محافظة، تاريخ الأردن، مرجع سابق، ص ٥٨

(١) - والدليل على ذلك أن الطعام بيد الأسرى من النجديين كانت لحوم انكليزية مقددة وهو ما لم يكن يستخدم في حروب عرب شبه الجزيرة العربية آنذاك. كل ذلك يوضح أن بريطانيا كانت تقدم الدعم الميداني للإخوان في غارتهم على شرق الأردن. أنظر: الريحاني، نجد وملحقاتها، مصدر سابق، ص ٢٩٨

والعسكريّة من يدها بعد تدخلها لمصلحة شرقي الأردن ضدّ ابن سعود من جهة، وعدم وقف الزحف السعودي على مملكة الحجاز الهاشميّة من جهة الأخرى، فسارعت إلى إرسال السير جيلبرت كلايتون **Gelbert Clayton**^(٢) بمهمة عاجلة إلى جدة لمقابلة الملك عبد العزيز عام ١٣٤٤هـ/أيلول ١٩٢٥، للتفاوض معه بشأن الحدود. في هذه الأثناء كان الحصار على جدة في أشده . ومع ذلك توصل كلايتون بعد مباحثات مكثّفة بين الجانبين^(٣) إلى نجاح باهر^(١)، حيث استطاع إقناع نجد وشرقي الأردن بتوقيع اتفاقية حداء^(٢) في تاريخ ١٥/ربيع الثاني ١٣٤٤هـ-١٢/١١/١٩٢٥، وقد جاءت الحدود بموجب الاتفاقية لتحقيق مطالب الجميع مع تفوق لمصلحة السعودية بشكل ظاهر، حيث دخل وادي السرحان بكامله بما فيه قريات الملح والكاف عدا بعض الأودية الفرعية التي تتحدر باتجاه الحوض الرئيسي للوادي ضمن الأراضي السعودية، في المقابل رسم ممر وصل بين الأردن والعراق، لتتصل بذلك مناطق الانتداب البريطاني الممتدة من شمال الخليج العربيّ إلى شرق البحر الأبيض المتوسط^(٣).

ويظهر الدّور البريطاني بشكل علني في اتّفاقيّة حداء من خلال مقدّمة الاتّفاقيّة التي جاءت على النّحو التّالي: "نظراً للعلاقات الوديّة السّائدة بين الحكومة البريطانيّة من جهة، وبين سلطنة نجد وملحقاتها من جهة أخرى، ونظراً لرغبتهما في تعيين الحدود بين نجد وشرقي الأردن وتسوية بعض المسائل الأخرى المتعلّقة بها اختارت الحكومة البريطانيّة السيّد جيلبرت كلايتون، وعيّنته مندوباً مفوضاً عنها لعقد اتّفاقيّة في هذا الشّأن مع

(٢)- وقد تم اختيار السير كلايتون لدرايته بالمنطقة العربية خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، حيث شغل منصب السكرتير الأول للمخابرات السرية البريطانية في "الشرق الأوسط". أنظر: الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق ، ص ٨٩-٩٠

(٣)- استمرت المفاوضات بين كلايتون وابن سعود ثلاثة أسابيع ، كانت منطقة وادي السرحان أثناءها تحت سيطرة ابن سعود، الذي أستغل انتصاراته في الحجاز وحولها إلى وادي السرحان الذي سيطر عليه من خلال غارات الإخوان أثناء العمل على السيطرة على الحجاز، وقد تركز الخلاف بين الجانبين حول الحدود الشمالية لوادي السرحان أي الكاف وما يليها شمالاً وكذلك شمال غرب الوادي أو ما يسمى بالأودية الأربعة: **بابر والحسا وحيدرج والغنة، فالكاف** لها مكانة إستراتيجية مهمة بالنسبة لشرق الأردن، ومنها يتمكن ابن سعود من مهاجمة قبائل شرق الأردن وأن يحكم قبضته على الرولة . أما الأودية الأربعة التي تصب في وادي سرحان فتقطنها قبائل تابعة لشرق الأردن، لذا حاول كلايتون أن يتركها ضمن حدود شرق الأردن، وقد عرض كل جانب تصوره المبدئي حول شكل الحدود التي يفضلها، فعرض الوفد السعودي مشروعاُ طالب أن تكون دائرة عرض ٣٢ شمالي هي بداية الحدود الشمالية، على أن تبدأ الحدود الغربية مع شرق الأردن من نقطة بين **تيماء ومدائن صالح** ثم يصل إلى تبوك ومنها يلحق خط الحدود بخط طول ٣٧ شرقاً حتى وادي سرحان ثم يسير باتجاه الشمال الغربي حتى يلتقي مع الحدود الشمالية ، دائرة عرض ٣٢ شمالاً ، ليضم إقليم نجد كل وادي سرحان . ويلاحظ من هذا المشروع تغلغله في الأراضي الحجازية جنوباً وقد أصبح معظمها تحت سيطرة ابن سعود. رفضت بريطانيا هذا المشروع لأنه سيقطع أوصال المناطق الخاضعة للانتداب البريطاني للمزيد من المعلومات حول المباحثات وحول النقاشات بين بريطانيا وابن سعود والهاشميين راجع: المرجع السابق ، ص ٩٥-١٠٠

(١)- حيث عبر كلايتون عن سروره العظيم بشأن الاتفاق بين السعودية والأردن للاطلاع على حالة الارتياح التي أبداه في رسالته الموجهة إلى عبد العزيز آل سعود راجع نص الرسالة في الملحق رقم (٤١)

(٢)- هي قرية تقع على الطريق القديم بين مكة وجدة ، وتبعد عن مكة حوالي عشرين كيلو متر، وتم اختيارها كمقر للمفاوضات لأنّ السلطان عبد العزيز ابن سعود كان يعسكر فيها تمهيداً للدخول إلى جدة بعد دخوله مكة المكرمة ومبايعة الأهالي له. أنظر : ساعاتي ، الحدود الدولية ، مرجع سابق ، ص ١٣٩

(٣)- النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص ٣٢

السُّلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود^(٤)، وتألّفت الاتفاقية إلى جانب النص السابق من ست عشرة مادة أخرى تنظم طريقة التعامل مع الحدود الجديدة بين البلدين الموقعين على الاتفاقية. وقد تمّ تعيين الحدود بين نجد وشرقي الأردن وفقاً لاتفاقية حداء في مادتها الأولى على النحو التالي:

يبتدئ الحدّ بين نجد وشرقي الأردن في الجهة الشماليّة الشرقيّة من نقطة تقاطع دائرة الطول (٣٩) درجة (شرقي) ودائرة العرض (٣٢) درجة (شمالي)، حيث تنتهي الحدود بين العراق ونجد ويمتد على خطّ مستقيم إلى نقطة تقاطع دائرة الطول (٣٧) درجة (شرقي) بدائرة العرض (٣٠-٣١) درجة (شمالي)، ودائرة الطول (٣٧) درجة (شرقي) إلى نقطة تقاطعها بدائرة العرض (٢٥-٣١) درجة (شمالي). ثمّ يمتد من هذه النقطة على خط مستقيم إلى نقطة تقاطع دائرة الطول (٣٨) درجة (شرقي) بدائرة العرض (٣٠) درجة (شمالي) تاركاً ما برز من أطراف وادي السرحان لنجد، ثمّ يتبع دائرة الطول (٣٨) درجة (شرقي) إلى نقطة تقاطعها بدائرة العرض (٣٥-٣٩) درجة (شمالي). وسميت الخريطة التي تعكس الاتفاق السابق خريطة (الدولة آسيا مقياس واحد على مليون)^(١).

وبناءً على هذا التحديد تصبح الحدود الأردنية السعودية على النحو التالي: يبدأ الطرف الشرقي الأقصى للخطّ الحدودي الأردني-السعودي بناءً على اتفاقية حداء من جبل عازة ثم يسير غرباً حتى شمال كاف تاركاً إياها ضمن الأراضي السعودية، ومن ثم ينحدر جنوباً بحيث يظل المنخفض الرئيسي لوادي السرحان خارج الأراضي الأردنية.

ومن المواد المهمة الأخرى التي تضمنتها الاتفاقية :

المادة الثانية: تتعهد حكومة نجد أن لا تقيم أي حصن في كاف، وألا تستعملها والمنطقة المجاورة لها كممنطقة عسكرية، وتتعهد أن تمنع قواتها من التّعدي على أراضي شرقي الأردن بكل ما لديها من وسائل.

المادة الثالثة: منعاً لسوء التفاهم الذي قد يحل في بعض الحوادث التي تقع قرب الحدود، وتوطيد الثقة بين حكومة بريطانيا وحكومة نجد. يتفق الطرفان على تبادل المذكرات^(٢) بشكل متواصل بين المعتمد البريطاني في شرقي الأردن أو مندوبه وبين حاكم وادي السرحان.

المادة الرابعة: تضمن بريطانيا حقوق القبائل غير التابعة لنجد في وادي السرحان، سواء أكانت حقوق الرعي أم السكن أو الملكية... وتخضع قبائل شرقي الأردن للقوانين الداخلية لنجد ما دامت نازلة ضمن حدود نجد، وينطبق الأمر نفسه على القبائل النجدية في شرقي الأردن، والتي لها حقوق ثابتة شبيهة بالحقوق السابقة الذكر.

(٤) - ساعاتي ، مرجع سابق ، ص ١٣٩

(١) - CO 831 / 17 / 4 Memorandum : Trans – Jordan Saudi Boundary , py G- Clayton , Jedda , 12 th

May 1927 , A. B., Vol . 5, p. 538 . نقلاً عن: الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق، ص ٩٥-٩٦

(٢) - للاطلاع على المذكرات بين المندوبين الأردنيين والسعوديين بين عامي ١٣٤٤-١٣٧١هـ / ١٩٢٥-١٩٥١ ، راجع :البخيت ، محمد عدنان، الوثائق الهاشمية ، أوراق عبد الله بن الحسين ، إعداد محمد عدنان البخيت وهند أبو الشعر ونوفان رجا السوارية وبكر خازر المجالي، المجلد العاشر ، القسم الثاني ، جامعة آل البيت ، عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ٦١-١٥١

المادة السادسة: تُولف محكمة خاصة بين نجد وشرقي الأردن تلتئم بين الحين والآخر للنظر في تفاصيل أي تعد يقع ما وراء الحدود، وإحصاء الخسائر والأضرار وتحديد المسؤولية، ويكون عدد ممثلي البلدين في المحكمة متساو، وتكون قراراتها نافذة وقطعية^(٣).

وعلى ضوء هذه الاتفاقية أوجدت الحكومة الأردنية وظيفة مأمور العشائر وهو ملحق برئاسة النظار. وكلف بمهمة تسجيل أسماء العشائر الرحل وعدد أفرادها ومقادير أسلحتها وحيواناتها، والتحقيق في الغزوات والاعتداءات، والتجول بين البدو ومحاولة ردعهم عن الغزو، وتولي القضاء بينهم، وترتيب الصلح العشائري إذا تطلب الأمر^(٤).

وقد تمّ الاتفاق على أن تكون هذه الاتفاقية سارية المفعول طوال فترة الانتداب البريطاني في المنطقة العربية كما ورد في المادة الرابعة عشرة من الاتفاقية، وأن تكتب الاتفاقية باللغتين العربية والبريطانية للجوء إلى النسخة البريطانية في حال الاختلاف حول تفسير النصّ العربي، وهذا ما يسمّى بسخرية القدر، فمن لا يستطيع تفسير اتفاقية وقّعها بلغته الأصلية، أيسطيع تفسيرها بلغة أخرى؟ فما هذا دليل على حالة التمزّق السياسي والنفسي الذي عانى منه العرب، وصنعت مرارة الأيام وقسوتها فيما بينهم، وعملت الدوائر البريطانية الاستعمارية ومن جاء بعدها على حفره في ذواكرنا المرهقة من كثرة المشكلات بين العرب وكثرة الأطماع الخارجية بأرضنا وثرواتها، ليبقى تأثير تلك الذكريات على الأجيال القادمة، فتمنع بذلك إمكانية التوافق بين العرب، وتبقى تلك الدوائر وسيلة اتصال تتدخل في الوقت الذي نشاء لتحلّ لنا مشكلاتنا العالقة على حدود التفرقة والتجزئة.

رابعاً: المرحلة الثانية: النزاع الحدودي السعودي - الأردني حول معان والعقبة ١٩٢٥-١٩٣٠ :

بعد انتهاء المرحلة الأولى من النزاع الحدودي بين الأردن والسعودية على وادي السرحان، ظهر إلى واجهة العلاقة السياسية بين البلدين نزاع جديد على منطقتي العقبة ومعان، فقد ادعى كلا البلدين تبعية هاتين المنطقتين له، وسعى إلى ضم المنطقتين المهمتين من الناحية الإستراتيجية إلى أراضيه، إلا أن الموقف البريطاني المؤيد للأردن حسم النزاع الحدودي الناشئ بما يخدم مصالحها.

١- أهمية موقع العقبة ومعان وأثره في ظهور النزاع بين السعودية والأردن:

شهدت مدينتا العقبة ومعان نزاعاً حدودياً كبيراً بين سلطنة نجد وبين إمارة شرقي الأردن لضمّهما إلى دولتيهما، وكان مصدر هذا النزاع الأهمية الكبيرة للمنطقتين بالنسبة لكل طرف، أما بريطانيا فقد اهتمت بالعقبة كثيراً لأنها على طرق مواصلاتها في المشرق العربي، وقد لعبت دوراً مفصلياً في حلّ هذا النزاع حول المنطقتين المذكورتين بطريقة أمنت لها مصالحها.

تبلغ مساحة محافظة معان ٤٠ مليون دونم، وعدد القرى فيها (١٢٤ قرية)، بينما تضمّ العقبة أربع عشرة قرية. ومن أهم المناطق التي شملتها منطقتي العقبة ومعان وفقاً للتقسيمات الإدارية هي: معان، أيل الكبير وإيل

(٣) - للمزيد من المعلومات حول النص الرسمي لاتفاقية حداء والمراسلات الملحقة بها راجع: مجموعة المعاهدات، مصدر سابق، الجزء الأول، ص ١٤-١٨؛ أيضاً: الريحاني، نجد وملحقاتها، مصدر سابق، الملحق ٢، ص ٤٠١-٤٠٤.

(٤) - الشرق العربي، السنة الثالثة، عدد ١٢٧ تاريخ ١٩٢٦/٥/١م

الصغير^(١)، وادي رم^(٢)، القويرة، وادي عربة، الشوبك^(٣)، وادي موسى^(٤)، القاع، وتضم كل منها عدة قرى. ويبلغ عدد سكان الإقليم حوالي ٢٠ ألف نسمة، وترجع الزيادة السكانية في الإقليم إلى اكتشاف الفوسفات في الحسا. التابعة لمعان. تتحدر معان والعقبة بصفة عامة من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ ارتفاع سطح الأرض عند العقبة ١١٥٠ قدم عن سطح البحر وتصل إلى ٧٧٥ قدم إلى الجنوب عند تبوك، وتتميز المنطقة أنها مفتوحة ومسطحة، وفيها شبكة من الطرق أهمها سكة حديد الحجاز التي تخترقها من الشمال إلى الجنوب^(٥).

أما معان فهي بلدة وحيدة في جبل الشراة يفصل بين قسميها الحجازي والشامي نصف ميل، وتعود أطلالها للعهد الروماني، وفضل إحيائها يعود للعثمانيين، وتبعد المدينة إلى الغرب من محطة سكة الحديد حوالي ثلاثة كيلو متر، كثير من أهلها يعمل بالزراعة، أما البدو الرحل منهم فيقيمون حولها صيفاً، وفي الشتاء يرحلون إلى وادي السرحان والغور ومعظم السكان هم من الحويطات والعقباوية، ولعل أهمية معان تكمن في حاجة إمارة شرقي الأردن الناشئة لتوسيع مساحتها، وتوفير مسكن للقبائل التي تقطن فيها أو بالقرب منها، كيلا تترك هذه القبائل إمارة شرقي الأردن في حال ضمها لسلطنة نجد، الأمر الذي كان يفكر فيه السلطان عبد العزيز ابن سعود. إضافة إلى كونها قلعة على طريق الحج وهي من المناطق التي توفر الحماية للحجاج.

أما الأهمية الإستراتيجية فهي لميناء العقبة، فهو المنفذ البحري لشرقي الأردن، والبوابة الشمالية للمملكة الحجازية، وقد أدركت بريطانيا أهمية العقبة منذ زمن طويل، فحاولت عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م ضمها إلى مصر بحجة تصحيح الحدود، وتظهر أهميته في قيام إيطاليا بتدمير العقبة إثر أحداث طرابلس الغرب ١٣٣٠هـ/١٩١١، وعند قيام الثورة العربية الكبرى اتخذها الأمير فيصل مركزاً لتجميع قواته المتوجهة لتحرير بلاد الشام من الحكم العثماني، وفي أثناء المعارك بين ابن سعود والملك علي أرسل ابن سعود رسالة إلى المفوضية

(١) - وهما قريتان تقعان إلى الغرب من معان ، لا يوجد في الأولى مزارع أو مياه جارية ، على عكس الثانية وفقاً لقاضي معان في القرن التاسع عشر الرحالة العربي حمزة العربي. للمزيد راجع : الرواضية ، عيد المهدي ، الأردن في موروث الجغرافيين والرحالة العرب ، وزارة الثقافة ، عمان ، ط ٢ ، ٢٠٠٢م ، ص ٣٨

(٢) - هو أكبر أودية المنطقة وأخفها ، وهو جميل جداً غريباً يملأ النفس بالإعجاب ففيه تلال من الحجر الرملي ذو الألوان الحمراء والبنية والبيضاء. راجع : لانكستر ، هاردنج ، آثار الأردن ، ترجمة سليمان موسى ، منشورات وزارة السياحة والآثار ، عمان ، ١٩٨٢م ، ص ١٧٩-١٨٠ ؛ أيضاً : الديخ ، معان ، مرجع سابق ، ص ٤١١

(٣) - تتبع محافظة معان تقع في الشمال الغربي منها وتبعد عن عمان ٢٢٠ كم وهي جزء من جبال الشراة ، وهي مدينة خصبة ولها فواكه كثيرة وعيون غزيرة . للمزيد راجع : الرواضية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٧-٢٤٨

(٤) - يقع جنوب البتراء منسوب إلى موسى بن عمران عليه السلام وهو واد حسن كثير الزيتون . للمزيد راجع: شيخ الربوة، شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الدمشقي الأنصاري الصوفي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى ، بغداد . د.ت. ، ص ٢١٣

(٥) - أنشأ السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سكة حديد الحجاز، حيث رغب في تحقيق هدفين : إحداهما سياسي والآخر ديني. فالديني بسبب ما رآه السلطان من بعد المسافة بين المدينة والأقطار الأخرى، وما يتكبد الحاج من مشاق لأداء فريضة الحج. أما السياسي فهو ليكون صلة وصل بين الأقطار الحجازية، مما يمكن الدولة العثمانية التدخل بسرعة وسهولة إذا وقع أي واقع ولتتمكن من تطويق الجزيرة إذا تطلب الأمر. بدأ العمل بعد وضع حجر الأساس في منطقة المزيبرب من أعمال حوران ١٣١٧هـ ، وانفق لإتمام السكة خمسة ملايين وربع جنيه عثماني وتم انجازه في سبع سنوات وبلغ طوله ١٩٥٩ كيلو متر . للمزيد من المعلومات حول سكة الحديد راجع: نصيف، ماضي الحجاز وحاضره ، مصدر سابق ، ص ٢٠١-٢٠٢؛ أيضاً: العظم، رفيق بك ، البلاد العربية والسكة الحجازية ، مجلة المنار ، المجلد ١١، ذي القعدة ١٣٢٦/١٩٠٨م ، ص ٦٤٣-٦٦٥

البريطانية يخبرهم فيها أنه سير قوة عسكرية إلى العقبة، لأنه كان مقتنعاً بأنها السبب في إطالة الحرب بينه وبين الملك علي، وقد أدرك ابن سعود الأهمية الإستراتيجية لميناء العقبة من خلال تلك الحرب مع الأشراف، فقد كانت القاعدة لتزويد الملك علي بالإمدادات في جدة. ومن الامتيازات الأخرى التي تتمتع بها العقبة أنها مركز تجاري كبير ومهم يرتاده أهالي المناطق المجاورة لشراء حاجاتهم منها^(٢).

تنازعت ولايتا الشام والحجاز العقبة ومعان طوال العهد العثماني، فتارةً تبعتا لهذه الولاية وتارةً لتلك^(١)، وفي نهاية الحكم العثماني كانت تبعية المنطقتين إدارياً لمملكة الحجاز. لذلك، كانت المنطقتان موضع تنازع مع ابن سعود بعد سيطرته على الحجاز.

٢ - العقبة ومعان بين مملكة الحجاز و شرقي الأردن حتى عام ١٩٣٠:

لم تخل الخلافات بين نجد وشرقي الأردن حول تبعية مدينتي العقبة^(٢) ومعان^(٣) من خلفيات تاريخية تعود إلى العهد العثماني، فعدم الاستقرار الإداري الذي كان يشوب تبعية المدينتين السابقتين جعل كل طرف من

(٢) ذكرت إحدى الوثائق البريطانية أن جلوب باشا أثناء زيارته للعقبة رأى فيها فرقة عسكرية من الحقل بقصد التبضع، فسأله أحد قادة الفيلق العربي هل هناك ما يمنع ذلك، فأجابته لا مانع، وعندها قال لا داعي لوجود برهان لتمسك أهالي العقبة بأراضيها، فإن بدت هذه الأرض عديمة الفائدة، إلا أنه سيأتي اليوم الذي يكون لها فائدة كبيرة. راجع: الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق، ص ٢٠٦-٢٠٧

(١) ذكر بعض المؤرخين أن العقبة ومعان كانتا تتبعان لبلاد الشام لإضفاء الشرعية على ضمهما لإمارة شرق الأردن ، أما الحقيقة فتقول أن الدولة العثمانية كانت تهمل مناطق البدو ، وحسروا اهتمامهم في إدارة القلاع والحصون لحماية الحجيج على طريق الحاج، وأحياناً كانوا يعتمدون على القبائل المحلية لتأمين الحامية للحجاج مقابل بدل نقدي يسمى (صرة)، وقد طبق هذا النظام منذ القرن السابع عشر. وظلت معان خارج التقسيم الإداري حتى زارها الرحالة السويسري بيكرهات عام ١٨١٢م وقال إن الوهابية انتشرت بين أهلها الذين أصبحوا متعلقين بالمدينة المنورة. وقد حاولت حكومة محمد علي المصرية بعد القضاء على الدولة السعودية الأولى ١٨١٨/١٣٣٧م ضم كل موانئ البحر الأحمر بما فيها العقبة، إلا أن الدولة العثمانية أصدرت فرماناً في العام ١٨٣٦/١٨٤١ أعطى فيه حق إدارة مصر وراثته في أكبر أبنائه الذكور ، وحدد فرمان حدود مصر الشرقية بخط يمتد من رفح حتى السويس، ولم تعترف مصر بالحد المشار إليه، بل جعلت حدها الشرقي خطاً يمتد من رفح إلى الجنوب من قلعة الوجه، فأدخلت به سيناء كلها وقلاع العقبة وضبا والمويلح والوجه في حدود مصر، ورغم ذلك أغضمت الدولة العثمانية عينها مؤقتاً، فلم تحتج على تصرف مصر نظراً لمكانة مصر العسكرية والسياسية آنذاك، ولما تقوم به هذه القلاع في ظل الإدارة المصرية من حماية طريق الحج البري. وعندما تحول طريق الحج المصري إلى البحر الأحمر عام ١٨٣٠/١٨٨٤م، أخذت هذه القلاع بناء على طلب الدولة العثمانية تتسلخ عن الكيان المصري، فبدأت بالوجه عام ١٨٣٥/١٨٨٧م ، ثم لحقت به ضبا عام ١٨٣٩/١٨٩١م ، ثم العقبة في العام التالي وعادت جميعها إلى ولاية الحجاز بمقتضى اتفاقية عام ١٨٩٢/١٣١٠م. أنظر: المرجع السابق ، ص ٢٠٩-٢١٠

(٢) خليج العقبة : هو استمرار لصدع البحر الأحمر يشكل ذراعه الشمالي الشرقي ويقع بني خطي عرض ٢٨-٢٩ شمالاً ويبلغ طوله حوالي ١١٠ أميال وعرضه بين ٨ و ١٧ ميل وتقع مضائق تيران عند مدخل الخليج وتحيط بالخليج السعودية بخط ساحلي يبلغ ٩٤ ميل والأردن بخط ساحلي طوله أربعة أميال ومصر بخط ساحلي طوله ١٢٥ ميل. للمزيد راجع: السلطان ، عبد الله عبد المحسن ، البحر الأحمر والصراع العربي - "الإسرائيلي" ، التناقص بين إستراتيجيتين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص ٢٨

(٣) تقع معان جنوبي عمان على مسافة ٢١٦ كم منها و ١٢١ كم عن العقبة، تعلو ١٠٨٠ متر عن سطح البحر، وهي مدينة صحراوية حارة نسبياً، ويعد المدينيون قوم النبي شعيب أقدم من سكن مدينة معان وجوارها، ولما قسم المسلمون بلاد الشام إلى مقاطعات كانت معان تابعة لمقاطعة جند لفلسطين، وكانت عاصمتها الرملة، وذكر عدد من مؤرخي العرب أنها كانت مسكناً لبني أمية ومواليهم، وأن الوليد الثاني الخليفة الأموي عاش في معان وكان ينتقل بينها وبين قصر الأزرق، وهو من أهم قصور بني أمية، بني في منتصف طريق عمان للراحة والصيد أيضاً، ويرجع البعض التسمية إلى المعنيين الذين سيطروا على طرق التجارة في شبه الجزيرة العربية، وكانوا يتركون مركزاً لهم في كل واحة من الواحات ومنها معان، وقد زارها السنوسي في طريق عودته من الحج، وقال إنها قريتان واحدة تتبع للشام وأخرى للحجاز المساكن الحجازية هي: كراشين، والهواريين، والصلاحات، والهلالات، وأبو دروي، والروادة "آل الرواد"، والعضايلة، والتلهوني، والمرعى، وعيال عبد الله .

واستمرّ حال المدينة على هذا الشكل حتّى عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م حينما أعاد العثمانيون إلحاق مدينة العقبة لولاية دمشق، وكذلك الأمر بالنسبة لمدينة معان التي تبعت حيناً لولاية الحجاز وحيناً آخر كانت تدار كمناطق تابعة لولاية دمشق. فمنذ عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م أصبحت معان جزءاً من لواء البلقاء^(٢)، ولم تكن تحظى باهتمام الدّولة العثمانيّة بالقدر الكافي حتى عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢م عندما تم تشكيل لواء الكرك^(٣) ضمن سياسة الدّولة العثمانية تقوية سلطتها على المناطق الجنوبية.

_ أما معان الشامية فتضم المحاميد ، القرامة ، وعيال الحصان (الخورة ، والنسعة ، والعساف ، وال مطير)). أما العقبة فهي من المدن الجنوبية المعروفة بجمالها تقع على البحر الأحمر على الطرف الشرقي من خليج العقبة ، وكانت أشهر قراها قرية آيلة وهي في العبرانية آيلات دخلها خلال الحروب الصليبية ريجنالد صاحب الكرك ومنها حاول مهاجمة الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، إلا أن الأسطول المصري استطاع هزيمة الأسطول الصليبي وإقامة ميناء تجاه طريق عقبة معان اسمه العقبة أو عقبة الحجاز ، وأصبحت أحد مراكز الحج المصرية وأقيمت فيه قلعة في عهد آخر سلاطين المماليك قانصوه الغوري ، وفيها موانئ تجارية وشركات نقل بحرية كانت تسمى قديماً ((عقبة الصوان)). ولقد هجرت المدينة تقريباً في زمن آل العباس بعكس حالها في زمن الأمويين وكان يقيم فيها حكام بني أمية في فصل الشتاء. للمزيد من المعلومات حول المدن الأردنية راجع: عبيدات ، الأردن في التاريخ ، مرجع سابق ، ص٢٣-٢٤؛ أيضاً: النمر، إحسان، معان ، مجلة الأزهر ، الجزء السادس ، المجلد ٢٥ ، ١٩٥٤م ، ص٧٠٤؛ أيضاً : الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق ، ص٢٠٦-٢٠٧ ؛ أيضاً: الديخ ، قباعة رزق هارون ، معان ، عمان ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص٢٢

(١٢) - يقع لواء البلقاء في جنوب ولاية سورية ، يحده من الشمال حوران ومن الجنوب ولاية الحجاز ، ومن الشرق البادية، ومن الغرب متصرفية القدس، وقد تم تشكيله من دمج لوائي نابلس والقسم الأوسط من لواء عجلون (البلقاء ومعان والكرك)، ضم ثلاثة أفضية نابلس والسلط والكرك. وفي سنة ١٨٧١ ارتفع عددها إلى خمسة أفضية. وذلك، بعد تشكيل قضاء معان وجنين، في عام ١٨٧٤م تتناقص عدد أفضية اللواء بعد إلحاق معان بلواء الشام مؤقتاً، في عام ١٨٨٢م أعادت الدولة إلحاق معان بلواء البلقاء، وفي العام ١٨٨٤م ألغت الدولة العثمانية قضاء معان بعد إلحاقه بمركز القضاء (نابلس). للمزيد من المعلومات راجع: سالنامه ولاية سورية سنة ١٢٥٨هـ/١٨٦٨م؛ أيضاً: سالنامه ولاية سورية سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١ ؛ أيضاً: سالنامه ولاية سورية ١٢٩١هـ/١٨٧٤ ؛ أيضاً: سالنامه ولاية سورية سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٤ ؛ أيضاً: دومانى ، بشارة ، إعادة اكتشاف فلسطين ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، لبنان ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ ، ص ٦١

~ 178 ~

فقد أرسلت محمد رؤوف باشا للسيطرة على الكرك ومعان، وأصبحت الأخيرة في هذا التاريخ مركز اللواء^(١)، وتألّف لواء الكرك من ثلاثة أقضية (معان-السلط-الكرك)، وهو بذلك يشمل كلّ الأراضي الواقعة شرقي الأردن عدا التابعة لقضاء عجلون، وهذا ما يدفعنا للقول إنّ لواء الكرك هو النواة التي شكّلت فيما بعد إمارة شرقي الأردن.

بعد اندلاع الثورة العربيّة الكبرى ١٣٣٥هـ/١٩١٦، كان لمدينتي العقبة ومعان نصيب في تحركات الجيش العربيّ بقيادة الأمير فيصل، ففي العام ١٣٣٦هـ/تموز ١٩١٧م سَير الأمير فيصل كتيبة بقيادة الشريف ناصر إلى المنطقتين لتخريب الجسور والمحطّات فيهما بهدف تشتيت وإضعاف الحامية العثمانيّة هناك، وقطع المساعدات عنها. وفي العام ١٣٣٦هـ/آب ١٩١٧م تمكّنت القوّات العربيّة من السيطرة على المدينة، لتتحوّل إلى مركز لتجمّع القوّات العربيّة بقيادة الأمير فيصل، أمّا معان فقد حاصرتها القوّات العربيّة فترة من الزّمن حصل خلالها اشتباكات عديدة بين الحامية العثمانيّة هناك وبين القوّات العربيّة الثّوريّة، وتمّت السيطرة على المدينة بشكل كامل عام ١٣٣٦هـ/أيار ١٩١٧م^(٢).

وبعد انتهاء الحرب العالميّة الأولى ظلّت العقبة ومعان تابعة لمملكة الحجاز الهاشميّة التي اعترفت بها البريطانيون عام ١٣٣٥هـ/حزيران ١٩١٦، وعلى الرّغم من أنّ بريطانيا كانت تراقب عن كثب كلّ تطوّر حول مرفأ العقبة المهمّ بالنّسبة لمواصلاتها في البحر الأحمر الخليج العربيّ، وقد كانت معان أيضاً تابعة لمملكة الحجاز بدليل أنّه لما تمّ ضمّها إلى شرقي الأردن كان ذلك من خلال قرار أصدره الملك علي بن الحسين ملك الحجاز عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥^(٣).

وقد شهدت المرحلة التي تلت تحرير الأراضي العربيّة من الحكم العثماني تخبّطاً إدارياً كبيراً بالنّسبة للعقبة ومعان، فقد وصلت سلّة القائد البريطاني اللّبي إلى مئة ميل جنوب العقبة، أي إنّ بريطانيا اعتبرت العقبة ضمن الأراضي العربيّة الخاضعة لسلطتها المباشرة، في حين أنّ الوجود الإداري الحجازيّ في المرفأ كان موجوداً ولو رمزياً، ممّا يعني أنّ بريطانيا تركت العقبة تتبع مملكة الحجاز مع إشرافها المباشر عليها، وكذلك عاشت معان تخبّطاً إدارياً هي الأخرى، فقد عيّنت الحكومة السّوريّة الهاشميّة موظفاً تابعاً لها برتبة قائمقام في معان في وقت كان الموظف التّابع للحكومة الحجازيّة في العقبة يحمل التّعليمات بمدّ سلطته إلى معان، وفي وقت لاحق عين قائمقام آخر في العقبة لم يكن يتبع أيّاً من الحكومتين العربيّتين في سورية أو الحجاز، كما لم

(١)- استمر قضاء معان مركز اللواء حتى عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥ وامتد من قضاء الطفيلية شمالاً إلى وادي السرحان جنوباً ، ومن البادية شرقاً إلى وادي عربة غرباً ، أضيفت له ناحيتين عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩ (الشوبك-تبوك) وفي سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠. أنظر: سالنامه الدولة العثمانية سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩ ؛ أيضاً : سالنامه الدولة العثمانية سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠

(٢)- للمزيد من المعلومات حول المعارك التي حصلت للسيطرة على مدينتي العقبة ومعان من قبل رجال الثورة العربية راجع: سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٢٢١-٢٢٩

(٣)- نصيف ، ماضي الحجاز وحاضره ، مصدر سابق ، ص ١٨٢-١٨٣

يكن واضحاً إن كان يتبع القدس أو إحدى الإدارات المدنية البريطانية، التي كانت قد أنشأتها في وقت سابق في شرقي الأردن^(١).

لم تكن مسألة النقاش حول ضمّ العقبة ومعان إلى إمارة شرقي الأردن وليدة التطورات العسكرية بين إمارة شرقي الأردن وبين سلطنة نجد، بل بدأ النقاش فيها قبل نشوء الإمارة الهاشمية عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١، ففي العام ١٣٤٠هـ/أيلول ١٩٢١ التقى الكولونيل لورنس الملك حسين في جدة وعرض عليه مشروع معاهدة بريطانية مع المملكة الحجازية، التي اعترفت بها بريطانيا بعد إعلانها، لتكون البديل عن الوعود الكثيرة التي أعطتها له، وهذه الاتفاقية التي لم يطلع عليها حينها، إلا قلة من المقربين من الحسين ولورنس والأمير عبد الله تضمنت أن تكون حدود مملكة الحجاز هي حدود ولاية الحجاز في أثناء الحكم العثماني بعد سلخ كل من العقبة ومعان وتبوك، وإحاقها بشرقي الأردن التي كان يعدّها الحسين جزءاً من ممتلكاته، فرفض الشريف حسين الاتفاقية، في حين وافق الأمير عبد الله عليها وانتظر الوقت المناسب لتنفيذها^(٢). ولإيجاد منفذ بحري للأردن قرر مجلس الانتداب البريطاني في عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م أن تبدأ حدود الأردن الجنوبية الغربية مع فلسطين على مسافة ميلين غربي العقبة، فكان ذلك بداية لنحت منفذ بحري للأردن، وقد أقرت عصبة الأمم المتحدة ذلك الإجراء^(٣).

وبعد سيطرة ابن سعود على الجوف، رأت بريطانيا ضرورة استغلال الفرصة وفرض جملة من التنازلات على الطرفين، فإما أن يتخلّى الأمير عبد الله عن الكاف مقابل العقبة والجزء الواقع شمالي المدورة، وبالمقابل يتخلّى ابن سعود عن تربة والخرمة، أو أن يتخلّى الحسين عن ادعاءاته في المناطق الواقعة شمالي المدورة بما فيها العقبة مقابل تربة والخرمة، وقد أرسلت وزارة الخارجية البريطانية إلى المعتمدين البريطانيين في كل من جدة وبوشهر والقدس وإلى مقرر مؤتمر الكويت الكولونيل **نوكس Knox**، وازداد التفكير البريطاني في ضرورة حسم مسألة العقبة ومعان^(٤)، بعد تنازل الشريف حسين عن الملك لابنه علي التجأ إلى العقبة، فهدد ابن سعود عام ١٣٤٤هـ/أيار ١٩٢٥م بمهاجمة العقبة عسكرياً إذا استمر الحسين بالإقامة فيها. لذلك، سارعت بريطانيا وعرضت عليه الإقامة في قبرص ومغادرة المدينة على الفور لكي لا تتعرض للهجوم^(٥)، وأخذت الحكومة البريطانية تفكر في مسألة العقبة ومعان، وطريقة معالجة الحدود بين شرقي الأردن ومملكة الحجاز السعودية بعد انهيار الحكم الهاشمي فيها لصالح ضمهما لشرقي الأردن.

كانت بريطانيا تدرك أهمية ضمّ معان والعقبة لشرقي الأردن، لتأخذ الإمارة الناشئة بعض القوة والحيوية، وعندها يكون الخطّ الحدودي الجديد كفيلاً بالدفاع عن الإمارة الجديدة من جهة، ولتحمي بريطانيا مصالحها وطرق مواصلاتها من خلال إبقاء العقبة تحت إشرافها المباشر من جهة ثانية، وقد أدركت بريطانيا أنه لا يمكن فصل العقبة عن شرقي الأردن، وهذا ما صرّح به **جلوب باشا** حين قال: "منذ الحرب العالمية الأولى والملك

(١) - النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص ٣٤

(٢) - الزركلي ، عامان في عمان ، مصدر سابق ، ص ١٥٢ ؛ أيضاً : نصيف ، ماضي الحجاز وحاضره ، مصدر سابق ، ص ١٨١

(٣) - النعيم ، مرجع سابق ، هامش ٥٢ ، ص ١١٢

(٤) - الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق ، ص ٢١٣

(٥) - محافظة ، تاريخ الأردن ، مرجع سابق ، ص ٦١

حسين يحكم الحجاز، بينما يحكم ابنه عبد الله شرقي الأردن منذ عام ١٣٤١هـ/١٩٢١، وقد ظهر بوضوح صعوبة الفصل بين هذين الإقليمين اللذين تحكمهما أسرة واحدة، ومن هنا لم يكن للحدود بينهما أهمية تذكر. فأدار الشريف حسين إقليم معان من مكة حتى وفاته. في حين كان جنوب معان مرتبط منذ القدم بعمان بشكل متعاقب، وكذلك الصحراء الجنوبية وصولاً إلى ميناء العقبة، بشكل يفصلهما عن مدن الحجاز، حيث ترتبط معان والمنطقة الواقعة جنوبها بعمان في وحدة جغرافية طبيعية وبشرية وتجارية، في حين تفصلهما عن مدن الحجاز صحراء غير مأهولة بالسكان، وفي زمن العثمانيين كانت حدود ولاية دمشق تمتد جنوباً حتى تبوك و تيماء وهي تبعد إلى الجنوب كثيراً عن الحدود الحالية لشرقي الأردن. بينما لم تمتد حدود الحجاز الشمالية جنوبي هذه المدن^(١).

وقد حسمت هذا الموضوع بينها وبين الحكومة الأردنية، التي اتفقت معها بريطانيا على ضم العقبة ومعان لها، وهو ما عبّر عنه وزير المستعمرات البريطاني وينستون تشرشل^(٢).

فبريطانيا الراغبة بتفصيل الحدود وفقاً لمصالحها كانت ترى بضرورة فصل فلسطين نهائياً عن ممتلكات ابن سعود^(٣)، وذلك بمنعه من السيطرة على العقبة ومعان، ولتغطي بريطانيا حلّ ضمّ المنطقتين المذكورتين لإمارة شرقي الأردن صفة شرعية أوحى للملك عليّ بالتنازل عن منطقتي العقبة ومعان لإمارة شرقي الأردن قبل أن تُلغى حكومته في أنفاسها الأخيرة. ولم تكن المفاوضات بين عليّ والأمير عبد الله سهلة، فالحسين كان قد رفض سابقاً ضمّ المنطقتين لشرقي الأردن وذلك إدراكاً منه لأهمية العقبة إستراتيجياً بالنسبة للمملكة الحجازية، ولو كان وافق فعلاً كما قال الأمير عبد الله عام ١٣٤٣هـ/٢٤ حزيران ١٩٢٥، لوجد ما يثبت ذلك، فالشريف الذي طرد من العقبة بطلب بريطاني، رفض طلباً بريطانياً آخراً بالتنازل عن معان والعقبة لابنه الأمير عبد الله^(٤)، إلا أنّ الأوضاع الصعبة التي عاشها الملك عليّ في مملكته المحتضرة خلال حربه مع ابن سعود، إضافة إلى الضائقة الاقتصادية والعروض الكثيرة التي قدمتها بريطانيا للملك دفعته للموافقة على التنازل عن معان والعقبة، وضمّهما لإمارة شرقي الأردن، وأصدر إرادته الملكية السامية بذلك في عام ١٣٤٣هـ الموافق ٥ حزيران ١٩٢٥، وقد جاء فيها:

(١) - الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق ، ص ٢١٣

(٢) - محافظة ، تاريخ الأردن، مرجع سابق ، ص ٦١ ؛ أيضاً: النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص ٣٤

(٣) - يظهر السبب الرئيسي في رغبة بريطانيا ضم العقبة ومعان لشرق الأردن من خلال ما قاله جلوب باشا في مذكراته التي جاء فيها: رغب

ابن سعود والإخوان في وصل حدودهم بفلسطين وسورية، الأمر الذي يعني فناء شرق الأردن، ومجاورة هذه الدولة الدينية المتعصبة لمدينة القدس، حيث تتدفق مشاعر المسلمين الدينية. ونتيجة لذلك وبمجرد سقوط الحجاز، وقبيل تسليم جدة قامت القوات البريطانية وقوات شرق الأردن باحتلال العقبة ومعان وتصحيح الأوضاع من وجهة نظر جلوب بالطبع، وإعادة الحجاز إلى حدودها الطبيعية، حيث فصلت الصحراء الشاسعة بين شرق الأردن بريفه وحضره عن المدن الحجازية " . أنظر : C0

831/ 16/ 4 Glubb to Blaxter (CO) Anote on the Frontier between the Hejaz Nejd and Trans - ,Jordan, Sep. 1931 A. B., Vol. 5, p. 435 26 th . نقلاً عن: الصباغ ، مرجع سابق ، ص ٢١٤

(٤) - ويتضح رفض الملك حسين الاعتراف بضم معان والعقبة لإمارة شرق الأردن من خلال رسالة بعث بها من نيقوسيا في ١٧ آب ١٩٢٥م نشرتها صحيفة التايمز البريطانية، اعترض فيها على تنازل علي عن المنطقتين لشرق الأردن، إضافة إلى أنه ليس هناك وثيقة رسمية تثبت تنازل الملك حسين عنهما. للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع راجع: الصباغ ، مرجع سابق ، ص ٢١٥

١-التصريح بسلامة الشرق العربي (شرق الأردن) .

٢-عدم إزعاج جلالة الخليفة الأعظم نظراً لمقامه في العالم العربي والإسلامي، أي أنه لا يجري التسليم إلا بعد تشريف جلالته جدة.

٣-لا يجري التسليم إلا بعد صدور الأوامر لموظفي ولاية معان.

٤-عدم التعرض لناقلات الحجاز الحربية مطلقاً.

٥-السماح للحكومة الحجازية بنقل جندها ومعداتها إلى أي مكان تريد قبل التسليم وبعده^(١).

في عام ١٣٤٣هـ الموافق ٢٤ حزيران ١٩٢٥م أعلن الأمير عبد الله رسمياً ضمّ معان والعقبة إلى إمارة شرقي الأردن، بعد أن أصدر إرادة بقبول ضمّ معان والعقبة إلى إمارته مع شكر الأمير وشعبه للملك علي، وقام الأمير في اليوم التالي بزيارة معان برفقة رئيس النظار علي رضا الركابي باشا، وعبد القادر بك الجندي رئيس أركان حرب شرقي الأردن، لحضور الحفلة الرسمية التي أقيمت احتفالاً بضمّ العقبة ومعان رسمياً إلى الإمارة الأردنية، ورفع علم الإمارة عليهما، وعُيّن غالب باشا الشعلان حاكماً على معان، ووُزعت القوات العسكرية في كلّ من الشوبك ووادي موسى والجفر والعقبة، وأدخلت مصاريف المنطقتين في الموازنة الأردنية اعتباراً من بداية السنة المالية من عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م^(٢).

واجهت بريطانيا مهمة صعبة وهي إقناع السلطان عبد العزيز ابن سعود بالتخلي عن التفكير في ضمّ معان والعقبة لمملكته، والموافقة على ضمّهما لإمارة شرقي الأردن، ولاسيما بعد سقوط الحكم الهاشمي في الحجاز، وانشغال ابن سعود بتوطيد أركان حكمه فيها، فحاولت بريطانيا استغلال هذه الفرصة لفرض الأمر الواقع على ابن سعود، ولمنعه من إيجاد الوقت فيما بعد لمطالبتها بموقف مغاير من موقفها الحالي، وكلفت بريطانيا لتحديد الحدود بين الحجاز وشرقي الأردن السير جيلبرت كلايتون الذي سارع إلى إرسال مذكرة إلى ابن سعود ١٩/١٣٤٥هـ/١٩ أيار ١٩٢٧م جاء فيها:

((من السير حلبرت كلايتون إلى جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها يا صاحب الجلالة؛ لي الشرف أن اذكر جلالتهم أنه، في أثناء مفاوضاتنا التي أسفرت لحسن الحظ إلى عقد معاهدة صلح وصداقة وحسن تفاهم بين صاحب الجلالة البريطانية وجلالتهم، جرى البحث في مسألة الحدود بين شرقي الأردن والحجاز، وأوضح لجلالتهم الموقف الذي اتخذته حكومة جلالته في هذه المسألة، كما تحدّد في مسودة البروتوكول التي قدمتها لجلالتهم، والذي لا بدّ لحكومة جلالته من التمسك به)).

تعتبر حكومة جلالته في الحدّ المذكور أعلاه كان تحدّد كما يلي :

"يبتدئ الحدّ بين الحجاز وشرقي الأردن من نقطة تقاطع خطّ الهاجرة عند النقطة ٣٨ شرقاً بخطّ العرض عند الدرجة ٢٩ والدقيقة ٣٥ شمالاً التي تدل على نهاية الحدّ بين نجد وشرقي الأردن ثمّ يسير في خطّ

(١)- أضيفت للإرادة الملكية بعض الشروط الأخرى منها: تبقى جنود الخط الحديد الحجازي المكلفون المحافظة على الخط والقطارات تحت قيادة قائدهم تحت نظارة الخط الحديدي الحجازي، يبقى لاسلكي معان مع المدينة نفسها للمخابرة . للمزيد من المعلومات راجع: نصيف، ماضي الحجاز وحاضره ، مصدر سابق ، ص١٨٣-١٨٤

(٢)- المصدر السابق ، ص١٨٤ - ١٩٠

مستقيم حتى نقطة على خط سكة حديد الحجاز على بعد ميلين جنوب المدوّرة ويسير من هذه النقطة في خط مستقيم إلى نقطة على خليج العقبة تبعد ميلين جنوب العقبة^(١).

لكنّ عبد العزيز آل سعود لم يوافق على الخطّ المذكور في مذكرة كلايتون، وردّ في مذكرة جوابية على كلايتون جاء فيها: "من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى مندوب صاحب الجلالة البريطانية وزيره المفوض جواباً على كتابكم المؤرخ في ١٨ ذي القعدة ١٣٥٤ هـ (١٩/٥/١٩٢٧م) بموضوع حدود الحجاز - شرقي الأردن أخذنا علماً بأنّ حكومة جلالكم تتمسك بموقفها ولكننا نجد أنّه في الظروف الحاضرة لا يمكن تسوية المسألة نهائياً. غير أنّه نظراً لرغبتنا الأكيدة في المحافظة على العلاقات الودية القائمة على روابط الصداقة المتينة، نوّد أن نبدي لفخامتكم رغبتنا في المحافظة على الحالة الحاضرة في مقاطعة معان - العقبة ونعدّ بالأّ نتدخّل في أمر إدارتها حتّى تسمح ظروف هذه المسألة بتسويتها تسوية نهائية"^(٢).

وتظهر من اللّهجة المستخدمة في جواب السلطان عبد العزيز آل سعود أنّه لم يكن قادراً في ذلك الوقت على رفض الطّلب البريطانيّ مع محاولته إبقاء الباب مفتوحاً على تغيير في مسألة معان والعقبة في ظروف أخرى إذا سحّت في وقت لاحق، فقد كان ابن سعود بعد مؤتمر مكّة ١٣٤٥ هـ/١٩٢٦، الذي عقده ليسوع للعالم الإسلامي هجومه على الحجاز، ويأخذ دعم العالم الإسلامي له، وكمحاوله يائسة لإجبار بريطانيا على الموافقة على إعادة معان والعقبة لمملكة الحجاز، ولاسيّما أنّ بريطانيا اعترفت بابن سعود ملكاً على مملكة الحجاز، إلّا أنّ المؤتمر لم يحقّق لابن سعود ما كان يطمح إليه، وعلى الرّغم من أنّه أعطاه الحقّ باستعادة معان والعقبة وضمّهما إلى مملكة الحجاز، لم يجد ابن سعود لدى بريطانيا أيّ رغبة في مناقشة مسألة العقبة ومعان، فبريطانيا لم تكن تسمح لحدود مملكة ابن سعود أن تصل إلى فلسطين، ولا يمكن أن تسمح للحركة الوهابية من الوصول إلى شواطئ البحر الميت القريب من القدس، وبالتالي سيؤمّن ضمّ العقبة ومعان والمدوّرة إلى شرقي الأردن حماية كافية لفلسطين^(٣). والخطّ الذي أقرّ لم يكن خطأ نهائياً كما افترض البريطانيون، فقد تكلّف في أواسط الثلاثينات وجود خطأ في خريطة الحدود آسيا ١٣٣٧ هـ/١٩١٧، حيث كان هناك فارقاً بين الحدّ الذي أبلغت فيه الحكومة السّعودية رسمياً وبين الخطّ الخاضع فعلياً لسلطات الانتداب البريطاني، حيث اختلف موقع الطّواهر الطّبيعية على الخريطة عن الطّبيعة بحوالي ستة عشر ميلاً نتيجة تسرّع بريطانيا في رسم الحدود، وعدم القيام بدراسة تحرّك القبائل قبل رسم الحدود، ويبدو أنّ بريطانيا لم تكن تريد فتح الموضوع مرّة ثانية خشية أن يستغلّ ابن سعود ذلك لتغيير موقفه والمطالبة بتعديل خطّ الحدود القديم، خاصّة أنّه لم يعترف به بشكل نهائي. لذلك، تبادلت السّلطات البريطانية المعنيّة النّقاير والرّسائل فيما بينها بطريقة سرّية، أعربت من خلالها عن قلقها

(١)- وثيقة رقم (٢) (١١١-٦/٢٠٠) جدة في ١٩ أيار ١٩٢٧م (١٨ ذو القعدة ١٣٤٥ هـ ، للاطلاع على النص باللغة الإنكليزية راجع : البخيت ، الوثائق الهاشمية ، المجلد الثامن ، الجزء العاشر ، ص١٥٣-١٥٤

(٢)- وثيقة رقم (٣) (١٠٩-٦٠٠/٢٠٠) ، ١٩ ذو القعدة ، ١٣٤٥ هـ ، ٢١ أيار ١٩٢٧م ، للاطلاع على نص الوثيقة باللغة الإنكليزية راجع : المصدر السابق ، ص١٥٥: أيضاً: الملحق (٤٢)

(٣)- الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق ، ص٢١٨-٢١٩

من أن ذلك الخط يُخرج كتلة جبل طَبِيق^(١) والسَّهل الواقع في جنوبيه من الأردن، وخافت السُّلطات البريطانيَّة من أن تنتبه السُّلطات السَّعوديَّة لذلك الأمر، فنأى بعض المسؤولين البريطانيِّين المعنيين بالموضوع بضرورة استمرار بريطانيا سيطرتها الفعليَّة على تلك المنطقة وإعادة التَّفاوض مع السَّعوديِّين على أساس نيَّة المتفاوضين لا على أساس النَّصِّ الأصليِّ للمراسلات، وهي تترك قوَّة الموقف السَّعوديِّ في حالة لجوء الطَّرفين إلى التَّحكيم. في ظلِّ هذا الوضع عدَّل البريطانيُّون خطَّهم الحدوديَّ بصورة منفردة، بحيث تدخل كتلة جبل طَبِيق ضمن الأردن، وعلى الرَّغم من أن السُّلطات السَّعوديَّة علمت بذلك الاختلاف بين الاتِّفاقيات السَّابقة وبين الخطِّ الجديد، وحاولت استغلال ذلك لمصلحتها وإحراج بريطانيا دون أن تحقِّق أيَّ نجاح، واضطَّرت السَّعوديَّة عام ١٣٥٥هـ/تشرين الأوَّل ١٩٣٦م في أثناء تجديد معاهدة جدَّة أن تقبل ببقاء الخطِّ الحدوديِّ الأردني - السَّعودي (الحجازي) على حاله بعد التَّعديل البريطاني مع تمسُّك الطَّرفين بمواقفهما السَّابقة^(٢).

كل هذه التطورات السِّياسيَّة والعسكريَّة حسَّمت الموقف حول مسألة العقبة ومعان لصالح إمارة شرقي الأردن، ووفقاً لوجهة النَّظر البريطانيَّة، التي استطاعت إدارة الأزمة بين البلدين الجارين بطريقة أفادت ولبت طموحاتها بالنسبة لمخططاتها المستقبلية في فلسطين.

(١) - جبل طَبِيق هو الاسم الذي يطلق على المنطقة الجبلية التي تقع شرق سكة حديد الحجاز، تبدأ من المدورة ويقسم إلى جبلين الأسود في الشرق والأحمر في الغرب، صخوره جيرية، وتتميز المنطقة بوعورتها، تقطع الجبل عدة أودية وسطحه عبارة عن رمال متحركة، إلا أنها مليئة بالأشجار الطويلة وتستخدم أطراف الأودية للرعي، وتشكل الأودية محمية طبيعية دافئة تختبئ فيها القبائل من البرد في الشتاء، ولا سيما المنطقة الجنوبية، وتتوافر في المنطقة مراعي الإبل الشتوية من حشائش وشجيرات طويلة وكمية محدودة من أخشاب الوقود، تسكنها قبائل الحويطات.

للمزيد من المعلومات راجع: الصباغ، مرجع سابق، ص ٢٣٦-٢٣٨

(٢) - الصباغ، المرجع السابق، ص ٣٦

خامساً: الاتفاقيات الحدودية بين السعودية والأردن وأثرها على العشائر في البلدين:

يطغى على المجتمع الأردني والسعودي الطابع القبلي، إذ يعتمد تقاليد محدّدة ورثها عن آبائه وأجداده، ومن هذه التقاليد الغزو والتّقل من مكان إلى آخر وفقاً للحاجة، وبما أنّ فكرة الحدود الثّابتة والدّول تتنافى مع هذه التقاليد، وجدت كلّ من حكومة الحجاز السّعوديّة وحكومة شرقي الأردن صعوبة في فرض الأمن ومنع الغارات على جانبي الحدود بين البلدين.

١-العشائر بين الحدود الثابتة والتقاليد البدوية:

في أوائل تأسيس إمارة شرقي الأردن كان في البلاد ثلاث مجموعات قبلية كبيرة وهي: الحويطات في الجنوب، وقبائل بني صخر^(١) في الوسط الشرقي وقبائل منطقة البلقاء^(٢). وكان الحويطات والصخور أكثر تعلقاً بالقبيلة من المكان على عكس قبائل البلقاء التي كان تضم عشائر ترتبط بالبقاء وتقيم فيها أكثر من ارتباطها بالقبيلة^(٣).

وقد اعتادت قبائل الأردن على غزو القبائل النّجدية والعكس صحيح. لذلك، وجدت المعاهدات والاتفاقيات بين البلدين طريقاً مفخّخاً في كلّ خطوة من خطوات التّنفيذ، فالعقل القبليّ الذي كان يحكم القبائل السّعوديّة (عتيبة حرب ومطير)، والقبائل التي اعتنقت الوهابية وتعتمد على التّقل والغزو، كان سبباً من أكثر الأسباب المولدة للآزمات المستمرة على الحدود بين شرقي الأردن وبين سلطنة نجد، فبعد اتّفاقية حداء أصبح همّ الرّعيّمين (عبد الله وعبد العزيز آل سعود) فرض الهدوء على طرفي الحدود بمنع القبائل من أن تهاجم بعضها بعضاً، وقد تمّ إنشاء لجنة مخصّصة لجدولة المنهوبات في حال حصول غارات بين القبائل، وتمّ تشكيل محكمة

(١)- أكدت سجلات الدولة العثمانية في القرنين السادس والسابع عشر ميلادي أن عربان بني صخر توطنوا في منطقة البلقاء ، حيث أحصت السجلات العثمانية اثني عشر جماعة ودونت كل جماعة تحت اسم شيخها .للمزيد راجع : دفتر مفصل لواء عجلون : طابو دفترى رقم ١٨٥/أن/ ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦ ، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت ، ونوفان الحمود ، الجامعة الأردنية ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١ ، ص ٢٦٠-٢٧٠ ، ٢٥٧؛ وقد تمتعت القبيلة بأهمية خاصة لتمركزها على طريق الحج الشامي وتحكمها فيه مما اضطر الدولة العثمانية ، واستخدامهم في تأمين خط سير الحج .للمزيد راجع : دفتر نقص أحمال بني صخر والحجايا المرسلة إلى القلاع في سنة ١١٥٤هـ/ ١٧٤١ ، طوب قبو سراي ، رقم ٣٧٥٠ ، ورقة ١-٣ ، محفوظ صورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الأردنية . فقد وصل إلى قائممقام القدس الشريف عام ١٢١٩ هـ/ ١٨٠٤م حوالة مالية من أمين الحاج ابراهيم والي الشام ، بقيمة ٣٢ ألف قرش ليسلمها إلى الشيخ عواد الفايز ابن الشيخ دياب شيخ عربان بني صخر ، وكذلك تشير السجلات إلى أن بني صخر وجدوا في الغور أيضاً وذلك من خلال دعوة أقامها سليمان بن سلمان على زوجته وهو عبد عند الشيخ فواز بن سظام شيخ بني صخر وذلك سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م . للمزيد راجع : سجلات محكمة القدس الشرعية ، رقم ٢٨٥ ، حج ، ٩ شعبان ١٢١٩ هـ/ ١٢ تشرين الثاني ١٢١٩ هـ/ ١٨٠٤ هـ ، ص ١٠٤-١٠٥ ؛ أيضاً: سجلات المحكمة الشرعية في السلط دون رقم ٣- حج ، ١٠ محرم ١٣١٧ هـ/ ٢٠ أيار ١٣١٧ هـ/ ١٨٩٩م ، ص ٨٠

(٢)- أطلق على العربان الذين كانوا يقطنون مرتفعات البلقاء وسهولها فقد قال بيركهارت الذي زارها سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م أن عدد قبائلها هو ٤٠ قبيلة أما ميرل الذي زارها في القرن التاسع عشر قال أنه رأى ثلاثة آلاف خيمة .للمزيد راجع : Merrill, SELHA , East Of The Jordan: A Record Of Travel And Observation In The Countries Of Moab, Gilead And Bashan During The Years, 1875-1877 . p 175,306,308,320 وكان عرب البلقاء على عدا مع الشرارات التي كانت تقطن أحياناً ديرة بني صخر ، وكان يصل الأمر بينهما إلى حد الصدام المباشر .للمزيد راجع : Gertrude Bell, The Desert and the Sown: Travels in Palestine and Syria The Arabian Diaries, 1913-1914, Persian Pictures,p38-40

(٣)- الموسى ، تأسيس الإمارة الأردنية ، مرجع سابق ، ص ١٤٣

قبلية^(١) خاصة لفصل النزاعات بين القبائل بمقتضى المادة السادسة من اتفاقية حداء، وبعد تبادل الوفود بين الجانبين ووصول التعليمات للوفود بقبول دخول المحكمة لإحصاء المنهوبات بعد كل غارة، ولاسيما وفد نجد الذي كان يحتاج دوماً للحصول على التعليمات من نجد واقتصر دور اللجنة على تقديم الطلبات التي ترسلها حكومة بلاده مما يؤدي إلى تأجيل الجلسات مرة بعد الأخرى^(٢).

عقدت الجلسة الأولى في عام ١٣٤٦هـ الموافق شباط ١٩٢٧، وواجهت المحكمة الكثير من الصعوبات حول التاريخ، الذي يحق لها بدئ عملها فيه. هل قبل اتفاقية حداء أم بعدها؟ وما هي حدود الصلاحيات المناطة بها؟ فوفد الأردن أراد أن يبدأ عملها من تاريخ الاتفاقية. أما الوفد النجدي أرادها أن تبدأ منذ ضم نجد للجوف في عام ١٣٣٩هـ الموافق تموز ١٩٢١، إلى أن وافق الجانبان على أن تبدأ المناقشات منذ سقوط الجوف^(٣)، ومن المشكلات التي كانت تعاني منها المحكمة التعامل معها بالفكر القبلي العشائري، فالجانبان لم يقدموا لها شيوخ القبائل المتورطة في أعمال الغزو، والعفو كان يمنح للقبائل دون مراجعتها، كما حصل مثلاً عندما قام الأمير شاعر قائد مجلس السيطرة على البدو بإطلاق الغزاة من بني عطية دون معاقبتهم لغزوهم قبائل نجد واتهمت نجد حكومة شرقي الأردن بأنها سبب فشل عمل المحكمة الخاصة، لأنها لم تحدّد طريقة عملية منظمة لعقد الجلسات وإحضار الشهود وتنفيذ العقوبات على المعتدين المثبت عليهم جرم الغزو^(٤).

كانت مسألة غزو القبائل لبعضها مسألة طبيعية في العرف القبلي، ولاسيما أن عدداً كبيراً من القبائل التي اعتنقت الوهابية على الحدود مع شرقي الأردن استمرت بأعمال الغزو بعد الاتفاقية بين البلدين كما فعل جزء من قبيلة الرولة الذين اعتنقوا الوهابية عندما غزوا الحويطات في باير وقتلوا منهم رجلاً^(٥)، وبدأت المطالبة بالتعويضات وإعادة الغنائم، فغرقت المحكمة في مستنقع التفاصيل الفنية للغارات و بمئات الطلبات المتعلقة بإعادة الغنائم والفصل في الغارات السابقة، وعدم القدرة على الفصل في تلك المنازعات، فعرضت بريطانيا على الطرفين التخلي عن المطالبة بالغارات القديمة، ومناقشة الغارات والمشكلات الجديدة، وقد وافق الجانبان على هذا الاقتراح، وعقد الطرفان اجتماعاً للمزيد من المفاوضات وفقاً للمادة الثالثة في اتفاقية حداء في ١٣٥٠هـ الموافق آذار ١٩٣١، وقد مثل الجانب الأردني جلوب باشا المعين حديثاً مفتشاً للبدو في إمارة شرقي الأردن،

(١) جاء في نص الاتفاق بين نجد وشرقي الأردن حول تشكيل المحكمة الخاصة للتحكيم بين البلدين أن يكون عدد الأعضاء متساو، ٣ أعضاء لكل جانب، أما رئيس المحكمة فهو طرف ثالث غير الأعضاء يتم الاتفاق عليه بين البلدين، وثيقة رقم (٣٢) - (٢٩-٢٠)، البخيت، الوثائق الهاشمية، مصدر سابق، ص ٧٦، ٨٢، ٨٥ للمزيد راجع الملحق رقم (١٩).

(٢) للمزيد من المعلومات حول الوفود وأسماء أعضائها والمذاكرات لتشكيل اللجنة القبلية والمحكمة وتعيين الأعضاء وأسماء الأعضاء وأعدادهم راجع: وثيقة رقم ٣ - (٢٠-٣٨)، وثيقة رقم (٤) - (٢٠-٨١)، وثيقة رقم (٥) - (٢٠-٨٠)، وثيقة رقم (٧) - (٢٠-٤٠)، وثيقة رقم (٨) - (٢٠-٥٧)، وثيقة رقم (٩) - (٢٠-٤٠) - وثيقة رقم (١٠) - (٢٠-٣٩)، وثيقة رقم (١١) - (٢٠-١١)، وثيقة رقم (١٩) - (٢٠-١)، مصدر سابق، ص ٦٣-٧٣،

(٣) وثيقة رقم (٧٩) - (٢٠-٢٤)، المصدر السابق، ص ١١٧

(٤) للمزيد من المعلومات عن المحكمة راجع: الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٦

(٥) وثيقة رقم (٦١) - (٢٠-٥٨)، البخيت، مصدر سابق، ص ١٠٤

ومثل الجانب السعودي عبد العزيز بن زايد، وأوكل إلى الرّجلين مناقشة الغارات الجديدة التي وقعت بعد أن بدأت المحكمة برئاسة ماكDonnell، إلا أنّ هذه الجولة كانت كسابقاتها ولم تبشّر بالخير^(١).

كانت الصّعوبات التي اعترضت إشاعة أجواء الهدوء على حدود البلدين أكبر من الحلول، فالخلافات لم تكن على هذه الغارة أو تلك فحسب، بل تعدّتها إلى ادّعاء كلّ جانب تبعيّة هذه القبيلة أو تلك إلى بلده، وذلك بسبب التّدذب في ولاء القبائل بين السّعوديّة وشرقي الأردن، ممّا أدّى إلى صعوبة تحديد هويّة القبائل، ولاسيّما أنّ بعضها اعتنق المذهب الوهابي على الرّغم من تبعيتها إلى شرقي الأردن، وأخذ كلّ بلد يطالب بضمّ هذه القبيلة لبلده وإبعاد تلك القبيلة من البلد المقابل بحجّة أنّها جزء من قبائله، فقد طالب ابن سعود مثلاً بأن تبعد حكومة شرقي الأردن قبيلة بني عطية التي ادّعى أنّهم من القبائل الحجازيّة التابعة لنفوذ خارج حدود الإمارة قبل أيّة تسوية بين البلدين، حيث استمرّت هذه المشكلة تعيق تقدّم العلاقات بين الجانبين مدّة من الزّمن إلى أن تمّ الاتفاق على أسماء القبائل التابعة لحكومة شرقي الأردن والقبائل التابعة للحكومة السّعوديّة في ١٣٥٢هـ الموافق ٢٧ تموز ١٩٣٣^(٢)، إضافة إلى مشكلة قبائل الحويطات والشرارات ويلي^(٣) الفاطنين على الحدود بين البلدين، الذين فرض عليهم نوع جديد من الجنسية، وأخذوا يتعرضون للطرد بالقوة أو حرمانهم من دخول البلاد. المشكلة الثّانيّة التي عانى منها البلدان هي عدم القدرة على ضبط القبائل التي قلت مواردها بعد الاتفاقيات الثّابتة، حيث كانت قبائل الشرارات ويلي وجزء من بني عطية^(٤) من الجانب النّجدي تقوم بغارات محدودة يتصدى لها بنو صخر والحويطات وجزء من بني عطية من جانب شرقي الأردن، ورغم إنشاء حكومة شرقي الأردن إدارة رسمية لمنطقة الحدود من موظفين تابعين للحكومة، وإنشاء السّلطات البريطانيّة قوة حدودية تمتد صلاحياتها على مناطق الانتداب، والتي كان تهدف كما جاء في المادة الثّالثة التي تنص على تشكيلها إلى حماية الحدود والمحافظة عليها، وأنها لا تخضع لإشراف حكومة شرقي الأردن، وإنما تخضع للمندوب السامي في فلسطين مباشرة، وقد صادقت حكومة شرقي الأردن على قانون قوة الحدود في عام ١٣٤٥هـ/ تموز ١٩٢٦^(٥).

وكانت مهمتها حماية الحدود والمحافظة عليها، وتمتدّ صلاحياتها هذه القوّة على مناطق الانتداب، إلا إنّها لم تحقّق الأهداف الموضوعية لها لضعف قوّتها عدّة وعديداً، فالقوة الناشئة كانت بهدف إحكام بريطانيا قبضتها على شرقي الأردن أكثر منها لحماية الحدود، والدليل على ذلك تخفيض عدد الجيش العربيّ من ١٦٠٠ مقاتل إلى ٩٠٠ مقاتل خشية تغلغل السّوريين الاستقلاّليين في صفوفه، فاعتمدت على القوّة الحدوديّة الناشئة لتكون خطّ الدّفاع الأوّل عن فلسطين، ممّا جعل اهتماماتها الحدوديّة أقلّ بكثير ممّا يجب أن تكون عليه، فأخفقت في

(١)- كوستنر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ٢٣٨

(٢)- للمزيد من المعلومات راجع الملحق وثيقة رقم ٨٩-٣-٢٠ في ٥ ربيع لثاني ١٣٥٢هـ/ ٢٧ تموز ١٩٣٣ ، البخيت، الوثائق الهاشمية ، مصدر سابق ، ص ١٣٢-١٣٣

(٣)- مقرّ يلي جنوبي حويطات التهم، وهي من الأزد ولها فروع عديدة المعاقلة، الفواضلة، الرموط. للمزيد راجع: حمزة، قلب جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ص ١٣١-١٣٢

(٤)- تعرف هذه القبيلة باسم العطاونة والمعازة وتنسب إلى معز بن أسد وتنتشر منازلها بين حرة العويرض وحرة المواهب. للمزيد راجع: المصدر السابق ، ص ١٨٢

(٥)- جريدة الشرق العربي ، عدد ١٣٥ ، الخميس ٢٦ آب ١٩٢٦م

تحقيق الفائدة المرجوة منها حدودياً^(١). إضافة إلى هجمات الإخوان الذين لم يكونوا راضين عن سياسة ابن سعود في توقيع اتفاقيات الحدود، واعترضوا على محاولات بناء دولة مركزية.

وسياسة ابن سعود في ترويض القبائل ومنعها من المتاجرة مع شرقي الأردن، والاكتفاء بسوق الحجاز الداخلية، ومعاينة المتعاونين من حكامه مع القبائل المغيرة كما فعل عندما استبعد إبراهيم النّاشمي حاكم الكاف لتعاونه مع المغيرين عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١، وفرض الضرائب الباهضة على القبائل لقاء تجارتها، إضافة إلى الجفاف الذي ضرب المناطق الشمالية الحجازية والإهمال الاقتصادي لها، فلم تحصل هذه المناطق على منافع المشاريع الاقتصادية المركزية، التي اقتصرت على مدن وموانئ الحجاز الرئيسية، ولدت استياء وحسرة من أبناء هذه القبائل تجاهه، وهذا ما علّق عليه جلوب باشا بقوله: "إنّ ندرة الرّعي أو عدم توفّره، والمجاعة وسوء الإدارة والندرة المالية وتحول المشاعر بوجه عام ضدّ ابن سعود ولدت سخطاً واسع النّطاق في صفوف قبائل بلي والغيزة وحرب وهي القبائل المجاورة لبني عطية في الجنوب"^(٢).

هذه الأوضاع على الجانب النّجدي كان يوازئها رخاء اقتصادي وتطور كبير لدى القبائل في الجانب الأردني بفضل الإجراءات والمشاريع التي قام بها جلوب باشا إضافة إلى المساعدات البريطانية، الأمر الذي كان يغري القبائل على الجانب النّجدي إمّا بالإغارة أو باللّجوء إلى شرقي الأردن، ممّا كان يدفع ابن سعود إلى توجيه الانتقادات الدّائمة إلى جلوب باشا وإلى الأعمال التي يقوم بها.

٢- الصراع بين النظام الجديد والنظام القديم وآثاره على الحدود:

أشار ابن خلدون إلى أنّ هناك صراع كامن بين عمليات الفتح والوحدة الداخلية، وأنّ عصبية القبيلة تقوِّدهم للنّصر على منافسيهم والتّوسع الإقليمي، بعد ذلك يحاول الحاكم أن يقيم حكومة قويّة تتناسب مع متطلّبات وتحديات العالم الجديد عن طريق تجاوز رفاقه القبليين السّابقين والاعتماد على الحضر، وهذا الصّراع يولد مشكلات عديدة للحاكم كالولاءات القديمة والعصبية القبليّة التي تعلو العصبية للدولة، لذلك يصبح الفكر القبليّ خطراً على الحاكم إن لم يستطع توجيهه إلى أنشطة تؤدّي إلى بناء مؤسسات دولة متماسكة ومستقرّة، هذا الأمر هو ما واجهه ابن سعود وبشكل أقلّ الأمير عبد الله، فالغنائم التي حصدها القبائل طوال فترات التّوسع لم تعد هي نفسها، فلا ابن سعود عاد يقبل الغزو بعد توقيع اتفاقيات الصّداقة وحسن الجوار، ولا الحدود ظلّت متنقّلة مع تنقّل القبائل كما كانت في السّابق، بل أخذت الحواجز النّاشئة على الحدود المركبة حديثاً تعيق حركة القبائل وتشلّ نشاطاتها العسكريّة (الغزو)، الأمر الذي لم يستطع الإخوان (الوهابيون) المكوّنون أصلاً من بطون القبائل تقبله في المرحلة الأولى من بناء الدّولة المركزيّة.

من هنا بدأت خلافات ابن سعود مع الإخوان، فحاول تدارك التّطورات العكسيّة التي كانت تعيشها دولته بعقد مؤتمر لزعماء القبائل في الرياض أواخر عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨، إلا أنّ غياب زعماء الإخوان عن المؤتمر أوقع ابن سعود في مشكلة كبيرة، اضطرّته إلى الادّعاء بأنّه غير مدين للإخوان بشيء، وأنّ ما وصل إليه إنّما

(١) - واقتصر التجنيد في قوة الحدود على أهالي فلسطين وشرق الأردن فيما عدا البدو، ولم يقتصر الاشتراك فيها على العرب، بل شارك فيها اليهود واشترط لذلك إجادة اللغة العربية فقط. أنظر: الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق، ص ١٠٨

(٢) - كوستنر، العربية السعودية، مصدر سابق، ص ٢٤٠

هو نتيجة جهده الشخصي، وما ذلك إلا محاولة منه لتحجيم الإخوان أمام الموجودين، فلا تكون رقبتة في أيديهم، ولا يعتبره الموجودون عديم الوفاء إذا تخلص منهم، فالإخوان هم الذين دعاهم ابن سعود لساحات القتال كمساعدين عسكريين له منذ عام ١٩١٢، وايضاً في حربه على جبهة الحجاز، ففي أواخر عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤ استدعى فيصل الدويش زعيم مطير^(١) وخالد بن لؤي وابن حميد قائد الإخوان من الغطف مع قوات الإخوان من قبائل عتيبه.

وفي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥ استدعاهم مرة للمساعدة في أثناء حصاره للمدينة وجدة مع ديدان بن هيثلين من العجمان، إلا أنهم لم يكونوا راضين عن سياسات التمرکز وبناء حكومة ومؤسسات إدارية تنظم شؤون البلاد التي ينتهجها ابن سعود لبناء دولة حديثة، ومما كان يزيد الطين بلة أن الإخوان بغالبيتهم هم من أبناء نجد القبليين، في حين أن الإدارة تركزت في منطقة الحجاز الأكثر تحضراً لكونهم كانوا يحكمون فترة طويلة لحكومات هاشمية وعثمانية ومصرية في العقدين الثالث والرابع من القرن لتاسع عشر، وقد بني المجتمع الحجازي على نمط اقتصادي قوامه التجارة في حين بني المجتمع النجدي على اقتصاد قوامه الرعي والسلب عبر الغزوات^(٢)، مما كان يؤكد أن مسألة دمج المجتمعين مسألة صعبة وتحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد، وسيتولد عنها الكثير من المشكلات، ولاسيما أن ابن سعود اعتمد على المجتمع الحجازي لبناء دولته الجديدة، فعينهم في الإدارات واعتمد عليهم في المؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية، إضافة إلى اعتماده على بعض الأجانب والعرب من أصل غير سعودي، كفؤاد حمزة (سوري الأصل)، وقام بالكثير من الأمور التي جلبت له المشكلات معهم كإدخال وسائل الاتصال الحديثة واعتماد أسلوب حياة جديد لا يتماشى مع أسلوب الإخوان في حياتهم، فواجهوا ذلك التطور بالرفض الكامل^(٣)، ولاسيما بعد التطورات على الحدود الجديدة الثابتة التي كانت تشكل تهديداً لحياتهم التقليدية وتهدد نفوذهم في البلاد لصالح السيطرة المطلقة لابن سعود.

وقد عبر الإخوان عن استيائهم الشديد ومخاوفهم على لسان أحد قادتهم في أحد اجتماعاتهم مع ابن سعود، حيث أدان عملية تعيين الحدود في البادية، كما أدان إقامة أبنية على الآبار قرب الحدود، فظهرت نية قادة الإخوان^(٤).

عندها وجد ابن سعود انه لابد من إجراءات حاسمة، لمنعهم دولته من التطور الديناميكي، فحاول فرض القيود عليهم، بإصدار علماء نجد فتوى تلزمهم بالأبى يتحركوا للجهاد، إلا بأمر من (الإمام) ابن سعود، وأمر بتشكيل (لجنة الإشراف على الأخلاق العامة) التي تقوم على مبادئ الأمر بالمعروف، وقد ألحقها بالشرطة

(١) - مطير : قبيلة عربية في وسط الجزيرة العربية ، وهي القبيلة البدوية الرئيسية التي تزور القصيم . ولها ملكية الدهناء والصمان ، قويتوغلون في أماكن تواجدهم في الكويت . للمزيد : لوريمير ، دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٦٢٦

(٢) - كوستنر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ١٦٨-١٦٩

(٣) - لقد رفض الإخوان إدخال الهاتف والبرق والسيارات وغيرها من الوسائل الحديثة ، واعتبروها من صنع الكفرة ، وقد عبر جوردان في احد تقاريره عن ذلك بقوله 'يقال إن إتباع الملك النجديين ينتقدون ما يعتبرونه سقوط ابن سعود من النعمة ، فهم يرون السيارات والهاتف في مكة والملك جالساً في جدة يقابل الكفار وهم يتساءلون بغير منطق عما صار بحياة النقشب التي تميزت بها الأزمنة الغابرة'. أنظر: المصدر السابق ، ص ١٧٠ ،

(٤) - الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، المرجع السابق ، ص ١٠٩

المحلية^(١)، وردّ الإخوان على فتاوى العلماء بالاستمرار في الإغارة على حدود العراق وشرقي الأردن، وانحازوا إلى أخيه محمد حاكم نجد وحاولوا التعاون معه من أجل المحافظة على النظام القديم كما سماه فيصل الدويش، وحاولوا بناء جدار يفصل بين مملكة الحجاز وسلطنة نجد (المشيخة التقليدية)، فقد كانوا حريصين على ألاّ تصل المركزية وبدع الحجاز الإدارية إلى نجد، وبدأ التنافس واضحاً بين مفهوم القبيلة ومفهوم المركزية البيروقراطية، ووصلت الأمور إلى الذروة عندما أصدر خمسة عشر عالماً فتوى بعدم شرعية الضرائب التي فرضها ابن سعود وعدم إعطائه الحقّ بمحاربة الكفرة، فكان التصادم أمراً مؤكّداً لا مفرّ منه، فعقد ابن سعود مؤتمراً في الرياض عام ١٣٤٥هـ/نيسان ١٩٢٧، استطاع فيه اجتذاب الإخوان الذين حضروا، وحصل منهم على التأييد الكامل لكل أعماله، فأخذ ينطلق في بناء دولته المركزية، ووضع دستوراً للبلاد وأسس مجلساً للشورى، وحاول في الوقت نفسه استقطاب أكبر عدد ممكن من زعماء الإخوان سواء بالمناصب أو بالهدايا، كما فعل مع ابن حميد زعيم عتيبة في الغطف التي لا تبعد ٢٥ ميلاً عن غرب الرياض، إلا أنّ الدويش استمرّ في غاراته المتتالية على قبائل العراق، فردّت بريطانيا بهجمات تكتيكية على مطير، لكنها كانت تتعامل معه بهدوء، خشية انفجار البلاد، وتعرّض ابن سعود للمزيد من الضغوط ممّا قد يؤدي إلى انفلات الأوضاع من يده الأمر ممّا يضرّ مواصلاتها الجوية إلى الخليج، كما شنت القبائل المعتقدة الوهابية حديثاً هجمات على الجوف وقبائل إمارة شرقي الأردن، فقد شنّ فرحان بن ماشور أحد زعماء الرولة الذي اعتنق مبادئ الإخوان غارات متعدّدة على الجوف عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧، فردّت مجموعات الحويطات والشّرارات بغارات على نجد، على الرغم من زيادة الزكاة التي حاول ابن سعود فرضها على قبائل شرقي الأردن، لمنعهم من الإغارة دون فائدة تذكر^(٢).

واستمرت هجمات الإخوان على الكويت والعراق وشرقي الأردن، ممّا شكّل ضغطاً وتحدياً لسلطة ابن سعود، فعقد ابن سعود مؤتمراً آخر لزعماء الإخوان في الرياض، استطاع خلاله إقناع الجميع، بأنّ تصرفات الدويش ومطير تضرّ به وبدولته، لكنّه لم يستطع إقناعهم بوقف الغارات، بل طالّبوه بالاشتراك معهم فيها وإزالة نقاط المراقبة على الحدود. وعندما حاول ابن سعود تحجيم دور الإخوان، ومنع أنشطتهم العسكرية بعد مؤتمر ثار الإخوان على ابن سعود بقيادة فيصل الدويش، عندها استغلّت بريطانيا الفرصة للقضاء عليهم والانقضاض على مواقعهم، ومنعت شيخ الكويت من تلبية مطالبهم، رغم رغبته التعاون معهم ضدّ ابن سعود، لاستعادة أراضيها التي أخذها من الكويت، وطالبت بتسليم كلّ الفارين إلى أراضيها إلى الحكومة السعودية. وفي عام ١٣٤٨هـ/٢٩ كانون الثاني ١٩٢٩م حدّدت الطائرات البريطانية مواقع الإخوان على بعد خمسة عشر ميلاً شمالي حفر الباطن، وقامت بمهاجمتها بالقنابل والمدافع الرشاشة، بعد أن ادّعى المسؤولون البريطانيون، أنّهم هم الذين بدؤوا بفتح نيران مدافعهم على المواقع البريطانية^(٣).

(١) - وكانت مهمة اللجنة حماية الأخلاق وتشجيع الصلاة الجماعية ومراقبة الأئمة والمؤذنين ، فاعتبر الإخوان إن هذا الإجراء موجه ضدهم ، خاصة أن رئيس اللجنة ليس نجدياً بل حجازياً ، وهو ابن حامي الكعبة الشيخ عبد الله الشبيبي . للمزيد من المعلومات راجع : كوستنر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ١٧١

(٢) - المصدر السابق ، ص ١٩٩

(٣) - الصباح ، الكويت تحت الحماية البريطانية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٦

انهزم الإخوان بعد هذا التطور العسكري الدّموي، والتّجأوا إلى البلدان المجاورة بعد الانكسار العسكريّ والتّفويض الذي منحه مؤتمر العلماء في أواخر عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨ لابن سعود لتغليب السّلطة المركزيّة على التّشكيلات القبليّة، وما تلاها من تحرّكات عسكريّة ضدّ الإخوان المنادين بالعودة إلى التّقاليد القديمة (النّظام القديم). إلّا أنّ انتصار ابن سعود لم يمهّد له الخلافة مع الأمير عبد الله، وقد بدأ يتفّاقم مع تفاقم الأزمة الاقتصاديّة بين عامي ١٣٥٠-١٣٥١هـ/١٩٣١-١٩٣٢، حين ضرب الجفاف والقحط شمال الحجاز ونجد، فكان على القبائل أن تتصدّى وحدها لمشكلاتها الاقتصاديّة، أمّا الحكومة المركزيّة فكانت تطالبها بالولاء الكامل على الرّغم من عدم مبالاتها بمشكلاتها الاقتصاديّة، وقد رأى الأمير عبد الله أنّ قبائل بني عطيّة والشّرارات وبلي والحويطات تنتقل من مكان إلى آخر خوفاً من الجوع، وقرّر الاستفادة من ذلك بتقديم المعونة لهذه القبائل على جانب الحدود من جهة شرقي الأردن، الأمر الذي أقلق ابن سعود ودفعه إلى إرسال أحد رجاله لدفع القبائل للتّوجه إلى الجانب السّعودي خشية أن يتكوّن لديهم نوع جديد من الميل نحو الهاشميين، ممّا كان يؤجّج الخلافات بين البلدين بشكل مستمرّ^(٢).

وممّا سبق يتّضح لنا أنّ الهجمات التي قادها الإخوان داخل حدود شرقي الأردن بعد اتّفاقيّة حداء لم تكن بالتّنسّق مع ابن سعود، وإنّما كانت محصلة لحرب داخل المجتمع السّعودي، انفجر على شكل غارات على الحدود النّاشئة مع الدّول المجاورة، وكانت تشكّل تحديّاً للسّلطة المركزيّة، ولحسابهم وفقاً لعادة البدو في الغزو والسّلب والنّهب، واستمراراً لسياسة الإخوان في نشر مذهبهم والبحث عن الغنائم. وقد حصل في الصّراع الدّائر بين زعامة ابن سعود وبين الإخوان نوع من التّقاء المصالح مع بريطانيا في القضاء على الإخوان، الذين أصبحوا معول هدم يهدّدون به علاقات الصّداقة وحسن الجوار مع جيرانه وبريطانيا. كما اقتضت مصلحة بريطانيا القضاء على الإخوان بوصفهم اليد الطولى في تنفيذ السّياسات التّوسعيّة لابن سعود في شبه الجزيرة العربيّة التي طالما هدّدت ممتلكاتها في المناطق المحيطة ولاسيّما في فلسطين. من هنا التّقت مصلحة بريطانيا وابن سعود في القضاء على الإخوان، وبناء دولة جديدة يحكمها ابن سعود ولا تضرّ المصالح البريطانيّة.

٣- الصّراع بين اقتصاد الدّولة والاقتصاد القبليّ وآثاره على الحدود:

تشكّل القبليّة خليّة سياسيّة مستقلّة، ويحكمها نظام تعطي الزّعامة فيه إلى الرّجل الأكثر قوّة، وتقدّم لأهلها المتطلّبات الاقتصاديّة والأمنيّة، وتعتمد الرّعي والإغارة والسّلب والنّهب وسيلة للعيش، فالاقتصاد القبليّ لا يدرك معنى الحدود الثّابتة والمرور إلى هذه المنطقة أو تلك وفق قواعد وشروط معينة، فالسّنون الطوال التي عاشها سكان الجزيرة العربيّة والبدو في بلاد الشّام (شرقي الأردن)، لم تكن تعرف الحواجز والضّرائب المفروضة على المعاملات التّجاريّة، ولا العقوبات التي تقع بعد عقد جلسات المحاكمات، كما حصل بعد اتّفاقيّة حداء، فالأخذ بالثّأر والدّية هما النّظام لحياتهم القبليّة والمعتمد لديهم وفقاً للأعراف والتّقاليد البدويّة، الأمر الذي يتناقض بشكل كامل مع مساعي كلّ من ابن سعود والأمير عبد الله في بناء الدّولة ذات السّلطة المركزيّة، التي يتشكّل إطارها من الحدود والنّظم الإداريّة والنّمط الاقتصادي الجديد الذي يؤمّن دخلاً ثابتاً للخزانة المركزيّة من خلال الضّرائب

(٢)- كوستنر ، العربية السّعودية ، مصدر سابق ، ص ٢٤١-٢٤٢

الثابتة والمحددة على المعاملات التجارية التي يقوم بها البدو وأهل المدينة، وعلى زراعات محددة كالتبغ، ومن خلال الرسوم الجمركية التي كانت تفرض على القبائل وعلى الأشخاص المتنقلين بين الحدود الجديدة بين شرقي الأردن والسعودية، وذلك بدلاً من الزكاة وعشر الغنائم بعد كل غارة وفقاً للشريعة التي سارت عليها القبائل سابقاً، فأصبحت القبائل تنتقل بين الأماكن التي اعتادت أن تنتقل بينها بحرية بناءً على موافقات رسمية وتراخيص تحصل عليها من هذه الحكومة أو تلك، وذلك وفقاً للمادة السابعة من اتفاقية حداء "لا يجوز لعشائر إحدى الحكومتين اجتياز حدود حكومة الحكومة الأخرى إلا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم وبعد موافقة الحكومة الأخرى..."^(١).

وقد بدأ التأثير العكسي للحدود الناشئة على الحالة الاقتصادية للقبائل، عندما بدأ العمل على جمع الرسوم من القبائل، حيث كان ابن سعود يطالب قبائل شرقي الأردن القادمة إلى وادي السرحان بدفع الضرائب، ويتشدد في تحصيل الرسوم الجمركية منها، وفقاً لاتفاقية حداء، فوفقاً للتفسير السعودي للمادة الرابعة من اتفاقية حداء "تتعهد حكومة نجد بصيانة جميع الحقوق التي تتمتع بها في وادي السرحان القبائل غير التابعة لنجد... بشرط أن تتبع للقوانين الداخلية..."^(٢)، يحق لحكومته جمع الضرائب من القبائل الأردنية، الأمر الذي كان يترك تداعيات سلبية على القبائل، فبموجب القانون السعودي يتم إبعاد القبائل خارج الأراضي السعودية (وادي السرحان) إذا عجزت عن الدفع، مما يضطرها للبقاء مع قطعانها في منطقة الصوان، فينتهي الأمر بهلاك معظم القطعان^(٣).

أي بما معناه إنَّ الرعي المجاني الذي كان في اقتصاد القبيلة أصبح بئس في اقتصاد الدولة، الأمر الذي احتاج الكثير من الجهد والوقت للتعايش مع القبائل في البلدين. أما المشكلة الاقتصادية الأخرى التي تركتها الحدود على الاقتصاد القبلي فهي مسألة منع الغارات والنهب والسلب، فقد اعتاد البدو منذ القديم على الغارات للحصول على الغنائم دون حسيب أو رقيب وفي حالات معينة كانوا يفتدون الرقاب بعد عمليات القتل بالدية، أما الحدود الثابتة فهي نصت عليها اتفاقية حداء والتي أوقفت تحرك الحدود مع تحركات القبائل التوسعية، وحرمت القبائل من القتال والتوسع والغزو، حيث اعتبر في اتفاقية حداء عملاً غير قانوني وبمثابة اعتداء يستحق العقوبة، "تعترف حكومة نجد وشرقي الأردن أنَّ الغزو...اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة الثابت لها وأنَّ رئيس العشيرة المعتدية يعدُّ مسؤولاً"، وبالتالي قلَّت موارد القبائل المالية بعد نقص الغنائم، وأصبح الاقتصاد القبلي عرضة للذوبان في ظلَّ النظام الجديد الذي فرضته الحدود، هذا ماعدا القوانين الجديدة التي تفرض على القبائل إعادة الغنائم ومعاقبة المسؤولين وفقاً للمادة السادسة من اتفاقية حداء

(١) - البخيت ، الوثائق الهاشمية ، مصدر سابق ، وثيقة رقم (١) - (١١-١)، ص ٣٠٨

(٢) - المصدر السابق ، ص ٣٠٨

(٣) - أنظر : CO831 / 16/ 4 Glubb to Blaxter (CO) Anote on The Frontire Between Hejaz – Nejd and Trand – Jordan , 26 th Seb . 1931 , A. B., Vol . 5, p. 473 . نقلاً عن : الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع

بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الأضرار وإصدار المحكمة قرارها بذلك تقوم الحكومة التابعة للمحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر وبمعاقبة المحكوم عليه كما جاء في المادة الخامسة^(١).

من هنا كان الرد من قبل القبائل تحدياً لنظام الحدود باستمرار أعمال الغزو رغماً عن رغبة السلطة المركزية الناشئة، فقبائل الرولة المعتنقة للمذهب الوهابي حديثاً، والتي اعتادت على التنقل بين سورية والأراضي الأردنية ونجد وشمال الحجاز دون أي اعتراض من حكومات هذه المناطق، بدأت رداً على الحدود الناشئة المعيقة لنشاطاتها وشنت سلسلة من الغارات بين عامي ١٣٤٦-١٣٤٧هـ/١٩٢٧-١٩٢٨م قادها زعيم الرولة فوز الشعلان ضد قبائل شرقي الأردن والعراق، فحققت القبيلة مكاسب سريعة من الأسلاب، وبحلول عام ١٣٤٨هـ/كانون الأول ١٩٢٩م كان ابن سعود قد قضى على متمردي الإخوان في نجد، وما لبثت الحكومة العراقية أن انقضت على الرولة، فاستردت منهم (٦٥٠ بعيراً)، كما تمكنت قوات شرقي الأردن من استرداد (٥٧٠ بعيراً)، أما القبائل الأردنية، فكانت قد قامت بعدد من الغارات على قبائل نجد والحجاز، حيث أغار رجال الحويطات وبنو صخر التابعين لشرقي الأردن عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م على قبائل نجد والحجاز، وشهد هذا العام وقوع أكثر من ثماني غزوات ضد قبائل نجد، مما يوضح طبيعة المنطقة القبلية من ناحية، وعدم فاعلية اتفاق حداء في منع الغزو من ناحية أخرى^(٢).

ترك هذا التطور الأمني على جانبي الحدود أثراً على العلاقة بين الحكومة والعشائر، حيث انتهى الأمر كما رأينا في الصفحات السابقة إلى تمرد الإخوان على سلطة ابن سعود ومطالبته بالعودة إلى النظام القديم، والسماح بالغارات على الدول المجاورة، ولم يكن ردّ عشائر شرقي الأردن أقل من عشائر نجد، فلم تعول كثيراً على المحكمة القبلية، بل كانت تردّ على قبائل نجد والحجاز بتوجيه غارات مضادة عليها، فاضطرت السلطة المركزية في البلدين إلى استخدام القوة لردع القبائل، وتشديد جمع الضرائب منها والسعي لاستعادة المسلوبات، لفرض فكرة الحدود الثابتة وإزالة فكرة الحدود المرنة المتنقلة مع توسع القبائل وأراضيها، عبر نشر قوات حدودية واعتماد مبدأ الجيوش النظامية التي تقوم على نظام ثابت وهو دفع رواتب ثابتة لقاء عملهم^(٣)، بدلاً من الاعتماد على رجال القبائل في الأعمال العسكرية التي تريد الحكومة تنفيذها، والتخلص بالتالي من هيمنة القبائل على تحركات القادة الجدد في منطقة شبه الجزيرة العربية.

(١)- للمزيد راجع الوثيقة رقم (١)-(١١) في: البخيت ، الوثائق الهاشمية ، مصدر سابق ، ص ٣٠٩

(٢)- راجع الملحق رقم (٢٧)

(٣)- كوستنر ، العربية السعودية ، مصدر سابق ، ص ١٩٩-٢٠٠ ؛ أيضاً: عبيدات ، الأردن في التاريخ ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢

سادساً: العلاقات بين السعودية و شرقي الأردن وأثرها على الحدود ١٩٣٠-١٩٩٥:

انعكست العلاقة بين حكومتي شرقي الأردن والسعودية على تطورات الأوضاع بالقرب من الحدود الناشئة بين البلدين وفقاً لاتفاقية حداء، فحين تتحسن العلاقات بين البلدين، كانت الحدود تنتعش وتعيش حالة من الهدوء والأمن والاستقرار.

وقد سعت كل من حكومة شرقي الأردن وحكومة السعودية إلى إنهاء حالة الفوضى المنتشرة على حدودهما نتيجة الغارات المتبادلة بين القبائل، حيث حاولتا بالتعاون مع حكومة الانتداب البريطانية توفير الأمن في منطقة واسعة تمتد من خط سكة حديد الحجاز إلى الحدود مع سورية والعراق والسعودية، وقد أدرك الجانبان أن هذا الأمر غير ممكن في ظل تبادل الغارات بين بدو وقبائل شرقي الأردن وشمال الحجاز ونجد، فتلك العادة المتأصلة لدى البدو كانت تترك آثاراً ومآسي لا يمكن للحكومات المتحضرة القبول بها، فكانت فكرة إنشاء قوات حدودية على جانبي البلدين، إضافة إلى التفاهم على تبادل المذكرات بين الحكومتين للتعاون في حل المشكلات، وإعطاء بريطانيا دور القاضي بين البلدين، فبعد الغارات الدموية التي شهدتها الحدود بين عامي ١٣٤٧-١٢٤٩هـ / ١٩٢٨-١٩٣٠ من قبل قبائل شرقي الأردن السعودية^(١)، تأزمت العلاقة بين حكومتي البلدين، فقد عدّ ابن سعود الهجمات في أثناء حربه مع الإخوان طعنة في الظهر، وعدّ الأمير عبد الله أن هجمات قبائل نجد والحجاز مدعومة من ابن سعود لمشاركة موظفين رسميين فيها، فكان لابد من اتباع طريقة أخرى لمعالجة الأوضاع وإلا فالأمور ستسير نحو الأسوأ، فما كان من بريطانيا إلا أن وجهت إنذاراً لابن سعود طالبت فيه بمعاينة المسؤولين وإعادة المسلوبات، وطالبت حكومة شرقي الأردن بمزيد من العمل، عندها اتّبع ابن سعود مجموعة من الإجراءات للحد من الغزوات على شرقي الأردن وتشدّد في معاينة الغزاة، ووافق على خصم المسلوبات من طلباته وشكاويه صدّ قبائل شرقي الأردن.

أما بريطانيا فعينت جلوب باشا مسؤولاً عن تنظيم القبائل في شرقي الأردن برتبة عميد في الجيش العربي عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠ بعد نجاحه مع قبائل العراق، وبالفعل حقّق جلوب باشا نجاحاً باهراً مع القبائل وتمكّن من تشكيل (قوة البادية)، واستطاع منع القبائل من القيام بالغزوات إلا ما ندر منها^(٢).

(١)- فقد شهد العام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م هجوماً دموياً على قبائل بني صخر من قبل قبيلة الرولة أدت إلى مقتل أكثر من مئة رجل، وشن هجوماً آخراً على نواصرة الحويطات في الجوف في نفس العام نهب من خلاله مع من انضم إليه من قبائل الرولة وعتيبه حوالي ٣٠٠ بغير و ٦٠٠ رأس من الغنم، ثم غاب الرولة بالأسلاب في سورية، أما فرحان فانضم إلى متمردى نجد. في نفس العام شنت العنزة هجوماً على الحويطات مرتين، ردأ على هذه الغزوات وأمام عجز الحكومة عن التصدي لها قامت الحويطات بهجمات انتقامية لتعويض خسائرها، فقد شهد العام ١٩٢٩م العديد من الغزوات ضد قبائل نجد والحجاز تجاوزت العشر غزوات، فردت القبائل النجدية على القبائل في شرق الأردن، ومما زاد الأمور سوءاً أن بعض هذه الهجمات أخذت طابعاً رسمياً، لا سيما عندما قام حاكم الجوف إبراهيم النشمي بشن غزوة على قبائل الأردن وقيام عبد العزيز ابن مساعد أمير حائل بشن غارة كبيرة على قبائل شرق الأردن، وبلغت الأسلاب حوالي ثلاثة آلاف بغير، فكان الرد من قبل قبائل شرق الأردن بشن المزيد من الغارات طوال العامين ١٩٣٠-١٩٣١ على قبائل نجد، فردت قبائل نجد بدورها بتسع غارات. أنظر:

CO 831 / 3/ 12 Clyton to the under Sec . of sftae (CO) Report on his mission to Ibn Saud. April - June 1928 , A. B., Vol . 5 , p . 133 نقلاً : الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق ، ص ١١٤-١١٥

(٢)- لقد استخدم جلوب باشا الأسلحة الحديثة والطائرات وربط رجاله بشبكة اتصال لا سلكية مكنهم من ملاحقة المتمردين على السلطة المركزية، حيث اعتاد هؤلاء على الاختباء في عمق الصحراء في بادية الشام بعد كل غارة ، هذا ما عدا قوة البادية التي شكلها جلوب فور

بعد أن حل الطرفان المشكلات المتعلقة بالغارات السابقة، واستطاعا وقف غارات القبائل نسبياً على الحدود، وبعد إدراك البلدين أنهما لن يتمكنوا من فرض الهدوء الكامل على حدود بلديهما ما لم يتعاون البلدان رسمياً، فعين ابن سعود عبد العزيز بن زيد لهذه المهمة^(٢). وقدمت بريطانيا مذكرة لابن سعود طالبت فيها بإعادة المسلوبات لشرق الأردن واستعدادها للتعاون معه، واتفقت الحكومتان على اللجوء إلى المحقق البريطاني ماكدونيل لحل الخلافات وفقاً لاتفاقية حداء. وعلى الرغم من إدانة ابن سعود للغزوات، التي وقعت إبان تحقيقات ماكدونيل، فإنه رفض معاقبة النشفي، لأنه كان يمارس مهام منصبه في المنطقة، ورفض إعادة المسلوبات إلا في إطار مبادرة ثنائية من الطرفين، وأعرب عن شكره للحكومة البريطانية على عرضها مساعدته في إعادة المسلوبات من قبائل نجد، مؤكداً سيطرته الكاملة على قبائله، واكتفى من مساعدتها بإعادة المجرمين الفارين إلى شرقي الأردن. لم تلق مقترحات ابن سعود قبولاً في الأوساط البريطانية، فتبادل الطرفان مذكرتين في ١٠ و ١٢ آذار، وتوصلاً في النهاية إلى ضرورة عقد جلسة عاجلة على الحدود بين جلوب وابن زيد لتبادل المعلومات. اجتمع ابن زيد وجلوب باشا لتبادل المعلومات والتفاوض على وسيلة التعامل مع الغارات السابقة، و لم يسفر الاجتماع إلى نتائج عملية بسبب عدم إمكانية ابن زيد من اتخاذ القرارات، حيث لم يكن لديه صلاحيات تخوله أخذ القرار بالنيابة عن حكومته، فاقترح جلوب باشا أن يكون مع ابن زيد هاتف لاسلكي للتواصل مباشرة مع ابن سعود الذي اتبع مبدأ المركزية الإدارية بشكل متشدد، وبالتالي يتمكن المتفاوضون من إقرار المسائل المنققة عليها في الجلسة نفسها.

وهكذا استطاع الجانبان بشكل تدريجي الحد من الغارات ونشر أجواء من الهدوء والاستقرار على الحدود^(٣)، الأمر الذي أكد نجاح الجهود المشتركة لإحلال السلام والهدوء بين البلدين. إلا أن التوتر سرعان ما عاد إلى العلاقات بين الجانبين إثر ثورة ابن رفاة، ففي عام ١٣٣٨هـ/ ٢٠ حزيران ١٩٣١ دخلت قوات مؤلفة من ١٥٠ بدوياً عبر منطقة الحدود بالقرب من العقبة إلى الحجاز بقيادة حامد بن رفاة زعيم قبيلة بلي الحجازية، وقد جمع قواته من الكارهين لابن سعود في مصر، وبعدها توجه من شبه جزيرة سيناء إلى الحجاز من خلال العقبة بعد إقامته فيها فترة وجيزة عمل خلالها على تزويد قواته بالسلاح والمؤن، وقد تحصن ابن رفاة في منطقة الشريح، وهي منطقة جبلية تبعد عدة ساعات عن العقبة، وأخذ يهاجم القبائل وعبث بالأمن داخل

وصوله إلى شرق الأردن، فقد كانت تعرف كل مداخل ومخارج البادية، التي اعتادوا الهرب بين أحضانها في وقت الشدة، إضافة إلى أتباعه الترغيب مع شيوخ القبائل، فتمكن بسياسته الحكيمة من طرق أبواب المتمردين أينما وجدوا، فما عادت القبائل قادرة على الغزو كالمسابق وأصبح تحركها صعباً. أنظر: عبيدات ، الأردن في التاريخ ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤- ٢٢٦

(٢) شغل عبد العزيز بن زيد منصب حاكم جدة، ثم مندوباً بالحكومة في تحقيقات ماكدونيل في عمان ثم عين حاكماً للجوف عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠ م .

(٣) فالمسح الشامل لتقارير المفوضية البريطانية في جدة عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م تؤكد انخفاض حجم الاحتجاجات المتبادلة بشأن الغزوات بشكل ملحوظ ، فحملت التقارير الشهرية ما لا يزيد عن غزوتين أو ثلاث في كل جانب، وجاءت التقارير في معظم شهور السنة خالية من الاحتجاجات. للمزيد من المعلومات حول مفاوضات ابن زيد وجلوب راجع : الصباغ ، بريطانيا ومشكلات الحدود ، مرجع سابق، ص ١٥٠-

الأراضي الحجازية^(١)، إلا أنّ بريطانيا سرعان ما نبّهت ابن سعود عن هذه الثورة، فسارع ابن سعود بإرسال قوّة برية استطاعت القضاء على الثورة في شهر آب معركة (ضيا) انتهت بمقتل ابن رفاة واثنين من أولاده بعد التعاون الكامل من بريطانيا ومصر، والحصار الذي فرض على الثوار ومنع وصول الأسلحة والإمدادات المهربة عبر العقبة إلى الثائرين^(٢). كانت هذه الثورة نقطة مفصلية في العلاقة بين السعودية وحكومة شرقي الأردن، فابن سعود عرف تمام المعرفة أنّ الثورة كانت بالتعاون بين ابن رفاة والتجار الحجازيين غير الراغبين بحكم ابن سعود للحجاز، والذين مازالوا متعلقين بالهاشميين حتّى وقت الثورة، حيث صرح الوزير الشيخ حافظ وهبة بأنّ الحكومة السعودية لا تشكّ في الحكومة البريطانية، إلا أنها توجّه اتهاماً مباشراً إلى الأمير عبد الله بالتعاون مع ابن رفاة، وعلى الرغم من تأكيد الأمير عبد الله أن لا علاقة له بالثورة، لكنّ بريطانيا المرتاحة لحكم ابن سعود في شبه الجزيرة العربية وجّهت إنذاراً إلى الأمير طالبت فيه بالتشدد مع الثوار ومنع وصول السلاح إليهم، كما وجّهت تحذيراً إلى الأمير شاكر بن زيد وحاكم العقبة حامد كبريتي، فأصدر الأمير بياناً إلى قائد الجيش العربيّ طالبه فيه بالمحافظة على حسن الجوار مع السعودية^(٣).

وهنا، لا بد لنا من التنبيه إلى أنّ الجماعة انطلقت من مصر دون حسيب أو رقيب، وهذا ما يدفع إلى الشكّ أن الملك فؤاد قد يكون متعاوناً مع الهاشميين والحجازيين الكارهين لابن سعود لإثارة المشكلات وهز عرشه^(٤)، إلا أن نهاية الثورة وتخلص ابن سعود من معارضة أخيه محمد ونجاحه في توحيد نجد والحجاز بإعلانه قيام المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢ وتعيين ابنه فيصل وريثاً له، جعل ابن سعود يتفرغ للهاشميين ويوجه عبر حكومته إنذاراً لحكومة شرقي الأردن، مما أسهم في تأزم الأحوال على الحدود وعودة القلاقل، فأدركت بريطانيا أن العلاقات السيئة بين البلدين ستبقي الحدود في حالة توتر. لذلك، سعت إلى الصلح بينهما لإيقاف النزف البشري وانعدام الأمن، وتولى الوساطة بين الرجلين السير أندرو ريان **Andrew Ryan** Sir لأنه لم يكن من السهل التخلص من الإرث العدائي التاريخي الطويل بين الهاشميين والسعوديين دون وساطة بريطانيا الساعية إلى تحقيق الأمن على طرق مواصلاتها، وبدا تحسّن العلاقات بين الجانبين باعتراف البلدين ببعضهما البعض عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣ بعد تبادل الأمير عبد الله والملك عبد العزيز الرسائل الودية^(٥)، ثم بدأت

(١) - ساعاتي، الحدود الدولية، مرجع سابق، ص ١٤٢

(٢) - للمزيد من المعلومات حول ثورة ابن رفاة راجع: الصباغ، مرجع سابق، ص ١٦٠-١٦٢؛ أيضاً: كوستنر، العربية السعودية، مصدر سابق، ص ٢٤٦-٢٤٧

(٣) - أرغب إلى عطوفتكم إعطاء التعليمات لإظهار شدة رغبتنا في عدم أية مساعدة تكون من أي شخص أو أية جماعة لابن رفاة... أنظر: عبيدات، الأردن في التاريخ، مرجع سابق، ص ٢٦٢

(٤) - ويبدو أن منافس الملك فؤاد عباس حلمي قدم هو الآخر دعماً لثورة ابن رفاة، وظهر ذلك في تقرير سري لدى كوستنر صاحب كتاب العربية السعودية، والذي نقل عن تقرير سري بريطاني التعاون بين كل الأطراف السابقة الذكر، حيث جاء فيه "لقد حصل الهاشميون الذين كانوا يتطلعون إلى حدوث القلاقل في الحجاز على الأموال من الخديوي كما حظوا بموقف متعاطف من الملك فؤاد، كما أن الأمير عبد الله كان على اتصال بابن رفاة، كما أن الحجازيين الساخطين على ابن سعود، يتستر الملك فؤاد على استعداداتهم فوق الأراضي المصرية يخطون بمساندة عبد الله بما يتلقى من الأموال من الخديوي السابق". أنظر: كوستنر، مصدر سابق، ص ٢٤٨

(٥) - وثيقة (١٣) - (٣١-١٧٥)، ١٤/٤/١٩٣٣؛ أيضاً: وثيقة (١٤) - (٢٩-١٧٥)، ٢٠/٤/١٩٣٣؛ أيضاً: وثيقة (١٦) - (٢٤-١٧٥)، البخيت، الوثائق الهاشمية، مصدر سابق، ص ٢٦٤-٢٦٦

الأحوال في الأيام التي تلت تجاوز أزمة ثلاثينيات من القرن العشرين تتحسن شيئاً فشيئاً، فالأحداث التي شهدتها هذه المرحلة ساهمت في تقريب وجهات النظر بين البلدين الشقيقين^(٢)، حيث بدأ البلدان بالتفاوض من أجل توقيع اتفاقية صداقة وحسن جوار عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣، وكان ممثل الحكومة الأردنية في هذه المفاوضات سكريتها العام توفيق أبو الهدى وجلوب باشا قائد قوة البادية ومساعد قائد الجيش، وممثل الحكومة البريطانية وزيرها المفوض في جدة السير اندرو ريان والمعمد البريطاني في عمان الكولونيل كوكس، وتم التوقيع على المعاهدة وبروتوكول التحكيم وملحق المعاهدة بحروفها الأولى في القدس في ٢٧/١٣٥٢هـ/٢٧ تموز ١٩٣٣م وتبادل الطرفان وثائق الإبرام في القاهرة في ٢١/١٣٥٢هـ/٢١ كانون الأول ١٩٣٣^(٣). وبموجب هذه المعاهدة تعهد البلدان بالمحافظة على حسن العلاقة بينهما وتعيين مأمورين على الحدود وفقاً للمادة الثالثة من المعاهدة، ومنع أي من الطرفين الاعتداء على الطرف الآخر، ونص بروتوكول التحكيم على حل الخلافات بينهما عبر محكمين ينتخب كل من الفريقين واحداً مهما ويرأسهما شخص ثالث يتم الاتفاق عليه من الجانبين، ويتعهد الطرفان بقبول القرارات الصادرة عن التحكيم، ويدفعان نفقات التحكيم^(٤)، وبموجب المعاهدة أصبحت عشائر الحويطات (ابن جازي والعطون) وبني صخر والعيسى وفخذ الدبور من العمران وبني خالد والحجايا وبني حسن والسرحان من التبعية الأردنية. لقد عينت السعودية كلاً من أمير تبوك والقريات مندوبين عنهما في هيئة التحكيم، وعينت الحكومة الأردنية قائد الجيش العربي ونائبه قائد منطقة البادية مفوضين عنها في الهيئة المذكورة. وذلك، لمنع أي نشاط معادي من قبائل أحد الطرفين على الطرف الآخر^(٥).

أما بالنسبة للحدود، فقد طالب فؤاد حمزة بمناقشتها في أثناء المفاوضات لتوقيع المعاهدة، إلا أن بريطانيا أصرت على عدم المناقشة بحجة أن الوفد الأردني غير مؤهل، وأن المسألة قد حددتها الخرائط السابقة كما نصت عليها اتفاقية حذاء، وبدأ الطرفان تنفيذاً لاتفاقية حسن الجوار العمل للحد من الغارات بين الجانبين، حيث بدأ ابن سعود محاولات جادة لتوطين البدو في وادي السرحان والجوف، وعين عبد العزيز بن زايد المقيم في القريات مفتشاً عليهم، وأعطاه صلاحيات واسعة وخوله الاتصال بجلوب باشا للتنسيق مع حكومة شرقي الأردن، وتم بناء عدد من الحصون والقلاع على الحدود. ومن الجانب الأردني بذلت الحكومة جهوداً كبيرة لتوطين البدو ورفع مستواهم الثقافي من خلال المدارس المتنقلة، وسعت الحكومة لربطهم بالمؤسسات الإدارية، و عملت على بناء المساكن لهم وتوزيع الأراضي و البذار عليهم، وتوفير الكثير من فرص العمل بعد مد خط الأنابيب العراقي عبر الأردن، وما رافقه من بناء مساكن لحماية المحطات، مما أسهم في انخفاض مستوى الغارات بعد تحسن

(٢) - للمزيد من المعلومات حول المفاوضات لتوقيع المعاهدة راجع: عبيدات، مرجع سابق، ص ٢٦٥-٢٦٦

(٣) - للمزيد من المعلومات حول المعاهدة ونودها وبروتوكول التحكيم ونصوصه راجع: وثيقة رقم (٢١) - (١٩-١٧٥)، البخيت، مصدر

سابق، ٢٧٣-٢٧٦

(٤) - تضمنت المعاهدة أيضاً ملحق تضمن تعهد الجانبين بعدم الوساقة أي مصادرة الحلال على الحدود وتعهد آخر برفض العرايف أي المواشي الموجودة لدى أحد الفريقين، بحجة أنها جزء من المنهوبات في الغزو، ويتعهد الطرفان بدفع القاتل دية المقتول من الطرف الآخر وحددت الدية بعشرة نياق. للمزيد من المعلومات حول بنود المعاهدة وبروتوكول التحكيم وملحق المعاهدة. راجع: الوثيقة رقم (٥) - (٨٣-٢٠)

البخيت، مصدر سابق، ص ٣٢٠-٣٢٦

(٥) - محافظة، تاريخ الأردن، مرجع سابق، ص ١٢٠

اقتصاديات البدو، حيث تراجعت الغارات من ٥٠ عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣ إلى النصف عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦^(١). أما بالنسبة للخطأ إلي أظهرته الممارسة الفعلية على أرض الحدود الحجازية الأردنية والتي أخرجت فيها الخريطة (آسيا ١٣٣٧هـ/١٩١٨) كتلة جبل طبيق والسّهل الواقع في جنوبه من الأردن، فقد عدّلته بريطانيا ولم تستطع السعودية أن تفعل أي شيء بالنسبة له، فظل الأمر معلّقاً مدّة عقدين بعد استقلال الأردن عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦، وفي هذه الأثناء جدّد الطرفان التّوقيع على معاهدة حسن الجوار السابقة وفقاً للمادّة الثامنة من الاتّفاقية في عام ١٣٥٥هـ/تشرين أول ١٩٣٦، وفي عام ١٣٥٦/١٩٣٨ أصدر الأمير عبد الله قانوناً معدّلاً ألغى فيه الأحكام السابقة لاتّفاقية الصّداقة وحسن الجوار الموقّعة عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣، دليلاً على تحسن العلاقات بين البلدين، إلا أن هذا لا يعني أنّ حالة العداء القديمة قد زالت، فبعض النّقارير تورد أنّ عبد العزيز لم يتردّد في الاتّصال بالمعارضة الأردنية في الشّام، وتقديم المال اللازم لنشاطاتهم^(٢).

لكنّ دعمه للمعارضة الأردنية لم يكن علنياً. لذلك، استمرّت العلاقات بالتّحسّن، ولاسيّما فيما يتعلّق بالقضيّة الفلسطينيّة، وبدأت المراسلات المتبادلة بين العاهلين تتكرّر باستمرار، إلّا أنّ الزيارات كانت غير موجودة. ففي عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠ وجّه الأمير عبد الله دعوة إلى الملك عبد العزيز، لم يلها الأخير بحجة أن لا حاجة لها، وفي العامين التّاليين تبادل الرّجلان الهدايا كدليل على العلاقة الوديّة بينهما، ومنذ تلك اللّحظة كانت المجاملات ورسائل الودّ هي الغالبة على العلاقة بين الرّجلين، فامتألت الرّسائل بينهما بالتّناء والإطراء والمودّة، وقد منح الملك عبد الله^(٣)، الأمير سعود وفيصل آل سعود وسام النهضة المرصع العالي الشّان^(٤)، ليتوج تحسن العلاقات بين البلدين بزيارة الملك عبد الله للمملكة العربيّة السعوديّة عام ١٣٦٧هـ/٢٧ حزيران ١٩٤٨، حيث التقى الملك عبد العزيز، ليكون هذا اللقاء الأوّل من نوعه بين العاهلين بعد فترة طويلة من التوتر بينهما. وانتهى على خلفية هذا اللقاء تاريخ من المشكلات وعدم النّقة بين العاهلين^(٥)، وبعد اغتيال الملك عبد الله ١٣٧١هـ/١٩٥١، وتعيين ابنه طلال انتهى تاريخ ذكرياته كانت تعكّر صفو العلاقة بين العاهلين السعودي والأردني، وبنى من خلفه من ملوك على الإيجابيات التي تحقّقت في العلاقات بين البلدين، فقام الملك طلال بزيارة إلى المملكة العربيّة السعوديّة، واستمرّ على إثرها تحسّن العلاقات، وبعد خلع طلال ووصول الملك حسين إلى الحكم أصبح البلدان يتبادلان الأفكار حول مشكلات الأمّة العربيّة.

(١) - الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود، مرجع سابق، ص ١٨٧

(٢) - واستمرّت السّيطرة البريطانيّة على المنطقة الواقعة ضمن الأراضي السعوديّة والواردة على أنّها كذلك ضمن الخريطة الفلكيّة بموجب الاتّفاقيّات بين الجانبين، فمهبط الطّائرات البريطاني والطّريق البرّي يقع جنوبي جبل طبيق، في حين يقع على الخريطة فوق قمم جبل طبيق، وهي منطقة وعرة وصعبة لبناء طريق فيها في حال وافقت بريطانيا على بقاء الخطأ، و قبائل شرقي الأردن (الحويطات) تحتاج هذه المنطقة لوجود المياه الجوفيّة فيها، فاستمرّ الخطأ على حاله حتّى عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م عندما تمّ توقيع اتّفاقية بين الأردن والسّعوديّة. أنظر: محافظة تاريخ الأردن، مرجع سابق، ص ١٢٠

(٣) - تحولت إمارة شرق الأردن بعد الاستقلال من الانتداب البريطاني إلى مملكة ونودي بالملك عبد الله ملكاً على المملكة الأردنيّة الهاشميّة في

٢٥ أيار ١٩٤٦م. أنظر: عبيدات، الأردن في التاريخ، مرجع سابق، ص ٢٧١

(٤) - الجريدة الرسميّة لإمارة شرق الأردن - عمان - العدد ٨٩٨ - الأربعاء ٢٦ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ - الموافق ١٦ نيسان ١٩٤٧م

(٥) - عبيدات، مرجع سابق، ص ٢٧٥-٢٧٦

ولابدّ هنا من التذكير أنّ التطورات الايجابية في علاقة البلدين انعكس على الحدود ومشكلاتها، فقد ناقش الجانبان ما تبقى من الخلافات بهدوء ودون خلفيات عدائيّة، الأمر الذي أسهم في حلّ كلّ العقد دون أيّ توترات عسكريّة، حيث اتفق الطرفان على تبادل التنازلات على حدود البلدين، فحين رغبت عمان في توسيع مساحة الأرض التابعة لها جنوب العقبة لتسهيل الدفاع عن مينائها الوحيد، استجابت الرياض لهذه الرغبة وتمّ تعديل خطّ عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥ الرّسمي وخطّ عام ١٣٤٦-١٣٥٥هـ/١٩٢٧-١٩٣٦ الواقعي المفروض من سلطة الانتداب سابقاً، وأصبح الخطّ الجديد ابتداءً من عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ يبدأ على بعد ٢٥ كيلو متر من العقبة، وحصلت الأردن بموجبه على ستة آلاف كيلو متر مربّع على ساحل خليج العقبة، بالمقابل حصلت السّعودية على سبعة آلاف كيلو متر مربع في الغرب من الحوض الرّئيسي لوادي السّرحان^(٢).

وهكذا طوت الأيام اللاحقة تاريخاً من النزاع الدّموي بين إمارة شرقي الأردن وبين مملكة الحجاز السّعوديّة وسلطنة نجد وملحقاتها، ليكتب التاريخ سطوراً جديدة للعلاقة بين البلدين قوامها التّعاون والتّسسيق، ونتيجتها الأمن على الحدود بينهما، على الرّغم من أنّ السّعوديّة و الأردن لم يصلا إلى مرحلة العلاقات المميزة إلا في فترة متأخرة من القرن الحادي والعشرين وتحديداً في عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧ عندما قام الملك عبد الله بن عبد العزيز بزيارة إلى المملكة الأردنيّة الهاشميّة، وأظهر الاستقبال الحاشد للعاهل السّعودي مدى تحسّن العلاقة بين البلدين^(٣)، الأمر الذي انعكس إيجاباً على الحدود بين البلدين، وقد أسفرت الزيارة إلى توقيع اتفاقية تعيين الحدود البحريّة في جدة في عام ١٤٢٨هـ/كانون الأول ٢٠٠٧، حيث وقّع الاتفاقية الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الدّاخلية السّعودي وعيد الفايز وزير الدّاخلية الأردني^(٤). واتفق البلدان بعد انتهاء آخر المشكلات الحدودية على تعميق العلاقات على كلّ الصّعد، ولاسيّما على الصّعيد الاقتصاديّ التّمويّ، لينسى الجانبان التّاريخ العدائيّ الطّويل، وعدم الاستقرار الذي حكم علاقة البلدين، وليفتح البلدان صفحة جديدة للعلاقات المميزة التي تخدم مصلحة الطرفين.

(٢)- النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص٣٦-٣٧ ؛ أيضاً: مصور الحدود النهائية في الملحق (١٢)

(٣)- اليوم الالكتروني ، العدد ١٢٤٢٢، الجمعة ١٤-٦-١٤٢٨هـ/٢٩-٦-٢٠٠٧

(٤)- عكاظ ، العدد ٢٣٧٤، الاثنين ٧-١٢-١٤٢٨-١٧-كانون الأول ٢٠٠٧

الفصل الرابع

منازعات الحدود السعودية - القطرية وطرق تسويتها

بين عامي ١٩١٣ و ١٩٩٥

يعدّ النزاع الحدودي السعودي - القطري واحداً من أهمّ المشكلات التي عاشتها منطقة الخليج العربي، وعكست بشكل واضح صراع شركات النفط البريطانيّة والأمريكّيّة في المنطقة، ذلك الصراع الذي كان يثير من خلفه صراعاً على حدود البلدين المشتركة، تارك تداعيات سلبية على علاقات البلدين الشقيقين.

أولاً: مشكلة الحدود السعودية-القطرية بين عامي ١٩١٣-١٩٢٢:

شهدت منطقة الخليج العربيّ نزاعاً حاداً بين السعودية وقطر على وضع الحدود فيما بينهما، ففي ظل صعود الدولة السعوديّة الثالثة، وتنامي مساحتها، أخذت قطر تسعى إلى إيجاد مكان لها بين الدول من خلال معرفة حدودها بشكل واضح وغير قابل للالتباس أو المساءلة من دول الجوار الطامعة في مساحات إضافية من أراضي الدول الأقل قوّة منها هذا من ناحية، أمّا من الناحية الأخرى فقد كان لاكتشاف الذهب الأسود في كل مكان من أجزاء الخليج العربيّ وتصارع شركات النفط العالميّة، وبالتحديد الأمريكيّة والبريطانيّة، دوراً كبيراً في تحريض هذه الدول التي يكون نفوذها فيها كبيراً، وحصلت شركاتها على امتياز التنقيب عن النفط، على المطالبة بتلك الأرض، مما ولد صراعاً من نوع آخر على الحدود، صراع وقفت خلفه الهواجس والمخاوف التي خلقتها الأقاويل والإشاعات من دول الغرب، ومخاوف الأطماع الذي تركها التاريخ عالقة في أذهان الدول الصغيرة الساعيّة لإيجاد من يحميها من غطسة الدول المجاورة، فقد ظلت بريطانيا طوال فترة وجودها في الخليج العربيّ تثير الخوف بين دوله من بعضها البعض، وتقوم بممارسة دور الوصي في مفاوضات تلك الدول على حدود دولها، وفي كثير من الأحيان كانت المصالح البريطانيّة المناقضة للمصالح الأمريكيّة في الخليج العربيّ تعقّد المسائل وتجعل حلّها عصياً.

١- قطر من الناحية الجغرافيّة:

قطر عبارة عن لسان كبير من اليابسة، يمتدّ داخل الخليج من ساحله العربيّ وذلك في منتصف المسافة بين مدخله رأس مسندم، ورأسه عند مصبّ شطّ العرب يحيط بها البحر من الشمال والشرق والغرب، أمّا حدودها الجنوبيّة التي تفصلها عن الإمارات والسعوديّة، فهي المناطق المتنازع عليها التي بقيت غير واضحة المعالم حتّى وقت قريب، و تبدأ من نهاية دوحة سلوى على الجانب الغربي من شبه الجزيرة القطريّة، ومن هذه المنطقة تجاه الجنوب الشرقي إلى أن تصل آبار اسكك، ثمّ تمتدّ إلى شرق الشمال الشرقي للطرف الشمالي للتلال الرملية (النقيان)، أو كما جاء في تقرير آخر تتجه نحو الجنوب الشرقي للنهاية الجنوبيّة لهذه التلال على الجانب الشمالي لمدخل خور العديد^(١).

تغطي شبه جزيرة قطر مساحة تقدر بأربعة آلاف ميل مربع، وهي كالنتوء البارز في أراضي شبه الجزيرة العربيّة إلى داخل مياه الخليج العربي، ورغم أهميّة موقعها، إلّا أنّ الدارسات الجغرافية أهملتها حتى ظهور النفط، واقتصرت ظهورها في معظم الخرائط السابقة لهذا الظهور على أنها جزيرتان كبيرتان تتبعهما مجموعة من الجزر

(١)- للمزيد من المعلومات حول طبيعة قطر راجع: لوريمير ، دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٩٤١-١٩٤٢

الأصغر تسمى البحرين^(١)، وفي مواجهتها نتوء ضئيل على الساحل المقابل^(٢). تقع قطر في منتصف الساحل الغربي للخليج العربي بين خطي عرض ٢٤-٣٠ جنوباً ٢٦-٣٤ شمالاً وخطي الطول ٤٥-٥٠-٤٠-٥١ شرقي غرينتش، وطولها يبلغ ١٦٠ كيلو متراً، وعرضها من الشرق إلى الغرب حوالي ٨٠ كم، ويذكر الرحالة وليام بلجريف في وصف شبه جزيرة قطر أنها (المكان البائس)، فهي منطقة غير صالحة للزراعة، لعدم توافر المياه الكافية، طقسها حار وصيفها طويل في حين شتاؤها دافئ وأمطاره قليلة^(٣). كانت قطر جغرافياً تابعة للبحرين وفقاً للسجلات التاريخية المسيحية في القرنين السادس والسابع الميلاديين ووفقاً للجغرافيين العرب أيضاً^(٤)، حيث يقول عنها ياقوت الحموي "هي قرية في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير واحسب الثياب القطرية تنسب إليها كما تنسب عتاق الإبل التي يسابق عليها"^(٥).

في تلك الأثناء كانت البحرين تمتد من ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان وهي بهذا التعريف تشمل الإحساء وقطر والكويت والبحرين حالياً^(١)، وترتبط غرباً باليمامة وشمالاً بالبصرة وجنوباً بعمان^(٢).

(١) البحرين: جزيرة في الخليج العربي تتألف من ٣٣ جزيرة أهمها جزيرة البحرين والمحرق وأم نعيان وسترة، والبحرين أكبر تلك الجزر من حيث المساحة حيث يبلغ طولها ٣٠ ميلاً وعرضها بين ٨-١٠ أميال. تشتهر بصيد اللؤلؤ وبكثرة خيراتها، تمكن آل خليفة من ضمها لمركز حكمهم في الجزيرة في مسقط ١١٩٦ هـ-١٧٨٣ م قبل هجرتهم إليها بعد الاضطرابات في فارس بعد مقتل كريم خان الزندي، حيث استقر في قرية جوا في البحرين سنة ١٢١٣ هـ-١٧٩٧ م هو وعائلته بعد اشتداد الهجمات السعودية على مسقط، إلا أن حاكم مسقط غزا البحرين ١٢١٥ هـ-١٨٠٠ م، وعين أخاه سعيد حاكماً عليها وأخذ شقيق الأمير رهينة. للمزيد من المعلومات حول أسماء الجزر وكل المعلومات عنها راجع: وهبة، جزيرة العرب، مصدر سابق، ص ١١١-١١٤؛ أيضاً: الزباني، أمل إبراهيم، البحرين "دراسة في محيط العلاقات الدولية ١٧٨٣-١٩٧٣ م"، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣ م، ص ١٥؛ أيضاً: الفلكي، قضية البحرين بين الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص ١٦؛ أيضاً: درويش، تاريخ الدولة السعودية، مرجع سابق، ص ٣٩-٤٠؛ أيضاً: الموقع الرسمي لمجلس الشورى، مملكة البحرين، جغرافياً مملكة البحرين، في ٢٢/٣/٢٠١٠ م: <http://www.shura.bh/LegislativeResource/bahrain/Pages/geography.aspx>

(٢) على الرغم من الإهمال في الدراسات الجغرافية، إلا أن بعض القرى التابعة لقطر الآن ظهرت في خرائط القرن الثامن عشر. ففي خريطة نيبور ١٧٩٤م ظهرت منطقة دة دكن (دة كلمة فارسية معناها القرية وهي منطقة رأس دكن حالياً وهي منطقة تقع في الطرف الشمالي من قطر) وأول ظهور لكلمة قطر في الخرائط كانت في خريطة بلاد العرب لنيبور عام ١٧٩٠م، حيث يضع التسمية على جزيرة تائهة في ساحل الخليج العربي، وهو نفس موقع قطر حالياً، وتعد خريطة اروسيت ١٨٢٥م أول خريطة تظهر عليها شبه جزيرة قطر بشكلها المتكامل كما هو حالياً، ولم يرد ذكر قطر في كتابات الجغرافيين، إلا في مناسبات محدودة، فالفيروزبادي يذكرها في القاموس المحيط على أنها بلد بين القطيف وعمان، وابن خرداذبة يذكرها على أنها محطة على الطريق بين البصرة وعمان، في حين يذكرها الهمذاني ضمن قائمة بأسماء المواقع في وصف لشبه الجزيرة العربية على أنها نقطة على أحد الطرق، أما الرحالة الغربيين، فقد ورد ذكر قطر عند تكسيرا كأحد مواقع صيد اللؤلؤ في القرن السادس عشر، وتؤكد المصادر أن أول عربي زار قطر هو الليفتينانت جروب GRUBB الضابط بالأسطول البريطاني الذي نزل في البدع عام ١٨٢٢م. وأما أول أوروبي دخل جوف شبه جزيرة قطر فهو هيرمان بورنشرادرت في عام ١٩٠٢م، ومن بعدها جاء الوصف الدقيق لقطر لدى لوريمير. للمزيد من المعلومات راجع: المنصور، التطور السياسي لقطر ما بين عامي ١٩١٦-١٩٤٩م، مرجع سابق، ص ٢٥-٢٧

(٣) المرجع السابق، ص ١٢

(٤) Jhon . C .Wilkinson , Arabia's frontier "the story of Britain's boundary drawing the desert.", London-New YORK , P 41

(٥) الحموي، ياقوت معجم البلدان، ج ٤، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م، ص ٣٧٣

(١) للاطلاع على شكل الحدود آنذاك راجع الملحق رقم (١٩)

أما قطر في الوثائق العثمانية فقد جاءت باسم قطعة قطر أو (قطر يارم اطه سي) أي شبه جزيرة قطر، وقد عرفت في قاموس الأعلام العثمانية بأنها "شبه جزيرة تقع على الساحل الشمالي الشرقي لشبه الجزيرة العربية في جنوب غرب خليج البصرة". وعرفت إحدى الوثائق العثمانية عام ١٨٤٧م بأنها "ميناء على ساحل البحر تابع للإحساء"^(٣). أما التوزيع السكاني في قطر، فكان يرتبط بالحالة السياسية، وتركز على وجه التقريب في منطقة الحويلة على الساحل الشمالي الشرقي^(٤)، وبعد طرد العثمانيين منها على يد بني خالد سيطر آل مسلم على بر قطر^(٥)، وهي منطقة داخلية من قطر، وحسب الوصف الجغرافي هي من أفضل الأجزاء وفرة بالمياه. وتعد شبه جزيرة قطر من حيث الشكل والموقع منطقة تخوم تكاملت شمالاً مع البحرين ومع التجمعات السكانية في الجنوب الشرقي، وفي القسم الأوسط تكاملت مع دراز أرض الرعاة والجمال وفق جون ولكنسون، وبعد نزوح آل خليفة حكام البحرين من الزبارة^(٦) إلى البحرين، للاستفادة من صيد اللؤلؤ، بدأت تتبلور بشكل جلي منطقة الدوحة كمقر لتمرکز تجمع سكاني تحت حكم آل ثاني^(٧).

(٢) - علي ، حبيبة ، من قضايا البحرين في التاريخ ، الوثيقة دورية نصف سنوية ، مركز الوثائق التاريخية ، البحرين ، العدد الخامس، السنة الثالثة شوال ١٤٠٤هـ/ تموز ١٩٨٤م

(٣) - قورشون ، قطر في العهد العثماني ، مصدر سابق ، ص ١٥-١٦

(٤) - هي من أقدم المدن القطرية كانت عامرة حين استقر فيها العتوب سنة ١٧٦٦م وصفها لوريمير أنها أكبر مكان على الساحل القطري ويقيم بها آل مسلم حكام قطر السابقين الذين يرجع نسبهم إلى بني خالد، وهي تقع على الساحل الشرقي شمال بلدة الخور، وقد هدمت اثر غزوات القائد السعودية ابراهيم بن عصفان ١٧٩٣، ١٢٠٨. أنظر: المنصور، التطور السياسي لقطر، ١٨٦٨-١٩١٦، مرجع سابق، ص ١٦، ويتركز اليوم ٨٠٪ من سكان قطر في مدينة الدوحة وضواحيها مثل الريان والوكرة وأم صلال، رغم أن مساحتها تساوي ١٦٪ فقط من مساحة قطر.

للمزيد راجع: أبو عيانة ، فتحي محمد ، دراسة في جغرافية شبه الجزيرة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٤م ، ص ١٠٢

(٥) - للمزيد من المعلومات حول آل أبو مسلم راجع: أبو حاكمه ، أحمد مصطفى ، تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، منشورات مكتبة الحياة - بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٩٢-١٠٥

(٦) - تقع الزبارة على الشاطئ الغربي من شبه جزيرة قطر عمرت بوصول العتوب إليها سنة ١٧٦٦م، فتضاعفت لدرجة وصفها الكابتن تيلر بأنها ٤٠٠ بيت وهي كبرى مدن الجزيرة وكانت مقراً لرئاسة أحد حكام آل خليفة، حيث أصبحت في عهده مزدهرة تجارياً لدرجة أنها نافست موانئ الأحساء وبلا فارس. ولذلك، كان الصراع حولها كبيراً، فهي حتى اليوم ما تزال موضع نزاع بين البحرين وقطر. للمزيد من المعلومات راجع:

المنصور ، التطور السياسي لقطر ١٩١٦-١٩٤٩م ، مرجع سابق ، ص ١٢٧

(٧) - Wilkinson , P42-43

٢- جدلية العلاقة بين التنافس العثماني -البريطاني ومشكلات الحدود الخليجية:

ترتبط عملية رسم الحدود في منطقة الخليج العربي بجملة من العوامل الداخلية (القبلية وموروثاتها)، و العوامل الخارجية الناتجة عن اشتداد التنافس على مياه الخليج العربي في بداية القرن العشرين، حيث ازدادت الأهمية الاقتصادية للمنطقة أضعافاً على أهميتها السابقة بعد اكتشاف النفط في كل أرجائها، فأصبحت الحدود وسيلة لترسيخ نفوذ هذه الدولة أو تلك وتنفيذ خططها الإستراتيجية في المنطقة، فترك التنافس الكبير بين الدول على مياه الخليج العربي أثراً ساهم في زيادة أهمية الحدود، وظهورها كمشكلة فعلية في المنطقة العربية ولاسيما الخليج العربي، ولعل التنافس العثماني-البريطاني خير دليل على الدور المؤثر لمصالح النفوذ على مشكلات الحدود في الخليج العربي، فمنذ وصول الحملة العثمانية بقيادة مدحت باشا إلى الخليج العربي عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١، ومحاولتها استغلال الظروف السياسية التي عاشتها المنطقة آنذاك لتفعيل وجودها فيه، والقلق البريطاني يزداد على مناطق نفوذها من محاولة التمدد العثماني في الخليج العربي، مما قد يعرض مصالحها هناك للخطر، ولاسيما بعد دخول بعض شيوخ أمراء الخليج العربي طواعية في الفلك العثماني، كشيخ الكويت من آل الصباح^(٢)، الذي دعا للشيخ القطري لرفع العلم العثماني على أراضيه والدخول تحت السيادة العثمانية^(١)، وما تبع ذلك من تداعيات أخطرها على بريطانيا وصول حامية عثمانية إلى قطر، هذا ما عدا أن بريطانيا كانت قد علمت بالرغبة العثمانية في السيطرة على البحرين بعد دخول شيخ أبو ظبي طواعية أيضاً تحت الحماية العثمانية، وعندها بدأ النقاش البريطاني-العثماني حول الحدود الفاصلة بين مناطق نفوذ كل طرف، بعد الإصرار البريطاني على إبعاد الدولة العثمانية عن البحرين، حيث أخذت عندها الأخيرة تقدم الأدلة القانونية والتاريخية على حقها في السيادة على البحرين، الأمر الذي لقي معارضة بريطانية كبيرة، ساهمت إلى جانب أخطاء العثمانيين في إدارة المناطق التابعة لهم في الخليج العربي إلى انهيار الوجود العثماني هناك، وفي شبه الجزيرة العربية أيضاً بعد طرد الحاميات العثمانية منها على يد ابن سعود.

ولا يمكننا إلا أن نذكر هنا بأن سوء الحال العثماني في المنطقتين السابقتين، قد ترافق مع مشكلات الدولة الداخلية، مما أسهم في إنهاك القوة العثمانية بين عامي ١٣٢٩-١٣٣٠هـ/١٩١١-١٩١٢، تلك الأوضاع الصعبة التي عاشها العثمانيون دفعتهم إلى قبول تسوية الأمور في منطقة الخليج العربي مع بريطانيا بطريقة سلمية، وذلك عبر المفاوضات لتحديد مناطق نفوذ كل طرف، حيث توصل الجانبان بعد مناقشات مضية استمرت بين عامي ١٣٢٩-١٣٣١هـ/١٩١١-١٩١٣ إلى توقيع الاتفاقية البريطانية-العثمانية التي رسمت حدوداً تفصل بين مناطق نفوذ كل طرف في الخليج العربي، وهذا ما صرح به البند السابع من المعاهدة، حيث ينص على

(١)- فبعد دخول نافذ باشا قائد الحملة إلى الإحساء أرسل قوات بقيادة قائمقام الكويت عبد الله الصباح إلى قطر بعد استجابة شيوخها لدعوة

القائد . للمزيد راجع الأرشيف العثماني ، (Id44939) ، لف ٢: نقلاً عن: قورشون ، العثمانيون وآل سعود ، مصدر سابق ، ص ١٨٢

(٢)- حيث أوضح مدحت باشا في تقرير مقدم للصدارة في الأستانة أن الراية العثمانية علقت في قطر وأرسل نافذ باشا أربع رايات عثمانية وعلقت على المباني الرسمية . للمزيد راجع الوثيقة العثمانية رقم : BOA , ID 44939 نقلاً عن: قورشون ، قطر في العهد العثماني ،

مصدر سابق ، ص ٨٣

أن "تنتهي حدود السيادة الإقليمية للعثمانيين عند الخليج جنوباً بمواجهة جزيرة زهنونة التابعة للإقليم المذكور في اتجاه خط يبدأ من أقصى نهاية الخليج المذكور إلى الجنوب مباشرة حتى الربع الخالي ويفصل إقليم نجد عن شبه جزيرة قطر".

وبهذا أوجد أول فاصل صريح بين بريطانيا والدولة العثمانية في منطقة الجزيرة العربية ومياه الخليج العربي، أما قطر فقد حصلت على استقلالها بموجب هذه الاتفاقية، وذلك وفقاً للخط الأزرق المتفق عليه في الاتفاقية المذكورة، والذي أعلن استقلالية قطر تحت حكم آل ثاني، وفصلها عن الدولة العثمانية تمهيداً للخضوع للحماية البريطانية، فبعد ازدياد الضغط على شيخها عام ١٢٣٥هـ/١٩١٦ وجد نفسه أمام خيار لا بديل عنه، ألا وهو الحماية البريطانية لتأمين الحماية لدولته ورعاياه من الأطماع التوسعية للدول القوية في المنطقة^(١).

ازداد الاهتمام البريطاني بقطر والإمارات المتصالحة بعد الاتفاقية البريطانية-العثمانية، وظهر ذلك من خلال توجيهات حكومة الهند بضرورة توقيع معاهدة حماية مع قطر، إلا أنها جعلت من خروج الحماية العثمانية من البدع شرطاً للتقارب بين قطر وبريطانيا^(٢)، وكانت الحماية العثمانية آنذاك تعاني من نقص المؤن بعد أن انقطعت السبل بينها وبين الدولة العثمانية، إثر الاتفاقية البريطانية-العثمانية. لذلك، لم يكن أمامها حل سوى الجلاء عن الدوحة ١٢٣٤هـ/أيلول ١٩١٥^(٣)، لتزول مع رحيلها كل العقبات أمام القطريين والبريطانيين لتوقيع معاهدة الحماية التي يسعى لها الطرفان كل لمصلحته.

تركت الاتفاقية العثمانية - البريطانية ١٢٣١هـ/١٩١٣ مجموعة من الاتفاقات التي أصبحت جزءاً من التطورات السياسية في الخليج العربي بعد ظهور مسألة الحدود، ومنها الاتفاق المسمى (الخط الأزرق) وهو الخط الذي استخدمته بريطانيا كأساس قانوني لحل المشكلة في مفاوضاتها مع السعودية والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٤، وقد حدّد هذا الخط المناطق المتنازع عليها بين الدولتين حول نجد وملحقاتها، فهو عبارة عن اتفاقيتين الأولى في ١٢٣٢هـ/٢٩ تموز ١٩١٣، لتحديد الحدود الشرقية للنفوذ العثماني في البلاد العربية، والحدود الشرقية لنجد. وقد ألحق بالاتفاق خريطة توضّح الحدود وفقاً للخط الأزرق، على أن يمتدّ سنجق نجد فيها جنوباً من رأس الخليج المواجه لجزيرة الزعنونية (الزهنونية) الواقعة في الخليج إلى خط الطول ٢٠ درجة في قلب الصحراء العربية وجاء في الاتفاقية: "إنّ هذا الخط يفصل بين نجد و مشيخة قطر، وستكون حدود نجد كما

(١) - أباطة ، فاروق ، دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية بين الحربين العالميتين ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٤١ ؛
أيضاً : ساعاتي ، الحدود الدولية ، مرجع سابق ، ص ٨٢

(٢) - الخترش والمنصور ، مصادر تاريخ قطر ، مصدر سابق، وثيقة رقم ١١١ ، رسالة من حكومة الهند إلى وزارة الهند في أيار ١٩١٥ م ، ص ٥٥-٥٦

(٣) - أنظر: الخترش والمنصور ، المصدر السابق ، ص ٥٨ . P. 3296/1915 ، وثيقة ١١٩ - وهي رسالة من حكومة الهند إلى وزارة الهند في ١٥ سبتمبر /أيلول ١٩١٥ .

يشير الخط الأزرق"، مما دفع بريطانيا إلى المطالبة بالعودة إلى الاتفاقات البريطانية العثمانية لإثبات الحقوق التي تطالب فيها أمام ادعاءات ابن سعود ومن خلفه الدعم الأمريكي في بعض المناطق القطرية^(١). وفي وقت سابق تحديداً في التاسع من آذار ١٣٣٢هـ/١٩١٤ كانت الدولة العثمانية قد وقّعت اتفاقية أخرى مع بريطانيا، لتحديد حدود الأماكن التي تمارس فيها السيادة العثمانية في الأقسام الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية، وتضمنت إشارة واضحة إلى الخط الأزرق، حيث يعترف باستقلال قطر عن سنجق نجد^(٢)، ولا سيما أنّ ابن سعود قد اعترف في الاتفاقية التي وقعها مع الدولة العثمانية عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤ بسيادتها الاسمية على منطقة نفوذه^(٣)، الأمر الذي استخدمته بريطانيا فيما بعد كأساس قانوني لحل مشكلة الحدود في الخليج العربي وفقاً لمبدأ الدولة والوراثة^(٤)، حيث خرجت نجد من الحرب العالمية الأولى كدولة وارثة للسلطة العثمانية، وبالتالي ورثت كل الاتفاقات السابقة معها بما فيها اتفاقيات الحدود (الاتفاقية البريطانية- العثمانية)، وعلى الرغم من أن هذا الخط لم يكن تعييناً دقيقاً لحدود سياسية قاطعة بالمفهوم العصري، وهو مجرد خط اعتباطي رسم على الورق، ولم يراع الحقائق الاجتماعية على أرض الواقع والتوزيع الديموغرافي القبلي في المناطق الداخلية من شرق شبه الجزيرة العربية، إلا أنّ هذا الخط اعتمد في المفاوضات القادمة على الحدود بين السعودية وقطر.

من هنا نرى أنّ النزاع العثماني - البريطاني كان السبب الرئيس في ظهور مشكلات الحدود في منطقتي شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، وذلك من خلال الاتفاقيات الموقعة بين الطرفين، التي نظرت أساساً للحدود على أنها حواجز مكانية لمناطق نفوذ كلّ طرف، لكنّها أصبحت في مستقبل الأيام حواجز فصلت بين أبناء المنطقة الواحدة، ولاسيما أنّ الزعماء المحليين في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي اعترفوا في الاتفاقيات التي وقعوها مع بريطانيا من موقع الضعف، بكلّ ما تمّ الاتفاق عليه بينها وبين الدولة العثمانية سابقاً، بما فيها اتفاقيات الحدود التي تفصل بين مناطق نفوذ الدولتين عن بعضهما البعض، تلك الحدود التي لم تكن تحمل رسماً دقيقاً لحدود كلّ دولة في المنطقة، بل كانت تحمل في طياتها رغبات وطموحات استعمارية أسهمت في افتعال المشكلات بين الدول المتجاورة، أكثر ممّا أسهمت في تسهيل حلّها.

٣- التوزيع الديموغرافي وأثره على الحدود السعودية-القطرية:

(١)- المنصور ، التطور السياسي لقطر ١٩١٦-١٩٤٩، مرجع سابق ، ص ٨٠ ؛ أيضاً : ولكنسون، حدود الجزيرة العربية، مصدر سابق ، ص ١٢٠-١٢٤

(٢)- حيث جاء في المادة الثالثة من المعاهدة المؤلفة من أربع مواد "أن حدود الأقاليم العثمانية ستتبع خطاً مستقيماً من ليكمة الشوب وحتى شمال صحراء الربع الخالي بزاوية ٤٥ درجة وها الخط سيرتبط في الربع الخالي وبموازاة ٢٥ درجة الخط المستقيم الذي سيتجه مباشرة إلى الجنوب من نقطة على الشاطئ الجنوبي لخليج العقير، والذي سيفصل الإقليم العثماني سنجق نجد وإقليم قطر. للمزيد من المعلومات راجع : ولكنسون ، المصدر السابق ، ص ١٣٠-١٣١؛ أيضاً: قورشون ، قطر في العهد العثماني، مصدر سابق ، ص ٢٠٠

(٣)- L / PA / 18 Mem B 437 نص يغطي الفترة الممتدة بين العام ١٩٠١ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. أنظر : وثيقة رقم ١٢٩، الخترش والمنصور، مصدر سابق ، ص ٧٥

(٤)- كيلى ، الخليج العربي ، مصدر سابق ، ص ١٦٦-١٧٦

بيّنا في هذه الدراسة من قبل، أنّ للمسألة الديموغرافية دور كبير في تعميق النزاعات الحدودية، وبالعودة إلى التّوزّع القبليّ على الحدود السّعودية - القطريّة نجد أنّ السّكان في تلك المناطق عبارة عن قبائل جاءت عبر مصدرين رئيسين: الأوّل من الجزيرة العربيّة عبر الإحساء، والثّاني هو عبارة عن قبائل استوطنت قطر جاءت من كلّ أنحاء الخليج العربي، وسكان القبائل المستقرّة في قطر عن طريق المصدر الأوّل هم من البدو الذين ينتشرون في مساحات شاسعة على طول حدود الرّبع الخالي، ومن القبائل الأساسيّة المناصير والعوامر وبني هاجر^(١).

وعلى التّخوم السّعودية - القطريّة المتنازع عليها لا يوجد مدن، والقرى فيها عبارة عن قرى صغيرة خربة وغير مأهولة بشكل مستمرّ عدا سكاك التي لا تخلو من السّكان على مدى العام، ويبلغ عدد القرى الموجودة هناك خمساً وهي: سلوى - العديد - سكاك - انباك - الكرعانة، وهذه المناطق لا تسكنها سوى قبيلتي المناصير ومرة، وتعدان أنفسهما جزءاً من المملكة العربيّة السّعودية، أمّا الصّيادون والغوّاصون من أجل اللؤلؤ فهم من بني ياس، وينزلون عند الشّاطئ بين العديد وسبخة مطي، ويعدون حاكم أبي ظبي هو صاحب السّيادة عليهم، ومواطن قبيلة مرّة كانت في الجزء الغربي من شبه جزيرة قطر، والمناصير الجزء الشّرقى منها^(٢).

والمهمّ هنا هو عدم الاستقرار في الانتماء السياسي لهذه القبائل، فمرة تجد نفسها مع آل سعود ومرة توالي شيخ أبو ظبي وأخرى مع آل ثاني، وتارة تقبل التّحالف مع البريطانيّين وأخرى مع العثمانيّين، الأمر الذي كان يفتح الباب على مصراعيه لمطالبة ذاك الأمير أو هذا بضمّ مناطق انتشار هذه القبائل، بحجّة أنّها كانت تتبع له وأنّها تكلّ له الاحترام وتقدّم فروض الطّاعة، من هنا كان التّنقّل الكبير لهذه القبائل مشكلة بحدّ ذاتها، فلا هم مع هذا، ولا هم مع ذاك، بل مع كلّ منطقة تقدّم لهم وسائل العيش الكريمة، وفي كلّ مكان يتوافر فيه الغذاء لحيواناتهم التي ينتقلون معها من مكان إلى آخر لتأمين العيش الكريم لقبائلهم، ولاسيّما أنّه لم يسبق لهم التّعرف على فكرة الحدود الثّابتة المعيقة لتحركاتهم الحرّة دون رقابة.

٤- أهمّ المناطق المتنازع عليها بين السّعودية وقطر:

تحاذي المملكة العربيّة السّعودية إمارة قطر بخطّ حدوديّ لم ترسمه الطبيعة أو تاريخ الدّولتين، بل كان من صنع الدّولة البريطانيّة التي أوجدت الحدود السّياسيّة كلّها في منطقة الخليج العربيّ بحكم أنّها الدّولة المسيطرة على تلك المنطقة لفترة زمنيّة طويلة، فتحرّكت النقاشات على الحدود تحت رعايتها وبركة رضاها، وكان أول ذكر للحدود السّعودية - القطريّة علناً بعد اتّفاقيّة دارين في مؤتمر العقير عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢، حين عرض

(١)- بني هاجر: قبيلة من البدو الرحل في شرق الجزيرة العربيّة يستقر معظمهم في الإحساء و ، ويملكون جزءاً كبيراً من قطر ، وهي تنفرع إلى ثلاثة فروع ... للمزيد من المعلومات حول هذه القبائل راجع : لوريمير ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٧٨٤؛ أيضاً: المنصور ، التطور السّياسي ١٩١٦-١٩٤٩ ، مصدر سابق ، ص٣٤

(٢)- لا بد من القول في هذه المعلومات أنّها تمثّل رأي شركة النفط أرامكو والسعودية وأجراها جورج رينتز ووليم مالمون، وتناولت الدراسة المنطقة الممتدة من الإحساء إلى العديد معتمدين على رواية من أهل المنطقة . للمزيد من المعلومات راجع: المرجع السابق ، ص٣٤

ابن سعود على المندوب السامي في العراق آنذاك بيرسي كوكس ضمّ أجزاء من أراضي قطر إلى دولته، ليفتح بعدها النقاش على مصراعيه حول الحدود القطرية - السعودية.

تشمل منطقة الحدود القطرية - السعودية عدداً من الأماكن الخلافية بين الجانبين، وهي تسير على النحو التالي: **جبل نخش** في الجانب الغربي من قطر نحو **سبخة سلوى** و**سبخة سكاكة** و**سبخة المشاخيل** و**سبخة ناثل** و**سبخة مزهور** و**سبخة عميرة** وإلى الجنوب من **جبل نخش**، وإلى الغرب من السلسلة البارزة التي تسمى القلائل هناك **رمال العريق**، حيث تتوافر الآبار الصالحة للشرب، ويستخدمها بدو السعودية، أما منطقة العريق فتتمتد بمحاذاة الطريق بين الدوحة والإحساء، وهو الطريق الذي يسمى درب الساعي، وفي الطرف الجنوبي من خليج سلوى^(١) هناك بعض الواحات الصغيرة غير المعنتى بها، وإلى الغرب والجنوب من سلوى وحتى حدود **رمال جافورة** وإلى الشرق حتى **سبخة مطي** يتكون سطح الأرض من هضاب مسطحة نسبياً، وهناك قطاع طويل من الكثبان الرملية يمتد شمالاً وجنوباً إلى الخط ٥١ درجة عرض، وإلى الجنوب والشرق من **سبخة سعود ناثل** تمتد منطقة ثانية من هذه الكثبان تصل إلى شواطئ **خور العديد** و**خور ظويهين**، لكنها تتوقف عند الطرف الشمالي من المجن، وهناك كتلة أخرى مهمة تدعى نقيان قطر، وتبدأ من أواسط قطر وتمتد إلى جانبها الشرقي جنوباً بمحاذاة الخليج وإلى الداخل حتى مسافة حوالي ١٥-٢٥ كم وحتى **خور العديد** ماراً بعقلة عميرة^(٢).

شهدت المناطق الداخلية بين منطقتي الإحساء والبريمي نزاعاً حدودياً حاداً بين الرياض وقطر ومشخة أبو ظبي ومن خلفهما لندن، فمنطقة البريمي التي اختلفت على ملكيتها السعودية وأبو ظبي وعمان، امتدت تداعياتها إلى منطقة **خور العديد** التي كانت محلّ ذلك النزاع، فقد ادّعت كلّ دولة تبعيته لها، حيث عدّت السعودية **خور** جزءاً من أراضيها متخذة مسوّغات تاريخية لتأييد مطالبها فيه، والأمر عينه بالنسبة لمشخة أبو ظبي، مع العلم أنّ المنطقة الصحراوية الداخلية لم تشهد سيطرة كاملة عليه لا للرياض ولا لأبو ظبي إلا في فترات متقطعة، لكنّ البريطانيين في أثناء نقاشهم مع العثمانيين حول الحدود، ادّعوا تبعيّة **خور** لمشخة أبو ظبي لتفرض حمايتها عليه لاحقاً، في حين أنّ الرياض زعمت أنّه كان يتبع نفوذها خلال الدولتين السعودية الأولى والثانية، وكذلك الدولة السعودية الثالثة، وتمارس كلّ مظاهر السيادة على تلك المنطقة من خلال حفظ الأمن وجمع الزكاة من بعض القبائل والحصول على البيعة من بعض زعمائها على المنطقة الممتدة من البريمي إلى الإحساء كلّها بما فيها صحراء **الظفرة** و**الجافورة**، أمّا قطر فكانت حتى ثلاثينيات القرن العشرين بعيدة عن ذلك النزاع، ولم يكن لها مطالب خارج الدوحة باستثناء منطقة **خور العديد**^(٣)، حتى أن بريطانيا لم ترَ بقطر أنها تشكل قوة جدية في هذا

(١) - خليج سلوى واحة عظيمة تقع شمال غرب شبه جزيرة قطر ، تبعد عن الهفوف ١٥٠ كم وعن الدوحة ١٠٠ كم . للمزيد راجع : الجاسر ، حمد ، المعجم الجغرافي في المملكة العربية السعودية ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٧٧ ، ج ٢ ، ص ٨٦٢

(٢) - للمزيد من المعلومات حول تفاصيل المناطق المذكورة في هذه الفقرة راجع ج.ج.ج. لويمير ، دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي ، الجزء السادس ، مع على نفقة الشيخ حمد آل ثاني أمير قطر ، بدون تاريخ ، ص ١٩٤٤ - ١٩٥٩ ؛ أيضاً: المنصور ، التطور السياسي لقطر بين عامي ١٩١٦ - ١٩٤٩ م ، مرجع سابق ، ص ٣٢ - ٣٣ ؛ أيضاً: المنصور ، التطور السياسي لقطر بين عامي ١٨٦٨ - ١٩١٦ م ، مرجع سابق ، ص ١٤ - ١٧

(٣) - للمزيد من المعلومات راجع الملحق رقم (٣٠) - (٣١)

النزاع الحدودي^(٢)، خاصة أن قطر نفسها كانت تدفع لبعض الوقت أتاوة سنوية للسعودية لتحافظ على كيائها السياسي^(٣).

ثانياً: تطوّر مشكلة الحدود السعودية - القطرية بعد الحرب العالمية الأولى:

أظهرت السعودية منذ إعادة بناء دولتها، واستعادة معظم المناطق التابعة لها سابقاً في ظلّ الدولتين السعودية الأولى والثانية رغبة صريحة بضمّ قطر إلى أراضيها، حيث ورد في تقرير للميجور نوكس نائب المقيم البريطاني السياسي في الخليج عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م "إنّ ابن سعود يرغب في زيادة حدود بلاده وفرض نفوذه على قطر ما لم تتخذ الترتيبات والإجراءات الضرورية لتدعيم سلطات حاكمها..."^(٤).

لذلك، لم يتوقّف ابن سعود عن استغلال الفرص للتدخّل في الشؤون القطرية، على الرغم من كلّ التّعهدات التي قدّمها لبريطانيا بعدم التعرّض لقطر، لاقتناعه بحقّه التاريخي في ضمّ أرض قطر على أساس أنّها كانت جزءاً من أرض "الآباء والأجداد" ممّا جعل شيوخ قطر شديدي الالتصاق ببريطانيا لتدافع عنهم من الخطر القادم من قلب الجزيرة العربية (عبد العزيز آل سعود)، وقد ظهرت هواجس الشيخ عبد الله من خلال التساؤلات التي وجّهها إلى المقيم البريطاني السياسي المستر إي . بي . تريفور (Trevor) عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١، وكانت كلّها تدور حول إمكانية وقوف بريطانيا إلى جانب قطر في حال تعرّضت للخطر أو في حال حصل نزاع داخلي في الأسرة الحاكمة، وقدّمت دول أخرى المساعدة للشخص الذي سينشقّ عليه،

وهنا بالتأكيد يقصد السعودية وأبو ظبي (التي كانت تسعى لضمّ العديد لها)، ثمّ أضاف، إنّ لا يخشى اعتداء ابن سعود على أراضيها الآن، إلا أنّه يخشى من خلفائه على دولته. ونظراً لأنّ جواب المقيم كان باهتاً وغير مطمئن، حيث إنّ بريطانيا لم تكن تفضّل الدخول في الشؤون الداخلية التي قد تدخلها في متاهات سياسية غير واضحة هي في غنى عنها، الأمر الذي أدركه الشيخ عبد الله وأخذ يتّبع سياسة جديدة تفتح له أبواباً أخرى تساعد في حماية بلاده^(٥).

وجد الشيخ عبد الله آل ثاني نفسه مضطراً إلى التّواصل المباشر مع ابن سعود بعد الموقف البريطاني السابق، ولاسيّما بعد توتّر الوضع الداخلي في قطر في فترة شهدت مشكلات كثيرة داخل الأسرة الحاكمة طمعاً بالوصول إلى السّلطة، الأمر الذي سيزيد بكلّ تأكيد التّدخّل السعودي في الشؤون الداخلية لقطر . لذلك، تقدّم الشيخ عبد الله بطلبات عدّة لمقابلة المقيم البريطاني في البحرين ومناقشة بعض الأمور المتعلقة بسلامة الأراضي القطرية، وضرورة تزويد قطر بالسّلاح للدّفاع عن حدودها من الخطر السعودي إذا

(٢) - أبو عليّة ، تاريخ الدولة السعودية الثانية ، مرجع سابق ، ص ١٣١-١٥٠

(٣) - ففي رسالة من المقيم البريطاني إلى الشيخ جاسم آل ثاني بتاريخ ٣ شعبان ١٢٩٨/يونيو ١٨٨١ يوضح في معرض جوابه على طلب الشيخ بإعمار العديد أن خور العديد ليس جزءاً من قطر حيث أخبره فيها أن والده الشيخ محمد آل ثاني أخبر الكولونيل بيلي قبل عشر سنوات أن العديد ليس قطرية. راجع: وثيقة رقم ١٦ لدى الخرش والمنصور ، مصادر التاريخ القطري ، مرجع سابق ، ص ٢١

(٤) - الشلق ، أحمد زكريا ، فصول من تاريخ قطر السياسي ، مطابع الدوحة الحديثة المحدودة ، الدوحة ١٩٩٩م ، ص ٦٥

(٥) - المرجع السابق ، ص ٦٨

وجد مستقبلاً، إلا أن بريطانيا كانت تماطل الشيخ وتقول له بشكل مستمر بأنها ستستخدم الدبلوماسية البريطانية للدفاع عنه وعن رعاياه، وغير ذلك من الوعود التي لم تتمكن من تهدئة الشيخ القطري، فاضطر الشيخ عبد الله من شدة القلق أن يتوجه إلى البحرين بحجة متابعة تجارة اللؤلؤ لمقابلة المعتمد البريطاني هناك، وليشرح له أنه لا يخشى من هجوم سعودي مباشر على أراضيه، وإنما يخاف من اتباع ابن سعود طرقاً غير مباشرة لفرض نفوذه على قطر، كاستغلال الانقسام في الأسرة الحاكمة في قطر، خاصة أن بعض أفراد الأسرة قد توجهوا في أوقات سابقة إلى الرياض، وقابلوا عبد العزيز آل سعود، وأنه يخشى أن يتحول هؤلاء إلى معادين له في قطر، مستفيدين من الدعم السعودي، مما قد يسبب له المتاعب في إدارة شؤون بلاده، هذا بالإضافة إلى أن بعض القرى تمتعت عن دفع الضرائب المفروضة عليها يشجعها على ذلك دعم ابن سعود أيضاً لها^(١).

ومما زاد من مخاوف الشيخ عبد الله آل ثاني ما رافق مؤتمر العقير عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م من مناقشات حول الحدود السعودية - القطرية، ولأسى أن الكلام حول وجود مكامن نفطية كبيرة في شرق شبه الجزيرة العربية سيزيد من وتيرة المطالبات بالأراضي في تلك المناطق، وستكون محلاً للكثير من الخلافات، الأمر الذي دفع بيرسي كوكس إلى وضع حد لمطالبة السعودية بقطر، مؤكداً لممثلي السعودية في المؤتمر عينه، أن عبد العزيز آل سعود قد تعهد لبريطانيا في كل مباحثاته السابقة معها بعدم المساس بأراضي قطر، وزيادة في التأكيد على استقلال قطر، وحماية المصالح البريطانية فيها، قام السير بيرسي كوكس بمبادرة ذاتية منه برسم خط حدودي يفصل بين الإحساء السعودية وبين قطر، يبدأ من رأس خليج سلوى، لينته شمال خور العديد، التي كان يعدها البريطانيون تابعة لأبو ظبي، مما يعني أن كوكس ترك منطقة هجرة أنباك للسعوديين، لكن النقاش توقف عند هذا الحد، لأن شكل الحد الذي وضع، لم يكن له صفة رسمية بل شخصية^(٢).

كانت تصرفات ابن سعود تجاه قطر غير مريحة لبريطانيا ولقطر، فطلب المقيم البريطاني من حكومة الهند توجيه رسالة إلى ابن سعود لتذكيره بأن قطر هي إحدى الإمارات التي وقّعت مع بريطانيا معاهدة حماية، وأن ابن سعود نفسه قد تعهد في معاهدة القطيف بعدم التعرض لها، وأضاف المقيم أنه ستكون خسارة كبيرة للسياسة البريطانية أن تفقد قطر كدولة مستقلة، لأنها ستفقد معها خط الدفاع الأول في وجه طموح ابن سعود بالتّمدد إلى إمارات الخليج العربي، وبالتالي ستتعرض المصالح البريطانية في الخليج إلى الخطر^(٣).

وظل الخطر السعودي مخيماً على السياسة القطرية، وكانت التطورات الداخلية السياسية في قطر توحى أن الأيادي السعودية ما زالت تعمل على توتير الأوضاع، والدليل على ذلك التدهور الذي شهدته العلاقة البريطانية - السعودية بين عامي ١٣٤٢-١٣٤٤هـ/١٩٢٣-١٩٢٥م لدرجة دفعت المقيم البريطاني إلى تقديم اقتراح بضرب الدمام بالمدافع وذلك على خلفية تحريض ابن سعود على قطر بعد رحيل الدواسر عن البحرين لوقف التهديد السعودي لإمارات الخليج العربي المرتبطة ببريطانية، فرفضت وزارة المستعمرات البريطانية تنفيذ

(١)- المنصور، التطور السياسي في قطر ١٩١٦-١٩٤٩م، مرجع سابق، ص ٥٠-٥١

(٢)- النعيم، الحدود السياسية، مرجع سابق، ص ٧١

(٣)- المنصور، مرجع سابق، ص ٥٢-٥٣

هذا الاقتراح، إلا في حالة الضرورة القصوى. تلك التطورات دفعت الشيخ عبد الله لزيادة مطالبته بالأسلحة الحديثة للدفاع عن حدود قطر، خاصة بعد الشائعات التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية، بأن ابن سعود سيقوم بعبور الساحل الشرقي بما فيها قطر، لكن حكومة الهند البريطانية رفضت طلب الشيخ، ووضعت عراقيل أمام بيعه الأسلحة، فأدى ذلك الرفض إلى استياء الشيخ وزيادة هواجسه ومخاوفه من الموقف البريطاني، لاسيما أن بريطانيا قد تنازلت في أوقات سابقة عن مناطق لمصلحة العربية السعودية، وعلى الرغم من أن الخط الأزرق يعطيها لدولة أخرى، كما هو الحال بالنسبة لمشكلة الحدود بين السعودية والكويت^(١). استمر الحال على ذلك التوتر حتى عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧، عندما وقعت بريطانيا والسعودية اتفاقية جدة، حيث تعهد فيها ابن سعود مرة أخرى بالمحافظة على علاقات الود والسلم والصداقة مع شيوخ قطر، وبعدم التدخل في شؤون دولتهم، الأمر الذي انعكس ارتياحاً على الأراضي القطرية، وخفف من حدة مخاوفها من التهديدات السعودية التي توقفت فعلاً خلال الأعوام التي تلت معاهدة جدة^(٢).

انشغل ابن سعود في تلك الفترة بالأحداث الداخلية التي شهدتها بلاده، وبإخماد الثورات التي قامت ضد حكمه وانشقاق بعض القبائل من الإخوان عليه (فصيل الدويش زعيم الإخوان من مطير) والأحداث الدامية التي أدت إليها هجمات الإخوان على طول الحدود العراقية السعودية والحدود السعودية - الأردنية، مما أسهم في ابتعاد ابن سعود عن إثارة المتاعب للشيخ عبد الله آل ثاني، وخفت المخاطر السعودية على قطر خلال الأعوام الأربعة التي تلت اتفاقية جدة. لكن التطورات السياسية في ثلاثينيات القرن العشرين وأجواء الحرب التي أصبح العالم على أبوابها غيرت حالة السلم التي عاشتها الساحة القطرية، فقد أجبرت التطورات العسكرية البريطانية عام ١٩٣٠ على أن تسعى لإيجاد الطرق لحماية مصالحها في الخليج، في حين كان شيخ قطر يسعى لحماية مصالح قطر من أطماع ابن سعود، مما دفعه إلى مفاتحة المعتمد البريطاني في البحرين كارلوس جيفري بريور (Charles Geoffrey Prior) في أثناء زيارته لقطر عام ١٣٤٩/آب ١٩٣٠ أنه يجذب التقارب من ابن سعود وتوقيع اتفاقيات معه لوقف المساعدات التي يقدمها إلى أبناء الشيخ أحمد آل ثاني، فحاكم الإحساء السعودي ابن جلوي كان يقدم الدعم لعلي بن أحمد آل ثاني المقيم في الوكرة، فخرج مع أهله عن سيطرة الشيخ عبد الله آل ثاني، مما أخرج موقفه أمام رعاياه. وقد تكرّر الأمر نفسه مع البحرين، حيث كان ابن جلوي كان يتدخل في شؤونها لدرجة كان يطالب شيخها بتسليمه بعض الرعايا البحرينيين لمحاكمتهم في القطيف، كل ذلك دفع الشيخ إلى عرض مسألة التقارب مع ابن سعود في حال لم يتوصل مع الحكومة البريطانية إلى توقيع معاهدة حماية تقيه أطماع ابن سعود، فرفع بريور تقريراً إلى المعتمد البريطاني في الخليج إتش.في. بسكو (Biscoe) يعرض عليه تقديم الحماية لقطر أو للوطة على أقل تقدير قبل أن يقدموا طلب بناء مطار لهبوط الطائرات البريطانية، وعندها يسبب ذلك تشدد الشيخ في مطالبه، وقد يصل الأمر به إلى رفض

(١) - المنصور ، المرجع السابق ، ص ٥٣

(٢) - الشلق ، فصول من تاريخ قطر ، مرجع سابق ، ص ٧٢

المشروع، إذا لم توفر بريطانيا بعض الطمأنينة لشيخ قطر، وبالفعل هذا ما حصل، فقد أدرك الشيخ أن بريطانيا تستخدم أسلوب المزاوغة والمماطلة، وأنها لا تسعى سوى لحماية مصالحها . لذلك، رفض مشروع المطار للهبوط الاضطراري للطائرات البريطانية، دون توقيع حكومة الهند على اتفاقية معه لحماية قطر، مؤكداً أنه لن يثق بتعهدات بريطانيا، لأن التجارب السابقة لا توحى له بالثقة، وما صارت عليه حال الشيخ خزعل حاكم عربستان هو أكبر مثال على عدم التزام بريطانيا بالعهد التي تقطعها لمن يتحالف معها^(١).

ثالثاً: بريطانيا وتطور مشكلة الحدود السعودية - القطرية بين عامي ١٩٣٥-١٩٦٥م:

١- صراع شركات النفط وأثره على تطور الحدود السعودية - القطرية بين عامي ١٩٣٥-١٩٦٥م:

شهدت الساحة الدولية في بدايات القرن العشرين منافسة على مصادر النفط في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، الأمر الذي أثار جدلاً دبلوماسياً طويلاً، ولاسيما بعد أن أصبحت بريطانيا حاجزاً في وجه شركات النفط الأمريكية الاستكشافية الرابغة في العمل في المنطقة^(٢)، مما دفع الولايات المتحدة إلى الاحتجاج على السياسة البريطانية، فما كان من بريطانيا إلا التدرع بعدم قدرة الصفة العسكرية المؤقت للسلطات المحتلة غير القادرة على اتخاذ قرارات تتعلق بالاقتصاد^(٣)، وقد استمرت أروقة الدبلوماسية العالمية في حالة أخذ وردٍ حتى عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، حيث وقعت في هذا التاريخ اتفاقية (الخط الأحمر) التي شرعت نظرية (الباب المفتوح)^(٤)، وأنهت بموجبها أي فعل احتكاري لدول الانتداب في المنطقة المصدرة للنفط، ودعت إلى التدخل الجماعي في الخليج العربي عدا الكويت، وذلك وفقاً لرغبات الدول عموماً وشركات النفط الأمريكية خصوصاً، فلم تتوان الولايات المتحدة الأمريكية منذ البداية عن تقدير أهمية الخليج العربي، فبدأت منذ عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م تسيّر مهندسيها المستعربين في أرجاء السعودية، ثم انتقلوا إلى البحرين، واستطاعت أن تجد لها مكانة مميزة على ضفة الخليج العربي، مستغلة اللمبالاة البريطانية في بعض الأوقات لبعض المناطق، فالولايات المتحدة

(١)- تقع عربستان جنوب شرق العراق وتطل على جنوب ساحل الخليج العربي وقد حكمها الشيخ خزعل بن مرداو منذ العام ١٨٩٧ حتى العام ١٩٢٥، وكانت بريطانيا قد تعهدت له بحماية عروبة عربستان، لكنها لم تلتزم بهذا التعهد بعد احتلال إيران له والقضاء على عرويته واعتقال الشيخ خزعل مبررة ذلك أنها لم تكن ترى أن عربستان بلد مستقل بل تابع للسيادة الفارسية. أنظر: المنصور، التطور السياسي لقطر ١٩١٦-١٩٤٩م، مرجع سابق، ص ٦٠-٦٤

(٢)- حيث احتج السفير الأمريكي في لندن على عدم سماح بريطانيا لمواطني أمريكا من أن ينزلوا إلى "الشرق الأوسط" للحصول على الامتيازات الأجنبية. أنظر: ابراهيم، عبد العزيز عبد الغني، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧ دراسة وثائقية، ط١، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٨٧١، ص ٢٢٦

(٣)- حيث أجابت بريطانيا السفير الأمريكي عبر اللورد كيرزون في تشرين الأول ١٩١٩. للاطلاع على الرد راجع I.O L/P/& S/10- 2249-1915-1918-12-7382, Curson jo Davis, nov , 1919 نقلاً عن: المرجع السابق، ص ٢٢٦

(٤)- حيث قضت اتفاقية الخط الأحمر أن تعمل شركة الزيت التركية (مجموعة الشركات الإنكليزية والفرنسية والأمريكية) بشكل جماعي في المسائل التي تخص استكشاف النفط في المناطق التي كانت خاضعة للسيطرة العثمانية والتي حددت بموجب خط أحمر. أنظر:

Halford , L, The Middle East Problem Area in world Politics (N.Y. 1957) P.202

المستهلكة لنصف الإنتاج العالمي من النفط، والتي أقلقها تراجع الاحتياطي في بلادها^(١)، كان من الطبيعي أن تبحث عن آبار جديدة خارج حدودها مهما كانت الصعوبات^(٢).

أنهت هذه التسويات الدولية انفراد الشركات البريطانية في عملية استثمار النفط في المنطقة العربية، فلم تعد تلك الشركات التي انفردت في بداية القرن العشرين بالسيطرة على نفط الخليج العربي، وبالسيطرة على مسار تحركه من الخليج وإلى خارجه، حيث استطاعت شركات النفط البريطانية إبعاد كل المنافسين لها، كما فعلت مثلاً "الشركة البريطانية الإيرانية للنفط" التي تأسست عام ١٣١٩هـ / ١٩٠١ على يد (وليام دارسي) بعد حصولها على امتياز التنقيب عن النفط في إيران^(٣)، حيث تم اكتشاف أكبر حقول البترول في العالم^(٤)، وشركة (كارلوس كولينكيان) اللتين اتحدتا مع بعضهما البعض، وأسستا شركة جديدة تحت اسم "الشركة البريطانية - التركية" عام ١٣٣١هـ / ١٩١٢م للتنقيب عن النفط في تركيا، ولإبعاد الألمان الذين كانوا يحاولون الحصول على حقوق التنقيب فيها أيضاً، لكن هذه القدرة على إبعاد المنافسين فقدت قيمتها أمام الشركات النفطية الأمريكية، التي استطاعت أن تتسرب إلى المنطقة وتعمل فيها بطريقة غير مباشرة، ومنذ أن حصلت شركة أرامكو على امتياز التنقيب عن النفط على شاطئ الخليج العربي في الإحساء والنتائج المشجعة التي أسفر عنها التنقيب هناك، حيث بلغ الإنتاج الأول ٦٥٦٨ طن وارتفع عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م إلى ٥٢٢١٤ طن، سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى مد نفوذ امتياز شركاتها إلى الربع الخالي والأجزاء الشمالية الغربية من السعودية لزيادة إنتاج شركاتها من البترول والسيطرة على السوق العالمية، فبدأت التسلل إلى المنطقة للحصول على المزيد من الامتيازات في مناطق أخرى من الخليج العربي^(٥)، حيث تمكنت من الدخول والتسلل تحت ستار شركات النفط البريطانية، فقد كانت شركة السير هولمز اندجنرال سنديكيت (E.G.S. LTD) تشتري امتيازات النفط من الشيوخ، ثم تقوم ببيعها لشركات النفط العالمية ومنها الأمريكية، كما فعلت في أثناء مفاوضات العقير بشأن الحدود عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣، حيث حصلت الشركة على عدة امتيازات قامت ببيعها لشركات أمريكية، كما امتياز التنقيب عن النفط في الإحساء من ابن سعود ١٩٢٣م^(٦)، والتنقيب عن النفط في المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤، ونفط البحرين ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥ عندها استغلت الشركات الأمريكية غياب الدور

(١) - حيث أكد فارش W.S Farish رئيس شركة ستاندر أوليف أوف نيوجرسي أن بترول تكساس وأو كلاهما في طريقه إلى النضوب الأمر الذي أيده المساح الجيولوجي هوايت WHITE للمزيد راجع ، ابراهيم ، السلام البريطاني ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥

(٢) - بيربي ، الخليج العربي، مصدر سابق، ص ٥٤

(٣) - فيليبي، هاري سانت جون ، مغامرات النفط العربي ، ترجمة عوض البادي مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢١هـ ، ص ١٥

(٤) - وذلك في ٢٦ أيار ١٩٠٨م وبدأ البريطانيون يفاوضون الشيخ خزعل خان الحاكم العربي في خوزستان وتم إنشاء مصفاة النفط في عبادان لاستغلال حقول تلك المنطقة ، وقد أخبر آرنولد ويلسون وزارة الخارجية بتدفق الزيت من خلال شيفرة من الكتاب المقدس. للمزيد راجع : ابراهيم ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩

(٥) - الجوهري ، يسرى ، دول الخليج العربي والمشرق الإسلامي ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م ، ص ٣٢-٣٣

(٦) - حيث احتجت الشركة البريطانية- الفارسية لوزارة المستعمرات على هذا الامتياز على اعتبار ابن سعود وريث الدولة العثمانية وعليه أن يلتزم بحق الشركة في تلك المناطق بموجب امتياز سابق نالته من سلطات البصرة عام ١٩١٣م للتنقيب عن النفط بالإحساء .

الفاعل لحكومة الهند البريطانية، التي اقتصر عملها في الحصول على تعهدات من المشايخ بخصوص عدم إعطاء امتيازات النفط، إلا لمن توافق عليه الحكومة البريطانية^(٢)، واستغلال فترة الخلل الإداري والسياسي لشؤون الخليج بين عامي ١٣٤١-١٣٥٢هـ/١٩٢٢-١٩٣٣^(٣)، فقد شهدت هذه الفترة تسرب الشركات الأمريكية إلى الخليج العربي^(٤)، واستمر الكسر الأمريكي للاحتكار البريطاني للنفط في منطقة الخليج العربي حتى جاءت الضربة النهائية له، عندما غيرت الولايات المتحدة الأمريكية من سياساتها الداعية إلى العمل الجماعي في استثمار نفط الخليج باحتكارها لنفط السعودية عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦، وقد أسهم التشاؤم البريطاني غير الصحيح والمبلغ الضخم، الذي طلبه الملك عبد العزيز لتوقيع امتياز النفط مع أي شركة غربية سبباً رئيسياً في دخول الشركات الأمريكية كمنافس حقيقي قوي، لا بل محتكر قوي للتقيب عن النفط في الكثير من المناطق في الخليج العربي^(٥).

فبعد الحرب العالمية الثانية، جاء الإعلان عن إعادة بناء أوروبا، وبالتالي استيراد كميات كبيرة من النفط إلى السوق الأوروبية، حيث ازداد الطلب على النفط بين عامي ١٣٧٠-١٣٨٨هـ/١٩٥٠-١٩٦٨ أربعة أضعاف، الأمر الذي أدى إلى اختلال الموازين الاقتصادية، فتحوّلت الولايات المتحدة إلى مستورد للنفط، والخليج العربي إلى المصدر الأول له، ولاسيما بعد تأميم النفط الإيراني عام ١٣٧١هـ/١٩٥١، وأزمة قناة السويس ١٣٧٦هـ/١٩٥٦، وقانون التّحديد الإجباري للنفط في الولايات المتحدة ١٩٥٩، وهكذا لم يكد يأت العقد الخامس من القرن العشرين، حتّى بدأت حرب شرسة بين شركات النفط العالمية وبالأخص الأمريكية والبريطانية على استثمار مناطق النفط، دفعت كل طرف منهما في النهاية إلى محاولة الإساءة إلى الآخر، بهدف ضرب مواقعه الإستراتيجية والاقتصادية، ممّا أدّى إلى خسائر فادحة للطرفين أجبرت كلا البلدين للاتفاق على ضرورة تنظيم هذا التنافس بينهما وفقاً لمجموعة من المبادئ الأساسية الضرورية لمصلحة البلدين^(٦)، كيلا يدفع الطرفان

(٢) - كالتعهد الذي أخذته من شيخ الكويت ١٩١٣م، والتعهد من شيخ البحرين ١٩١٤م، ومن حاكم قطر عام ١٩١٦م. للمزيد من المعلومات راجع: إبراهيم ، السلام البريطاني، مرجع سابق ، ص ٢٣١-٢٣٢

(٣) - حيث اقتصر عمل حكومة الهند في هذه المرحلة على العمل الإداري، ولم يعد لها أي دور سياسي، حيث أصبحت أمور الخليج العربي السياسية في لندن: أنظر: المرجع السابق، ص ٢٣٢

(٤) - فحصلت شركة النفط الأمريكية (ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا) على امتياز للتقيب عن النفط في البحرين من خلال الشركة البريطانية (ايسترن آند جنرال ساندويكات)، بعد أن اشترت منها امتياز النفط في البحرين عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م^(١)، حيث وجد النفط بكميات كبيرة في يوم ٣١ أيار ١٩٣٢م على عمق ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ م ، وكذلك حصلت الشركة الأمريكية (غولف أويل كوربوريشن) على امتياز لاستثمار النفط في الكويت. أنظر : فيليبي ، مغامرات النفط العربي ، مصدر سابق، ص ١٣٨-١٣٩

(٥) - وقد ساعد الولايات المتحدة الأمريكية على التغلغل في الخليج العربي اتحاد شركتي النفط الأمريكيّتين (ستاندر أويل وتاكساس كومباني) في شركة واحدة حملت اسم شركة (أرامكو) الشركة الأمريكية - العربية، وحصول الشركة الأمريكية (إيرانيان كومباني) على امتياز التّقيب عن النفط في ثلث الأراضي الإيرانية عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، وامتياز التّقيب عن النفط في العراق بعد اتحاد شركتي النفط الأمريكيّتين (ستاندر أويل و تاكساس أويل) بشركة واحدة تحت اسم (شركة النفط العراقية). أنظر: بيري ، الخليج العربي ، مصدر سابق، ص ١٤٢-١٤٥

(٦) - للمزيد من المعلومات حول تنازع شركات النفط الأمريكية والبريطانية على الحصول على امتيازات النفط في الخليج العربي والجزيرة العربية راجع : فيليبي ، مصدر سابق ، ص ١٠١-١٩٧

ثمن هذا الصراع دون طائل. ومن أهم هذه المبادئ الحفاظ على سعر واحد للنّفط مهما كان مصدره، مع الالتزام بما تمّ الاتفاق عليه سابقاً عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨ في (ميثاق أشكيناوي)، الذي تضمّن مجموعة من المبادئ تنصّ على منع الهدر وإنتاج كميات من النّفط تفوق الطّلب، ولزيادة التّنظيم في تدفّق الإنتاج النّفطي العالمي، وقّع الطرفان اتفاق واشنطن عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤ الذي رسّخ الاتفاق البريطانيّ - الأمريكيّ السّابق حول شؤون النّفط، وضرورة وضع قواعد لتجارة النّفط عالمياً، والاتفاق على جعل كل المناطق مفتوحة أمام الجميع، ورفع كلّ القيود عن استثمار النّفط في كلّ المناطق في العالم^(٢).

من هنا انطلقت الولايات المتّحدة الأمريكيّة لاحتكار نفط العالم، فقامت بربط المملكة العربيّة السّعوديّة بخطّ الدّفاع الأمريكيّة بعد النّقارير الجيولوجيّة التي أثبتت أنّ مركز الثّقل في نفط العالم يبتعد من خليج المكسيك وبحر الكاريبي إلى الخليج العربي، ولهذا أمر فرانكلين روزفلت الرّئيس الأمريكي عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣ بتوقيع برنامج القروض والهبات مع السّعوديّة بوصفها مسألة حيويّة لإستراتيجيتها الدّفاعيّة، ثمّ سعت لتحقيق إستراتيجيتها في الخليج العربيّ كله، وذلك بجعل أمريكا وحدها تقوم بحماية أمن المنطقة من خلال خط التّالين Trans. A.Pipeline الذي استطاعت بواسطته أن تبنّي مخارج بترول الخليج العربيّ إلى البحر المتوسط في نقاط إستراتيجيّة تقع في مرمى المدفعية الصهيونيّة، التي وجدت في فلسطين لتحمي النّقطة الإستراتيجيّة الاستعماريّة في المنطقة العربيّة^(٣)، وهو ما عبر عنه المفكر السياسي الروسي نغوم شومسكي (إنّ اهتمام الحكومة الأمريكيّة ليس حماية إسرائيل ولا جيرانها، لكن السّيطرة على خزانات الطّاقة التي تزخر بها المنطقة).

هذه الطّاقة الإستراتيجيّة هي التي تحدّد علاقات الولايات المتّحدة الأمريكيّة الدّوليّة والإقليميّة^(٤)، فأدركت أنّ عظمتها مرتبطة بشكل أساسي بسيطرتها على منابع النّفط في العالم، ممّا جعلها تسعى لحماية مواقع النّفط التّابعة لنفوذها بكلّ الوسائل، وتصدّت لكلّ ما يهدّد مسار النّفط من مناطق إنتاجه في الجزيرة العربيّة والعراق وإيران تجاه الغرب تحت الرّاية الأمريكيّة، وسارت على خطا بريطانيا التي عبّرت عن موقفها هذا على لسان رئيس وزرائها أنطوني إيدن أمام خروتشوف عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦ حين قال: (يجب أن تعلموا أنّنا مستعدّون للدّخول في حرب إذا ما حاولت دولة أخرى تعطيل مرور نفط الخليج الفارسي باتجاه أوروبا).

ومن هنا رأت الولايات المتّحدة الأمريكيّة أنّه لا بدّ أن تعمل على حراسة هذا الممرّ بشكل مباشر، ولاسيما بعد انهيار نظام الشّاه في إيران لضمان استمرار الممرّ الحيويّ لمرور النّفط إلى أوروبا والحلفاء، وأنّها مضطرة أيضاً للسيطرة على كلّ المصادر الجديدة للنّفط في العالم، لتستطيع إدارة النّظام العالميّ الاقتصاديّ بطريقة أفضل، ورأت أنّ الحلّ يكون بإقامة قواعد عسكريّة في كلّ المناطق الضروريّة للسيطرة على النّظام العالميّ الجديد. وأهمّ هذه المناطق الحيويّة للرّعاية العالميّة الأمريكيّة منطقة الخليج العربي، التي تمتلك نحو ثلثي نفط العالم، فكانت الولايات المتّحدة الأمريكيّة مستعدة لحمايتها حتّى وإن وصلت الأمور إلى مرحلة الرّدع النّووي. ودراسة بسيطة

(٢)- متى ، الخليج العربي من الاستعمار حتى الثورة الإيرانيّة ، مرجع سابق ، ص ٥٧-٦٧

(٣)- إبراهيم ، السلام البريطاني ، مرجع سابق ، ص ٢٤١-٢٤٣

(٤)- متى ، الخليج العربي من الاستعمار حتى الثورة الإيرانيّة ، مرجع سابق ، ص ٧٧

لإحصاءات نفطية تظهر لنا السبب وراء السعي الأمريكي للسيطرة على آبار النفط في الوطن العربي ولاسيما منطقة الخليج العربي. فمنذ تاريخ اكتشاف أول منطقة لتدفق النفط في بنسلفانيا عام ١٨٥٩/هـ ١٢٦٦ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة الأمريكية المصدر الأول للنفط في العالم والمنتج الأول له، حيث امتلكت ٦,١٪ من المخزون العالمي النفطي و ١١,١٪ من مخزون الغاز العالمي، هذه الموارد الذاتية بالإضافة إلى سيطرتها على مخزون السعودية وموارد الكتلة الغربية جعلها تسيطر على احتياط مجمل بلدان العالم الحر، مستفيدة من انعكاسات السيطرة على المجتمع الدولي، فالسيطرة على مصادر الطاقة أصبح ضرورة كبيرة للدول الصناعية؛ كونه أحد أهم العناصر الرئيسة للقوة الأمريكية، ويضمن لها الغلبة في الأحداث العالمية على مستوى العالم، وبفضل توافر الآلة والسلاح السياسي وشركات النفط القوية و الرّساميل الهائلة استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية تحويل النفط إلى شيء أمريكي. غير أنّ مسؤولي الإدارة الأمريكية لاحظوا انخفاضاً كبيراً في مستويات المخزون النفطي في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية السبعينيات، لتصبح فيها تابعة لمصادر الطاقة الخارجية. فالالاقتصاد الأمريكي مستهلك كبير للطاقة، ومعدلات تبعيتها للطاقة الخارجية أخذت تتصاعد بسرعة كبيرة، فمن ٥٪ عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠ صعدت النسبة إلى ١٦.٣٪ عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤، ومع ذلك ظلّت النسبة أقل بكثير من استهلاك أوروبا الغربية (٦٤.٩٪) واليابان (٩٥.٣٪)، وقد ارتفعت إمدادات البلدان العربية إلى ٢٢٪ من الواردات النفطية الأمريكية عام ١٣٣٢ هـ / ١٩٧٣، وإلى ٣٨٪ خلال عام ١٣٣٧ هـ/ ١٩٧٨، وستصل إلى ٧٠.٦٪ عام ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠^(١).

هذه الأرقام والدراسات جعلت الولايات المتحدة الأمريكية متيقظة لأهمية السيطرة على مصادر الطاقة، لأنها تستطيع بسلاح النفط الضّغط على الحلفاء والخصوم على حد سواء. وتحول الولايات المتحدة الأمريكية من شبه اكتفاء ذاتي إلى التّبعيّة للطاقة الخارجية شكّل هاجساً مربعاً للرّئاسة الأمريكيين، وشغل حيزاً كبيراً في السياسة الخارجية الأمريكية. مما جعل واشنطن تستعدّ لافتعال حروب وأحداث كبيرة على مستوى السّاحة العربية، تنتهي بها إلى إقامة قواعد عسكرية فيها، ومن المسائل التي استغلتها الولايات المتحدة الأمريكية بين الحين والآخر مسألة الحدود التي ظلّت حتى وقت قريب سبباً للكثير من المشكلات بين الدول العربية غير القادرة على حلّها دون الاستعانة بالدول العظمى^(٢).

أسهم النفط في منطقة الخليج العربي في اعتماد سياسات متحرّكة قابلة للتّغير وفقاً للمصالح الاستعمارية، حيث أدّت المنافسة بين شركات النفط الغربية وبالتّحديد البريطانية والأمريكية إلى بناء استراتيجيات جديدة بعد أن كانت بريطانيا تتصرّف على أساس أنّ مياه الخليج هي مياه بريطانية، إلّا أنّه منذ بداية العقد الثالث من القرن التاسع عشر بدأت المعادلات في المنطقة تتغيّر، فما عاد الشيوخ كما كانوا سابقاً ينفذون أوامر بريطانيا دون نقاش، ولا بريطانيا ظلّت على السياسة القهرية نفسها التي كانت تستخدمها سابقاً مع أمراء الخليج العربي، فما أن تحرّكت شركة الولايات المتحدة الأمريكية "ستاندر أويل أوف كاليفورنيا" التي تختصر بكلمة "سوكال" في

(١) - متى، المرجع السابق ، ص ٦٨-٦٩

(٢) - المرجع السابق ، ص ٧٨-٨١

أراضي شبه الجزيرة العربية للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط، حتى اشتعلت المنافسة بين شيوخ وأمراء المنطقة ومن خلف بعضهم بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية من خلف البعض الآخر.

وبالعودة إلى أثر التحركات التنافسية لشركات النفط البريطانية - الأمريكية على الحدود القطرية - السعودية، نلاحظ الأثر الكبير لهذا التنافس على مواقف كل من السعودية وقطر، فكيف لشيوخ قطر المحاط بالأخطار من كل الجهات أن يرفض الطلب البريطاني لبناء المطار على أرضيه دون اتفاقية حماية موقعة من حكومة الهند، لولا إدراكه العميق لوجود مثل هذا التنافس، لا بل يمكن القول إنَّ الشَّيخ قد تلقى عروضاً مغرية من شركات نفطية أمريكية للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في أرضيه.

ولعلَّ هذا ما دفع بريطانيا إلى التخلّي عن فكرة بناء المطار على الأراضي القطرية، واستخدامها أسلوب التهديد والضَّغط على الشَّيخ بدلاً من الدبلوماسية، حيث وجَّهت تحذيراً قاسياً له بعدم التعرُّض للطائرات التي تهبط في الريان، وهو مكان المهبط الذي أنشأته بدلاً من المطار، ولم تحاول بريطانيا استرضاء الشَّيخ بأي تنازلات أو تحقيق أيِّ مطلب من مطالبه، إلا أنَّ ذلك كله كان مؤقتاً، لأنَّ اليوم الذي فيه يسدل الستار عن الهيمنة المطلقة لبريطانيا في الخليج العربي بات قريباً، فالحرب النفطية في أراضي الجزيرة العربية والخليج العربي ستجبر بريطانيا على تغيير مواقفها المتشددة، وستجبرها على اتباع أساليب جديدة أكثر مرونة وأقلَّ سلطة ونفوذاً، حيث أصبح لدى الشَّيوخ في الخليج العربي إمكانية المناورة السياسية بعد ظهور الولايات المتحدة الأمريكية على السَّاحة العالمية كقوة صاعدة لا يستهان بها فالمنافسة الأمريكية للسيطرة البريطانية على أراضي الخليج العربي، قد بدأت تزداد يوماً بعد يوم، حيث استطاعت شركة "ستاندر أوليل أوف كاليفورنيا" أن تحصل على امتيازات نفطية مهمة في الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية)، ممَّا شكَّل تهديداً للمصالح البريطانية، ودفعها إلى تغيير سياستها والتَّحرك بمرونة أكبر، وذلك بالخروج من عقلية السَّيد الأوحد الذي لا يردُّ له طلب في المنطقة، إلى عقلية الطَّرف المنافس لقوى أخرى والمضطرَّ إلى بعض التنازلات في كثير من الأحيان.

من هنا اضطرت بريطانيا إلى تغيير سياستها مع شيخ قطر أيضاً، خشية وصول نفوذ الشركات الأمريكية إلى الأراضي القطرية، ودفعها أيضاً إلى الإسراع في الحصول على حقوق التنقيب في قطر قبل أن يخطف الامتياز من جهة أخرى، فوجَّهت الشَّركة البريطانية - الفارسية "أبوك" إلى العمل للحصول على امتياز التنقيب في قطر. وبدأ يظهر من بين صفحات الامتيازات النفطية بين الشركات والدول كلام حول الحدود، كالكلام الذي جاء في المادَّة الأولى من مشروع الامتياز المبدئي للشَّركة البريطانية في قطر "إنَّ وزارة الخارجية تعلق أهمية كبيرة على ضرورة تحديد الحدود السعودية - القطرية بدقة تجنُّباً لأيِّ متاعب حول الحدود"^(١)، الأمر الذي عرف كيف يستغلَّه الشَّيخ بطريقة بالغة الحنكة، فطلب مقابل إعطاء الشَّركة البريطانية الامتياز توقيع معاهدة الحماية التي وقعتها بريطانيا مع كلَّ من البحرين والكويت، ممَّا دفع بريطانيا بكلِّ مكاتبها السياسية إلى الإسراع في دراسة موضوع الاتفاقية مع شيخ قطر، ولاسيَّما أنَّ الشَّيخ قد زار في وقت سابق لهذا الطلب الرياض عام

(١) - الشُّلق ، فصول من تاريخ قطر ، مرجع سابق ، ص ٧٦-٧٧

١٣٥٢هـ/١٩٣٣، ممّا أثار مخاوف المقيم البريطاني في البحرين السيّر غوردن لوخ Percy Gordon Loch، ودفعه إلى استعجال حكومته لتسوية علاقاتها مع شيخ قطر، حيث وضح في مذكرته في عام ١٣٥٣هـ/١٠ كانون الثاني ١٩٣٤ "أنّ الأحداث تتطوّر بسرعة لأنّه أصبح مستحيلاً شئنا ذلك أم أبينا تجنّب التّدخل في قطر علناً أو من وراء الستار لتولّي مسؤوليّة الدفاع عنها خاصّة وقد رأت حكومة جلالة الملكة بتعيين ضابط سياسي لها في قطر. لذلك، لابدّ من قبول المسؤوليّة لأنّنا إذا حصلنا على موافقة رسميّة لحماية هذه المنطقة فلن يكون لها تهديد من أيّ جانب..."^(١).

فقد أعطت الزّيارة التي قام بها الشّيخ للريّاض مسوّغاً لمطالب السّعوديّة في بعض المناطق القطريّة، لا بل في قطر كلّها إن سنحت الفرصة، وذلك على الرّغم من أنّ المصادر لم تحدّد السّبب الرّئيس لهذه الزّيارة، والشّكوك كلها دارت على أنّ الشّيخ أعطى ابن سعود تعهداً بعدم منح البريطانيّين امتيازات نفطيّة واسعة، وأنّها ستقتصر على الدّوحة وجوارها فقط، الأمر الذي قد يكون قد أثار حفيظة البريطانيّين، وأخافهم من خسارة نفط قطر كما حصل بنفط السّعوديّة الذي استولت عليه شركات النّفط التّابعة للولايات المتّحدة الأمريكيّة، عندها تكتّفت الزّيارات السياسيّة البريطانيّة لقطر من أجل مفاوضة شيخها على اتّفاقيّة الحماية المراد توقيعها معه، ففي زيارة للمقيم البريطاني إلى الدّوحة في عام ١٣٥٤هـ/نيسان ١٩٣٥، التقى خلالها شيخ قطر موصّحاً له مطالب بريطانيّا مقابل توقيع اتّفاقيّة الحماية مع قطر، وعلى رأس هذه المطالب منح امتياز التّقيب للشركة البريطانيّة - الفارسيّة^(٢)، وأنّ الحماية البريطانيّة لقطر في حال تمّ الاتّفاق عليها ستكون مقتصرة على الحدود الجنوبيّة الشرقيّة، وضدّ الغزوات الكبيرة وليس الصّغيرة، وقد ذكر المقيم البريطاني للشّيخ أنّ مسألة حماية قطر تتطلّب تقديم الشّيخ خدمات سلكيّة ولاسلكيّة للطائرات التي ستحمي الأراضي القطريّة، إضافة إلى أنّها بحاجة إلى مهبط ومخازن للوقود، كل ذلك على أن يلتزم الشّيخ عبد الله وأولاده من بعده بمعاهدة ١٣٣٥هـ/١٩١٦^(٣)، بالإضافة إلى تعهد الشّيخ بتقديم امتيازات قضائيّة لرعايا بريطانيا في قطر، وبعد الكثير من الأخذ والرد تمّ الاتّفاق على كل بنود الاتّفاقيّة، وتم توقيعها عام ١٣٥٤هـ/أيار ١٩٣٥^(٤)، وقبلها تم توقيع امتياز النّفط في قطر مع الشركة البريطانيّة - الفارسيّة^(٥). وبهذا التّطور الكبير في العلاقات البريطانيّة - القطريّة، نرى التّأثير الكبير لظهور النّفط في قطر على موافقة بريطانيا على طلب الشّيخ بحماية دولته من التهديد السّعودي الذي لطالما أجبر

(١) - المرجع السابق ، ص ٧٦-٧٧

(٢) - وقد وجه المقيم البريطاني في الخليج العربي الكولونيل ت.س. فاول (Fowle) رسالة إلى الشّيخ عبد الله بن قاسم بن ثاني في نيسان ١٩٣٥م طلب منه فيها إعطاء امتياز النّفط في قطر للشركة البريطانيّة - الفارسيّة بلغة حملت شيء من التهديد "وقد يتقدم آخرون بطلب امتياز منكم... ونتيجة هذا قد لا تكون في صالحكم ولا رعاياكم. للمزيد راجع: العناني، وثائق التاريخ القطري، مرجع سابق، ص ٢١-

(٣) - للمزيد من المعلومات حول تفاصيل الاتّفاقيّة راجع الملحق رقم (١٦)

(٤) - للمزيد من المعلومات حول تفاصيل الاتّفاقيّة راجع: Aitchison , Treaties And Engagements ,P258-260 ؛ أيضاً الملحق رقم (٣٤)

(٥) - للمزيد من المعلومات حول المفاوضات لتوقيع اتّفاقيّة الحماية وأهم بنودها راجع: المنصور، التطور السياسي لقطر ١٩١٦-١٩٤٩م ، مرجع سابق ، ص ٦٨-٧١

الشيخ في كثير من الأحيان على دفع ضريبة مالية لابن سعود للحفاظ على استقلاله، وأما التحديد الدقيق للحدود وفق المفهوم الأوروبي الحديث الذي لم يكن موجوداً في المنطقة آنذاك، وكان بعيداً عن الفكر القبلي الذي تعيشه منطقة الخليج العربي، والدليل على ذلك أن المصور الذي وضعته الشركة العربية - الأمريكية للزيت (أرامكو) بعد منح السعودية امتياز النفط في أراضيها لها، لم يتضمن أية حدود في الخليج العربي، بل ظهرت الإمارات والمشيخات التابعة لبريطانيا على شكل خطوط فقط لا غير، وليس على شكل حدود تفصل بين منطقة وأخرى^(٤)، على الرغم من أنها كلها قد وقعت اتفاقيات نفطية مع شركات بريطانية.

ولم يبدأ الظهور الواضح والدقيق للحدود في المنطقة، إلا عندما بدأت عمليات المسح الجيولوجي لشبه جزيرة قطر ووضع الخريطة الجيولوجية لها، ففي ذلك الوقت فقط أظهر المسح وجود مشكلة على الحدود القطرية - السعودية، فما أن وصل الفريق الجيولوجي المخول بعملية المسح من شركة "أبوك" إلى منطقة الإحساء حتى بدأت العراقيل تواجه الفريق، مما دفع بريطانيا إلى الاعتراض لدى ابن سعود، مذكرة إياه بأنه قد تم الاتفاق سابقاً مع بيرسي كوكس عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢ في مؤتمر العقير عندما كان ابن سعود ينوي منح امتياز النفط لهولمز وشركته الشرقية في أراضي السعودية^(٥)، على ألا يشمل الامتياز الأراضي القطرية، لأنها تحت الحماية البريطانية، وأن الامتياز يتوقف عند الإحساء وهي نهاية الحدود الشرقية للسعودية، وزيادة في التأكيد رسم وقتها السير كوكس خطأ حدودياً يفصل بين قطر والإحساء، وتطورت المشكلة الحدودية، عندما طلب ابن سعود من الشيخ عبد الله ألا يمنح امتيازات نفطية لأي شركة دون الرجوع إليه قبل حل النزاعات على الحدود، فكل متر مربع أصبح يمثل ثورة طائلة مدفونة في باطن الأرض. في الوقت الذي كانت بريطانيا فيه مهتمة بالنفط، كان الشيخ القطري ينظر إلى المسألة من الناحية السياسية - الأمنية، فقد كان يميل إلى تأمين الاستقرار السياسي لبلاده أكثر من الأمور المادية^(٦).

فقد استطاع تحييد قطر عن المشكلة، التي قد تسبب بها إثارة الحدود مع السعودية بطريقة تؤدي إلى عدم الاستقرار في بلاده، وتم الاتفاق بين الجانبين على تأجيل المشكلة إلى وقت لاحق، على اعتبار أنها مشكلة ثانوية يمكن حلها بالطرق الدبلوماسية عن طريق المفاوضات فيما بعد، وعندما حصلت الشركة الأمريكية "ستاندر أوليل كالفورنيا" على امتيازات النفط في السعودية، في الوقت الذي رغبت فيه شركة "نفط العراق" الشركة الأم لشركات النفط البريطانية في توسيع منطقة النفوذ الخاضعة لامتياز النفط الذي كانت تفاوض عليه شيخ قطر، حاز الطرفان بالحدود الشرقية للمملكة العربية السعودية، حيث قامت شركة النفط البريطانية بإرسال فريق تقني لمسح الأراضي القطرية بقيادة أ.ف. ويليامسون عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣، الأمر الذي أثار مشكلة حدود قطر مع السعودية، مما دفع المقيم السامي البريطاني إلى القول أن ليس هناك تحديد نهائي لحدود أراضي

(٤) - بيرسي ، الخليج العربي ، مصدر سابق ، ص ٥٧

(٥) - حيث ظهرت خريطة في هذه المرحلة ١٩٢٣م توضح الحدود بين السعودية والإحساء ومنطقة الخليج العربي. للمزيد راجع : الملحق (١٩)

(٦) - للمزيد من المعلومات حول النفط في قطر راجع: الشلق ، فصول من تاريخ قطر ، مرجع سابق ، ١٨٧-٢١٣

شبه الجزيرة العربية في قطر، واندفعت بريطانيا إلى محاولة الاستعانة بالخط الأزرق، وأرسلت فريقاً من الشركة مع رجال الشيخ ليحدّد حدود بلاده وفقاً للخط الأزرق الذي يفصل بين سنجق نجد وقطر^(٢).

لذلك، نشرت الشركة منذ عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م خريطة لمشيخة قطر تضمّنت خطأً أعطى الشيخ عبد الله السّيادة على شبه الجزيرة القطريّة بما فيها جبل نخش، حيث بدأ الخطّ على بعد عشرة أميال جنوبي جبل نخش لينتهي على بعد ثمانية أميال شمال خور العديد، في الزاويّة الجنوبيّة الشرقيّة لشبه الجزيرة، وقالت الشركة إنّ هذا الخطّ الذي وضعه الشيخ يتوافق مع تقرير أحد الجيولوجيين الذين شاركوا في عمليّات المسح وويليامسون الذي زار قطر مرّتين في شباط وآذار ١٣٥٢/١٩٣٣م "الحدود الجنوبيّة على تلك الخريطة إنّما هي تلك التي بيّنها الشيخ بنفسه" وأنّ هذا الخطّ يتوافق مع الخطّ الذي وضعه لوريمير في دليله الخاص بالخليج العربي^(٣).

الأمر الذي خلق مشكلة مع السّعوديّة التي ادّعت أنّ الشيخ في أثناء زيارته الرياض تعهّد بعدم إعطاء أيّ حقوق للتّقيب عن النّقط خارج الدّوحة إلا بعد الرّجوع إلى ابن سعودن الأمر الذي أنكرته بريطانيا والشيخ، والتّحليل المنطقي لمسار الأحداث يقول إنّ بريطانيا هي من قامت بالضّغط على الشيخ للمطالبة بالبرّ القطريّ واعتباره أنّ خطّ الشركة البريطانيّة يمثّل حدود بلاده يدرك تمام الإدراك أنّه سيغضب بلا شكّ المملكة العربيّة السّعوديّة، لاسيّما أنّ اهتمامات الشيخ قبل فترة قصيرة كانت محصورة بالحفاظ على استقرار بلاده سياسياً واستقلالها وإيقاف التّهديد السّعودي لأراضيه ومن هنا تأتي المفارقة في الموقف السّعودي المتحفّز لضّمّ المزيد من الأراضي التي لطالما عدّها آل سعود "أرض الآباء والأجداد". فعلى الرّغم من معرفته الكاملة بأنّ الموقف القطريّ ما هو إلاّ انعكاس للموقف البريطانيّ، لكنّهم فضّلوا الاستمرار بالمطالبة ببعض الأراضي القطريّة، وما هذا إلاّ دليل على أنّ الخوف الكبير من بريطانيا قد زال بمجرد دخول المنطقة في حرب النّقط المتمثّلة بالامتيازات النّقطيّة وحقوق التّقيب في الجزيرة العربيّة وأرض الخليج، وقد زاد وصول أول شحنة نفط قطريّة إلى أوروبا في ١٣٧٠هـ/شباط ١٩٥٠م بعد تفجّر النّقط بغزارة من تسعة آبار في جبل دخان على الشّاطئ الشّمالي لقطر بعد انتهاء الحرب العالميّة الثّانية، ممّا شكّل دافعاً للملكة العربيّة السّعوديّة لتجدد مطالبها ببعض الأراضي القطريّة وتصدّي بريطانيا لها بحزم أكبر والعودة إلى الحدود التي وقّعوها في عام ١٣٣٢-١٣٣٣هـ/١٩١٣ و١٩١٤م مع الدّولة العثمانيّة.

لعب النّقط دوراً كبيراً في عدم الوضوح في مطالب المملكة السّعوديّة بالنّسبة لحدودها مع قطر أو حتّى مع إمارات السّاحل المتصالح، وفي التّزمّت والتّشدّد البريطانيّ في مفاوضاتها مع المملكة حول الحدود الشرقيّة والجنوبيّة الشرقيّة.

٢- دور بريطانيا في مشكلة الحدود بين السّعودية وقطر بين عامي ١٩٣٥-١٩٦٥:

(٢)- ولكنسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص ٢١٤

(٣)- المنصور، التطور السياسي لقطر ١٩١٦-١٩٤٩م ، مرجع سابق، ص ٨٢؛ أيضاً: النعيم ، الحدود السياسية، مرجع سابق، ص ٧١-٧٢

أدركت بريطانيا الرغبة السعودية الكبيرة بالسيطرة على أراضي قطر منذ وقت مبكر. لذلك، حاولت بريطانيا منذ البداية تقييد السعودية بجملة من العهود والاتفاقيات التي تمنعها من المطالبة بأراضي قطر^(١)، إلا أن الحدود في كل تلك الاتفاقيات السابقة لم ترسم بشكل رسمي ودقيق، وظلت وقتاً طويلاً موضوع جدال بين بريطانيا والسعودية، ولم يبدأ النقاش الفعلي حولها، إلا عندما فاحت رائحة النفط في أرجاء الخليج العربي، ونزاع شركات النفط حول الدولة التي يتبع لها جبل نخش الذي يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة القطرية^(٢).

أ- الاقتراحات البريطانية- السعودية لحل مشكلة الحدود بين قطر والسعودية:

انطلقت إلى واجهة الأحداث السياسية في منطقة الخليج العربي مشكلة الحدود بين قطر والسعودية والكثير من البلدان الخليجية، بعد أن قدمت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية طلباً إلى الحكومتين التركية والبريطانية بتقديم توضيح دقيق للحدود الفعلية المتفق عليها بين الدولة العثمانية وبريطانيا سابقاً، فكان الجواب البريطاني في ٢٤/١٣٥٣هـ نيسان ١٩٣٤م ((بأنها الحدود التي رسمها الخط الأزرق الموضح في الميثاق البريطاني- العثماني ١٣٣٢-١٣٣٣هـ/١٩١٣-١٩١٤، وبأن ابن سعود خلف السيادة التركية على المناطق الواقعة إلى الغرب والشمال الغربي من هذه المناطق))^(١).

ومنذ ذلك التاريخ بدأت بريطانيا تستخدم الخط الأزرق لدعم مواقفها من الحدود الشرقية للمملكة العربية السعودية، التي أدركت أن حوارها القادم لن يكون مع مشايخ الخليج العربي، بل مع بريطانيا مباشرة، الأمر الذي أظهرته البرقية التي أرسلها فؤاد حمزة إلى الملك عبد العزيز آل سعود^(٢).

(١)- ابتدأت الخطة البريطانية منذ عام ١٩١٥هـ/١٣٣٤م عندما وقعت مع عبد العزيز آل سعود اتفاقية القطيف، التي تعهد فيها باحترام اتفاقيات المملكة البريطانية مع الدولة العثمانية بما في ذلك الخط الأزرق، الذي وضع قطر خارج الحدود السعودية، ثم تلا هذه الخطوة الكثير من الخطوات، ومنها ما اتفق عليه كوكس في مؤتمر العقير عام ١٩٢٢هـ/١٣٤١م مع الممثلين السعوديين فيه عن خضوع قطر للحماية البريطانية، ثم تم تجديد الاتفاق مرة أخرى في اتفاقية جدة عام ١٩٢٧هـ/١٣٤٦م، التي اعترفت فيها ابن سعود باستقلال المشيخات الخاضعة لبريطانيا، وتعهد بعدم التعرض لها وذلك وفقاً للمادة السادسة التي جاء فيها: "يتعهد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، بالحفاظ على العلاقات السلمية والصديقة مع أراضي الكويت والبحرين ومشايخ قطر وساحل عمان، الذين يرتبطون بعلاقات تعاهدية خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية". انظر: مجموعة المعاهدات، مصدر سابق، ص ٣٣-٤٣؛ أيضاً: أم القرى العدد ١٤٥ الصادر في ٢٧ ربيع الأول ١٣٤٦ الموافق ١٦ أيلول ١٩٢٧م؛ أيضاً: كيلي، الخليج العربي، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٢)- ففي العام ١٩٣٣هـ/١٣٥٢م حصلت شركة سوكل على حقوق التنقيب عن النفط واستخراجه من المنطقة الشرقية في المملكة السعودية، وهي منطقة لم تعرف تحديداً دقيقاً في مواجهة المشيخات الخليجية المجاورة مثل قطر وأبو ظبي والبحرين وعمان، وبعد عامين حصلت شركة الامتيازات النفطية المحدودة وهي ذراع نفط العراق "أي.بي.سي"، وقد أصرت هذه الشركة على أن يشمل النعيم، الحدود السياسية، مرجع سابق، ص ٧٠.

(١)- وزارة الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٩١/٢٧٩/٢٤٨١ من جي دبليو ريندل إلى ميلارد بتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٣٤م، مذكرة المملكة المتحدة الجزء الثاني الملحق د، رقم ٣ نقلاً عن: كيلي، مصدر سابق، ص ٢٩٠.

(٢)- حيث جاء في البرقية "إن رأيي في موضوع الحدود بين مسقط وعمان وإمارات الخليج وقطر يتلخص في أن أولئك أمراء ضعاف ويمكن للإنجليز أن ينالوا منهم ما يشاؤون وليس في إمكاننا كما أنه ليس في مصلحتنا أن ننصب أنفسنا مدافعين عن حقوقهم بينما هم قد وُظفوا أنفسهم في أمور لا علاقة لنا بها، فالموضوع الآن على ثلاثة وجوه: أولاً من الذي تكون المفاوضة معه الإنجليز أم الأمراء أنفسهم، هل نحب التوصل

بدأت المفاوضات المباشرة بين السعودية وبريطانيا حول حدود المملكة الشرقية مع قطر، على خلفية الرد الذي قدمته الحكومة البريطانية للحكومة الأمريكية باعتبار الخط الأزرق هو خط الحدود الرسمي بين البلدين، فرد نائب وزير الخارجية السعودي فؤاد حمزة رافضاً الرد البريطاني، ومؤكداً أن تغييرات كبيرة طرأت على السعودية، وأن حكومته لا تستطيع اعتبار الخط الأزرق ممثلاً بالفعل للخط الصحيح لحدودها الشرقية، فكان رد بريطانيا حازم اللّهجة، وأكدت في برقية موجهة إلى فؤاد حمزة أن التطورات التي شهدتها المملكة لا تغير الأساس القانوني للمواثيق الموقعة بين الدولة العثمانية سابقاً وبريطانيا، وأن على الحكومة السعودية الالتزام بها بشكل كامل، إلا أن فؤاد حمزة رد على الرد البريطاني معتبراً أن السيادة العثمانية في المنطقة الشرقية من الخليج انتهت من عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣، وبالتالي لا يحق لها التصرف في تلك المنطقة، ولا سيما أن بريطانيا اعترفت في معاهدة القطيف عام ١٣٣٥هـ/١٩١٥م بآبن سعود حاكماً مستقلاً على نجد والإحساء والقطيف وجبل شمر وملحقاتها التي لم تحدّد حدودها بشكل نهائي، وبالنسبة لحدود قطر فتنتهي عند حدود البلدان والقرى المأهولة.

أمّا بالنسبة إلى ما تبقى من أراضي الأجزاء الشرقية لشبه الجزيرة :

" فإنّ جميع القبائل التي تعيش بين بلدان قطر الساحلية وساحل عمان وحضرموت تمتدّ إلى المملكة العربية السعودية، وهي تخضع خضوعاً تاماً لقوانينها وتدفع الزكاة..."^(١)، عندها استدعي فؤاد حمزة إلى لندن وبدأ البحث التفصيلي حول الشؤون الحدودية بين قطر والسعودية بشكل جديّ وعلمي، وأصبح كلّ طرف يقدّم وجهة نظره بالنسبة للحدود التي يراها أنها الأصحّ والأكثر عدالة.

١ - الاقتراحات البريطانية حول الحدود السعودية - القطرية:

عرفت بريطانيا منذ بداية المفاوضات مع المملكة العربية السعودية أن الأمر لن يكون سهلاً لإقناع السعودية ببعض التنازلات، في الوقت الذي كان يستخدم فيه ابن سعود المسوغات التاريخية للمطالبة ببعض المناطق الحدودية مع قطر مدرجاً خضوع قطر نفسها منذ القديم لسلطة آبائه وأجداده كحجة على مطالبه، مؤكداً في هذا الصدد أن بريطانيا في اتفاقيتها معه عام ١٩١٥م أعطته الحق باستعادة أرض الآباء والأجداد، دون أن تحدّد بشكل نهائي مساحة هذه الأرض خاصة أن فكرة الحدود لم تكن قد اختمرت جيداً في عقلية عرب الجزيرة آنذاك، وحتى بريطانيا التي عرفت مبكراً ضرورة الفصل بين مناطق نفوذها ومناطق نفوذ الدولة العثمانية، ورسمت خطأً أزرقاً لهذا الهدف هي نفسها تراجعت عن بعض المناطق التي كان الخط الأزرق يعطيها لهذه الدولة أو تلك، من هنا رأت بريطانيا تحضير نفسها لأخذ ورد كبير بين مفاوضات ومفاوضي ابن سعود، وحضرت لذلك الكثير من الخطط البديلة بعد اطلاعها على مشروع الحدود وفقاً للتصور السعودي لتلك الحدود،

إلى حلّ المشكلة وتعيين الحدود بمفاوضاتٍ سياسية... لذلك، اقترح أن نحاول حلّ القضية بمفاوضاتٍ مباشرةٍ مع الإنجليز". أنظر: وثيقة برقية من فؤاد حمزة إلى جلالة الملك المعظم عبد العزيز ، عرض حكومة المملكة العربية السعودية للتحكيم بينها وبين أبو ظبي ومسقط ، تموز ١٩٥٥م ، المجلد الثاني ، ص٣٦-٣٧ ، نقلاً عن نوفل ، سيد ، الخليج أو الحدود الشرقية ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٩م، ص٣٦٩

(٣) - كيلي، الخليج العربي ، مصدر سابق ، ص١٩٠-١٩٢

وشاهدت فيه تمسك السعودية بخط حمزة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥، الذي يعطي السعودية الحق في الكثير من المناطق التي لن يقبل بها الشيخ عبد الله ولا بريطانيا.

أ - الخط الأخضر :

جاء هذا الخط على خلفية الخط الأحمر الذي عرضه فؤاد حمزة ممثلاً وجهة النظر السعودية لشكل الحدود الشرقية كما تراه بلاده، ونظراً لأن الخط البريطاني كانت تعتمد على مبدأ تقديم تنازلات تصاعديّة ومتدرّجة، جاء الخط الأخضر ليقدم بعض التنازلات الطفيفة عن الخط الأزرق، الذي لطالما رأت فيه بريطانيا الخط الذي يضع رسماً للحدود تجعل المناطق التي تقع شرقي الخط تابعة لقطر، إلا أن هذا القرار البريطاني باستخدام الخط الأزرق لم يكن صحيحاً من وجهة النظر القانونية، وفقاً لما أكدّه المستشار القانوني لوزارة الخارجية البريطانية و.ي. بيكيت في ٢٨/١٣٥٣هـ آب ١٩٣٤، عندما صرح أنّه على الرغم من أن عبد العزيز آل سعود يعدّ الوارث للإمبراطورية العثمانية في شبه الجزيرة العربية، إلا أن هذا لا يعني أن يكون وارثاً للخط الأزرق، ولاسيما أن العثمانيين لم يوافقوا عليه بشكل نهائي، ولو أقرّوا ضمناً بأن المناطق الواقعة شرق هذا الخط تابعة لقطر، وذلك نظراً لأن سلطة ابن سعود امتدت إلى تلك المناطق، لكنّ المستشار القانوني أكد أن ذلك لا يعطي الحق أيضاً لابن سعود في تلك المناطق، لأنّ سلطته لم تكن ثابتة هناك بشكل كامل، ومن هنا حاول المستشار القانوني إيصال فكرة جديدة للخارجية البريطانية مفادها أن التمسك بالخط الأزرق كأساس قانوني قد يؤدي إلى السقوط أمام القضاء، لأنّ الاتفاقيات السابقة ١٣٣٤-١٣٤٦هـ/١٩١٥-١٩٢٧، وحتى خط كوكس في مؤتمر العقير لم تلتزم بالخط الأزرق كخط نهائي للحدود^(١).

من هنا كان من الضروري على بريطانيا تقديم البدائل لذلك الخط، فكان أولها الخط الأخضر، الذي قدم بعد اجتماع في وزارة الخارجية في لندن عام ١٣٥٤هـ/حزيران ١٩٣٥ جمع السير أندرو ريان السفير البريطاني في جدة والسير راندل (Randel) ومستر وارد (WARD) ومستر مالكوم (Malcolm) ممثلين عن الحكومة البريطانية، وفؤاد حمزة وحافظ وهبة ممثلين عن الحكومة السعودية، وطلب الوفد السعودي حينها تقديم خط حدودي جديد بدل الخط الأزرق، فكان الخط الأخضر^(٢) الاقتراح البريطاني الجديد، وقد رسم هذا الخط الحدود الشرقية ابتداءً من رأس دوحة السلوى، ثم تتجه جنوباً بشرق إلى نقطة تبعد خمسة أميال إلى الشمال الشرقي من سكاك، ثم تنحرف إلى الجنوب تماماً إلى خط عرض ٢٠ درجة شمالاً، ملتقية عند الخط البنفسجي عند نقطة يتم الاتفاق عليها، وهو ما يعني تنازل هذا الخط عن منطقتي سكاك وأنباك للسعودية، وهذا ما يعدّ ضربة أولى موجهة إلى قطر في مقابل تحقيق بعض المصالح البريطانية هنا أو هناك، فما هذا التنازل إلا رغبة في الوصول إلى تسوية مع السعودية، ولو على حساب قطر لتسريع عمليات التنقيب عن النفط وتحريك الزمن لمصلحة الشركات النفطية البريطانية، إلا أن الحكومة السعودية الراغبة بمناطق أكثر من تلك التي قدمها الخط

(١)- ولكنسون ، حدود الجزيرة ، مصدر سابق ، ص ٢٢٢-٢٢٣

(٢)- المنصور ، التطور السياسي لقطر بين عامي ١٩١٦-١٩٤٩م، مرجع سابق ، ص ١٠٣

الأخضر رفضت الاقتراح، لأنه لم يأخذ بعين الاعتبار التوزيع الديموغرافي للقبائل التابعة للمملكة العربية السعودية وفقاً للاعتقاد السعودي^(٢).

فالمملكة تسعى للحصول على منفذ بحري من شرقي قطر عبر خور العديد، الأمر الذي يعني أن تصبح قطر تحت رحمة المملكة العربية السعودية وتعتمد عليها اعتماداً كلياً، لأن الأخيرة ستصبح عندها الجارة الوحيدة لقطر^(٣)، وستكون عندها قطر شبه تابعة للسعودية. لذلك، سقط الخط الأخضر.

ب - الخط البني:

بعد رفض الحكومة السعودية للخط الأخضر كما كان متوقعاً، وبعد تأكيد مذكرة فؤاد حمزة عام ١٣٥٤هـ/٣ تموز ١٩٣٥ على أن الخط الأخضر غير مقبول عند الحكومة السعودية، وأن الخط الأحمر هو الحد الأدنى للمطالب السعودية، وأن ذلك الخط اكتفى بضم المناطق التابعة للقبائل المنضوية تحت سلطة جلالة الملك ابن سعود مباشرة متجاوزاً القبائل التي أعلنت ولاءها وتبعيتها لجلالته كالمناصير ومرة، ومن هذا الرفض السعودي القاطع انتقلت بريطانيا إلى الخط البديلة الثالثة، وقدمت اقتراحاً جديداً سمي بالخط الأصفر، الذي تضمن اقتراح إنشاء منطقة صحراوية عازلة تكون السيادة فيها للسعودية وحدها على السكان لا على الأرض، أي تمارس السعودية سيادتها على تلك القبائل التابعة لها في أثناء تجوالها في هذه المنطقة، لكنها تصبح تحت السيادة البريطانية إذا دخلت مناطق النفوذ البريطاني، ولو قدر لهذا الاقتراح النجاح لاستطاعت بريطانيا إبعاد السلطة السعودية عن مناطق النفوذ البريطاني في شرق الجزيرة العربية وجنوبها، لكنها كانت قد وقعت في فخ زيادة النفوذ السعودي تدريجياً في تلك المنطقة، نظراً لأن من يملك سكان منطقة يملك المنطقة عينها ولو بعد حين. ومن هنا لم يعرض هذا الطرح على الرياض، واقتصر التداول فيه على أروقة المنتديات السياسية البريطانية، واستبدل باقتراح آخر سمي الخط البني الذي جاء بعد سلسلة من الإجراءات السياسية التي سبقته، حيث عملت بريطانيا على زيادة نفوذها في المشيخات المعنية ومنطقة التّخوم المشتركة اقتصادياً وعسكرياً، لتعطي هذا الاقتراح الرابع دفعاً معنوياً يساعده في الصمود أمام الضربات السعودية عليه، وتضمن الخط البني تعديلاً طفيفاً على الخط الأخضر، فاحتفظ بخور العديد وجبل نخش لقطر، ولم يعط السعودية المنفذ البحري الذي تسعى إليه فكان مصيره كمصير ما سبقه من خطوط بعد رفض السعودية الشديد له وحتى دون نقاش في تفاصيله^(١).

ج - خط الرياض (خط رايان تشرين الثاني ١٩٣٥):

كان هذا الخط هو الاقتراح الذي قدمته بريطانيا عبر السير آندرو ريان على شكل مذكرة إلى فؤاد حمزة في عام ١٣٥٤هـ/٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٥، بعد انتهاء المفاوضات في لندن بعد رفض جي. دبليو ريندل رئيس الوفد البريطاني المفاوضات بشكل قاطع الفكرة التي طرحها فؤاد حمزة بأن الحدود يجب أن توضع على أساس

(٢) - كلي، الخليج العربي، مصدر سابق، ص ١٩٤؛ أيضاً: النعيم، الحدود السياسية، مرجع سابق، ص ٧٣؛ أيضاً: ولكنسون، مصدر

سابق، ص ٢٣١

(٣) - المنصور، مرجع سابق، ص ١٠٢-١٠٣

(١) - النعيم، الحدود السياسية، مرجع سابق، ص ٧٤

الآبار القبلية قائلاً إنّ معظم المناطق المتنازع عليها صحاري تجوبها القبائل التي تدين بولائها لهذا الحاكم أو ذاك. الأمر الذي يجعل من الحدود الإقليمية قائمة على أسس قبلية غير عملية وغير مستقرة، وقدّم عوضاً عن ذلك طرحاً تضمّن المزيد من التنازلات للسعودية في محاولة لاسترضائها، ورغبة من بريطانيا لاتّباع سياسة أكثر مرونة معها، ولاسيّما أنّ النّقط والنّوق إليه أصبح كبيراً بعد ازدياد النفوذ الايطالي في الحوض الجنوبي للبحر الأحمر، ممّا أصبح يشكّل خطراً حقيقياً على المصالح البريطانية في المنطقة.

أظهرت الأدلة بعد المسح الجيولوجي للحدود السعودية - الطيبانية، والسعودية - القطرية وجود مكان نفطية كبيرة، جعلت بريطانية تسعى للاستفادة منها قبل وصول الشركات الأمريكية إليها، من هنا أرادت بريطانيا أن ترسم خطاً حدودياً مرناً يتناسب مع مصالح شركاتها النفطية، فقدمت خطاً حدودياً أطلق عليه اسم **خط الرياض** يبدأ من نقطة على الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر على ثمانية أميال من واحة سلوى، ثمّ يسير جنوباً بشرق بمسافة عشرة أميال ملتقاً حول الطرف الجنوبي لسبخة مطي، ومتّجهة شرقاً بمحاذاة الحد الشمالي للربع الخالي إلى نقطة التقاء خط الطول ٥٥ درجة شرقاً مع خط عرض ٢٢ درجة و ٣٠ دقيقة شمالاً، وتسير الحدود من هناك جنوباً مع خط طول ٥٥ درجة شرقاً إلى نقطة التقاء مع خط عرض ٢٠ درجة شمالاً، ثمّ يتّجه جنوباً بغرب إلى أن يسير في خط مستقيم حتّى نقطة التقاء خط الطول ٥٢ درجة شرقاً العرض ١٩ درجة شمالاً ومنها خط مستقيم حتّى يلتقي الخط البنفسجي عند تقاطعه مع خط عرض ١٨ درجة شمالاً.

أي بما معناه أنّ هذا الخط المقدم من السفير البريطاني أندرو ريان، الذي عدّه أكثر ما يمكن أن تقدّمه بريطانيا من تنازلات لابن سعود، كان يستجدي الرّفض السعودي له، فعلى الرّغم من أنّه لبّى المطالب السعودي من الجهة الجنوبية الشرقية من التّخوم السعودية-الطيبانية، حيث أعطى السعوديين بئر بنيان إلاّ أنّه أبقي بئر صفوق التي تقع على الطّريق بين قطر وأبو ظبي ومساحات لا بأس فيها من الدّاخل الصّحراويّ مع أبو ظبي، إضافة إلى أنّه أعطاه خور العديد و أبقي جبل نخش مع قطر، الأمر الذي جعل ابن سعود لا يستغرق وقتاً طويلاً لرفض هذا الاقتراح، فما هي إلا أربع وعشرين ساعة حتى وصل جواب الرّفض السعوديّ على خطّ الرياض، مؤكّداً مع الرّفض على مطالبته بجبل نخش وخور العديد^(١).

أدّى الرّفض السعوديّ لاقتراحات بريطانيا وآخرها خطّ الرياض إلى اقتناع الطّرفين بضرورة عقد اجتماعات لإجراء مفاوضات مباشرة بينهما لإيجاد حلّ للمشكلة الحدودية بين السعودية وقطر، بحكم أنّ عرض الاقتراحات لدراستها ثمّ رفضها سيستغرق وقتاً طويلاً وضائعاً يكون الطّرفان في غنى عنه.

٢ - الاقتراحات السعودية للحدود بين المملكة وقطر:

سعت السعودية منذ وقت طويل للتّمويه حول موقفها تجاه استقلال قطر، فلا هي وافقت على الاعتراف بقطر كدولة مستقلة، ولا هي صرّحت برغبتها في ضمّ قطر، لأنّها لم تكن قادرة آنذاك على المطالبة بضمّها إلى

(١) - كيلي ، الخليج العربي ، المصدر السابق ، ص ١٩٨-١٩٩؛ أيضاً : ولكنسون، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص ٢٤٢-٢٤٤؛ أيضاً : النعيم ، مرجع سابق ، ص ٧٤-٧٥ للاطلاع على مصور الاقتراحات المقدمة لشكل الحدود راجع الملحق (٢٢)

أراضيها، فالمصلحة البريطانية تقتضي عكس ذلك، حيث كانت قطر تحت حمايتها، وهذا الأمر كان يصنع للسعوديين حاجزاً من الخوف بإغصاب بريطانيا، وتتصيب السعوديين أنفسهم أعداء لها فيعرضون بذلك نفوذهم ومناطقهم لخطر التهديد البريطاني، إلا أن الأمور تغيرت بعد دخول المنافسة الأمريكية إلى الساحة الخليجية، وما رافق الحرب النفطية الأمريكية-البريطانية من نزاع على مناطق النفوذ في الخليج العربي، حيث استغل ابن سعود هذه المنافسة لضم ما يستطيع من الأراضي المحيطة ببلاده، ففي عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣ استدعى الشيخ عبد الله آل ثاني إلى الرياض، وأخبره أنه شيخ على الدوحة وحدها، وأما البر القطري فهو ملك للسعودية^(٢)، ملوفاً ببداية معركة استرداد الأراضي القطرية، كما كان الحال في ظلّ الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، ومنذ عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤ بدأت البيانات البريطانية التي تجعل من الخط الأزرق الأساس القانوني للحدود بين قطر والسعودية، وبدأ في الوقت نفسه الردّ السعودي الرافض لهذه البيانات، ولجميع الدعايات التي أفرزها الخط الأزرق على مسألة الحدود في منطقة الجزيرة والخليج العربي، وكان منها التصريح الواضح لفؤاد حمزة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤ أكد فيه أن البر القطري تابع لابن سعود، وأن الخط الأزرق ليس هو الخط المقبول لدى السعودية، ليكون هذا التصريح هو الأول من نوعه، كتصريح رسمي سعودي حول الخط الأزرق بالنسبة للحدود مع قطر، وفي ١٣٥٣هـ/٢٠ حزيران ١٩٣٤ قدّم فؤاد حمزة مذكرة إلى السير أندرو ريان أعلن فيها أن الخط الأزرق ليس الخط الفعلي لحدود قطر، وأن الحدود الطبيعية بين السعودية وقطر تقف عند هجرات أي المنطقة الحرجية المقابلة للمنطقة الصحراوية التي تليها في قطر^(١)، عندها استدعى فؤاد حمزة إلى لندن لشرح وجهة النظر السعودية حول الحدود مع قطر، وقد عقدت سلسلة من الاجتماعات في وزارة الخارجية البريطانية، إلا أنها لم تكن مثمرة، خاصة أن فؤاد حمزة لم يكن يحمل تعليمات محددة من حكومته^(٢)، لكنّه حاول التشديد على فكرة تبعية بعض المناطق القطرية للأراضي السعودية على أساس أن هذه المناطق تابعة لبعض القبائل الموالية للسعودية والمرتبطة بالولاء والطاعة لعرشها، ولاسيما قبيلتي المناصير ومرة، وبما أن بريطانيا لم تكن مؤيدة للدعوات السعودية طلبت من فؤاد حمزة تقديم بيان محدّد عن ادّعاءاتها حول الحدود مع قطر، عندها سلّم فؤاد حمزة في ١٣٥٤هـ/٣ نيسان ١٩٣٥م إلى الوزير البريطاني في جدة مذكرة متضمنة مشروع النّصّور السعودي حول الحدود السعودية-القطرية، متّخذاً من العوامل القبلية وسيلة لتأكيد الحقّ المشروع للسعودية في بعض الأراضي القطرية، حيث جاءت الحدود في مذكرة فؤاد حمزة على النحو التالي "يبدأ الخط على بعد خمسة عشر ميلاً تقريباً من رأس دوحة سلوى ثمّ يتّجه شرقاً مسافة خمسة أميال ليعود جنوباً بشرق ليصل الساحل الشرقي على بعد سبعة أميال إلى الشمال من خور العديد".

ويعني هذا الخط أن يكون جبل نخش الواقع عند الطّرف الغربي لشبه الجزيرة القطرية، وخور العديد الواقع عند طرفها الشرقي ضمن الأراضي السعودية، وقد أطلق على هذا الخط اسم الخط الأحمر أو خطّ حمزة، أي ما

(٢)- ولكنسون ، مصدر سابق ، ص ٢١٥-٢١٦

(١)- المنصور، التطور السياسي لقطر ١٩١٦-١٩٤٩، مرجع سابق ، ص ٩٣

(٢)- كيلي، الخليج العربي ، مصدر سابق ، ص ١٩٢

معناه أَنَّ للسَّعُودِيَّين مصلحةً واضحةً إلى الشَّرْق من الخطِّ الأزرق في منطقتي سكاك وانباك الواقعتين إلى الشَّرْق من ذلك الخطِّ (٣).

اعتمد فؤاد حمزة في تعليله للأسباب التي دفعتهم إلى وضع الخطِّ المقترح (خطِّ حمزة) للحدود التي تراها السَّعُودِيَّةُ تابعة لابن سعود على ذلك الشَّكل بناءً على الانتشار القبلي لقبائل مَرَّة وبني هاجر والمناصير، الذين تعدُّهم السَّعُودِيَّةُ من الرِّعايا المباشرين لها، وزيادة في تدعيم ذلك الموقف أخرج فؤاد حمزة قائمة بمئة وواحد وستين بئراً تابعة لآل مَرَّة (٤)، تمتدُّ من الرِّبع الخالي شمالاً إلى ساحل الخليج العربي، وأشار أنَّها تقع جميعاً في ديرة بني مَرَّة، مؤكِّداً تبعيَّة خور العديد للسَّعُودِيَّة أيضاً حيث قال: "إنَّ الخور كان يستخدم في الماضي كمحطٍ للتَّجارة المتَّجهة إلى الإحساء وإنَّ هناك رغبة الآن في تطويره".

ونظراً لأنَّ خطَّ فؤاد حمزة جاء وفقاً للتَّوزع القبلي لقبائل مَرَّة والمناصير، وهي قبائل كانت تسود معظم الجزيرة القطريَّة، جعل رفض بريطانيا له أمراً مسلماً به، فقد أظهرت السَّعُودِيَّة من خلال تصريحات فؤاد حمزة أنَّ تقدير ابن سعود لحدود دولته في شرق الجزيرة العربيَّة كان أكبر بكثير ممَّا هي عليه، و أنَّ عدم مطالبة ابن سعود بهذه الأراضي في وقت سابق ما هو إلَّا بسبب أناته وحكمته، إلَّا أنَّ التَّعليل المنطقي الشَّفاف للسبب الحقيقي لعدم مطالبة السَّعُودِيَّة بكلِّ ما تريد يكمن في أنَّ الأوضاع السِّياسِيَّة في المنطقة في ظلِّ الهيمنة البريطانيَّة عليها، لم تكن تسمح له بالمطالبة بكلِّ المناطق التي تنتشر فيها قبائل تدين بالولاء له (٣)، وقد حاول ابن سعود بلياقة بالغة في أثناء حوارهِ مع رايان في السعودية، وذلك وفقاً لما ذكر ريان نفسه في أحد تقاريرهِ بين ١٤-١٥ تموز، أنَّ الملك عبد العزيز ذكر له أنَّ الاتفاقية التي وقعها لويس بيللي مع أجداده اعترفت فيها بالسيادة الكاملة على قطر ومسقط وعمان وأنه هو شخصياً كان حكماً في المنازعات التي حصلت بين عامي ١٣٢٢-١٣٢٣هـ/١٩٠٤-١٩٠٥ بين الشَّيخ جاسم والشَّيخ أحمد، وأنَّ ليس له علاقة بموقف الدَّولة العثمانيَّة من الخطِّ الأزرق، وأنَّ سيادتها لم تصل يوماً على القبائل التَّابعة لابن سعود في المناطق الحدودية المتنازع عليها. ومن هنا فهو لا يعترف بما جاء في الخطِّ الأزرق، ولا يقبله كأساس قانوني للمباحثات حول الحدود السَّعُودِيَّة -القطريَّة (٤)، وهذا ما عاد وأكَّده فؤاد حمزة في معرض ردِّهِ على رسالة السَّير أندرو ريان للملك

(٣)- راجع الخريطة رقم ١ لدى كيلي ، المصدر السابق، ص ١٩٣، وللاطلاع على خريطة تشرح كيفية الحدود وفقاً لهذا الخط راجع، خريطة

١و٢ ولكنسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق

(٤)- وردت لدى كيلي ١٧١ بئر ولدى وكلنسون ١٦١ بئر تابعة لآل مَرَّة

(١)- حيث شمل خط حمزة بالنسبة للمشايخ المتصالحة المنطقة الممتدة من نقطة على ساحل الخليج العربي تبعد ستة عشر ميلاً جنوب خور العديد ليمتد جنوباً لمسافة عشرة أميال تقريباً وينحرف الخط بعد ذلك باتجاه جنوبي شرقي حتى يلامس نقطة تقاطع دائرة عرض ٢٢ شمالاً مع خط طول ٢٦ شرقاً. ويتبع الخط بعد ذلك خط طول ٢٦ شرقاً حتى يلاقي دائرة عرض ١٩ شمالاً، ومن هناك يسير خط حمزة باستقامة حتى نقطة تقاطع دائرة عرض ١٧ شمالاً مع خط طول ٥٢ شرقاً من ثم يمتد الخط متطابقاً مع دائرة عرض ١٧ شمالاً حتى تتقاطع مع الخط البنفسجي. للمزيد من المعلومات حول توزيع القبائل التي طالبت بها السعودية على طول الحدود الشرقية لدولتها وفقاً لخط حمزة (المناهيل في حضرموت-الدروع من أهل عمان -العوامل في عمان ...) راجع: كيلي ، الخليج العربي ، مصدر سابق ، ص ١٩٦-١٩٧

(٢)- للمزيد من المعلومات حول ما دار بين رايان والملك عبد العزيز في ١٤-١٥ تموز ١٩٣٤م راجع: ولكنسون ، مصدر سابق ، ص ٢٢٠

السعودي الذي أسف فيها على فشل المناقشات بسبب إصرار الملك عبد العزيز على ضمّ أراضي جديدة من الصحراء، حيث قال حمزة في رسالته الجوابية على الرد البريطاني :

"إنّ منطقة العريق المختلف عليها وهي تعني لغوياً عروق أيّ عروق الرمال، وهو المكان الذي يقع إلى الشرق من قصر السلوى، وعلى مرأى منه تقع آبار مياه حسو المشيبيّة، وبين قصر سلوى والمشيبيّة أشجار النخيل أم السّمرة محاطة بسبخة السلوى، وإلى الشرق يقع سهل رملي يدعى العريق، وتصل نهايته الشماليّة إلى موقع قريب من جبل نخش ونهايته الجنوبيّة إلى كهوف سلمى إلى الجنوب الشرقي من سكاك، وفي الطريق آبار مياه عذبة"^(١).

الأمر الذي أدّى إلى إلغاء زيارة كانت مقرّرة للشيخ عبد الله آل ثاني إلى الإحساء لمقابلة حاكمها السعودي ابن جلوي، وذلك بعد نصيحة المقيم البريطاني في البحرين للشيخ عبد الله، ألا يلتزم بأيّ شيء مع السعوديين لأنّ مطالبهم كثيرة في قطر، لا بل إنّ الأمر وصل بالشيخ إلى حدّ رفض الادعاءات السعوديّة كلّها ببعض المناطق الحدوديّة بين البلدين ولاسيّما جبل نخش حيث اعتبر أنّه ما دامت العريق وجبل دخان تابعتين له فمن السّخريّة اعتبار جبل نخش تابعاً للسعوديّة"^(٢).

واجهت بريطانيا الموقف السعودي الرافض للخطّ الأزرق بالنسبة لحدودها الشرقيّة مع مشيخة قطر بجملة من الاقتراحات المضادة حتّى جاء عام ١٩٣٦، عندما قدّمت السعوديّة عرضاً جديداً بعد رفضها الاقتراحات السّابقة، لأنّها لا تلبّي المطالب السعوديّة، وقد تضمّن هذا الاقتراح الجديد مشروعاً معتدلاً من وجهة النّظر السعوديّة ولاسيّما أنّ الخلاف بين الاقتراحات البريطانيّة والسعوديّة قد أصبحت الآن شديدة التقارب وتقتصر على بعض الأميال، ولكيلا تحرق السعوديّة ورقة اقتراحها بشكل مبكر قدمتها عن طريق بعض المسؤولين بصفة غير رسميّة، فتضمّن الاقتراح حدوداً تصل إلى ٥٦ درجة شرقاً على أن يحصلوا على جبل نخش في مقابل تنازلهم عن خور العديد، وأن يمرّ الخطّ الحدودي عبر آبار الصّفق على أن يشترك السّكان من الطّرفين بالاستفادة منه مع امتناع الشّركات النّفطيّة عن التّقيب في الأراضي المتنازع عليها حتّى التّوصل إلى تسوية نهائيّة حولها، وكان من الممكن أن يكون هذا الاقتراح قابلاً للنقاش، وأن يؤدّي إلى تسوية ما لولا أنّ المفاوضات أصبحت غير ممكنة، وغير مركّزة الجهد بسبب اندلاع الحرب العالميّة الثّانية"^(٣).

ب-المفاوضات البريطانيّة - السعوديّة المباشرة بين عامي ١٩٣٥-١٩٤٥ :

(١) - من أهم مراكز هذه الآبار أبو غات-ساعي-عود أبو سمرة جبانين. أنظر: المنصور، التطور السياسي لقطر ١٩١٦-١٩٤٩م، مرجع سابق، ص ١١٥

(٢) - للاطلاع على تطورات الخطوط المرسومة للحدود القطرية -السعودية راجع الخريطة رقم ١-٤-٥ لدى: ولكنسون، حدود الجزيرة، مصدر سابق

(٣) - للمزيد من المعلومات حول النقاشات التي دارت بين البريطانيين والسعوديين بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٧م راجع: المنصور، مرجع سابق، ص ٥٩ وما فوق ؛ أيضاً: النعيم، الحدود السياسية، مرجع سابق، ص ٧٥-٧٦

بدأت المفاوضات المباشرة بين الجانبين تحت أنظار الملك ابن سعود وفي حضوره، حيث بدأت الجلسة الأولى بنقاش عاد إلى الماضي القريب، فذكر السير أندرو ريان جلالة الملك بمباحثات الطائف ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م وبالمباحثات المتعددة مع فؤاد حمزة في لندن وفي جدة، وأخبره أن الحكومة البريطانية مسؤولة عن الشؤون الخارجية لشبه جزيرة قطر وأبو ظبي وعمان، ولا يمكنها التفریط بحقوق شيخ قطر، ولا قبول خطّ يحاذي شبه الجزيرة القطرية، لأنها في هذه الحالة ستكون تحت رحمة المملكة وشبه تابعة لها كما ذكرنا سابقاً، الأمر الذي لا يمكن لبريطانيا القبول به نهائياً، أما بالنسبة لتوزع القبائل^(٣) تابع ريان فإننا نرى بأنّها غير ثابتة، ولا يمكن وضع حدود على أساسها دون النظر إلى العوامل التاريخية والسياسية، عندها أجاب الملك السعودي بلياقته المعهودة بأنّ السعودية تريد التركيز في هذه المفاوضات على نقطتين رئيسيتين:

الأولى: إنّها تسعى لأفضل العلاقات مع حكومة بريطانيا.

الثانية: إنّها تسعى أيضاً لأحسن العلاقات مع الدول المجاورة.

ثمّ ترك الملك المفاوضات لفؤاد حمزة، الذي ذكر هو الآخر ريان بمراسلات حصلت بين الشيخ القطري وبين ابن جلوي حاكم الأحساء يطلب فيها من الملك ألاّ يطالب بجبل نخش والشريط المسمّى العريق كهبة منه وليس كحقّ شرعي وفقاً لفؤاد حمزة، وأنّ المملكة تطالب وبناءً على ذلك بجبل نخش، لأنّ الفصل بين جبلين (جبل نخش وجبل دخان) هو أمر غير منطقي من الناحية الجغرافية والعملية، ذاكراً أنّ هذا الاتفاق بين شيخ قطر والملك السعودي سبق الاتفاقية بين الشيخ القطري وبريطانيا عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦.

لذلك، فالمملكة غير مسؤولة عمّا تضمّنته تلك الاتفاقية، عندها قام السير ريان بالردّ على فؤاد حمزة أنّ ذلك لا يغير شيئاً، فالعلاقة بين قطر وبريطانيا قديمة وقبل الاتفاقية بكثير، وإنّ الاتفاقية ما هي إلاّ نصّ مكتوب لتنظيم أوضاع سبقتها بكثير، هذا ما عدا أنّ شبه الجزيرة القطرية وردت في فصل خاصّ من الاتفاقية البريطانية - العثمانية ١٣٣٢هـ/١٩١٣، عندها وجه فؤاد حمزة سؤالاً مباشراً إلى السير ريان، سأله فيه عن مكان وجود النقط في جبل نخش، فكان جواب ريان غير مباشر وغامض، قائلاً أنه أمر محتمل وليس أكيد، وأنّه قد يتمّ اكتشاف النقط في الجنوب الغربي من دوحة السّلو.

كان من الواضح أنّ هذه المباحثات تدور في حلقة مفرغة، ففؤاد حمزة يحاول إيجاد المسوّغات والأسباب التي تجعل المملكة متمسكة بجبل نخش، في الوقت الذي كان فيه أندرو ريان غير قادر على الإقناع ولا على التنازل للسعودية، وانتهت المفاوضات بتقديم ريان في ٢٦ تشرين الثاني أسفه للملك عبد العزيز آل سعود لفشل المباحثات محملاً المملكة العربية السعودية المسؤولية عن ذلك لإصرارها على جبل نخش، فردّ الملك أنّ بريطانيا اعترفت له في اتفاقية عام ١٣٣٤هـ/١٩١٥ بأرض آبائه وأجداده، وبأنّها ستعطيه المزيد من المناطق،

(٣) - للاطلاع على توزع القبائل في الخليج العربي خلال القرن الثامن عشر راجع: الملحق رقم (١٤)

مضيفاً أنّ شيوخ قطر هم إخوانه في الدين ولا حدود بينه وبينهم، ولولا وقوفه إلى جانب شيخ قطر ضدّ أقرابه وأعدائه لما كان موجوداً الآن^(١).

بعد فشل المفاوضات غادر ريان ولديه انطباع بأنّ الملك أصبح أقلّ تصلّباً من السابق، وأنّ إمكانية التوصل إلى اتفاقٍ هو أمرٌ واردٌ في هذه المرحلة، ناصحاً الخارجية البريطانية بعدم الإكثار من الحديث حول أنّ الاتفاقية بين الشيخ وابن سعود هي غيرٌ صحيحة، لأنّها تضع الحكومة البريطانية أمام موقفٍ يقوم على تصديق الشيخ وتكذيب ابن سعود ممّا سيخلق توتراً لا مسوّغ له يعيق المفاوضات.

في عام ١٣٥٥هـ/٢٨ أيار ١٩٣٦ بدأت في جدّة جولةً جديدةً من المفاوضات البريطانية - السعودية حول الحدود الشرقية والجنوبية الشرقية للمملكة العربية السعودية، ومثّل الجانب البريطاني السير أندرو ريان والجانب السعودي يوسف ياسين، وقد حاول الجانب السعودي حصر النقاش بنقطةٍ واحدةٍ وهي الاتفاقية بين الشيخ القطري وبين ابن سعود، وأنّ هذه الاتفاقية سبقت الاتفاق بين شيخ قطر وبريطانيا، إلّا أنّ ريان حاول الالتفاف على الفكرة بأنّه علينا التأكّد أولاً من أنّ هناك اتفاقيةً بالأساس قبل الدخول في نقاشاتٍ قانونيةٍ حول أثر هذه الاتفاقية من الناحية القانونية على الاتفاقات اللاحقة، عندها ردّ يوسف بأنّ الملك السعودي أوعز للإخوان بعدم الدخول إلى العريق أو دخان كيلا يضايقوا ابن ثاني، إلّا أنّ هذا لا يعني أن يمنح المستثمرين في مجال النفط امتيازات في المناطق المختلف عليها، مذكراً أيضاً، أنّ الملك عبد العزيز آل سعود كان قد أرسل إلى الشيخ القطري رسالةً بهذا الصدد مع محمد بن ناصر وهو أحد شيوخ الإخوان وفقاً لياسين، فردّ ريان أنّ تلك الرسالة حملت طابع تهديدٍ للشيخ، ولو أنّ السعودية نفّذت تهديدها في ذلك الوقت لكانت بريطانيا عندها حاضرةً لحماية الشيخ والتصدّي للتهديدات السعودية، فأنكر ياسين معرفته بتلك الرسالة قائلاً أنّ الملك أبلغ الشيخ القطري بأنّه مستعدٌّ للتنازل عن أيّ منطقةٍ يمكن التخلي عنها كنتازلٍ منه، على ألاّ يعترف بتلك المناطق بأنّها ترجع لسيادة غير سيادته (ابن سعود)، وما هذا التنازل والتساهل سوى دليلٌ على الصداقة بين الملك والشيخ، عندها طلب ريان من حكومة بلاده بعد ما سمعه من ياسين في معرض المفاوضات، استغلال ما قاله عن أنّ فؤاد حمزة قد صرّح بأنّ الملك قد تنازل للشيخ عن جبل دخان لا عن جبل نخش، وأنّ تبحث في دار محفوظ عن تلك الاتفاقية.

وبالفعل تمّ تكليف السير لوخ بهذه المسألة لكنّه لم يتوصّل إلى نتيجةٍ مفيدةٍ، حيث لم يتمّ العثور على شيء يثبت ذلك، عندها سعت بريطانيا لإحراج الموقف السعودي، فطلبت من فؤاد حمزة في عام ١٣٥٥هـ/آذار ١٩٣٦ دليلاً على الاتفاقية المذكورة، لكنّه لم يجب على ذلك الطّلب، ممّا دفع بريطانيا إلى اعتبار تلك الاتفاقية بحكم غير الموجودة أصلاً، ولاسيّما بعد أن تلقّى يوسف ياسين تعليمات بتجاهل تصريح فؤاد حمزة حول الاتفاقية، و بعد أخذ ورد انتهت المفاوضات مرّةً أخرى دون الوصول إلى نتيجةٍ ما، وقدّم ريان بعد نهاية المفاوضات تقريراً إلى وزير الخارجية البريطانية ذكر فيه أنّ ابن سعود أصبح الآن أكثر تشدّداً في المفاوضات

(١) - المنصور، التطور السياسي لقطر ١٩١٦-١٩٤٩، مرجع سابق، ص ١١٤-١١٥

خاصّةً أنّه قد حلّ الكثير من مشكلاته، وأنّ على بريطانيا ألاّ تشهّر كثيراً بالاتّفاقيّة المزعومة التي تحدّث عنها فؤاد حمزة، لكيلا يتمّ إقصاؤه عن المفاوضات، واستبداله بشخصٍ آخر لا تفضله بريطانيا^(١).

وعلى الرّغم من أنّ المباحثات المباشرة انتهت دون التّوصّل إلى نتيجةٍ تذكر، لكنّها على الأقلّ نسّقت الأمور من ناحية طريقة المفاوضات، وأوضحت للطّرفين مكانين الخلاف بينهما، وأهمّ النّقاط القابلة للنقاش لاحقاً. بعد ذلك انقطعت المفاوضات بين الجانبين، ولم يجر أيّ بحث جديد في موضوع الحدود حتّى عام ١٣٥٦هـ/آذار ١٩٣٧، عندما توجّه ريندل بزيارةٍ إلى جدّة لمناقشة الموضوع بشكلٍ مباشرٍ مع الملك عبد العزيز آل سعود الّذي أوضح ريندل بقناعة حكومته التّامة بتبعية المناطق على ساحل الخليج العربيّ للمملكة العربيّة السّعوديّة، وأنّ جبل نخش وخور العديد هما جزءٌ من أراضيّه، فأجاب ريندل بأن خور العديد كان يعد منذ سبعينيات القرن التّاسع عشر جزءاً من أبو ظبي، ومن الضروري أن تمتلك أبو ظبي الجزء البعيد عن السّاحل، لأنّه يؤمّن لها اتّصلاً بريّاً مع مشيخة قطر، وأمّا بالنّسبة للمناطق الواقعة إلى الجنوب والشرق من خور العديد، فقد تنازلت عنها الحكومة السّعوديّة في مذكرتها التي قدمها فؤاد حمزة في عام ١٣٥٤هـ/٣ نيسان ١٩٣٥، حيث تضمّنّت المذكرة تنازلاً عن منطقة سبخة مطي وخطّ الآبار المعروف باسم كوفة اللّيو، عندها كان جواب يوسف ياسين وزير الخارجيّة السّعوديّة في حينها، أنّ هذه الآبار تابعةٌ لبني مرّة والسّعوديّة تطالب أيضاً بالبئر الّذي يليه وهو بئر مورا، الأمر الّذي أوجد نقاشاً بين ريندل وياسين على هذه المناطق وأبعدها صفوق وهو البئر الّذي يقع إلى الشّمال وليس إلى الجنوب كما جاء في خريطةٍ هانت عن شبه الجزيرة العربيّة، التي كان البريطانيون يفاوضون على أساسها^(٢).

نبّه السّير ريندل الوزير البريطاني المفوض في جدّة في نهاية عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧ الأمير فيصل الّذي أصبح الآن وزير خارجيّة بلاده، أنّ الامتياز الّذي منحتّه السّعوديّة لشركة "ستاندر أوف كالفورنيا" النفطية الأمريكيّة يجب ألاّ يشمل منطقة السّلوّ التي تتقّب فيها الشّركة لأنّها موضع نزاع، وأنّ المملكة البريطانيّة ترغب في استئناف المفاوضات حول الحدود السّعوديّة - القطريّة من جديد على أساس خطّ الرّياض بعد التّعديل الطّفيف الّذي طرأ عليه، وكان لمصلحة المملكة السّعوديّة بعد تصحيح موقع بئر صفوق، فكان الرّد الجوابي للأمير فيصل حاسماً عندما قال: إنّ السّعوديّة لن تتمكّن من الوصول إلى اتّفاق مع الحكومة البريطانيّة ما دامت تعتبر خطّ الرّياض هو خطّ الحدود المقبول^(٣). لأنّه لا يتوافق مع وجهة النّظر السّعوديّة، وأنّ الاعتماد على هذا الخط سيؤدّي إلى فشل المفاوضات، وعلى الرّغم من تبادل المراسلات بين بريطانيا والسّعوديّة للوصول

(١)- المنصور ، المرجع السابق ، ص ١١٥-١١٨

(٢)- فلم تكن المنطقة بعيدة عن الساحل كما كان معتقداً ، بل لم تكن تبعد عن الطرف الغربي لسبخة مطي حوالي اثني عشر ميلاً. لذلك، أرسل ريدر بولارد الوزير البريطاني المفوض في جدّة خطاباً إلى يوصف ياسين في ٢٧ آذار أخبره فيه عن ما تم اكتشافه حول صفوق. أنظر: ولكسنون ، حدود الجزيرة العربيّة ، مصدر سابق ، ص ٢٦٢

(٣)- كيلي ، الخليج العربي ، المصدر السابق، ص ١٩٩-٢٠٠؛ أيضاً: ولكسنون ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣-٢٦٥ ؛ أيضاً: المنصور ، مرجع سابق ، ص ١١٩-١٢١

إلى حلّ يرضي كلّ الأطراف، إلّا أنّ النتائج كانت مخيبة للآمال، فلا السّعوديّة مستعدّة للتّنازل، ولا بريطانيا قادرة على التّنازل، ممّا أدّى في نهاية المطاف إلى انتهاء الحرب الدّبلوماسية بين بريطانيا والسّعوديّة مع بداية الحرب العالميّة الثّانية التي أشعلت العالم كلّهُ، وعلى رائحة دخانها توقّفت المفاوضات حول الحدود بين السّعوديّة ودولة قطر عشرة أعوام متتاليّة.

ج- المفاوضات البريطانيّة - السّعوديّة المباشرة بين عامي ١٩٤٥-١٩٦٥ :

انطلقت الجولة الثّانية من المفاوضات بين السّعودية وبريطانيا بعد نهاية الحرب العالميّة الثّانية، إلّا أنّ ظروف المفاوضات بين بريطانيا والسّعوديّة حول الحدود السّعوديّة - القطريّة لم تكن تشبه مرحلة ما قبل الحرب، فلا النّفوذ السياسي المطلق في منطقة الجزيرة العربيّة ظلّ بيد بريطانيا، ولا الرّياض ظلّت تلك العاصمة غير القادرة على مجارة السياسة البريطانيّة، فالولايات المتّحدة الأمريكيّة الدّاعمة القويّة للمملكة العربيّة السّعوديّة بهدف تحقيق المزيد من النّفوذ في المشرق العربي، وبالتّحديد في منطقة الخليج العربيّ قدّمت دعماً دبلوماسياً كبيراً للرّياض في معركة مفاوضاتها مع بريطانيا، مستغلّة حالة الانكماش السياسي الّذي كانت تعيشه بريطانيا بحكم الخسائر الهائلة التي عانت منها عشية انتهاء الحرب، فعلى الرّغم من النّصر في هذه الحرب، إلّا أنّ ضريبة هذا النّصر كانت باهظة الثّمّن، ممّا أثقل كاهل الماضي الاستعماريّ العريق لبريطانيا وجعلته يتخبّط في أزمار متعدّدة منها المالي ومنها الدّبلوماسي ومنها العسكريّ.

هذه الظروف جعلت السّعوديّة أكثر تشدّداً في تقديم الاقتراحات والدّفاع عنها، فقدّمت خلال الجولة الثّالثة من المفاوضات في عام ١٣٦٨هـ/ ٣٠ آب ١٩٤٩م في الرّياض مشروع اقتراح يمثّل الحدّ الأقصى من مطالبها، حيث تتجاوز الخطّ الأحمر الّذي وضعه فؤاد حمزة سابقاً، فقد تضمّن الاقتراح الأخير مناطق كانت السّعوديّة تنازلت عنها سابقاً (جبل نخش، خور العديد، سبخة مطي، صحراء والجافورة، البريمي، صحراء الطفرة).

بالتّحديد الدّقيق يبدأ هذا الخطّ الجديد على بعد ستين ميلاً غربي أبو ظبي، وينتهي على بعد مسافة ٢٥ ميلاً شمال غرب واحة البريمي، أي إنّ المملكة العربيّة السّعوديّة زادت من مساحة المناطق المتنازع عليها معتمدة على مسألتين أساسيتين الأولى: هي ولاء القبائل لحكومتها، والثّانية فرض السّيادة على تلك القبائل والمناطق النّابعة لها، ففي الكثير من هذه المناطق كانت القبائل تدين بالولاء لابن سعود وتدفع الرّكاة له، وتقدم فروض الطّاعة، إلّا أنّ بريطانيا رفضت المعيار السّعوديّ لوضع الحدود، معتمدة في رفضها على اعتبار أنّ التّحالفات القبليّة غير مستقرّة، عندها أعطى الملك السّعودي أوامره لفؤاد حمزة أن يخبر البريطانيين أنّه لا يمكن التّوصّل إلى نتيجة مرضية إذا أصرّت على اعتبار المعاهدة البريطانيّة - العثمانيّة هي الأساس القانوني للحدود المتنازع عليها موضّحاً لأوّل مرّة وبصرامة تامة أنّ بريطانيا وتركيا لا تملكان الحقّ في توزيع الأراضي العربيّة، الأمر الّذي يعدّ إشارة مباشرة إلى أنّ ابن سعود يطالب بالتّفاوض مع المشيخات وليس مع بريطانيا، وأنّ كلّ الاتّفاقيّات بين بريطانيا وتركيا لا تلزم السّعوديّة بشيء.

ونظراً لأنّ مذكرة الردّ البريطانيّة أعادت الحدود إلى الخطّ الأزرق والبنفسجي، والتّصريح بأنّ سلطة الرّياض والمشايخ ذات العلاقة في المناطق المتنازع عليها ليست محدّدة بوضوح، الأمر الذي يعني أنّ بريطانيا اعترفت علناً لأوّل مرّة بأنّ المناطق المتنازع عليها ليست تابعة لأحد، وبالتالي فتحت لابن سعود طريقاً واسعاً لكي يستمرّ في إصراره على المطالبة ببعض المناطق في قطر^(١).

وبعد فشل الجانبين في الوصول إلى اتفاق ما أصدرت المملكة العربية السعودية بياناً من جانب واحد جاء فيه: بعد دراسة للمنطقة القبلية والأوضاع الحقيقية، ترى حكومة المملكة العربية السعودية أن الحدود بين المملكة وقطر هي على الوجه التالي:

أ- تبدأ الحدود بين المملكة العربية السعودية وقطر من نقطة على ساحل دوحة سلوى على خط ٥٦.٢٤ شمالاً (نقطة أ).

أ- ومن نقطة (أ) يتجه الخط شرقاً حتى يحاذي خط طول ٥١ شرقي (نقطة ب)^(٢).

بعد أن أنهى عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م شهوره الطويلة من المفاوضات غير المجدية، أطلّت فكرة سعوديّة جديدة على واجهة الأحداث، حيث اقترحت السّعوديّة إرسال لجنة لتقصّي الحقائق حول الحياة الاجتماعيّة والولاء السّياسيّ للقبائل المعنيّة، الأمر الذي كانت بريطانيا ترى فيه خطورة على موقفها السّياسيّ تجاه مشكلة الحدود، فحاولت بعد موافقتها على الاقتراح على مضض، ألاّ تحصل اللّجنة المكلفة باستقصاء الحقائق على أيّة صفة قضائيّة، وألاّ تكون قراراتها ملزمة للأطراف المعنيّة بالخلاف، إضافة إلى شرط آخر كان سبباً في إطالة أمد المشكلة ألا وهو تقديم الرّياض أدلّة تفصيليّة تثبت مطالبتها وراء الخطّين الأزرق والبنفسجي، على أن تتقدّم بريطانيا بمذكرة مماثلة، الأمر الذي كان يعدّ ماطلة بريطانيّة فتحت المجال أمام التّسويق، وإضاعة الوقت، ولو كانت بريطانيا تستطيع رفض الطّلب السّعودي لرفضته، إلّا أنّها كانت خائفة من تحويل المسألة إلى الأمم المتّحدة، ممّا يعني تحوّل الملف من المحادثات الثّنائيّة التي تجعل بريطانيا في موقع القوّة، إلى ملفّ نزاع في غياهب أروقة الأمم المتّحدة أو محكمة العدل الدّوليّة، الأمر الذي سيفتح الباب للكثير من الدّول الرّاغبة في استغلال القضية للتّدخل في شؤون المنطقة. عندها قبل الطّرفان تشكيل لجنة لتقصّي الحقائق، إلّا أنّها لم تصل إلى نتائج فنيّة تذكر تسهم في حلّ مشكلة الحدود، كما أنّ شرط بريطانيا أن تثبت السّعوديّة نفوذها خلف الخطّ الأزرق أغضب ابن سعود ودفعه إلى استخدام ورقة الضّغط الأمريكيّة، واستخدام أسلوب المناورة السّياسيّة بطريقة محنّكة، عندما توجّه بالشّكوى لسفير الولايات المتّحدة الأمريكيّة على ذلك الشّروط المزجج للسّعوديّة، محاولاً استخدام النّزاع العالمي بين الاتّحاد السّوفييتي آنذاك ودول الغرب الاستعماريّة، لاسيّما بريطانيا وأمريكا مظهرًا حرصاً معيّنًا على عدم اللّجوء إلى لجان تحكيم دوليّة، لأنّ الاتّحاد السّوفييتي سيستخدم تلك القضية من خلال حملة دعائيّة تشوه صورة الغرب، عندها تدخلت الولايات المتّحدة الأمريكيّة لتلعب دور الوسيط، وأيدت

(١)- ولكنسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ٣٠٥-٣٠٦ ؛ أيضاً: النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص٧٦-٧٧

(٢)- ساعاتي ، الحدود الدولية ، مرجع سابق ، ص٨٤

فكرة لجنة تقصي الحقائق، على أن توافق بريطانيا إذا قدمت المملكة السعودية دليلاً على المناطق الخاضعة لها خلف الخط الأزرق بعد أن تنهي اللجنة عملها، فرفضت السعودية هذا الأمر أيضاً، عندها وافقت بريطانيا من باب حسن النية (خدمة لمصالحها) أن تبدأ اللجنة عملها في عام ١٣٧٠/ نيسان ١٩٥١.

في هذه الأثناء أخذت شركة أرامكو النفطية تحضر نفسها لمجريات الأمور التي ستواجه الشركة في أثناء عمل اللجنة، نظراً لرغبتها بتفادي الاتهامات البريطانية لها بالتحريض على بريطانيا. وقرّر المستشار في القانون الدولي للحكومة السعودية السير يانج، الذي عينته الشركة وضع خطة واضحة ومحددة للمملكة تضمن التركيز على مطالبها في قطر وأبو ظبي وواحة البريمي حتى خط ٢٢ درجة. وأراد يوسف ياسين أن تشمل الخطة منطقة حضرموت، إلا أن يانج نصحه بالتراجع عن هذا المطلب حتى يحين الوقت المناسب، لكن هذه التطورات لم تمر على بريطانيا، التي سعت بحكمتها وخبرتها الاستعمارية الطويلة تفادي نتائج عمل اللجنة بشكل يخدم مصالحها، فحاولت الالتفاف على عملها، ووجهت دعوة إلى الأمير فيصل لزيارة لندن، فما كان من الأمير إلا أن لبى الدعوة، وسافر إلى لندن وعقد اجتماعاً مع سياسيين بريطانيين طارحاً عليهم فكرة عقد مؤتمر حول مائدة تشمل جميع الفرقاء العرب المرتبطين مع بريطانيا باتفاقيات تعاهدية، وغير المرتبطين معها بالإضافة إلى بريطانيا نفسها، وقد اشترط الأمير فيصل أن يحضر المؤتمر الحكام أنفسهم وليس مندوبين عنهم، فوافقت بريطانيا على الدعوة السعودية على الفور شرط أن ترأس هي بنفسها وفد المشايخ الخليجيين، وهذا ما كان، حيث عقد عام ١٣٧٢هـ/ ٢٨ كانون الثاني ١٩٥٢ في مدينة الدمام مؤتمراً جمع حول مائدته المستديرة الأطراف المتنازعة في منطقة الخليج العربي، وعلى رأسهم شيخ أبو ظبي وشيخ قطر والسير روبرت هاو المقيم البريطاني في الخليج العربي والأمير فيصل^(١)، واستمر المؤتمر حتى ١٤ شباط من العام نفسه.

جاء اقتراح الأمير فيصل بعقد المؤتمر وسط ظروف إقليمية ضاغطة على المستوى العالمي، ففي وقت قريب قبل انعقاد المؤتمر قام محمد مصدق رئيس الحكومة الإيرانية بتوجيه ضربة موجعة للغرب، عندما أمم النفط في إيران عام ١٩٥٢، الأمر الذي ولد مشكلة حقيقية للغرب الذي أصبح مضطراً للبحث عن بديل عن النفط الإيراني، مما دفع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى تهدئة الأمور في منطقة الخليج العربي، ودراسة المشكلات الحدودية بنبرة أقل ارتفاعاً وأكثر تفهماً من المرحلة السابقة. إلا أن أجواء المؤتمر في ذلك المناخ المتشنج في ظل حاجة الغرب إلى النفط العربي كممول بديل للنفط الإيراني، جعل كلاً من الرياض ولندن أكثر تشدداً في اقتراحاتهما، فالرياض شددت على مطالبها السابقة، ولندن عادت إلى الخط البني مع تشدد أكبر من الجهة الغربية بما يعطي أبو ظبي مساحات إضافية من الأرض جنوب الليو، وأخذت المفاوضات في نهاية المطاف تحولاً أكثر اعتدالاً من الجانبين، فحاولت بريطانيا استمالة السعودية للقبول بخط حمزة السابق عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥ كأساس للمفاوضات، على أن تبقى خور العديد خارجها مع الاعتراف بتبعيتها لأبو ظبي، إلا أن الرياض التي شعرت بضعف الموقف القانوني لبريطانيا تمسكت بالعرض الأخير الذي قدمته في

(١) - الدباغ، قطر ماضيها وحاضرها، مصدر سابق، ص ١٩٤

عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩ انطلاقة من مركز قوتها في المناطق التي تطالب فيها، فشلت المفاوضات بين الحكام في ظلّ تعنت كل طرف بموقفه، وتمّ الاتفاق على إجراء محادثات غير رسمية تلتفّ الأجواء بين الأطراف المتنازعة. وقد جرى في أروقة المؤتمر حديث بين يوسف ياسين وحافظ وهبة وروبرت هاو أخبر فيه ياسين السّير هاو أنّه إذا رفضت بريطانيا المطالب السعودية، فعليها أن تثبت عكس الادّعاء السعودي بحقوقها في المناطق التي تطالب بها، وأنّ السعودية على الرّغم من عدم قدرتها على تقديم الدّليل المكتوب الذي يثبت سيادتها في تلك المناطق التي تطالب بضمّها لأراضيها، لكنّ ذاكرة التّاريخ لا تخطئ، وإنّ المسؤولين البريطانيين السّابقين، كالسّير بيرسي كوكس والسّير كلايتون يعرفون تمام المعرفة أنّ النّفوذ السعودي قد وصل في الكثير من الأوقات إلى ساحل الخليج العربي^(٢).

انهارت المحادثات حول الحدود خلال مؤتمر الدّمام بعد التّعنت الكبير الذي أظهره طرفا الحوار، خاصّة بعد الدّراسة التي قدّمها قسم الأبحاث في شركة أرامكو على شكل وثائق تظهر حقيقة ضعف الموقف البريطاني في قطر وأبو ظبي، من هنا كانت السعودية التي لم تجد أيّة صعوبات في علاقاتها مع الشّيخ القطري، بل على العكس فقد ظهر بين الجانبين نوع من المودّة في أثناء المؤتمر، وحتى أنّ النزاع السعودي - القطري لم يشكّل حيّزاً كبيراً في مؤتمر الدّمام.

لذلك، عمل الجانبان على التّفاوض مع بعضهما من خلف ظهر السّلطات البريطانيّة، فطالب القطريون بالحدود التي تقع في خط يبدأ عند غار البريد على دوحة السّلو، ثمّ يتّجه شرقاً عبر ثلاث جزر وهي: حزم سودة نائيل، ثمّ عبر عقدة النّاصير إلى نقطة تقع على السّاحل الغربي لخور العديد، الأمر الذي يعني أنّ قطر أرادت الاحتفاظ بمنطقة يصل عمقها إلى ٢٥ ميل عند قاعدة شبه الجزيرة المنطقة التي أدرجها الجانب السعودي في مطالبه التي قدّمها عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩^(١)، وعلى الرّغم من أنّ المطلب القطري لم يتحقّق بالضّبط، إلّا أنّ الطّرفان تمكّنا من الوصول إلى حلّ نهائي لمشكلة الحدود بينهما، وقد تمّ التّأخّر في الإعلان عن الاتفاق بعض الوقت لكيلا تغضب بريطانيا بسبب تجاهل الطّرفين لدورها في المسألة، وجاءت الحدود وفقاً للخطّ الذي تمّ الاتفاق عليه، ليمتدّ إلى الشّمال قليلاً من الخطّ الذي طالب به البريطانيون آنذاك، فاحتفظ الخطّ السعودي - القطري المتفق عليه بشكل غير رسميّ بجبل نخش لقطر، في مقابل بقاء هجرتي اسكاك وأنباك مع السعودية، كما تنازلت الدّوحة عن مطالبتها بخور العديد، وتنفيذاً لهذا الاتفاق أقامت الرّياض خلال الخمسينيات مركزاً حدودياً في سلوى جنوب الطّرف الجنوبي الغربي من الخطّ الحدودي الواقعي، والتزم الجانبان بعدم اختراق ذلك الخطّ. أمّا بريطانيا فقد ربطت الاتّفاقات حول الحدود الشّرقية والجنوبية الشّرقية للمملكة السعودية كلّها، بالاتّفاق على مشكلة البريمي، مما أدّى إلى فشل كلّ الاقتراحات حول الحدود الشّرقية الجنوبية بين الرّياض ولندن، ودفع بريطانيا إلى موقف متقدّم جداً، حيث قدّمت خطّاً حدودياً منفرداً في عام ١٣٧٥هـ / تشرين الأوّل ١٩٥٥، ورّعت

(٢) - ولكنسون ، حدود الجزيرة ، مصدر سابق ، ص ٣٥١-٣٦٠

(١) - الهاجري ، يوسف ، سراب الوحدة في الخليج ، دراسة في الإشكالية الحدودية لمجلس التعاون الخليجي ، دار الصفا ، لندن ، ط ١ ،

فيه قرى البريمي على عمان وأبو ظبي، وأعطت قطر الخط الذي طالبت به في مؤتمر الدمام، حيث امتد خط الرياض المعدل باستقامة بين النقاط التالية: تقاطع خط طول ٥١,٠٢ شرقاً مع دائرة عرض ٢٤,٣٥ شمالاً، وهي نقطة تقاطع خط الرياض مع الخط الذي طالبت به قطر خلال المؤتمر...^(٢).

في عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦ شهدت المنطقة العربية احتراق الكثير من الأوراق الاستعمارية، فقد كانت الحركات القومية في أوج قوتها وتتحرك يميناً وشمالاً سعياً للتخلص من الإرث الاستعماري الطويل على أراضيها، فمن مصر البلد العربي الذي واجه العدوان الثلاثي على أراضيها على خلفية قيام عبد الناصر بتأميم قناة السويس انطلقت مرحلة تاريخية جديدة للمنطقة العربية ترافقت مع ظروف عالمية خدمت القضية العربية، ففي ظل صراع الكبار في أثناء الحرب الباردة استغادت بعض الدول النامية من حالة الانقسام بين دول العالم العظمى للحصول على استقلالها، أو أقلها الحصول على المزيد من التنازلات من دول الغرب الاستعمارية بما فيها بريطانيا، وقد ساعد الخوف الكبير لدى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من ازدياد التيار القومي التحرري، وانتشار الشيوعية لا كحزب إيديولوجي بل كمسار سياسي ساع للتحرر من الاستعمار في المنطقة العربية، وذلك بحكم أن المزاج العربي المائل إيديولوجياً إلى العقيدة الدينية، لا يمكنه تقبل الفكرة الشيوعية المادية، التي تبتعد عن الدين وتفصله عن العمل السياسي، خاصة أن الشائعات التي روجها الغرب آنذاك حول الشيوعية، أظهرها كعدو لدود ومناقض للدين، وذلك رغبة منه في تحطيم الفكرة السوفييتية بنشر نفوذه في العالم من خلال الشيوعية.

ونظراً لهذه التطورات السياسية العالمية في ظل نمو الاتحاد السوفييتي، حثت الولايات المتحدة الأمريكية بريطانيا على تخفيف حدة النزاع مع السعودية، ولاسيما أن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين عادت إلى طبيعتها، إثر قطيعة دامت عدة سنوات بعد العدوان الثلاثي على مصر، وقدمت الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة من الاقتراحات لحل المشكلة الحدودية في الخليج العربي، أول اقتراحاتها ضمّ خور العديد إلى قطر، مقابل حصول السعودية على الساحل الممتد من الخور إلى جبل الظنة جنوباً، بالإضافة إلى البريمي، ثمّ قدم الأمريكيون اقتراحاً جديداً عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨ بعد رفض لندن الاقتراح السابق، وتضمن إنشاء منطقة محايدة تمتد من التّخوم السعودية - القطرية إلى أم الزّامل دون أن تشمل واحة البريمي^(١)، إلا أن الحكومتين البريطانية

(٢) - للمزيد من المعلومات حول مشكلة واحة البريمي وحول الخط المنفرد راجع ، ولكنسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص ٣٤١ -

٣٦٠ ؛ أيضاً: النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص ٦٧-٨٧

(١) - البريمي هي واحة كانت مثار نزاع بين مسقط وعمان والسعودية وأبو ظبي ، وهي عبارة عن دائرة مساحتها ٩٨٥ كيلو متر مربع تقع في منطقة تقصل الخليج العربي عن خليج عمان، وترتبط بمدخل وادي الجزى الذي يشقه جبال الحجر ليربط سهل الباطنة وميناء صحار بمنطقة الظاهرة ، أما المناطق مثار النزاع فهي تقع جنوب الخليج العربي بين قطر غرباً وشبه رأس الجبل في الشرق ومساحتها الإجمالية ٥٥٤,٧٣ كيلو متر مربع ، وتتألف هذه الواحة من تسع قرى هي : البريمي-حماسة-صعرا-الجاهلي - العين-السيلي-القطارة-القيمي-المعترضة. وهي تعود في تبعيتها على النحو التالي : القرى الثلاث الأولى تتبع عمان ، والقرى الست الأخرى تتبع أبو ظبي . للمزيد من المعلومات عن واحة البريمي راجع: الأشعل ، عبد الله ، قضية الحدود في الخليج العربي ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الأهرام ، ١٩٧٨م ، ص ٥٢؛

والسعودية رفضتا هذا الاقتراح أيضاً، لأنه يحل المشكلات لصالح قطر على حساب أبو ظبي والسعودية، الأمر الذي يضيق على الحكومة السعودية. أما بريطانيا فلم توافق عليه، لأنها كانت تريد حلاً شاملاً لكل القضايا المتنازع عليها^(٢).

والحقيقة إنَّ الأوضاع في منطقة الجزيرة العربية كان تسير عكس الرّيح البريطانية، ولمصلحة الرّيح الأمريكية التي كانت تعرف أنَّ وقت أفول النّفوذ البريطاني بات قريباً، وأنَّ انعدام النّقة بين البريطانيين والسعوديين سيعيق أيّ حلّ في المنطقة، ممّا سيسهم في تعزيز النّفوذ الأمريكي فيها على حساب النّفوذ البريطاني، ورأوا في الأنظمة العربيّة الحديثة في شبه الجزيرة العربيّة خطراً على نفوذهم، الأمر الذي أدركه السّاسة البريطانيون، وظهر من خلال تصريحاتهم كتلك النّصيحة التي قدّمتها وزارة الخارجية البريطانيّة لوزير خارجيتها عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨ (إنّنا نلزم أنفسنا... بدعم أنظمة بدائيّة ذات مفارقات تاريخيّة... في حين أنّ المجال الكلّي لتاريخ الحروب السّابق في الشّرق الأوسط يوحي بأنّنا سنطرد على أيّة حال)^(١).

إنّ عدم الوصول إلى الحلول في مشكلة الحدود بين بريطانيا والسعودية لم يكن مرتبطاً بشكل مباشر بالحدود السعودية - القطريّة، فالعلاقات الوديّة بين الجانبين ظهرت كما رأينا سابقاً في مؤتمر الدّمام، وإنّ الطرفين كانا من الممكن أن يصلا إلى اتفاق بسهولة مطلقة، لولا التّعنت البريطاني الذي كان يريد حلّ مشكلات الحدود الشّرقية الجنوبيّة للمملكة العربيّة السعوديّة مع مشيخات الخليج العربيّ كلّها دفعة واحدة، ولعلّ ما كتبه مجلة نيوز ويك في عددها الصّادر في ١٩٦٠/٩/٢٦ يعبر عن العلاقة الوديّة بين الشّيخ القطري والملك السعودي، وذلك عندما تحدّث عن حفاوة الاستقبال القطريّ بالملك السعوديّ في أثناء زيارته لقطر، وكيف أنّ الشّيخ علي آل ثاني أهدى الملك السعوديّ سعود بن عبد العزيز سيّارة ومجوهرات ثمينة تعبيراً عن عمق العلاقات الأخويّة بين البلدين^(٢). إلا أن مشكلة البوريمي ظلّت سبباً في عدم الوصول إلى حلول مرضية لكلّ الأطراف، وخاصة بعد اكتشاف النّقط في تلك الواحة بكميات تجاريّة كبيرة، إضافة إلى أهميّة موقعها الاستراتيجي بوصفها تعدّ البوابة الشّمالية لعمان، هذا ما عدا تميزها بخصوبة أراضيها، وبكونها مركزاً طبيعياً للزراعة والتّبادل التجاري^(٣).

كل ذلك جعل من تنازل أيّ طرف عنها أمراً صعباً للغاية، وعلى الرّغم من تدخّل الأمم المتّحدة لحلّ المشكلة من خلال طرح فكرة الاستفتاء الشعبي، لكنّ الجهود الأمميّة توقّفت بسرعة كبيرة بعد رفض بريطانيا لاقتراحها، وظلّت الأمور عالقة تنتظر تطوّر الأحداث السياسيّة في المنطقة، حيث توفي الملك سعود وتولّى

أيضاً: سحابة ، محمد ، الحدود السعودية مع دول الخليج العربي، السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد ١١ كانون الثاني، ١٩٩٣ ، ص ٢٢٤؛ أيضاً: النعيم، مرجع سابق، فصل الحدود السعودية - القطرية-الظبانية

(٢) - ولكنسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص ٤٠٠-٤١١

(١) - ولكنسون، المصدر السابق ، ص ٤٠٨-٤٠٩

(٢) - الدباغ ، قطر ماضيها وحاضرها ، مصدر سابق ، ص ١٩٤

(٣) - رضوان ، محمد ، منازعات الحدود في العالم العربي "مقارنة سوسيو تاريخية وقانونية لمسألة الحدود العربية ، الدار البيضاء ، ١٩٩٩ م ،

أخوه الملك فيصل العرش في نهاية عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤، إضافة إلى أن المنطقة شهدت حدثاً تاريخياً كبيراً عندما قررت بريطانيا الانسحاب من عدن عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦، إلا أن هذا الأمر لم يحل المشكلة العالقة بين السعودية وبريطانيا حول البريمي، نظراً لأنّ مبدأ الحق التاريخي الذي طرحته السعودية في المنطقة واجهته عوامل مانعة من استعادة هذا الحق كالعامل النفطي والملاحي والقبلي وكلها عوامل مؤثرة في مسار الأحداث. لذلك، كانت المفاوضات كمن يملأ الكأس بالماء ثم يعود ويفرغه ثانية، فالمفاوضات الطويلة بين الجانبين بين عامي ١٣٦٩-١٣٨٨هـ/١٩٤٩-١٩٦٨ لم تصل بالأطراف المعنية إلى نتيجة مرضية لهم، واستمر الأمر على ذلك حتى تاريخ إعلان بريطانيا انسحابها من كلّ أرجاء الخليج العربي في عام ١٣٩١هـ/كانون الأول ١٩٧١، فعلى خلفية هذا الانسحاب أعلنت الإمارات العربية المتحدة استقلالها، مما أدى إلى اشتعال الحدود من جديد، فأعلان الاستقلال من قبل الإمارات وجد صدئ سلبياً في السعودية، التي رفضت الاعتراف به، مؤكدة عبر مندوبها في جامعة الدول العربية أن للسعودية مطالب معينة في بعض أراضي الإمارات، ويجب عليها تلبيتها قبل أن تعترف السعودية باستقلالها اعترافاً كاملاً^(١). عندها انتقل النزاع البريطاني -السعودي إلى نزاع سعودي -قطري، بدأت إثره محادثات ثنائية انتهت إلى التفاهم بين البلدين.

في هذه الأثناء كان قد استأنف الجانبان القطري والسعودي المباحثات لحل مشكلة الحدود بينهما، ولاسيما أن قطر والسعودية كانتا في حالة من الودّ تسمح بحل مشكلاتهم بسرعة وفاعلية أكبر من باقي أطراف الخليج العربي، فمنذ عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣ كانت الأمور تبدو أنها قابلة للحل، حيث سمح لقطر منذ ذلك العام أن تتنازل عن ٣٣٧ ميلاً مربعاً بين خطّ التنازل والحدود^(٢). وهذا دليل على أن الخط الحدودي أصبح يحتاج إلى جلسة مفاوضات واحدة للتوقيع على اتفاق الحدود النهائي، الأمر الذي تمّ فعلاً في عام ١٣٨٥هـ/كانون الأول ١٩٦٥ عندما وقع الجانبان اتفاقاً بالحروف الأولى للحاكمين القطري والسعودي منحت بموجبه قطر جبل نخش في حين منحت السعودية هجرتي السكك وأنباك، ولم يبق سوى تثبيت هذا الخطّ على الأرض بعلامات حدودية ظاهرة^(٣). وامتدت الحدود بموجب هذا الاتفاق الودي من رأس خور العديد سودة ناثل، ومنها تمتد باتجاه غربي عند رأس سلوى^(٤).

وفي شرح سريع للاتفاقية بين السعودية وقطر عام ١٩٦٥ لتوضيح بعض التفاصيل الضرورية في الاتفاقية، وذلك من خلال دراسة أهمّ النقاط التي انطلقت منها، والتي أسهمت في الوصول إلى تفاهم حول

(١)- العقاد ، صلاح ، استخدام الوثائق في منازعات الحدود بمنطقة الخليج العربي ، تطبيق على النزاع حول واحات البريمي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية الكويت عدد ٤٣ ، نيسان/ أيار ١٩٨٥ ، ص١٤١-١٤٤

(٢)- كانت شركة كوننتال هي الشركة التي حازت على الأراضي القطرية براً وبحراً بعد تنازل شركة شل عن التنقيب في البحر وشركة IPC وهي كانت تعمل على بناء السدات في مياه البحرين الإقليمية .للمزيد من المعلومات حول عمل الشركات النفطية في العراق راجع الفصل الخامس لدى ، المنصور، التطور السياسي في قطر ١٩١٦-١٩٤٩ ، الصراع على النفط ، مرجع سابق ، ص١٦٩-٢٠٧ ؛ أيضاً: ولكنسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص٤١٦

(٣)- ولكنسون ، المصدر السابق ، ص٤١٨ ؛ أيضاً : النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص٨٤

(٤)- متولي ، محمد ، حوض الخليج العربي ، مكتبة الأنجلو- المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص٥٦٧

الحدود البرية والبحرية بين البلدين. وقع هذه الاتفاقية عن الجانب القطري الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ونائب الحاكم آنذاك، وعن الجانب السعودي الأستاذ أحمد زكي يمانى وزير البترول والثروة المعدنية، وبموجب هذه الاتفاقية قسّمت دوحة السّلوى مناصفة بين البلدين بطريقة المسافات المتساوية من السّاحتين، أمّا بالنسبة للتعاريج فيؤخذ خطّ مستقيم قدر الأماكن، أمّا المادّة الثّانية فقد تخصّصت بتحديد النّقاط الجغرافيّة الخاصّة بتحديد الحدود المشتركة بين البلدين، في حين ركّزت المادّة الثّالثة على تلزيم إحدى شركات المسح العالميّة بالقيام بمسح وتحديد نقاط الحدود بين البلدين على الطّبيعة وفقاً لما جاء في هذه الاتفاقية، وإعداد خريطة بالحدود البرية والبحرية بين البلدين وما يتعلق بذلك من بيانات أخرى وتكون تلك الخريطة بعد التّوقيع عليها هي الخريطة الرّسميّة المبينة للحدود وتلحق بالاتفاقية باعتبارها جزءاً مكملّاً لها، في حين نظّمت المادّة الرّابعة المسائل الماليّة لكلّ ما سبق من إجراءات تقنيّة وفنيّة للحدود، حيث تضمّنت تقاسم البلدين نفقات عمليّة المسح، أمّا المادّة الخامسة فتضمّنت تشكيل لجنة فنيّة مشتركة مؤلّفة من عضوين عن كلّ طرف يناط بها إعداد مواصفات عمليّة المسح وبيان خطوط الحدود بين البلدين وفقاً لهذه الاتفاقية والإشراف على عمليّة المسح ودراسة نتائجها. إلّا أنّ هذه الاتفاقية لم تؤدّ إلى خريطة نهائيّة لحدود البلدين، وظلّت الأمور عالقة بينهما إلى أن تجدد النزاع على الحدود مرّة أخرى عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢^(١).

وهكذا انتهى فصل من العلاقات القطرية- السّعوديّة المحكومة بالوصاية البريطانيّة على مشيخات الخليج العربيّ، وعلى المملكة العربيّة السّعوديّة حتّى وقت قريب من منتصف القرن العشرين، ليبدأ فصل آخر من نزاع عربيّ - عربيّ تحكّمت به رغبة الدّول الخليجيّة النّاهضة إقليميّاً، والرّغبة في أن يكون لها دور فاعل في الأحداث السياسيّة في المنطقة العربيّة، فسعت إلى زيادة قوّتها بالسيطرة على منابع نفطيّة في ظلّ عجز واضح لجامعة الدّول العربيّة على حلّ المشكلات التي عاشتها الدّول العربيّة، وأثبتت مرّة بعد مرّة أنّها مجرد واجهة شكليّة لطرح الأحداث، لكنّها لا تمتلك القدرات ولا الصّيع المناسبة لإيجاد الحلول.

رابعاً: التّطوّرات السياسيّة في الخليج وانعكاسها على الحدود بين عامي ١٩٦٥-١٩٩٥:

استطاع الجانبان القطريّ والسّعودي الوصول إلى مفهوم مشترك حول الحدود بين بلديهما من خلال اتّفاقيّة في العام ١٣٨٥هـ/كانون الأوّل ١٩٦٥، إلّا أنّ هذا الاتّفاق الذي وقع بينهما على الورق لم يتمّ تثبيته على الأرض بمراكز حدوديّة ثابتة وعلامات فارقة تفصل بين حدود الدّولتين بشكل نهائيّ، فأصبحت الحدود عرضة للانتكاسة مرّة أخرى في كلّ مرحلة تلعب فيها الأحداث السياسيّة دور الزيت الذي يصبّ على النّار، وهذا ما حصل في فترة سبّعينيات وثمانينيات القرن العشرين، حيث انعكس الوضع السياسيّ في المنطقة العربيّة وعلاقتها بدول الجوار على علاقات البلدين الشّقيقتين السّعوديّة وقطر، فقد عاشت العلاقة بينهما نوعاً من الدّفء والمودّة بعد الاتفاقية، ولاسيّما أنّ تلك المرحلة الزمنيّة شهدت نشاطاً إيرانيّاً واضحاً لتجد لها مكاناً على

(١)- خالد ، أحمد عثمان ، ملامح اتفاقية الحدود القطرية - السعودية والقيمة القانونية لتسجيلها ، صحيفة الاقتصادية الالكترونية ، العدد ٥٦٤٧ ، ١٤٣٠/٤/١ الموافق ٢٨ آذار ٢٠٠٩

السّاحة الإقليميّة سياسيّاً، فسعت في تلك المرحلة إلى التّدخل سياسيّاً في منطقة الخليج العربيّ طارقة كلّ الأبواب التي يمكن أن تدخلها إلى أراضيّه، ممّا دفع الدّول الخليجيّة إلى تسريع حلّ خلافاتها الحدوديّة جميعها، ليكون لها القدرة على الدّفاع عن بلدانها من التّدخّلات الخارجيّة، خاصّة بعد خروج بريطانيا من منطقة الخليج العربيّ عسكريّاً ممّا ترك نوعاً من الخوف والتّوتر على دول الخليج العربيّ التي لطالما اعتادت على الحماية البريطانيّة لدولها وبانتهاء الوجود البريطانيّ في الخليج العربيّ، ونهاية معاهدات الحماية التي أوجت بريطانيا من خلالها أنّها تحمي المشيخات المرتبطة بها تعاهديّاً، كلّ ذلك أرخى بظلاله على العلاقات بين دول الخليج، حيث بدأت تلك الدّول تفكّر بإعادة رسم خارطة الخليج السياسيّة، وبدأت تعمل على طرح الأفكار اللازمة لتحقيق ذلك، ومنها فكرة الاتحاد الفيدراليّ بين إمارات السّاحل المتصالح السّبع وبين قطر والبحرين^(١)، آمليّن أن يتمكّن هذا الاتّحاد من صدّ الأخطار الخارجيّة التي مثلتها إيران والاتّحاد السّوفييتيّ آنذاك، وطرحت على السّاحة السياسيّة فكرة إعلان الإمارات الكبرى كأبو ظبيّ والبحرين وقطر استقلالها، وتوقيع معاهدات حماية مع دول كبرى صديقة لها كالولايات المتّحدة الأمريكيّة وبريطانيا، وقد شغلت فكرة الاتّحاد الموعود بال قطر^(٢)، ممّا أبعداها عن التّفكير بالحدود مع المملكة العربيّة السّعوديّة لبرهة من الزمن، الأمر الذي انعكس استقراراً وهُدوءاً على المناطق الحدودية بين البلدين.

ففي تلك الأثناء كان الشّيخ القطري مشغولاً بالمشاريع التي تطرح عليه حول الاتّحاد الفيدراليّ بين الإمارات المتصالحة^(٣)، ثمّ كان اتحاد الإمارات السّبع في دولة واحدة تحت اسم الإمارات العربيّة المتّحدة في ١٨ تموز ١٣٩١هـ/١٩٧١. تلك التّطورات السياسيّة دفعت الدّول الخليجيّة إلى تسريع توقيع الاتّفاقيات الحدودية اللازمة لإنهاء الخلاف بين دولها، حتى تتمكن من إزالة الحواجز النفسيّة بينها في حال تعرضت لخطر ما، والعمل معاً للوقوف في وجه ذلك الخطر.

بدأت الخطوات العمليّة لتلك الطّريقة من التّفكير في عام ١٣٩١هـ/١٩٧١، عندما وقعت سلطنة عمان والمملكة العربيّة السّعوديّة اتفاقاً اعترفت فيه السّعوديّة بتبعية ثلاث قرى من واحة البريمي لمسقط، ممّا أنهى النزاع الحدودي بينهما بعد نزاع تحكيمي ودوليّ طويل لا مجال للدخول في تفاصيله، وفي عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤ توصلت كل من الرّياض وأبو ظبيّ إلى اتّفاق حول البريمي^(٤)، حيث وقّعا اتّفاقية جدّة التي نصّت على بقاء

(١)- الشارقة- أم القيوين -عجمان- دبي -أبو ظبي- رأس الخيمة - الفجيرة، وقد جاءت الفكرة اثر إعلان وينستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني أن بلاده سوف تتسحب من الخليج العربي في نهاية عام ١٩٧١ مبرراً ذلك بالأعباء الاقتصادية الكبيرة التي تتحملها البلاد بسبب وجودها العسكري في الخليج العربي. للمزيد من المعلومات راجع : الرئيس ، رياض نجيب ، الخليج العربي ورياح التغيير ، دار الرئيس للكتب والنشر ، لندن ١٩٨٧ ، ص ١٤-١٥

(٢)- للمزيد من المعلومات حول مشاريع قطر للاتحاد راجع: الشلق والخطيب ، أحمد زكريا ومصطفى عقيل ، قطر واتحاد الإمارات العربية التسع في الخليج العربي ١٩٦٨-١٩٧١ دراسة وثائقية ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة قطر ، ط ٢ ، ١٤١٩ / ١٩٩٨ ، ص ٢٦-٢٩

(٣)- للمزيد من المعلومات راجع: الشلق ، فصول من تاريخ قطر ، مرجع سابق ، ص ١٥٠

(٤)- النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص ٨٤-٨٥

القرى الست لواحة البريمي مع أبو ظبي بما فيها العين قاعدة الواحة ومعظم صحراء الظفرة، على أن تحصل السعودية على خور العديد الذي يشمل منطقة ساحلية بطول خمسة وعشرين ميلاً تفصل بين أراضي أبو ظبي وقطر وجزء من سبخة مطي وثمانين بالمئة من آبار الشبيبة النفطية، وقد تضمنت الاتفاقية ترتيباً لكيفية الاستفادة من هذه الآبار لكلا الدولتين، فقد قررت الاتفاقية "في حالة اكتشاف النفط على الحدود المشتركة، سواء اكتشفت قبل الاتفاقية أم بعدها تؤول ملكية حقل النفط برمته إلى الدولة التي يقع فيها الجزء الأكبر من هذا الحقل" (٥).

لكن الأطراف التي اجتمعت صفوفها عندما شعرت بالخطر لم تنس رغبتها الدائمة في توسيع مناطق نفوذها وفي تأمين المنافذ البحرية والبرية لدولها، الأمر الذي كان يشكل النقطة المحورية المؤثرة في رفض قطر لكل الطروحات السابقة حول الحدود حتى اتفاقية عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥، فاهتمام قطر كان يدور حول مسألة تأمين اتصال بري بينها وبين الإمارات العربية المتحدة، التي كانت تسعى للاتحاد معها وتتفاوض على ذلك بين عامي ١٩٦٨-١٩٧١، وأظهرت عدم الرغبة في أن تحاط قطر من كل جهاتها البرية بالأراضي السعودية خلال كل المباحثات التي دارت بين بريطانيا بالنيابة عن قطر وبين المملكة العربية السعودية. لذلك، عدت ما حصل بعد توقيع اتفاقية جدة عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤، وتنازل الإمارات عن خور العديد للسعودية بما فيها موقع الخفوس تهديداً لها، وذلك نظراً لأن هذا التنازل عن خور العديد بما فيه منطقة الخفوس كما لو كان يعني أن قطر أصبحت تحت الرحمة السعودية، فالموقع المهم لمنطقة الخفوس التي كانت تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من خط الحدود المفترض، وعلى الطريق المؤدي إلى قاعدة بحرية صغيرة شيدتها السعودية في خور العديد، وهو الرابط الوحيد بين قطر والإمارات العربية المتحدة برياً، وبتنازلها عنه للسعودية جعل قطر محاطة بالأراضي السعودية من كل الأطراف، وأصبح القطريون مضطرين للمرور بالأراضي السعودية قبل الوصول إلى الإمارات (١).

إن عدم الاستقرار السياسي الذي شهدته منطقة الخليج العربي بعد فترة من تأسيس مجلس التعاون الخليجي ١٤٠٢هـ/١٩٨١ (٢)، أظهر بصراحة هشاشة الاتفاقيات الحدودية بين دوله، فحرب الخليج الثانية ما هي إلا تعبير واضح على أنه ليس هناك اتفاق حقيقي بين أعضائه على مناطق نفوذ كل طرف، ولا حول الحدود الفاصلة بين دوله، وإن هجوم العراق على الكويت ومطالبتها بها دليل على أن المنطقة لم تصل بعد إلى مرحلة الاتفاق النهائي على الحدود الفاصلة بين دولها.

شهدت بداية التسعينيات من القرن العشرين اضطرابات حدودية في بعض النقاط البرية والبحرية على طول الحدود السعودية - القطرية، أظهرت أن الملف الحدودي بين البلدين لم يقل بعد بشكل نهائي، وقد بدأ الخلاف

(٥) - العريفيج ، عبد العزيز ، سياسة المملكة العربية السعودية البحرية ، ص ٨٣، نقلاً : عن النعيم ، مرجع سابق ، ص ٨٥

(١) - شحاتة ، محمد مصطفى ، الحدود السعودية مع دول الخليج العربي "مجلة السياسة الدولية ، العدد ١١١ ، كانون الثاني ، ١٩٩٣ ، ص ٢٢٣ ؛ أيضاً : الحياة العدد ١١٩٧٥ في ١٢/٥/١٩٩٥ ؛ أيضاً : النعيم ، المرجع السابق ، ص ٨٦

(٢) - للاطلاع على وثيقة إعلان مجلس التعاون الخليجي راجع : موقع موسوعة مقاتل <http://www.moqatel.com>

في ٣٠ أيلول ١٩٩٢ عندما أعلنت قطر بياناً قالت فيه "إن قوة عسكرية سعودية هاجمت مركز الخفوس القطري مما أدى إلى استشهاد جنديين من القوات المسلحة القطرية إضافة إلى أسر جندي ثالث"، ثم أتبعته في اليوم التالي ببيان ثانٍ قالت فيه "إن قوة سعودية كبيرة حاصرت موقع الخفوس القطري، وأجبرت من بقي من أفرادها بالمركز على مغادرته واستولت عليه". وأعقب ذلك اجتماعاً لمجلس الوزراء القطري حضره ولي العهد الشيخ أحمد بن خليفة آل ثاني ورئيس الوزراء، وانتهى الاجتماع إلى إعلان قطر إلغاء الاتفاقية الموقعة عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ من طرف واحد محملاً المملكة العربية السعودية المسؤولية الكاملة لما جرى من تطورات عسكرية على حدود البلدين، وقد تابع البيان أن السعودية عملت على ترسيم ٧٠٪ من حدودها مع قطر بشكل منفرد دون أي تعاون مع الحكومة القطرية، ولم تستجب إلى دعوات الحكومة القطرية لعقد اجتماعات مباشرة بين الجانبين للعمل معاً على رسم الحدود.

أما المملكة العربية السعودية فقد عبّرت عن موقفها عبر بيان رسمي في أول تشرين الأول جاء فيه "أنه لم يحدث أي هجوم عسكري على موقع الخفوس الحدودي، وأن ما جرى ما هو إلا تراشق بالنيران بين أفراد البادية داخل الحدود السعودية مما أدى إلى قتل قطريين وسعودي، ورفض البيان قرار مجلس الوزراء القطري بوقف العمل باتفاقية ١٩٦٥ واعتبرت السعودية أن الاتفاقية ملزمة للبلدين ولا يجوز الإخلال بها"، ثم أصدرت السعودية في ١٤ تشرين الأول بياناً آخر قالت فيه: "إنه لا يوجد داخل الأراضي السعودية موقع اسمه الخفوس وإن الموقع المذكور يقع داخل حدود قطر"، واتهم البيان قطر أنها انتهزت فرصة انشغال السعودية بحرب الخليج، وتوغّلت في أراضي المملكة العربية السعودية ١٤ كيلو متر، واستولت على موقع أسمته الخفوس إمعاناً في تضليل الرأي العام العربي، وقال البيان إن اللجنة الفنية المشتركة الخاصة بتعيين الحدود بين الجانبين أنهت عملها، ولم يتبق سوى اعتماد الشركة التي سترسم العلامات الحدودية بين البلدين، وفي رغبة واضحة من المملكة على تهدئة الأمور مع قطر قام الملك فهد بالتعبير عن رغبة المملكة بالتفاوض مع قطر من أجل حلّ خلافهما الحدودي، والتأكيد على تمسك السعودية باتفاقية عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥، ولاسيما المادتين الثالثة والخامسة، فقد تضمنت المادة الثالثة على أن يعهد لإحدى شركات المسح العالمية بالقيام بمسح وتعيين نقاط الحدود بين قطر والسعودية على الطبيعة وإعداد خريطة بالحدود البرية والبحرية بين البلدين وتلحق باتفاقية عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ على أنها جزءاً مكتملاً لها، وتكون هذه الخريطة بعد التوقيع عليها هي خريطة الحدود الرسمية الخامسة بين البلدين، وأما المادة الخامسة فتتصّل على تشكيل لجنة فنية مشتركة للقيام بعملية المسح وتعيين النقاط الحدودية بين البلدين.

بعد هذا البيان السعودي ردّت قطر ببيان آخر في ١٤ تشرين الأول أوضحت فيه أن السعودية ما تزال تحتلّ موقع الخفوس، وأن قطر غير مستعدة للتفاوض معها قبل الانسحاب من الموقع المذكور، وأما بالنسبة للجنة الفنية التي تحدّث عنها الملك فهد، فهي لم تجتمع منذ عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨، وذلك بسبب النزاع على بعض المواقع الحدودية. وهنا لعبت التطورات السياسية في المنطقة دوراً مهماً في تطور المشكلة الحدودية

السَّعُودِيَّة - القطريَّة، فحالة العزلة التي فرضتها دول الخليج على العراق بعد غزوها للكويت كانت واحدة من وسائل الضَّغط التي استخدمتها بحنكة كبيرة لإجبار السَّعُودِيَّة على تقديم بعض التَّنازلات على مستوى الحدود السَّعُودِيَّة - القطريَّة.

تحركت قطر للدَّفاع عن حدودها في أربع اتجاهات سياسيَّة منها: الدَّاخلي ومنها الخليجي ومنها الإقليمي ومنها الدَّولي، **الاتَّجاه الأول** : كان على المستوى العربيَّ عندما أعلنت الحكومة القطريَّة عن عودة العلاقات الدِّبلوماسية مع العراق لتكون أوَّل دولة من دول مجلس التَّعاون الخليجي تقيم علاقات مع العراق بعد حرب تحرير الكويت عام ١٤١١هـ/١٩٩٠، **الاتَّجاه الثاني**: كان على المستوى الخليجيَّ وذلك عندما أعلنت الحكومة القطريَّة انسحابها من قوَّات درع الجزيرة في الوقت الَّذي كانت تفكَّر فيه دول الخليج في تشكيل جيش خليجي يحمي المنطقة من الأخطار والتَّحدَّيات الخارجيّة، **الاتَّجاه الثالث** : كان على الصَّعيد الإقليمي وظهر على شكل تهديد قطريَّ بتعزيز العلاقات القطريَّة مع إيران، ولاسيَّما أنَّها كانت قبل عام قد وقَّعت معها بعض الاتِّفاقيَّات الاقتصاديَّة، وظهر التَّعاون القطريَّ - الإيرانيَّ عندما أعلنت إيران تأييدها لقطر في نزاعها الحدوديَّ مع السَّعُودِيَّة، كلَّ ذلك كان في وقت شهد ازدياداً متصاعداً للقدرات العسكريَّة الإيرانيَّة يوماً بعد يوم، وما لذلك التَّزايد من تداعيات نتج عنها ارتفاع منسوب هواجس ومخاوف الدَّول الخليجيَّة من الرَّغبة الإيرانيَّة في إيجاد دور لها في منطقة الخليج العربيَّ، **الاتَّجاه الرَّابع** : كان على الصَّعيد الدَّولي عندما قام وزير الخارجيّة القطري الشَّيخ حمد بن جاسم آل ثاني بإرسال رسالة إلى بطرس غالي الأمين العام للأمم المتَّحدة ملوِّحاً فيها بأنَّ قطر ستعرض النِّزاع الحدودي مع السَّعُودِيَّة على الأمم المتَّحدة، ما لم تتسحب القوَّات السَّعُودِيَّة من موقع الخفوس، في وقت لم تتخذ فيه الدَّول الغربيَّة، ولاسيَّما بريطانيا والولايات المتَّحدة الأمريكيَّة أيَّ موقف من النِّزاع بين البلدين أقلَّه شكلياً، على الرَّغم من دور البلدين الكبير في اتِّفاق الحدود بين قطر والسَّعُودِيَّة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥^(١).

كان هجوم القوَّات السَّعُودِيَّة على موقع الخفوس الحدودي جنوب شبه جزيرة قطر، الموقع المؤثِّر على دورة الحياة القطريَّة على كلِّ المستويات، نظراً لأنَّ هذا الموقع يبعد كيلو متراً واحداً فقط عن خور العديد، أيَّ بما معناه يحرم قطر من الممرِّ الاستراتيجي الَّذي يصلها بالإمارات العربيَّة المتَّحدة، وحصول هذا الأمر في ظلِّ مناخ إقليمي وعالميٍّ مرتبك عسكرياً وسياسياً قد يخلق مخاوف قطريَّة لا يستطيع تفسيرها إلاَّ تاريخ العلاقات السَّعُودِيَّة - القطريَّة، فمنذ اللَّحظة الأولى لتأسيس قطر كدولة لها شخصيَّتها الاعتباريَّة، والمخاوف من هجوم سعوديٍّ عليها تداعب العقول القطريَّة، وتدفعهم للبحث عن حماية هذا الطَّرف أو ذاك، خشية أن تستضعفهم إحدى دول الجوار وبالتَّحديد السَّعُودِيَّة، وتسعى لإنهاء استقلالهم أو على أقلِّ تقدير التَّدخُّل في شؤونهم، من هنا يمكن اعتبار التَّصرف القطريَّ الحازم من التَّطورات العسكريَّة على الحدود مع السَّعُودِيَّة، وتهديدها بالانسحاب من مجلس التَّعاون الخليجيَّ والتَّلويح بالوقوف إلى جانب إيران أو اللُّجوء إلى الأمم المتَّحدة وإلغاء معاهدة

(١)- شحاته ، الحدود السعودية مع دول الخليج العربي ، مصدر سابق ، العدد ١١١، كانون الثاني ، ١٩٩٣م

١٣٨٥هـ/١٩٦٥ ما هي إلا مناورة سياسية ذكيّة إلى حدّ ما، للحصول على المزيد من الأراضي في الموقع المذكور.

ولعلّ التطورات اللاحقة تثبت صحة هذه النّظرية الافتراضية، وتشير إلى أنّ الأمر قابل للحلّ دون الوصول إلى مراحل متقدّمة من النزاع، ولاسيّما بعد التّوضيح القطريّ السّريع بعد أيام قليلة من إعلانها السّابق بإلغاء معاهدة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ مع السّعودية من طرف واحد، على أنّه كان مجرد تجسيد للاتّفاقيّة وليس إلغائها، وما إن هدأت العاصفة بين البلدين، حتى سارعت مصر إلى لعب دور الوسيط بينهما، حيث تمكّنت من عقد قمة ثنائيّة في المدينة المنورة في ٢٠/١٢/١٩٩٢ جمعت زعمي البلدين الملك فهد بن عبد العزيز والشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر بحضور محمد حسني مبارك رئيس الجمهوريّة المصريّة، توصّلا في نهايتها إلى توقيع اتّفاق جديد للحدود في المدينة المنورة ١٤١٣هـ/١٩٩٢، وافقت بموجبه الرّياض على التنازل عن بعض الأراضي التي لم يكشف النّقاب عن مساحتها أو موقعها وبقيت طي الكتمان، ولعلّ من أهمّ النّقاط التي أدّى إليها الاجتماع وعبر عنها البيان المشترك لكلّ من السّعودية وقطر والموقع عليه في ٢٠ كانون الأوّل ١٩٩٢ في المدينة المنورة من قبل صاحب السّموا الأمير سعود الفيصل ممثلاً السّعودية، وصاحب السّموا الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني وزير خارجيّة قطر وعمرو موسى وزير خارجيّة مصر هي:

١- تنفيذ الاتّفاق بين المملكة العربيّة السّعودية ودولة قطر المعقود في ١١ شعبان ١٣٨٥ الموافق ٤ كانون الأوّل ١٩٦٥، وإضافة خريطة موقّعة من كلا الطّرفين يبيّن فيها خطّ الحدود النّهائي والملمز لكليهما.

٢- تشكيل لجنة فنيّة قطريّة سعوديّة مشتركة وفقاً للمادّة الخامسة من الاتّفاقيّة ينام بها تنفيذ اتّفاق ١٩٦٥ بجميع بنوده وأحكامه وما جاء بهذا البيان المشترك، وتكفّف هذه اللّجنة بوضع علامات الحدود طبقاً للخريطة المرفقة، ولها أن تستعين في عملها بشركة مسح يتّفق عليها وفقاً للمادّة الثّالثة من الاتّفاقيّة بحيث تنتهي اللّجنة من إنجاز خريطة نهائيّة يوقّع عليها الطّرفان، وتعتبر هذه الخريطة النّهائيّة جزءاً لا يتجزّأ من اتّفاق ١٣٨٥هـ/١٩٦٥.

٣- تنتهي اللّجنة من أداء مهمّتها المذكورة خلال عام واحد من توقيع هذا البيان المشترك.

وبموجب ما تمّ الاتّفاق عليه في البيان المشترك تكون الدّولتان قد عملتا على وضع الأسس القانونيّة والآليّة المناسبة لتنفيذ اتّفاقيّة الحدود بين البلدين لعام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥، والتّعديلات النّاجمة عن القمّة الثّنائيّة بين زعمي البلدين في عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢، وبناءً على ما سبق تمّ التّعاقد مع الشركة الفرنسيّة (آي.جي) لتنفيذ مشروع تحديد نقاط الحدود وترسيمها على الطّبيعة وفقاً للشّروط والمواصفات الفنيّة المنصوص عليها في العقد، وبالفعل ما هي إلا فترة من الوقت حتّى أعلن المدير الإقليمي للشّركة الفرنسيّة، أنّه قد تمّ أداء المهمّة المنوطة بالشّركة المذكورة بدقّة، وقد استخدمت أحدث الطّرق التّقنيّة والحسابيّة، وصرّح رئيس الجانب السّعودي في اللّجنة المشتركة، بأنّه قد تمّ إنتاج الخرائط بأحدث وأدقّ الوسائل ووفقاً للمعايير الدّوليّة، وفي ٢١/٣/٢٠٠١ وقّعت كلّ من السّعودية وقطر على الخرائط النّهائيّة لترسيم الحدود البحريّة والبريّة بين البلدين، وقد عبّر كلّ من سمو

الأمير سعود الفيصل الموقع عن الجانب السعودي، والشيخ حمد بن جاسم آل ثاني الموقع عن الجانب القطري أن هذا التوقيع يعدّ نهاية لمرحلة طويلة من المفاوضات حول الحدود، و سيعود بالخير على البلدين الشقيقين، وسيسهم في تطوير العلاقات الثنائية فيما بينهم^(١).

أنهى هذا الاتفاق الأخير مشكلة الحدود بين السعودية وقطر عند هذه النقطة، إلا أن عمل اللجنة المشتركة، وما واجهها من صعوبات وعراقيل كثيرة أوجدتها حالة يوضح سوء الفهم للاتفاق الذي تمّ في القمة الثنائية بين زعمي البلدين ١٩٩٢، حيث اعتقدت قطر أن مساحة الأرض التي ستتنازل عنها السعودية لها أكبر من المساحة التي كانت الرياض تنوي التنازل عنها واقعياً^(١)، وما تلك الأحداث سوى دليل على عمق الهوة بين الجانبين، وتعبيراً عن مدى حالة عدم الارتياح عند القطريين من التحركات السعودية على حدودهم، فلم تستطع العقلية القطرية حتى فترة ما قبل الاتفاق بقليل الثقة بأن السعودية لن تتدخل في شؤونهم، وأنها غير راغبة بالتوسّع على حسابهم، وما التّأزم الذي شهدته العلاقات السعودية - القطرية مرة أخرى في عام ٢٠٠٢، إلا تعبيراً صريحاً عن هذه الهوة بينهما، فعلى خلفية نقد للأسرة الحاكمة في السعودية عبر برنامج حوارى على إحدى القنوات التابعة لقطر، ظهرت على الساحة السياسية السعودية - القطرية حالة من عدم الاستقرار عاشتها الدولتان في مراحل سابقة، حيث عبرت السعودية عن غضبها الشديد من قطر بسحب سفيرها في قطر، وانعكس هذا التوتّر في العلاقات السياسية على المسألة الحدودية المشكلة القديمة والمتجددة دائماً، فالتوتّر السعودي - القطري سياسياً كان يعيق كلّ تحرّك مهما كان بسيطاً على حدود قطر مع جاراتها، فعلى سبيل المثال قدّمت السعودية اعتراضاً على الإمارات وقطر بسبب التخطيط لبناء جسر يربط بين البلدين، معللة هذا الاعتراض بأنّ هذا الجسر سيمرّ في المياه الإقليمية السعودية، ثمّ ظهر الخلاف السياسي بين الجانبين باعتراض السعودية أيضاً على مدّ أنبوب للغاز بين قطر والكويت ممّا أدّى إلى إلغاء المشروع، وفي عام ٢٠٠٦ أبدت السعودية اعتراضها مرة أخرى وفقاً لتقارير صادرة عن المملكة العربية السعودية على مشروع أنابيب غاز بتكلفة ٣,٥ مليار دولار أمريكي تتفّده شركة "دولفين إينيرجي" الإماراتية لمدّ الإمارات بالغاز القطري، وبعثت برسائل إلى شركة "توتل" الفرنسية وشركة "أوكسيدنتال" الأمريكية مستفسرة عن خطّ سير الأنابيب متذرعة أن تثبيت الحدود السعودية-القطرية قد يؤثّر على عمل شركات الغاز في الخليج العربي^(٢).

وعلى الرّغم من كلّ ذلك التّأزم في علاقات البلدين، إلا أنّهما تمكّنا في نهاية المطاف من تجاوز هذه الأزمة السياسية - الحدودية العاصفة، التي كادت تصل بالبلدين إلى حالة الصّدام العسكري بعد مقتل الجنديين القطريين والجندي السعودي في حادثة الخفوس عام ١٩٩٢، وذلك بفعل النّية الطيّبة بينهما والرّغبة الواضحة

(١) - خالد ، أحمد عثمان ، ملامح اتفاقية الحدود القطرية - السعودية والقيمة القانونية لتسجيلها ، صحيفة الاقتصادية الإلكترونية ، العدد ٥٦٤٧ ، ١٤٣٠/٤/١ هـ الموافق ٢٨ آذار ٢٠٠٩

(١) - الحياة العدد ١١٩٧٥ في ١٩٩٥/١٢/٥ ؛ أيضاً : النعيم ، الحدود السياسية ، مرجع سابق ، ص٨٦

(٢) - هاموند، أندرو، صفقة الحدود السعودية - القطرية. عودة الدفء، ٧ تموز ٢٠٠٨م. نقلاً عن: الموقع الإلكتروني

لدى البلدين، بإيجاد حلٍّ ما للمشكلة الحدودية بينهما وبشكل نهائيّ هذه المرة، ليكون لهما القدرة من خلال توحيد صفوفهم في ظلّ مجلس التعاون الخليجي على مواجهة كلّ المخاطر الخارجية، في ظلّ عالم أصبح يميل أكثر لبناء تكتلات سياسية واقتصادية قويّة تسعى لفرض نفسها على كلّ دول العالم، ولتنته حالة عدم الاستقرار في العلاقات بين قطر والسعودية، بعد زيارة قام بها الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد السعودي إلى قطر عام ٢٠٠٨ ، أنهت قطيعة بين البلدين استمرت بين عامي ٢٠٠٢-٢٠٠٨ ، واعتبرت هذه الزيارة بداية حقبة جديدة بين البلدين عبر عنها ولي العهد نفسه لجريدة الشرق القطرية، حيث أكد لها عن عمق العلاقات بين قطر والسعودية، ظهرت بشكل جلي من خلال حرص خادم الحرمين الشريفين على المشاركة في القمة العربية في الدوحة ٢٠٠٧م، وعن الرغبة الصادقة لدى السعودية في تجاوز كل المشكلات الحدودية^(١)، وفي خطوة إضافية على طريق تطبيع العلاقات وعودة الدفء بين البلدين تمّ الاتفاق على إنهاء النزاع الحدودي بينهما بشكل نهائيّ في ٧/٧/٢٠٠٨، حيث ذكرت وكالة الأنباء السعودية الرسمية في هذا التاريخ أنّ الدولتين المتجاورتين السعودية وقطر قد اتفقتا على ترسيم نهائيّ للحدود بينهما، وعلى تشكيل مجلس مشترك لتطوير العلاقات بينهما بعد سنوات من التوتّر على خلفية النزاعات الحدودية بين البلدين^(٢). وفي آذار ٢٠٠٩ أودعت قطر والمملكة العربية السعودية لدى هيئة الأمم في نيويورك اتفاقية الحدود المشتركة بين البلدين والأمور والوثائق التابعة لها وخريطة نهائية لحدودهما موافق عليها من قبل الدولتين، لتنتهي وبشكل نهائيّ مشكلة الحدود السعودية - القطرية^(٣).

تطوّرت العلاقات السعودية - القطرية بعد هذه الزيارة التي قام بها ولي العهد السعودي، وما لاقاه من حفاوة في الاستقبال، حيث قام الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني باستقبال ولي العهد متجاوزاً بذلك البروتوكول الرسمي لزيارات المسؤولين بين بعضهم البعض، وما ذلك إلا تعبيراً عن الرغبة الصادقة للشيخ حمد في إعادة الدفء والحيمة للعلاقة السعودية - القطرية.

بعد هذه الزيارة انطلقت عجلة العمل المشترك بين البلدين، وبدأت تزول كلّ العقد السابقة بينهما، وأخذت المواضيع التي كانت موضع خلاف بينهما كمشروع أنابيب الغاز القطرية إلى الكويت، الذي سبق واعترضت عليه المملكة العربية السعودية بحجة أنّها تمرّ بأراضيها، ومشروع الجسر الذي يصل قطر بالإمارات، الذي عارضته أيضاً السعودية لأنّه يمرّ في مياهها الإقليمية، كلّ تلك المشاريع أصبحت بعد تحسن العلاقات مواضيع قابلة للنقاش ضمن الساحة الخليجية في إطار مجلس التعاون الخليجي، ولم تعد تجتذب تدخل أطراف خارجية سواء أكانت إقليمية (إيران) أم عالمية (الأمم المتحدة)، ولا حتّى دول الغرب ذات التاريخ الاستعماريّ في منطقة

(١) - نقلاً عن مقابلة أجرتها جريدة الشرق القطرية مع ولي العهد السعودي في ١٠ آذار ٢٠٠٨ ، الموقع الالكتروني : arab news ؛ أيضاً : القدس العربي ، السنة التاسعة عشرة ، العدد ٥٨٣٩ ، الخميس ١٣ آذار / ربيع الأول ١٤٢٩

(٢) - السعودية وقطر توقعان اتفاقاً حدودياً ، نقلاً عن الموقع الالكتروني : www.bbc.com.uk .arabic.news :bbc البريطانية

1234172 / 1234000 ، راجع أيضاً الخريطة في الملحق (١٩)

(٣) - عثمان ، أحمد ، ملامح اتفاقية الحدود السعودية القطرية والقيمة القانونية لتسجيلها ، صحيفة الاقتصادية الالكترونية ، العدد ٥٦٤٧ ، السبت ١٤٣٠هـ الموافق ٢٨ مارس / آذار / ٢٠٠٩م ؛ أيضاً: الخرائط التي توضح شكل الحدود في الملحق رقم (٢٣)

الخليج العربي (بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية)، وبدأت تظهر علامات تحسّن العلاقات السياسيّة بين البلدين، من خلال المشاريع الاقتصاديّة المشتركة بينهما، حيث أصبحت المنطقة الشرقيّة السّعوديّة تتزوّد لمشاريعها بالغاز من قطر، إضافة إلى طرح موضوع الاستفادة من الغاز القطريّ في مشروع الربط الكهربائي الخليجي^(١)، وزالت أيضاً في جوّ الوفاق هذا الحواجز التي كانت تعيق تنفيذ منظّمة السّوق الخليجيّة المشتركة التي دخلت حيّز التنفيذ بشكل عمليّ في كانون الثّاني ٢٠٠٩، وغيرها من المشاريع الأخرى بين دول مجلس التّعاون الخليجي، التي لا مجال للدّخول في تفاصيلها خلال هذا البحث، وبهذا ازدادت فاعليّة العمل في مجلس التّعاون الخليجي بعد زوال المشكلات الحدوديّة والسياسيّة بين دوله وتراجع حالة التّوتر التي عاشتها منطقة الخليج العربي.

(١) - القدس العربي ، السنة التاسعة عشرة ، العدد ٥٨٣٩ ، الخميس ١٣ آذار / ربيع الأول ١٤٢٩

الخاتمة
ونائج البحث

تبيّن من خلال البحث، أنّ الحدود في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي كانت قضية غير موجودة في الفترة التي سبقت النشاط الاستعماريّ فيها، فجزيرة العرب كانت أرضاً موحّدة تتنقّل فيها القبائل بحريّة وفقاً لطبيعة حياتهم البدويّة والنّظم القبليّة، الّتي تحكمها، مع الاعتراف بمساحاتٍ تقليديّةٍ لسكان المنطقة التي تنتقل إليها القبائل بحثاً عن حياة أكثر ملاءمة لهم. وعندما بدأت تجزئة المنطقة بعد دخولها تحت نفوذ المستعمرين وظهور البترول، كان لابدّ من ظهور حدود ثابتة بين المناطق، لتستطيع شركات التّقيب عن النّفط العمل فيها بشكل آمن وثابت، ممّا أفرز صداماتٍ بين الدّول المتكوّنة بشكلها الحديث، للحصول على مكاسبٍ اقتصاديّةٍ من خلال السّعيّ إلى توسيع حدودها. والحصول من خلالها على أكبر كمّيّة من الفائدة الماديّة. وهكذا انطلقت النّقاشات الحدودية في مكان البحث وزمانه.

[illegible]

وكذلك كان الأمر في النزاع الحدودي القطري - السعودي، فرغم أنه ظهر على شكل نزاع بين طرفين عربيين، إلا أنه في الأصل كان نزاعاً بين شركات النفط البريطانية والأمريكية، فقد أدى التنافس بينها للحصول على أكبر مساحة ممكنة من أراضي الخليج العربي ضمن امتيازاتها للتنقيب عن النفط، وضرورة بناء حدود ثابتة تعمل ضمنها، إلى افتعال النزاع بين السعودية وقطر، وذلك بعد أن أثبت المسح الجيولوجي للمناطق الحدودية بين البلدين احتواءها على كميات كبيرة من النفط والغاز.

أما النزاع السعودي اليمني، فهو صناعة بريطانية خالصة. لأنها أرادت التخلص من مضايقات الإمام يحيى في مناطق نفوذها في المحميات، بافتعال نزاع آخر يشغله عنها، وقد وجدت في رغبة السعودية توسيع حدودها على حساب اليمن، فرصة لا يمكن إضاعتها، فمهدت الأجواء الملائمة لهذا النزاع، الذي أخذ يتطور مع مرور الأيام تحت أنظارها إلى أن وصل إلى حد الانفجار العسكري بين البلدين، وظلّ يتأزم ويتفاعل حتى وقت قريب. في حين انتهزت بريطانيا هذا النزاع، بتوقيع معاهدة مع الإمام، خطفَت فيها في ظل الظروف الصعبة التي كان يعيشها، اعترافه بمناطق نفوذها في المحميات في منطقة الجنوب العربي.

وتبيّن من خلال البحث، أنّ الأهميّة الإستراتيجيّة الكبيرة لشبه الجزيرة العربيّة والخليج العربي قديماً، واكتشاف النفط في ترابها ومياهما في بدايات القرن العشرين، جعل منهما محطّ أنظار الدّول الأوروبيّة، منذ بداية القرن الخامس عشرحتى وقتنا الحالي، إلّا أنّ السنين مكّنت بريطانيا بعد سلسلة من التّحرّكات العسكريّة

والسياسية، من إبعاد المنافسين لها في المنطقة موضوع البحث، فثبتت أقدامها فيهما، وحولتهما إلى منطقة بريطانية مغلقة ومحزّمة على كلّ الدّول الأخرى، وحققت بريطانيا أهدافها في شبه الجزيرة العربية ، فقد رسمت خطتها تجاه الجزيرة على خطّين متوازيين: أولهما حماية سواحلها من أيّ تدخّل أجنبيّ، بحجّة أنّها تعدّ الجزيرة منطقة نفوذ خاصّة بها. ثانيهما: تثبيت الحدود في الجزيرة العربية بطريقة تمنع ابن سعود أو أيّ زعيم آخر فيها من مدّ سيطرته إلى المناطق الساحلية الخاضعة لنفوذها، وبالتالي أسهمت بريطانيا من خلال نشاطها في تقنين المشرق العربي بطريقة أتاحت لها السيطرة عليه. لكنّ الحروب المتتالية التي خاضتها بريطانيا أنهكت قواها، وأفقدتها إمبراطوريتها التي بنتها طوال أربعة قرون، وفتحت باب الخليج العربي أمام منافسين جدد، اتّبَعوا السياسة الاستعمارية البريطانية نفسها، وبنوا عليها تحركاتهم، حيث عملوا على تعميق خلافات دولها، وتعزيز فرقهم ومضاعفة مشاكلهم، وعلى رأس هذه الدّول الولايات المتّحدة الأمريكية، التي فتحت لها الصّدارة العالميّة أبوابها العريضة، فانفردت منذ خروج بريطانيا من منطقة الخليج العربي في ستينيات القرن العشرين، بكلّ التّحرّكات التي شهدتها المنطقة، وأدخلتها في غياهب الفرقة والتّمزّق، والصّراعات والحروب، وبأقنعة مختلفة، منها منازعات الحدود تارةً، وتارةً أخرى أقنعة الشعارات (الديمقراطية والحرية والشرعية الدوليّة)، فلم يتغيّر شيء، فكأننا ننظر في مرآة تعكس سياسة بريطانيا في القرن التاسع عشر، على سياسة الولايات المتّحدة الأمريكية في القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين، فقديمًا كانت محاربة القرصنة وتجارة الرقيق، ونشر السّلام البحريّ، شعارات رفعتها بريطانيا للتّحرّك على أساسها في الخليج العربيّ وشبه الجزيرة العربيّة، ثم اتّجهت نحو افتعال مشكلات الحدود، لإيجاد الذريعة المقنعة لبقاء نفوذها في المنطقة. وفي أيامنا هذه الديمقراطية والشرعية الدوليّة ومحاربة الإرهاب شعارات ترفعها الولايات المتّحدة الأمريكية لتسويغ تحركاتها في العالم كلّه ومن ضمنه المنطقة العربية، ولاسيّما شبه الجزيرة العربيّة والخليج العربيّ.

تركت الدّول ذات التاريخ الاستعماريّ في منطقة شبه الجزيرة العربيّة والخليج العربيّ، أثاراً سلبيةً على علاقات السكان في هذه المناطق، فالحروب والمشكلات والنّزاعات المتعدّدة الأسباب، أصبحت عادةً هناك، فما أن تخرج المنطقة من حربٍ حتّى تدخل في أخرى، وما إن تُحلّ مشكلةٌ حتّى تُبتدع أخرى. كلّ ذلك لتحقيق أهداف الدّول المتنافسة على نهب المنطقة العربيّة، في مختلف المراحل. ففي القرنين الخامس عشر والسادس عشر، كان هدف التّحرّكات البرتغاليّة والهولنديّة، إنهاء سيطرة العرب على طرق التّجارة العالميّة، والاستفادة من الموقع الإستراتيجي الهام للمنطقة موضوع البحث، في حين كان هدف التّحرّكات البريطانيّة فيها منذ القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، حماية مستعمراتها في الهند، ثم الاستفادة من ثرواتها المؤثّرة على التّطوّرات الاقتصاديّة المتسارعة بعد اكتشاف النّفط. لذلك، شهدت منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج العربيّ، منافسةً استعماريّة قاسيةً، لم توقّف فيها أيّ وسيلةٍ أكانت شرعيّة أم غير شرعيّة، لا بل يمكن القول، إنّها وصلت في بعض الأحيان إلى ما يتنافى مع أبسط القيم الإنسانيّة، التي تلاشت أمام تهافت المستعمرين على نهب المنطقة.

وقد تمكّنت بريطانيا، بالدبلوماسية تارةً، وبالقوة العسكريّة والتّهديد تارةً أخرى، من تحقيق أهدافها التي وضعتها في خطّة بعيدة المدى، جعلت في نهايتها ملكة بريطانيا، سيّدة لا على بريطانيا وحدها، بل على مستعمرات شملت مساحات واسعة من العالم، ومن ضمنها منطقة شبه الجزيرة العربيّة والخليج العربيّ، وجعلت

من ساستها المحنكين لاعبين رئيسيين لكل تحرّك شهدته المنطقة. لذلك، يمكننا القول إنّ مشكلة الحدود صناعة بريطانية، بُنيت أسسها على استغلال التّعقيدات الديموغرافية والاجتماعية، وبعض الخلافات السياسية بين الأسر الحاكمة في المنطقة، والعلاقة البيئية المتناقضة بين مشيخات الخليج العربي، وعدم وجود ملامح واضحة لحدود بين الدول الناشئة في المنطقة، من حيث إنّها لم تعرف مسألة الحدود من قبل، ولم يتعايش أبنائها معها خلال تاريخ إقامتهم فيها، فالتنقل بحرية، والسعي وراء الرزق والعيش الكريم، وعدم التعرّض للحوادث بين هذا المكان أو ذاك، كانت سمة الحياة في منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج العربي. ومن هنا انطلقت بريطانيا لتثبت نفوذها في المنطقة بتخويف كلّ فريق من مطامع الفريق الآخر، ومن رغبة هذه السلطة الحاكمة أو تلك بتوسيع مناطق نفوذها، لزيادة قوتها نظراً للعلاقة الجدلية بين قوة الدولة ومساحتها. فنجحت مخططاتها، وغرقت المنطقة في مشاكل الحدود.

أمّا الدولة العثمانية، فقد أثبتت سطور هذا البحث عجزها عن الدفاع عن المنطقة العربية من التّدخلات الخارجية، فرغم كلّ المحاولات المحدودة الفاعلية لإعادة سيطرتها على الخليج العربي، من خلال الحملة التي قام بها مدحت باشا، ١٨٧١، لم تستطع أن تحمي رعاياها هناك من التّحرّكات البريطانية، لا بل على العكس، بدأت تحاول أن تبيع منطقة لتشتري أخرى، وتتنازل عن نفوذها في مكان ما، لتحصل على اعتراف بريطانية به في مكان آخر.

عملت بريطانيا في النّصف الثّاني من القرن التاسع عشر على وقف التّحرّكات العثمانية في مياه الخليج العربي، وتصدّت لها بحزم وقوة، فحرّكت كلّ أسلحتها الدبلوماسية، وأساطيلها البحرية من مياه منطقة إلى أخرى، لتضع الدولة العثمانية أمام واقعها الضّعيف، فما أن تحرّكت بريطانيا في وجه حملة مدحت باشا حتّى بدأت التّنازلات الواحدة تلو الأخرى. فكم مرّة راسلت بريطانيا الباب العالي تسأله عن هدف الحملة ومناطق انتشارها، وكم مرّة جاء الجواب العثماني أنّها لحلّ الفتنة بين الأميرين سعود وعبد الله، وأن هدفها يقتصر على الإحساء ولن يصل إلى مناطق النفوذ البريطاني، الذي حدّته حكومة الهند البريطانية آنذاك ما وراء العقير. عزّزت بريطانيا نفوذها في المنطقة بعد حملة مدحت باشا، وسيطرت على كلّ التّطوّرات السياسية التي تلت الحملة، وشرّعت وجودها نهائياً في الخليج العربي بسلسلة من الاتّفاقيات، التي رسمت خطوطاً حدودية عدّة، صادقت عليها الدولة العثمانية، وثبتت بموجبها الوجود البريطاني في منطقة الخليج العربي، ومن أهمّها الاتّفاقية البريطانية-العثمانية عام ١٩١٣، حيث فصلت هذه الاتّفاقية وما تضمّنته من خطوط حدودية (الخط الأزرق والبنفسجي) بين مناطق النفوذ العثماني ومناطق النفوذ البريطاني، وتنازلت بموجبها عن قطر والبحرين والكويت، مقابل الحفاظ على مناطق نفوذها في شبه الجزيرة العربية والعراق، لكنّها سرعان ما خسرتها بعد استعادة ابن سعود للأولى وبريطانيا للثانية في بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤، لتكون هذه الاتّفاقية الخطوة الأولى نحو ظهور مشكلة الحدود في الوطن العربي، وذلك لما حملته فيما بعد من اختلاف حولها بين بريطانيا والسعودية، بوصفها الوريث الشرعي للدولة العثمانية في منطقة الجزيرة العربية كما ارتأت بريطانيا، وبالتالي كان هذا يعني أنّ على السعودية أن توافق عليها كما هي دون نقاش، بوصف الوراثة أساس قانوني اعتمدته بريطانيا في النقاشات الحدودية كلّها، خلال كلّ المؤتمرات التي انعقدت لهذا الغرض. ومن هنا نرى أنّ الدولة العثمانية كانت طرفاً مؤثراً في ظهور مسألة

الحدود، فالحنكة البريطانية التي أرادت الفصل بين مناطق نفوذها ومناطق نفوذ الدولة العثمانية، لم تضع رسوماً تفصيلية واضحة، ولم تثبت الحدود بعلامات مادية تحول دون ظهور مشكلات بين أبناء المنطقة، خشية أن يحرمها ذلك من ورقة رابحة تستطيع استخدامها في الأوقات الحرجة. إن التنافس العثماني-البريطاني، على منطقة دون أخرى في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، أسهم في ظهور مشكلة الحدود في تلك المنطقة، التي كانت تشكل قلبها وحدة جغرافية بشرية، لم تعرف خلال تاريخها الطويل التفرقة أو الانفصال. لذلك، يمكننا القول إن الاتفاقية البريطانية-العثمانية عام ١٩١٣، وضعت أسس الحدود في منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي، ومرجعاً اعتمد عليه المفاوضون فيما بعد، لحل خلافاتهم الحدودية. وبالعودة إلى الشق الداخلي من منازعات الحدود، يتبين من البحث، أن الأطراف الداخلية المتنازعة تتحمل مسؤولية أكبر بكثير من الدولة العثمانية وبريطانيا، فقد أسهمت رغبتها في التوسع على حساب أشقائها، وعدم محاولتها حل المشكلات فيما بينها، دون اللجوء إلى بريطانيا أو دولة خارجية أخرى، في ظهور مشكلة الحدود.

فالسعودية التي استطاعت خلال فترة قصيرة، أن تجعل من نفسها الدولة الأقوى في منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج العربي. تتحمل مسؤولية كبيرة عن حالة عدم الاستقرار على الحدود في منطقة البحث، لأن الأمير عبد العزيز بن سعود عمل بعد استعادته الرياض ١٩٠٢، والسيطرة على أرض نجد كلها، إلى توسيع حدود بلاده بتحركات دائرية على كل الجهات، تمكن فيها خلال عقدين من الزمن إزالة قوى وأسر حاكمة في شبه الجزيرة العربية، وضم دولهم إلى ممتلكاته (عسير، حائل)، مستفيداً من التطورات السياسية، التي شهدتها المنطقة، في ظل تراجع النفوذ العثماني، وتغيير بريطانيا مواقفها وفقاً للمصلحة. وقد شجع التوسع السعودي السريع في شبه الجزيرة العربية ابن سعود على ضم المزيد من الأراضي المجاورة، الأمر الذي أسهم في ظهور خلافات ونزاعات حدودية بين السعودية من جهة وبين اليمن وقطر والأردن من جهة أخرى، ولولا تصدي بريطانيا للتوسع السعودي، بعد أن رأت فيه خطراً على مصالحها ومناطق نفوذها، إثر ظهور شركات النفط الأمريكية، وحصولها على الامتيازات النفطية في أراضي المملكة، لكانت السعودية ضمت المزيد من الأراضي، وذلك لقناعتها أن هذه المناطق من حقها، لأنها تمثل أرض "الآباء والأجداد".

سعت السعودية بعد خروج بريطانيا من المنطقة، إلى توقيع اتفاقيات تعتمد أسسها على القانون الدولي، لكيلا تفتح الباب أمام مطالب مستقبلية جديدة، من قبل الدول التي وقعت هذه الاتفاقيات معها. لذلك، قامت بعد المصادقة عليها من الجانبين بإيداعها لدى المؤسسات المختصة بمشكلات الحدود في الأمم المتحدة، كما فعلت مثلاً، بعد توقيع الاتفاقية القطرية-السعودية لحل مشكلة الحدود. وهنا لا بد من التنويه إلى أن السعودية سعت بعد ضمان حدودها، إلى تجاوز خلافات الماضي، وتعزيز علاقاتها مع كل الدول العربية التي كانت على خلاف معها، فتمكنت من خلال سياستها التي اعتمدت مبدأ الانفتاح على الآخر، في إنهاء المشكلات الحدودية مع قطر والأردن بشكل كامل، ومع اليمن بشكل أقل، بسبب عدم الاستقرار الأمني الذي تعيشه الحدود اليمنية.

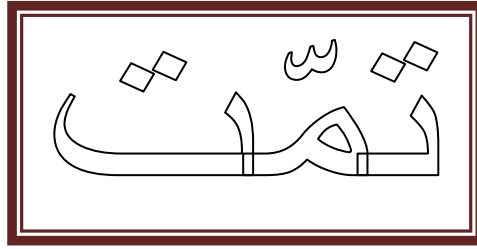
أما فيما يتعلق باليمن، فيمكن القول إن هذا البلد، قد دفع ثمن السياسات الخاطئة التي اتبعتها الأئمة الزيديين، خلال الفترة الأخيرة من حكمهم له. فقد فرض الإمام يحيى حالة من العزلة على بلاده وشعبه، حرمة من التزود بتطورات العالم الحديث، هذا ما عدا سياسته الخاطئة في التعامل مع بعض القبائل. ولا ننسى دور

بريطانيا في تفعيل الخلاف بين أبناء اليمن (يمن شمالي، يمن جنوبي)، الأمر الذي فتح الباب أمامها وأمام السعودية، لكسب بعض القبائل لمصلحتها، حيث أعلنت ولاءها للسعودية تارةً (الأدراسة)، ولبريطانيا تارةً أخرى (القعيطي والكثيري). وعندما جاءت الفرص المناسبة لاستعادة ما خسرتة اليمن من أراضيها، لم يعرف الإمام كيف يقتنصها، فأتخذ قراراتٍ غير صائبة، استغلَّتْها السعودية بحنكة وسرعة، مكَّنتها من التفوق على اليمن، وضمَّ أجزاء تعدها السعودية من حقَّها، في حين تعدها اليمن جزءاً من أراضيها، ولكنها مضطَّرةً بحكم الأمر الواقع على التنازل عنها. بعد الثورة اليمنية ضدَّ حكم الإمام، حاولت حكومة اليمن الجديدة استعادة ما خسرتة اليمن في عهد الأئمة، لكنها وجدت أنَّ الوقت قد فات. فقد عزَّزت السعودية وجودها في المناطق المتنازع عليها، وتمكَّنت من كسب ولاء معظم أهلها، ولم يعد من الممكن تحقيق أيِّ تقدُّم على هذا الصعيد. ومن هنا، وجدت حكومة اليمن ضرورة فتح صفحةٍ جديدةٍ مع المملكة العربية السعودية، لتحقيق الأمن والاستقرار في بلادها، وتطوير الاقتصاد، وتدعيم الأمان الاجتماعيِّ لشعبها، وبالفعل تمكَّن البلدان الشقيقان خلال سنواتٍ قليلةٍ بعد اتِّفاقيةِ جدَّة ٢٠٠٠م، من طيِّ صفحة الماضي الأليم، وفتح صفحة جديدة قوامها التعاون والتَّسسيق على الحدود بينهما، وهو ما انعكس في معظم الأحيان ازدهاراً وأمناً للشَّعبين الشَّقيقين.

أمَّا قطر، فقد سعت منذ اللَّحظة الأولى لظهورها كدولةٍ معترَفٍ عليها، بعد توقيع اتِّفاقية الحماية ١٩١٦، إلى تثبيت حدودها مع الدَّول المجاورة، والحفاظ على مناطق كانت تراها ضروريةً لقوتها كدولة، في وقت كانت تنظر فيه السعودية إلى ضمِّ بعض المناطق القطرية إلى أراضيها، ولاسيَّما بعد اكتشاف أهميتها الاقتصادية والإستراتيجية، الأمر الذي أدَّى إلى ظهور نزاع حدوديِّ بين البلدين، ساهمت الأوضاع السياسية الخليجية والإقليمية والعالمية في زيادة حدِّته، وتحويله إلى خلافٍ عميقٍ بين البلدين الشقيقين، أسهم في تفرقة الجهود العربية المشتركة في مجلس التعاون الخليجيِّ. حاولت الكثير من الدَّول الاستفادة منه قدر الإمكان. إلَّا أنَّ الرِّغبة الصَّادقة بين قادة البلدين لحلَّ الخلاف، وتقويت الفرصة على كلِّ الأطراف الإقليمية والخارجية، من استغلاله، تمَّ الاتِّفاق بين البلدين على طيِّ صفحة هذه المشكلة، فتمَّ التوقيع على اتِّفاقية الحدود التي أنصفت البلدين، وأسهمت في تعزيز أواصر الصداقة والتعاون بينهما.

وفي النهاية، لابدَّ من التنويه إلى الضَّعف الذي أظهرته جامعة الدول العربية، في حلِّ المشكلات الحدودية بين دولها. فقد خلت كلَّ الصَّفحات التي عاد إليها البحث خلال السنوات الماضية، من ذكر أيِّ دور رئيس لجامعة الدول العربية في مناقشة الحدود بين الدَّول المتنازعة، واقتصر عملها على رعاية احتفال لحلِّ مشكلة في مكان ما، أو مراقبة الأمم المتَّحدة ودول الغرب والولايات المتَّحدة الأمريكية، وهي تقوم بإدارة الأزمات العربية، في حين فشلت هي كمؤسسة عربية، اتكل عليها الشَّعب العربي لحظة تأسيسها، لجمع صفوفه وقدراته في بوتقة العمل العربيِّ المشترك، في معالجة أيِّ من النزاعات الحدودية العربية -العربية، فشاهدناها ترمق بعين العاجز حروباً أحرقت المنطقة بأهلها، وسفكت فيها دماء الأشقاء، في وقت كان يجب فيه أن تكون درعاً واقياً، في وجه كلِّ الأخطار التي تهدد الأمة العربية، لكن كيف ذلك، وهي لا تمتلك الصلاحيات اللازمة، ولا القوة الكافية، ولا الدَّعم من الدَّول العربية، لتتمكَّن من أداء دور حقيقيِّ في معالجة المشكلات العربية.

ومن خلال هذا كلّهُ، يظهر لنا ضرورة إيجاد الطّرق والوسائل الجديدة، لوقف النزيف في الوطن العربيّ، وتغيير العقليّة العربيّة في إدارة الأزمات، والعمل على إيجاد صيغةٍ جديدةٍ للعلاقات العربيّة -العربيّة، مع التأكيد على ضرورة بناء مؤسّسة عربيّة، تمتلك صلاحياتٍ كافيةً، تمكّنها من التّدخل في الوقت المناسب، لحلّ أيّ مشكلة بين الدّول العربيّة، وتمنعها من التطوّر، بطريقة تسمح للطامعين بخيرات هذه الأرض من استغلال هذه النزاعات، للتّدخل في شؤون المنطقة، وتعميق مشكلاتها، وإثارتها مرّةً أخرى إذا اقتضت مصلحتها ذلك.

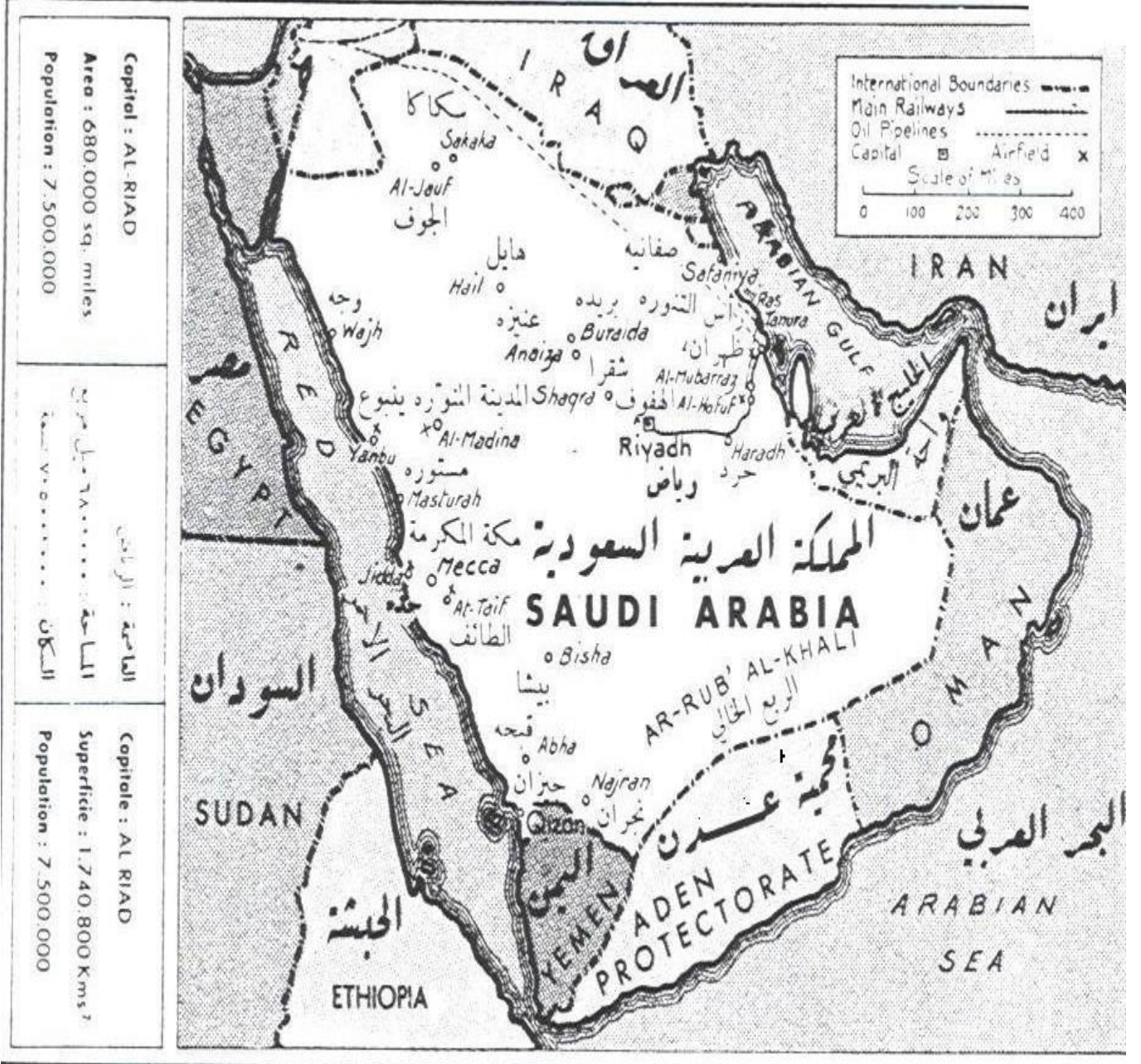


ملاحق البحث

أولاً: الخرائط

الملحق رقم (١)

خريطة المملكة العربية السعودية التفصيلية



الملحق رقم (٢)

خريطة الخليج العربي للرحالة الألماني كارستن نيبور نشرت طبعتها الأولى في الدنمارك ١٧٧٤م^(١)



^(١) -المصدر نقلاً عن موسوعة مقاتل www.almoqatel.com

الملحق رقم (٣)

خريطة توزيع القبائل في المملكة العربية السعودية (١)



(١) -المصدر الموقع الالكتروني: <http://www.libyanmobile.com/vb/showthread.php?t=944> ؛ أيضاً الموقع الالكتروني: <http://www.m-ro7e.com/vb/t31738.html>

الملحق رقم (٤)

سلطات ومشیخات جنوب شبه الجزيرة العربية^(١)



^(١) -راجع موسوعة مقاتل: <http://www.mugatel.com/openshare/Behoth/Atrikia51/TarekhOsar/map01>

الملحق رقم (٥)

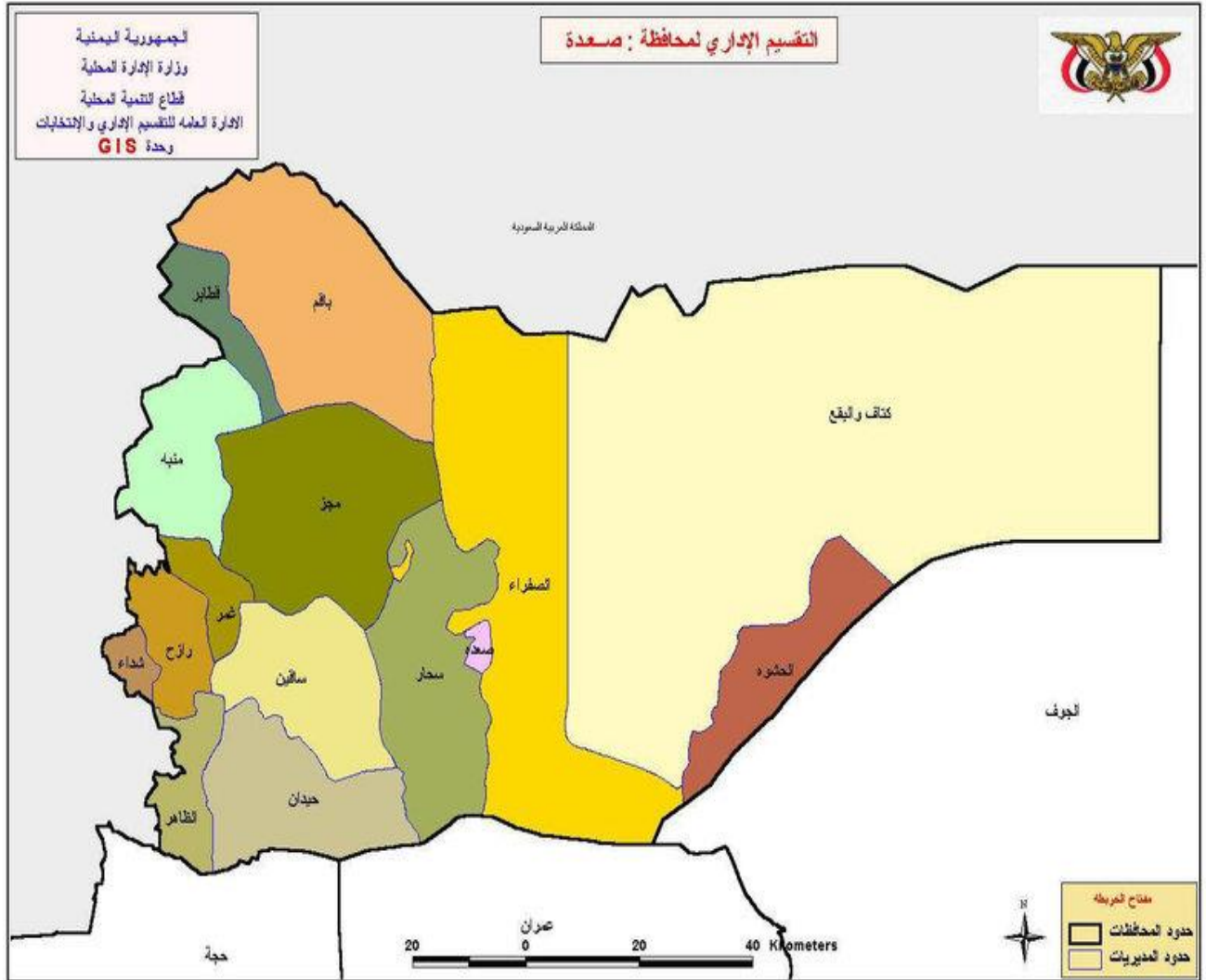
خريطة توضح المناطق السعودية الواردة في البحث ^(١)



^(١) -نقلًا عن شبكة العز الثقافية: <http://www.al3ez.net/vb/archive/index.php/t-23219.html>

الملحق رقم (٦)

خريطة توضح التقسيمات الإدارية في محافظة صعدة^(١)

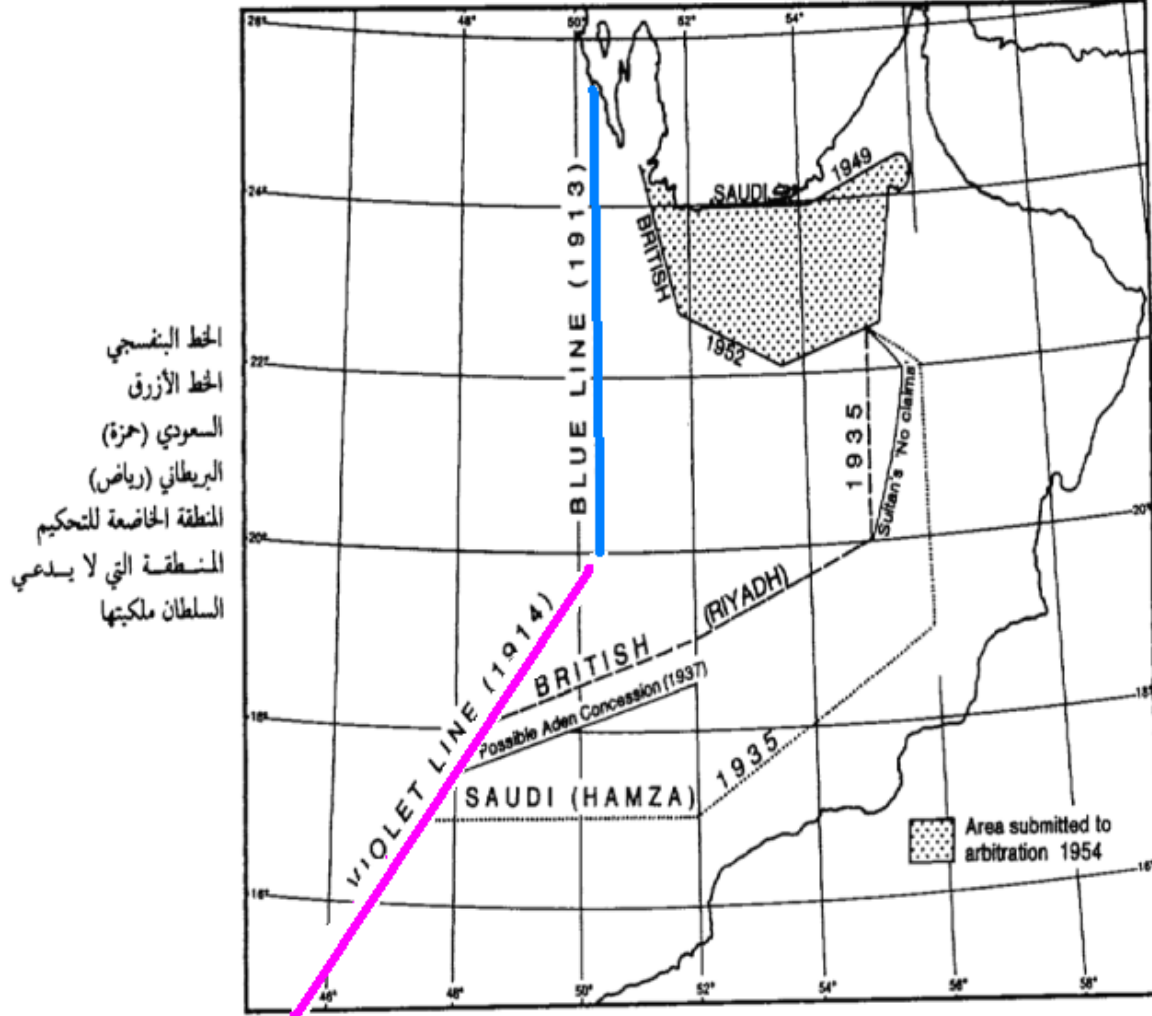


^(١) - المجلس الوطني نقلاً عن: الجمهورية اليمنية ، وزارة الإدارة المحلية ، قطاع التنمية الإدارية ، الإدارة العامة للتقسيم الإداري والانتخابات

في ٢٠٠٤/٦/١٢م

الملحق رقم (٧)

مصور لتوضيح تطور الحدود السعودية مع جاراتها (١)

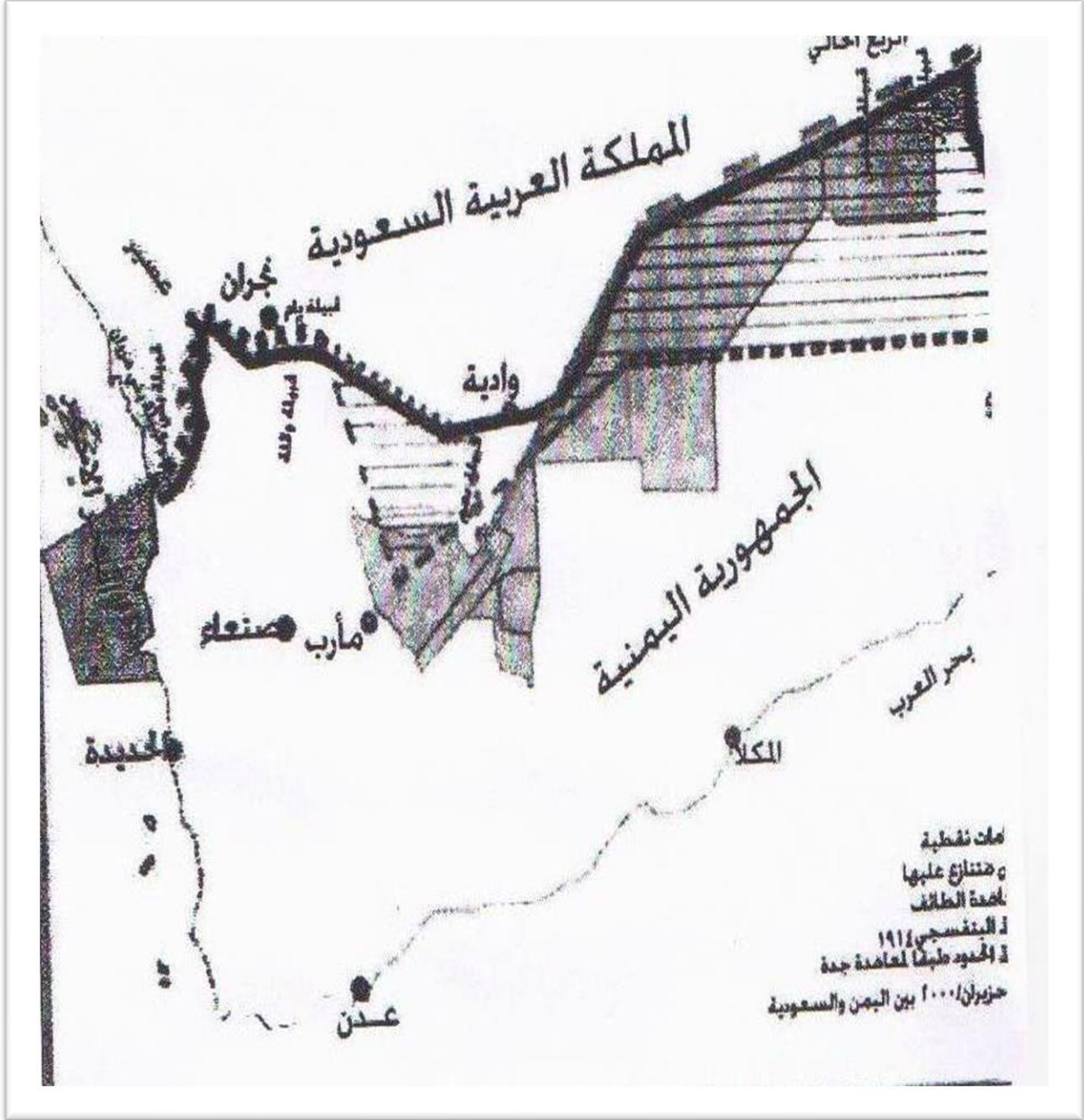


١ - الادعاءات الحدودية الرئيسية والمنطقة الخاضعة للتحكيم.

(١)-المصدر، ولكنسون، حدود الجزيرة، ملحق الخرائط

الملحق رقم (٨)

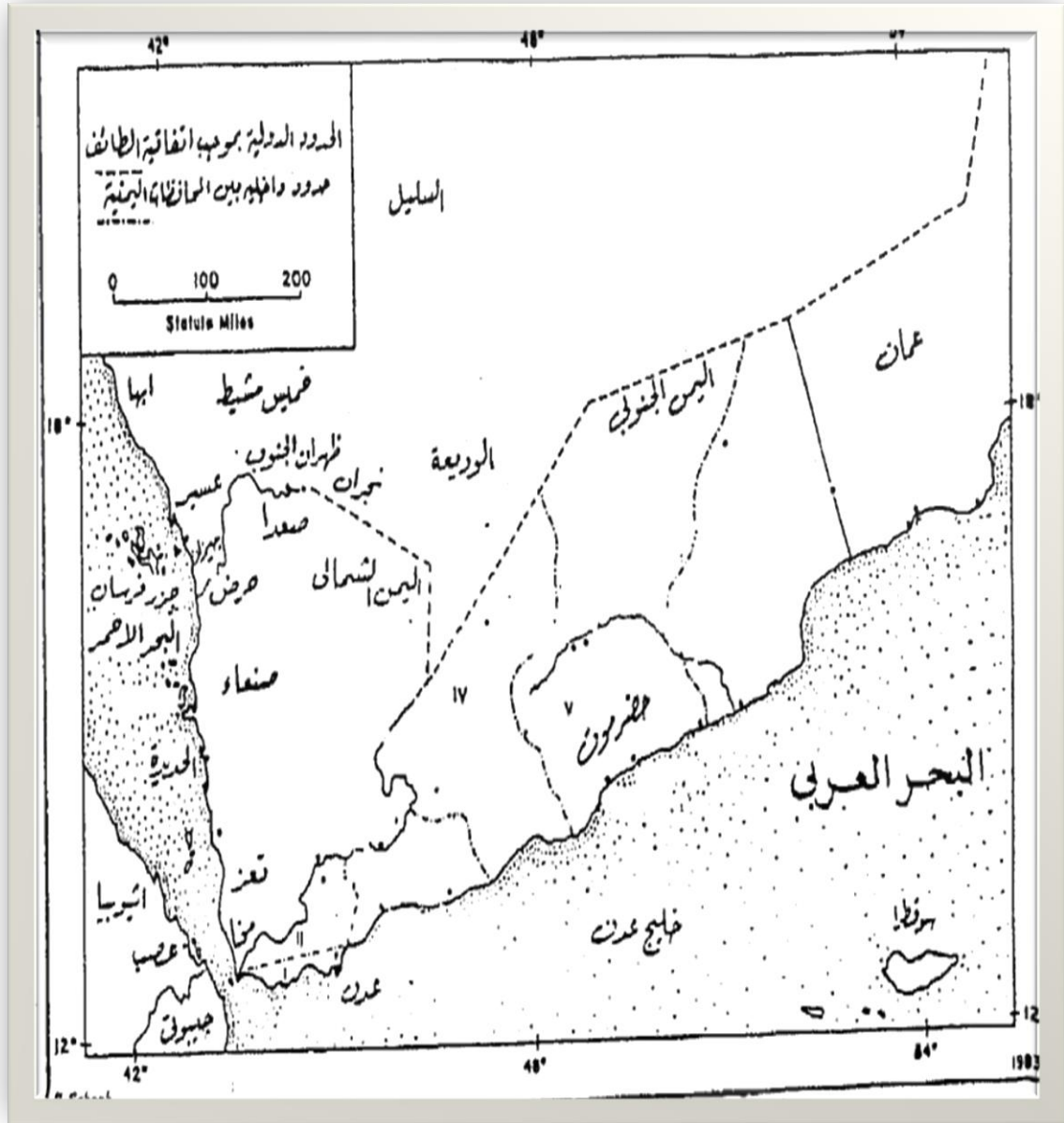
الحدود السعودية - اليمنية وفقاً لاتفاقية جدة عام ٢٠٠٠ م^١



^١ - المصدر موسوعة مقاتل الموقع الالكتروني: <http://www.moqatel.com>

الملحق رقم (٩)

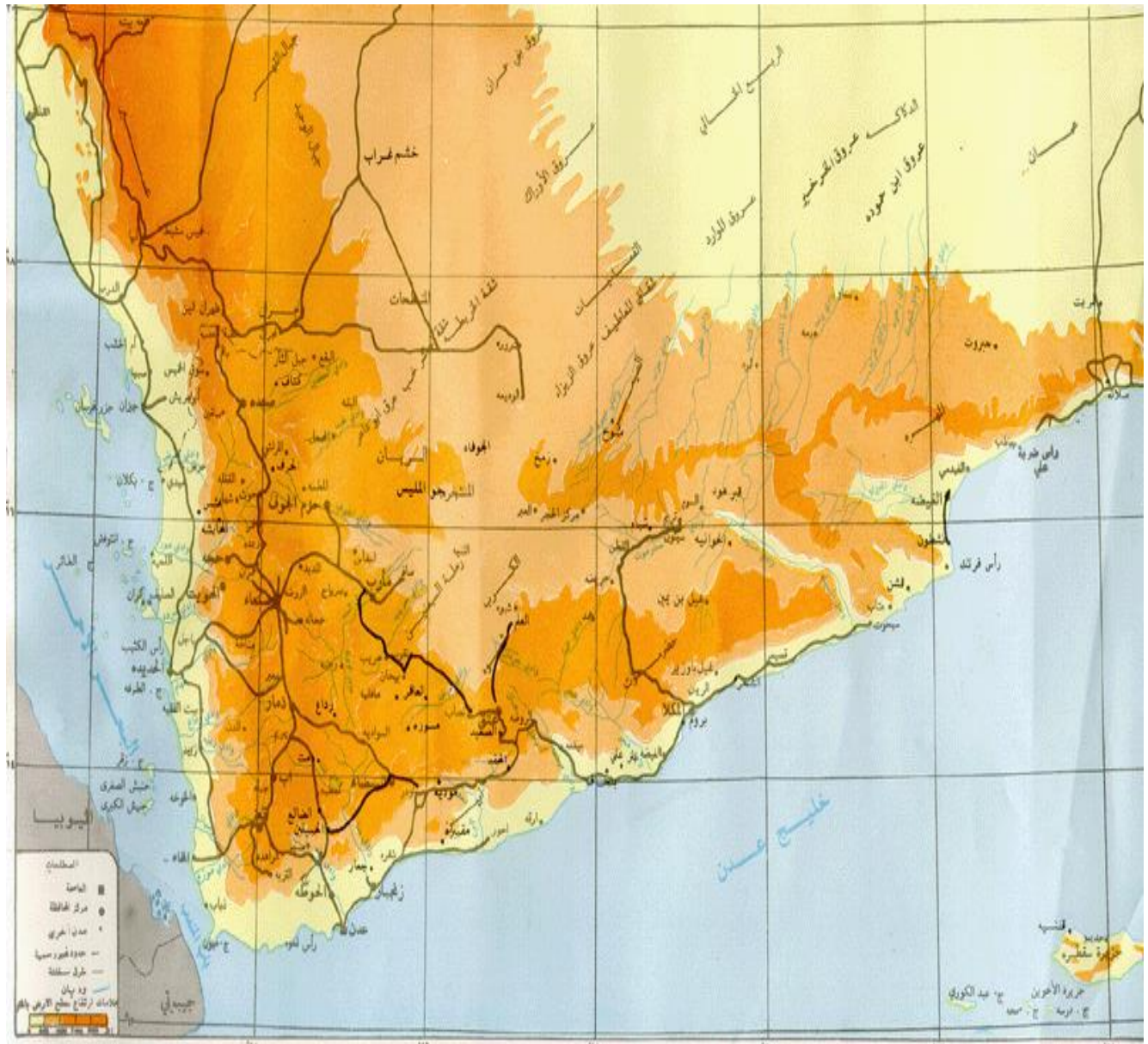
الحدود الدولية بموجب اتفاقية الطائف ١٩٣٤م^(١)



(١) -ساعاتي ، الحدود الدولية ، مرجع سابق ، ملحق الخرائط

الملحق رقم (١٠)

الحدود النهائية بين اليمن والسعودية^(١)



^(١) -المصدر: موسوعة مقاتل الموقع الالكتروني: <http://www.moqatel.com>

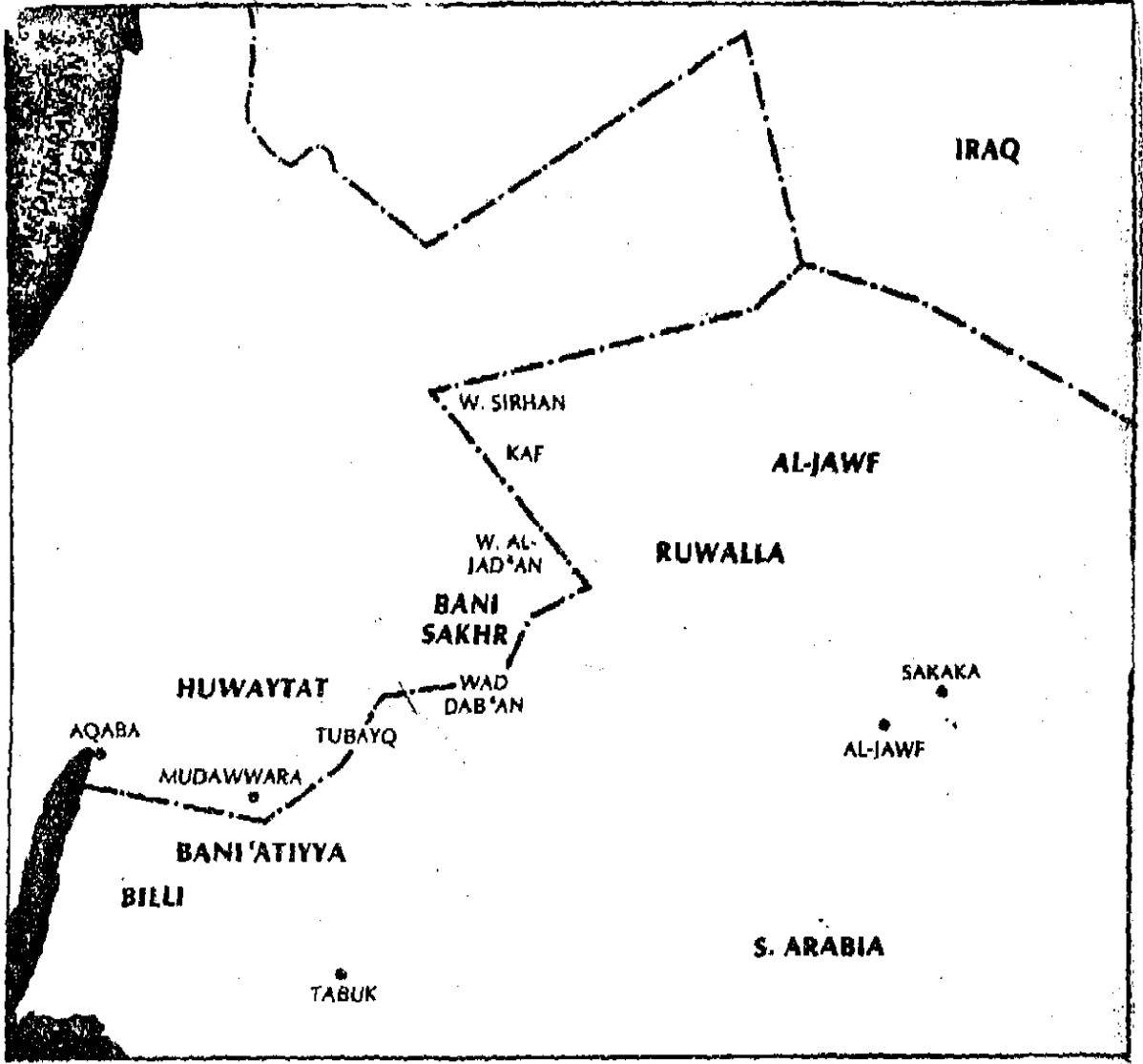
معركة تربة بين السعوديين والهاشميين^(١)



(١) - المصدر موسوعة مقاتل الموقع الإلكتروني: <http://www.moqatel.com>

الملحق رقم (١٢)

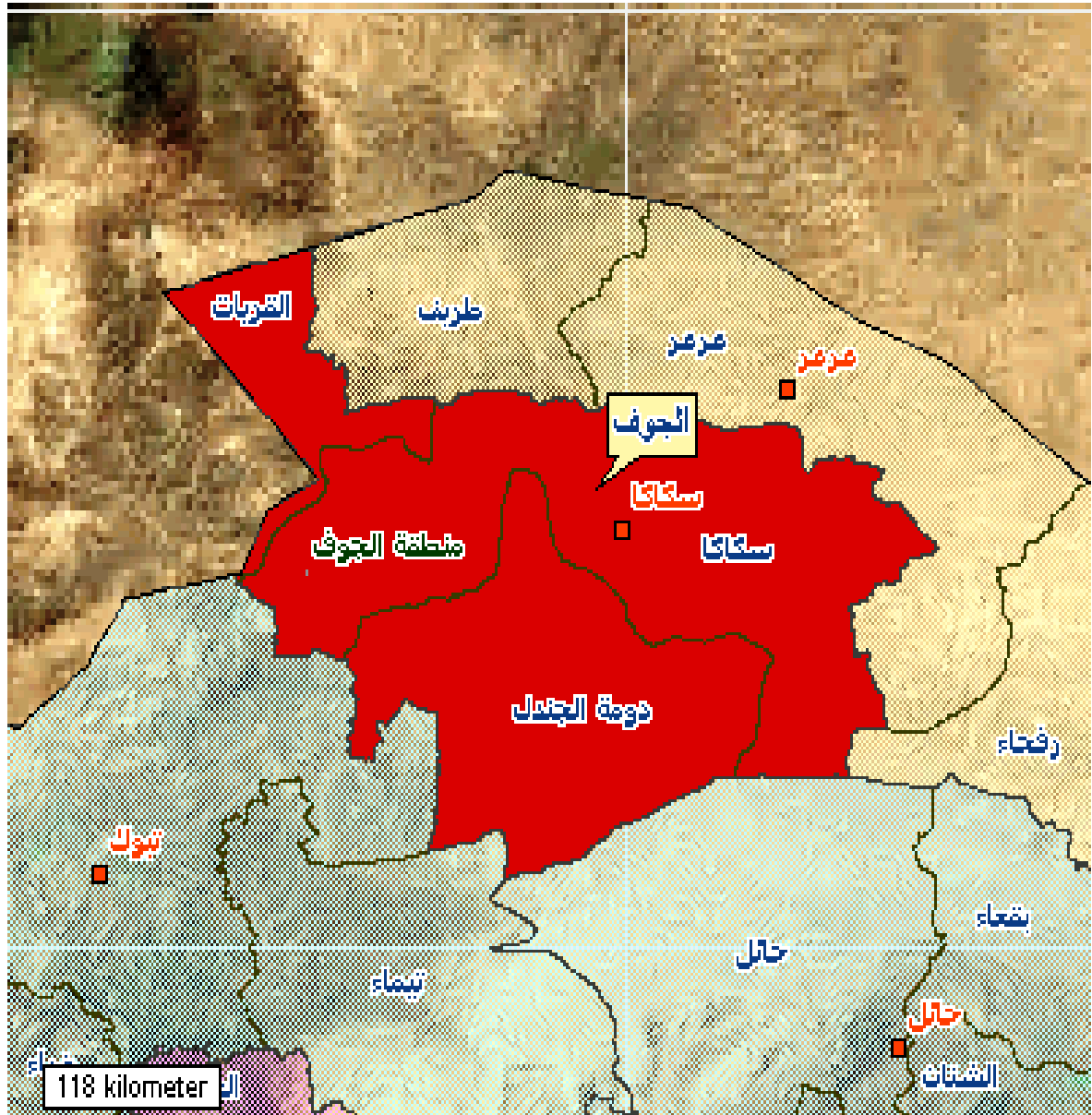
الحدود الحالية بين المملكة الأردنية والمملكة السعودية (١)



(١) -المصدر : كوستنر ، العربية السعودية ، ملاحق الكتاب

الملحق (١٣)

الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية^(١)



^(١) - نقلاً عن شبكة العز الثقافية: <http://www.al3ez.net/vb/archive/index.php/t-23219.html>

الملحق رقم (١٤)

توزع القبائل في الخليج العربي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ^(١)



^(١) -المصدر: الموقع الالكتروني موسوعة مقاتل: <http://www.moqatel.com>

الملحق رقم (١٥)

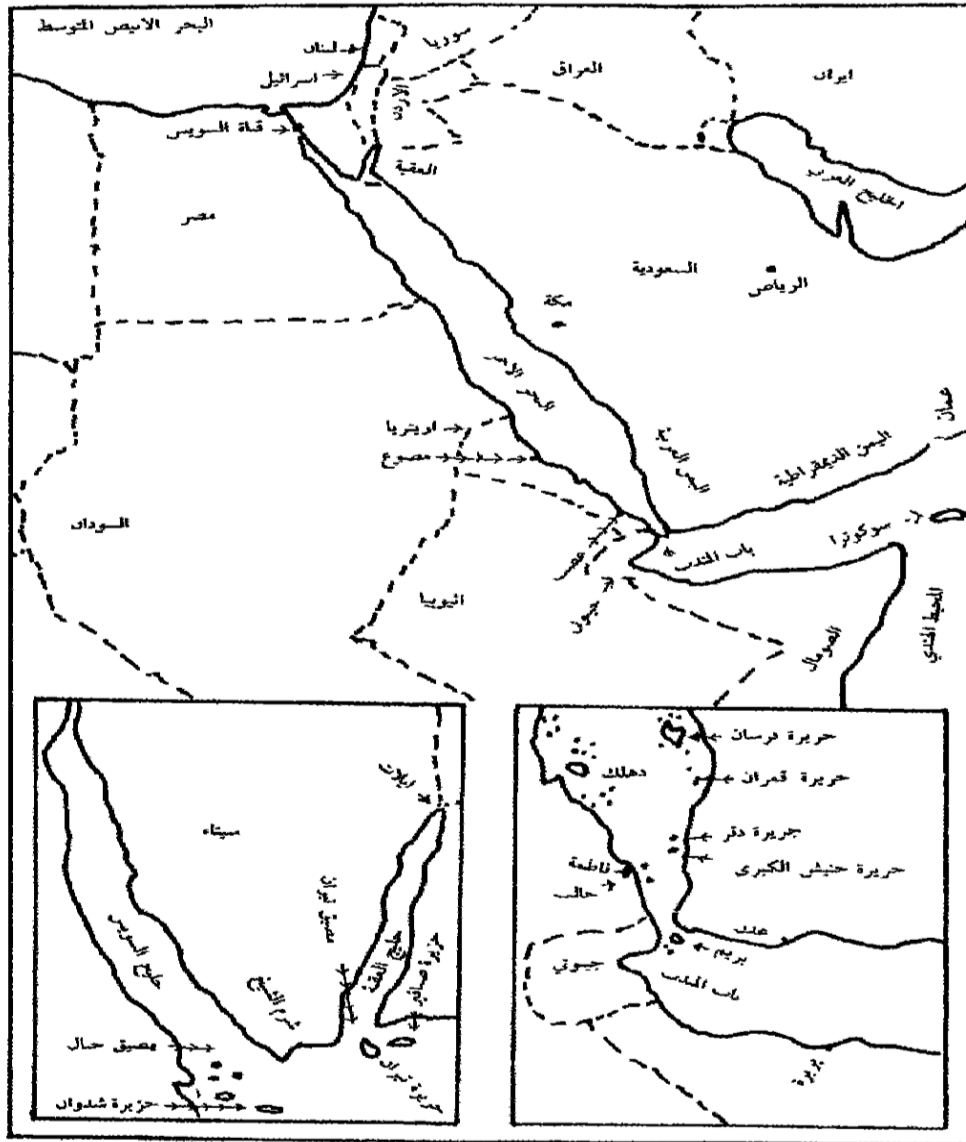
مصور للجزيرة العربية للرحالة الأوروبي ألويس موسل وضعه في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين^(١)



(١) -المصدر: موسيل، آل سعود، مصدر سابق، ص ١٥٦

الملحق رقم (١٦)

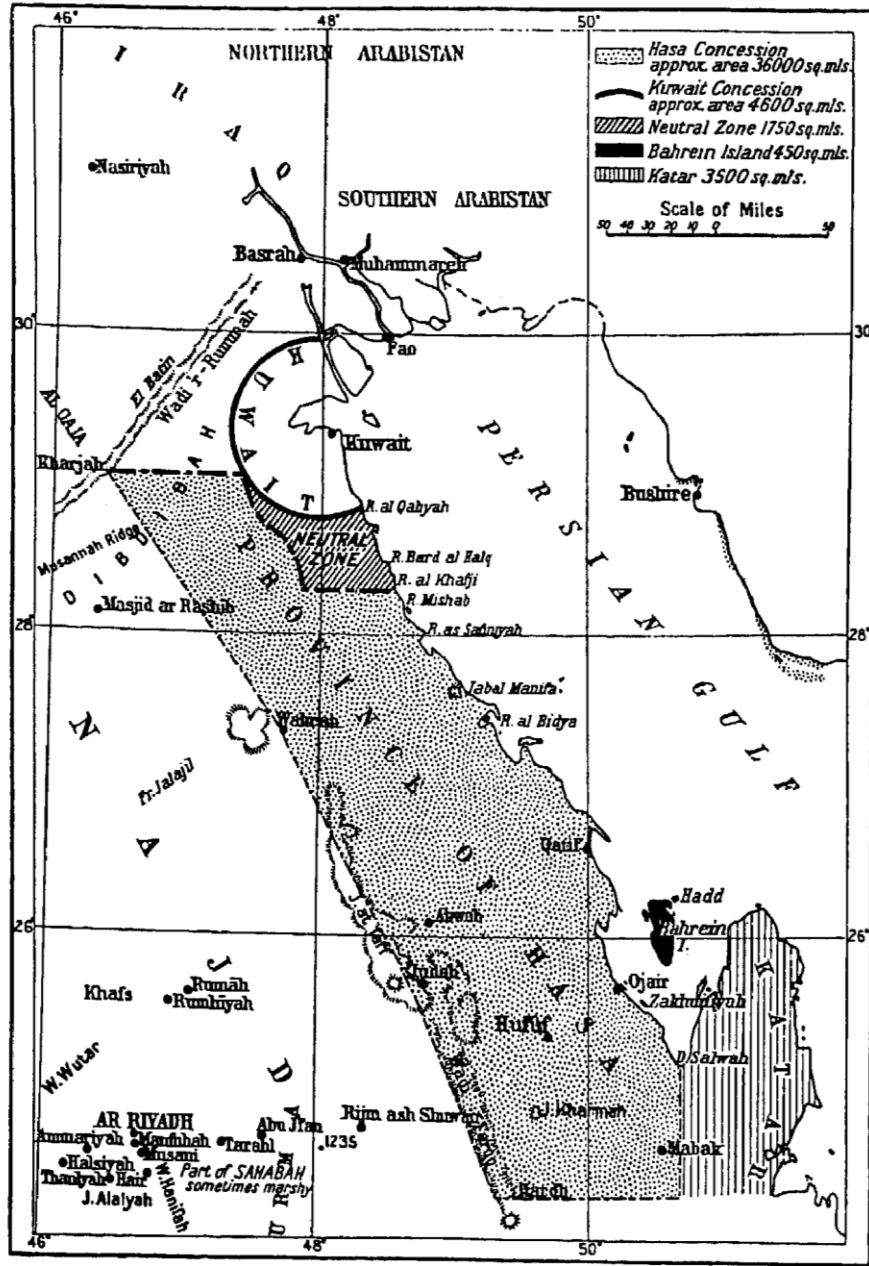
البحر الأحمر ومداخله الرئيسية^(١)



(١) - السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، مرجع سابق، ص ٢٩

الملحق (١٧)

مصور للخليج العربي يوضح الشكل الذي اقترحه هولمز رئيس إحدى شركات النفط البريطانية للحدود بين دول المنطقة^(١)

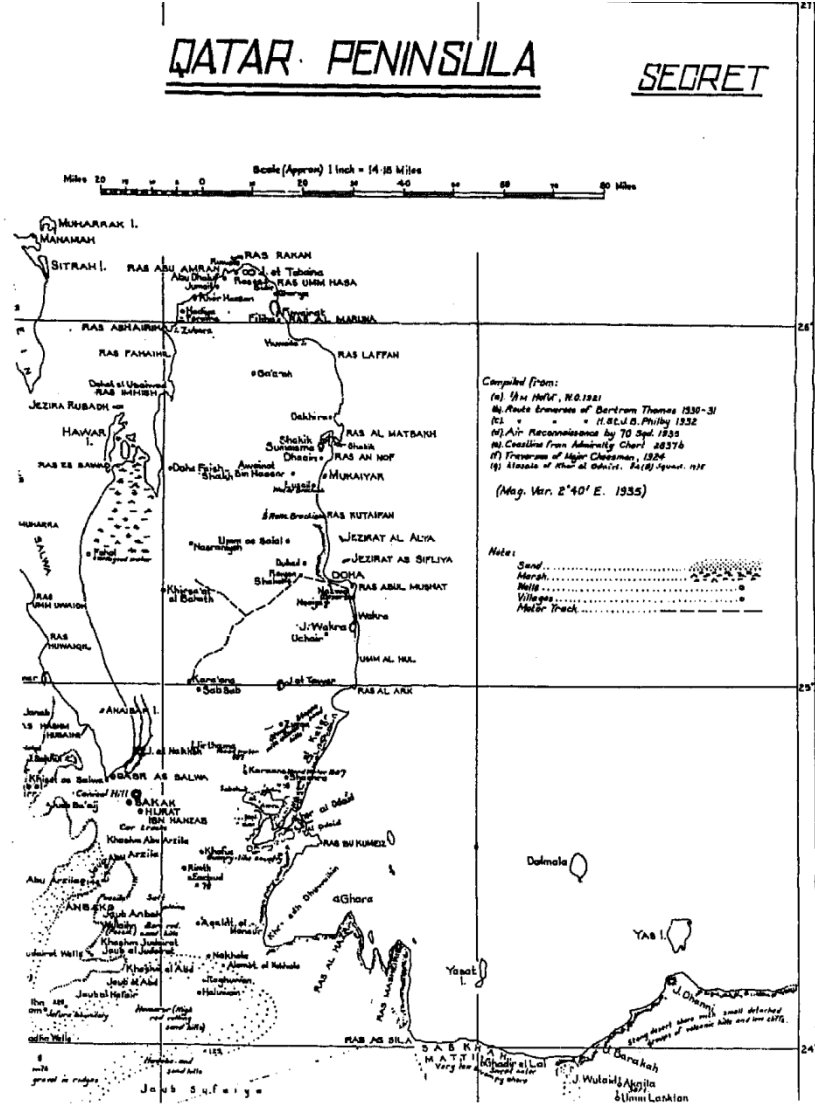


تنازل الأحساء المساحة
 التقريبية ٣٦٠٠٠ ميل مربع
 تنازل الكويت المساحة
 التقريبية ٤٠٠٠ ميل مربع
 منطقة عازلة ١٧٥٠ ميل
 مربع
 جزيرة البحرين ٤٥٠ ميل
 مربع
 قطر ٣٥٠٠ ميل مربع

(١) -ولكنسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق

الملحق رقم (١٨)

مصور يوضح وجهة نظر بريطانيا بشأن الحدود بين قطر والسعودية (١)

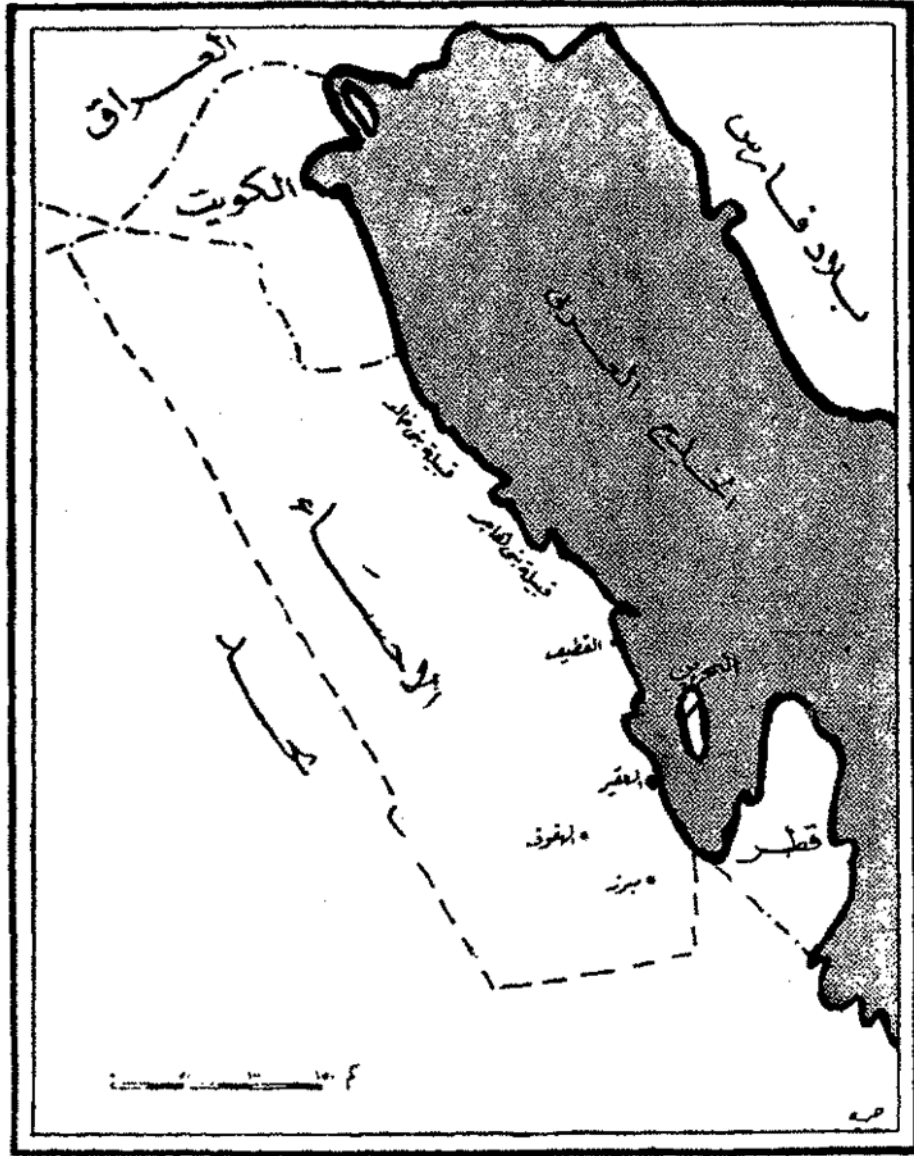


١٠ - قسم من خريطة رسمت للسيرج و. ريندل (رئيس الدائرة الشرقية ٨ - ١٩٣٠) عام ١٩٣٥ (أعيد نشرها بعد إذن مكتبة سان أنطوني - أوكسفورد).

(١) - المصدر: ولكنسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ملحق الخرائط

الملحق رقم (١٩)

منطقة الإحساء وقطر في ظل الدولة السعودية الأولى (١)



(١) - المصدر: درويش، تاريخ الدولة السعودية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣

الملحق رقم (٢٠)

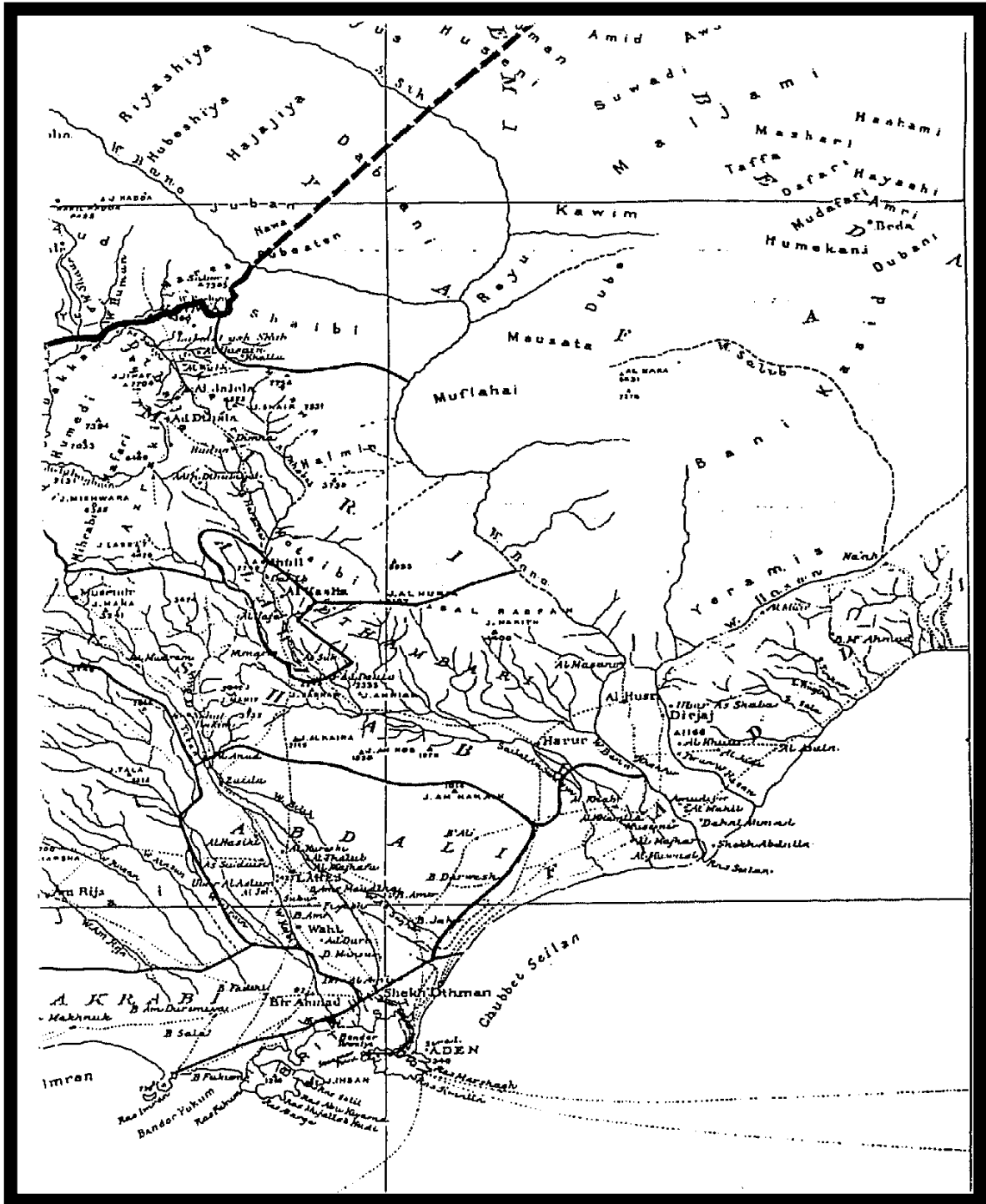
خريطة توضح تطور الحدود بين السعودية وقطر^(١)



(١) - شانوليو، وسياج ، جان وسيدي أحمد ، مسألة الحدود في الشرق الأوسط الجديد ، تعريب حسين حيدر ، دار عويدات للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص ٢١٨ ملاحظة تمض إدخال بع التعديلات من قبل الباحث على المصور لإظهار التطور على الحدود

الملحق رقم (٢١)

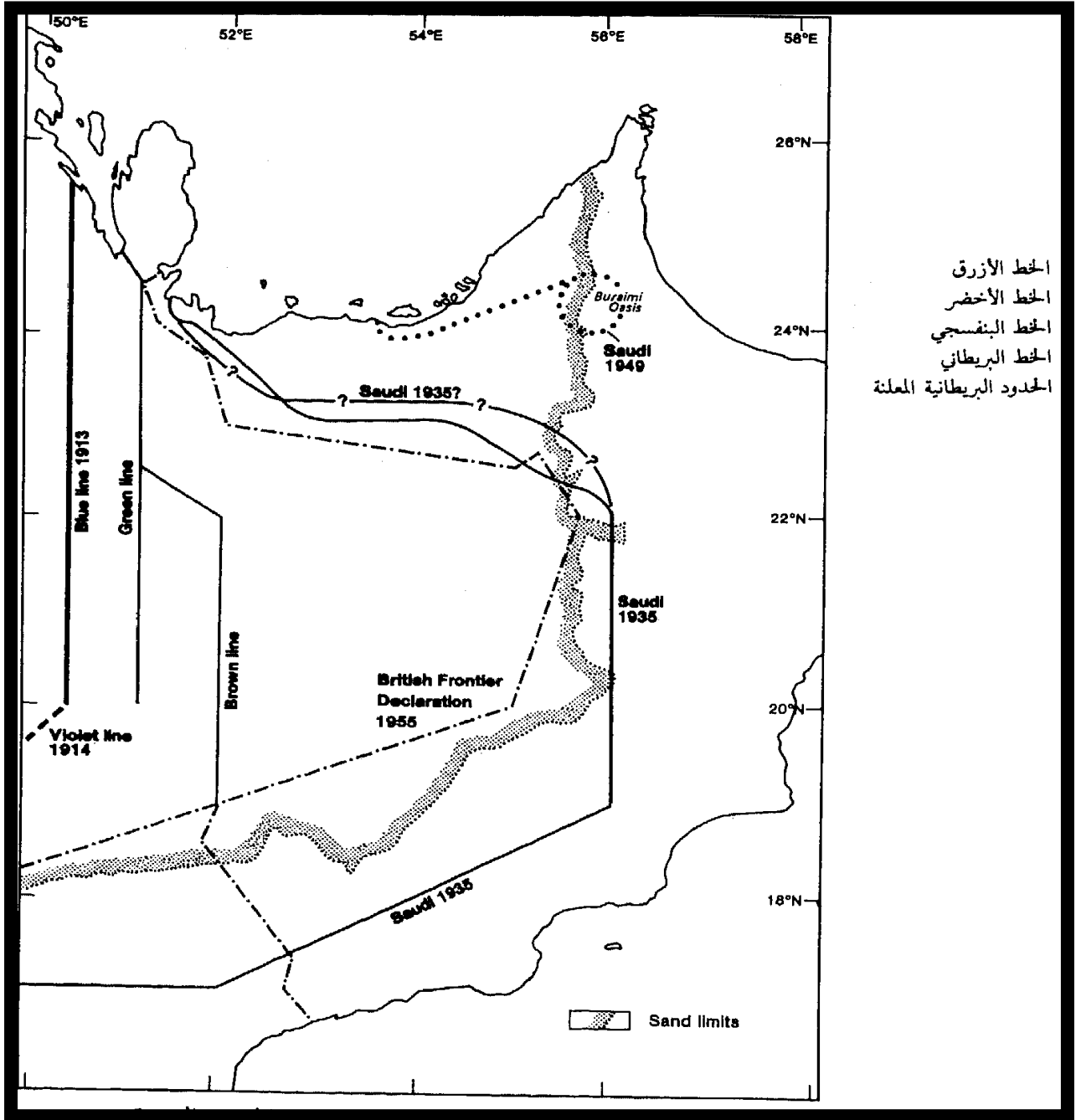
منطقة الحدود العننية اليمنية وفقاً للبروتوكول البريطاني-العثماني ١٩٠٥ م^(١)



(١)- المصدر: ولكسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ملحق الخرائط

الملحق رقم (٢٢)

شكل الحدود وفقاً للاقتراحات المقدمة لحل النزاع الحدودي القطري - السعودي^(١)



(١) -المصدر ولكنسون ، حدود الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ملحق الخرائط

مصور يوضح مناطق النزاع بين قطر وجاراتها (السعودية والبحرين)^(١)



(١) - الشلق، فصول من تاريخ قطر السياسي، مرجع سابق ، ص ٢٥٧

ثانياً

الرسوم والجداول التوضيحية

الملحق رقم (٢٤)

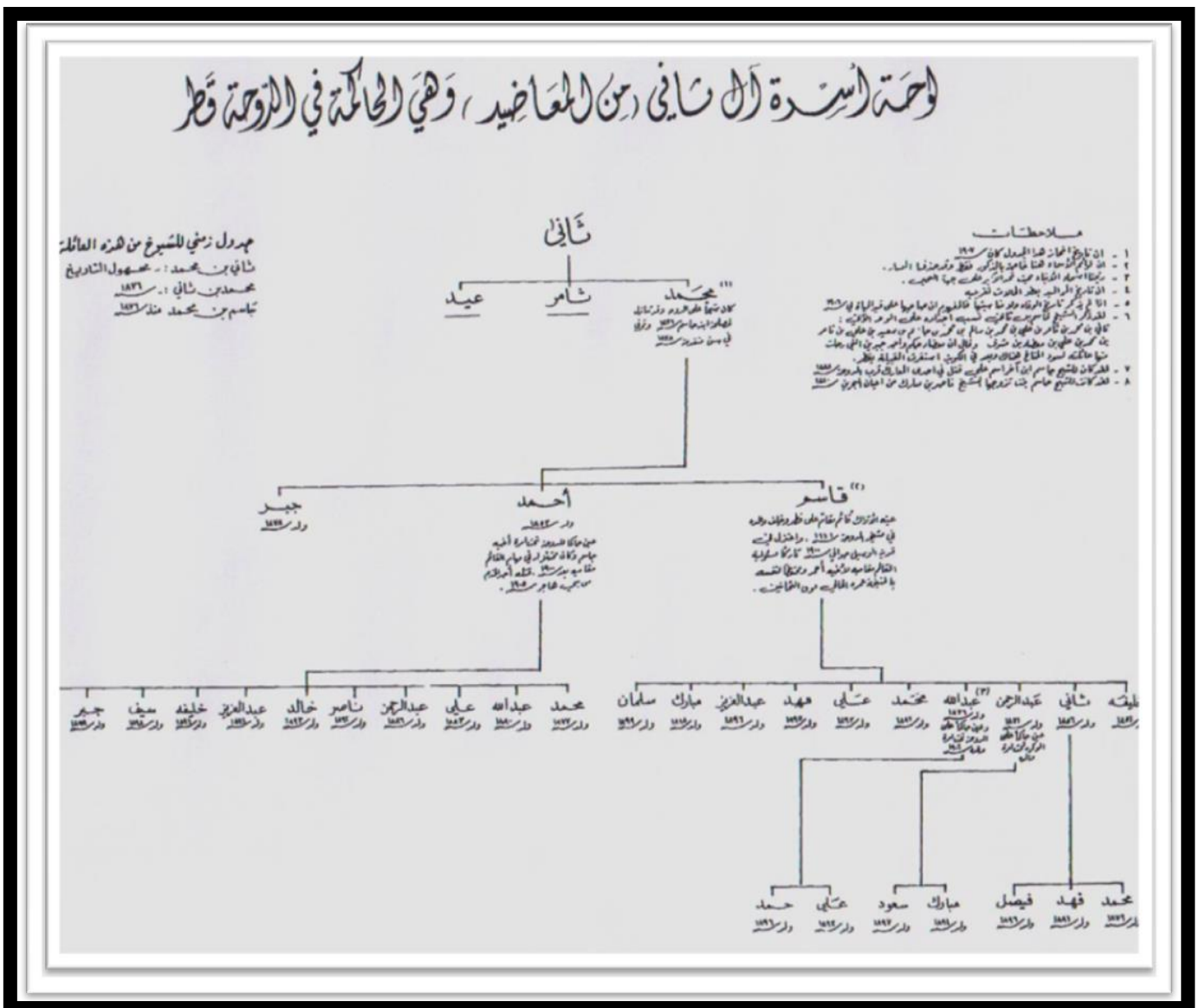
المقارنة بين المسافات عبر البحر الأحمر وطريق رأس الرجاء الصالح^(١)

الرحلة	المسافة (بالميل)		المسافة المتوفرة	الوفر (نسبة مئوية)	الايام اللازمة	
	الرأس	البحر			البحر	الرأس
من بريطانيا الى الهند (بومباي)	١٠,٥٠٠	٦,٢٠٠	٤,٣٠٠	٤١	٢١	٣٥
من بريطانيا الى ايران (عبدان)	١١,٣٠٠	٦,٥٠٠	٤,٨٠٠	٤٣	٣٧	٦٥
من بريطانيا الى سنغافورة	١١,٤٠٠	٨,١٠٠	٣,٣٠٠	٢٩	٢٧	٣٨
من بريطانيا الى هونغ كونغ	١٢,٨٠٠	٩,٥٠٠	٣,٣٠٠	٢٦	٢٢	٤٣
من بريطانيا الى استراليا (سيدني)	١٢,٣٠٠	١١,٢٠٠	١,١٠٠	٩	٣٨	٤١
من الهند الى البحر الاسود	١١,٨٠٠	٤,٢٠٠	٧,٦٠٠	٦٤	—	—
من اليابان الى هولندا	١٣,٠٠٠	١١,٥٠٠	١,٥٠٠	١٠	—	—

(١) - جرجس، إحيه يونان، البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربي والصراع العالمي،، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٦٤

الملحق رقم (٢٥)

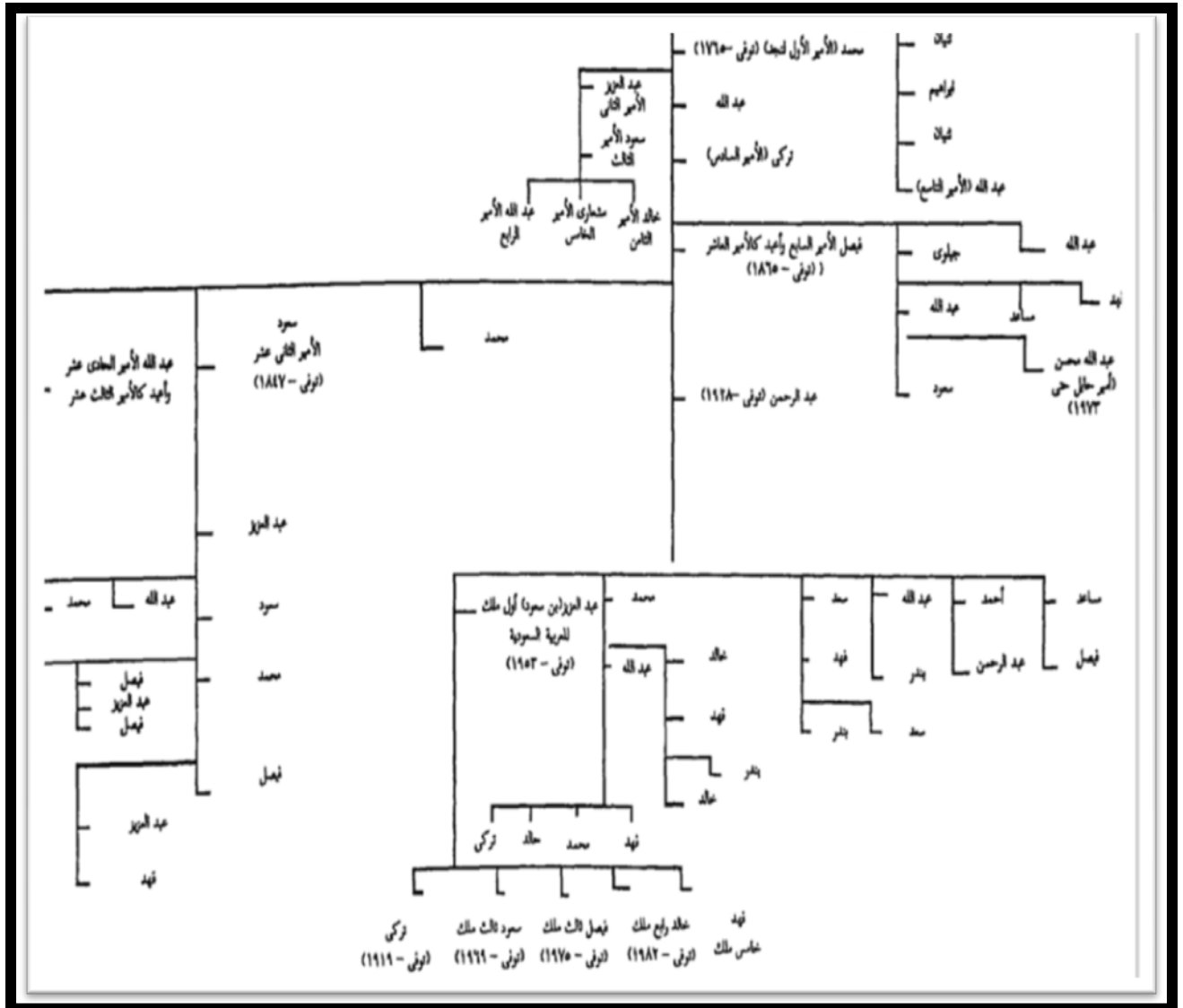
شجرة أسرة آل ثاني الحاكمة في قطر^(١)



(١)-المصدر: لوريمير، دليل الخليج العربي ، القسم التاريخي ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ملاحق الكتاب

الملحق رقم (٢٦)

آل سعود حتى حكم عبد العزيز ابن سعود بما في ذلك أبنائه الكبار فقط



الملحق رقم (٢٧)

قائمة بالملبوبات التي تم إرجاعها من قبل حكومة شرق الأردن إلى نجد والحجاز في الفترة من اتفاق الحدا حتى آب ١٩٣٠م^(١)

التاريخ	بيان الملبوبات المعادة
شباط ١٩٢٦م	. تم استرداد ٢١٠ بعير من عودة العطنة وإعادتها لسلطات نجد.
آذار ١٩٢٦م	. تم استرداد ٨ ابل من متعب بن جازي وإعادتها لسلطات نجد.
نيسان ١٩٢٦م	. تم استرداد ١٦٤ بعيراً من الطوايحة وأعيدت إلى حاكم الجوف.
أول أيار ١٩٢٦م	. تم استرداد ١٦٧ بعيراً من حامد بن جازي وأعيدت إلى أصحابها في نجد .
١٠ أيار ١٩٢٦م	. تم استرداد ١١٦ بعيراً من حامد بن جازي وأعيد إلى أصحابها في نجد .
١٥ حزيران ١٩٢٦م	. تم استرداد ٢٣٠ بعيراً من حامد بن جازي وأعيدت إلى أصحابها في نجد .
تموز ١٩٢٦م	. تم استرداد ٩ ابل من حامد بن جازي وأعيدت إلى أصحابها في نجد
تموز ١٩٢٦م	. تم استرداد ٢٨ بعيراً من زاعل بن مطلق وأعيدت إلى أصحابها في نجد .
١٤ نيسان ١٩٢٨م	. تم استرداد ٣٠ بعيراً من الطوايحة وأعيدت إلى موسىل الحاوى.
١٦ نيسان ١٩٢٨م	. تم استرداد ٤٩ بعيراً من العطون وأعيدت إلى موسىل الحاوى.
١٦ حزيران ١٩٢٨م	. تم استرداد ٦٦ بعيراً , أربع بنادق من دهماني وأعيدت إلى موسىل الحاوى .
٦ تموز ١٩٢٨م	. تم استرداد ٦ ابل من الطوايحة وأعيدت إلى موسىل الحاوى .
٦ تموز ١٩٢٨م	. تم استرداد ٤٩ بعيراً من بني عطية وأعيدت إلى موسىل الحاوى.
٢٨ تموز ١٩٢٨م	. تم استرداد ٣٦٠ جنيهاً ذهبياً، دفعت بأمر المحكمة القبلية في معان تعويضاً عن بضائع سرقت من قوافل نجدية في ٢٠ مايو ١٩٢٨م بالإضافة إلى حمل بعير ضائع أعيدت لأصحابها .
تموز ١٩٢٨م	. تم استرداد ٤ ابل وأشياء أخرى من العطون وأعيدت إلى وهبة القصيمي .
آب ١٩٨٢م	. تم استرداد ٥٧ بعيرا من الجوازي وأعيدت إلى أصحابها .
تشرين أول ١٩٢٨م	. تم استرداد ٧ ابل و ٦٧ جنيهاً ذهبياً وبندقية من درديح ابن فايز وأعيدت لأصحابها .

(١) -المصدر: الصباغ، مشكلات الحدود، مرجع سابق، ١١٤-١١٥

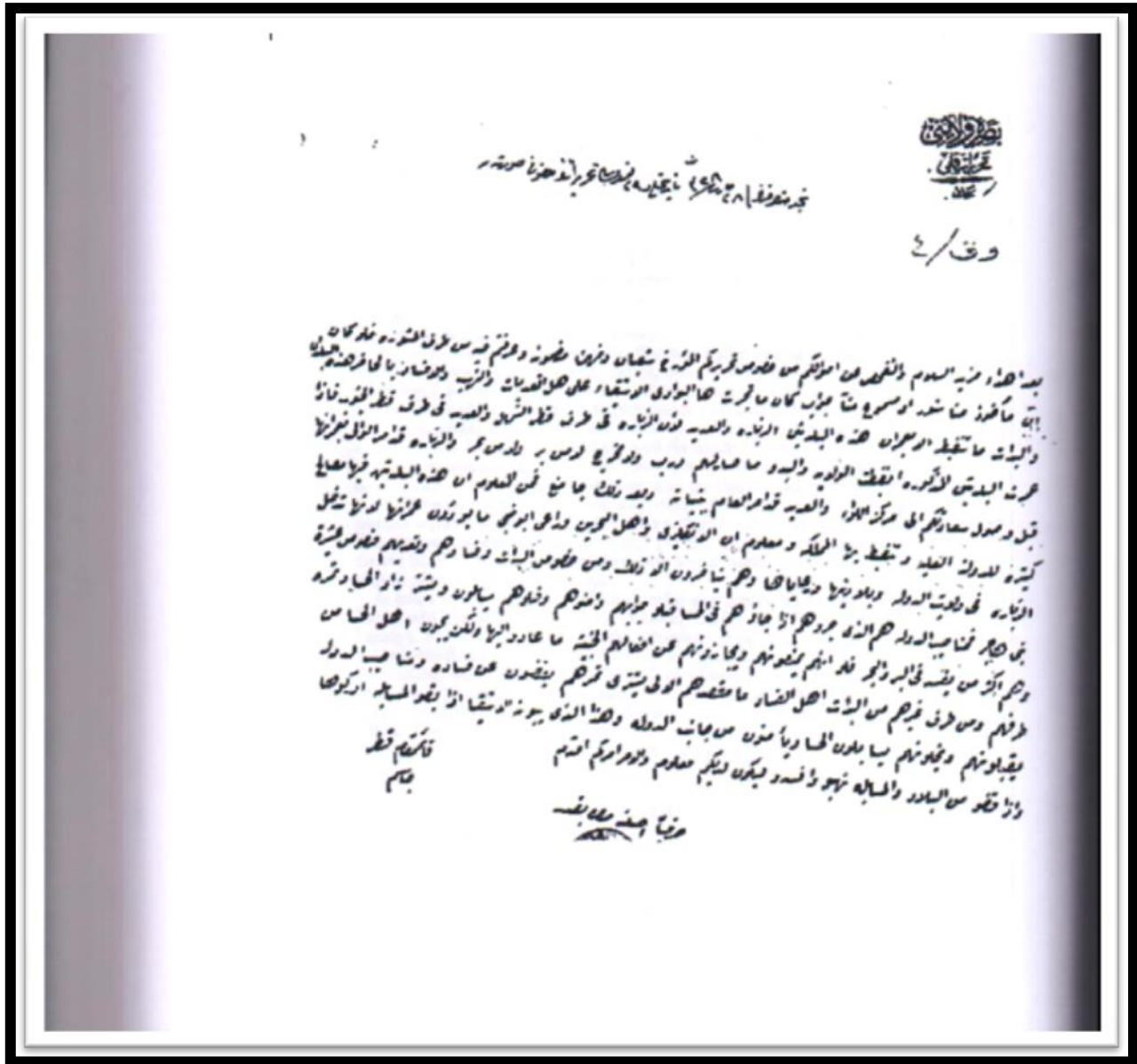
أيار ١٩٢٩ م	. تم استرداد ٥ إبل من زاعل بن مطلق وأعيدت إلى أصحابها .
حزيران ١٩٢٩ م	. تم استرداد ٢١ بعيراً وثلاثة حمير من الزوايدة وأعيدت إلى حويطات التهامة .
٤ آب ١٩٢٩ م	. تم استرداد ٥٦ بعيراً من تجاجاً وأعيدت إلى حويطات التهامة .
١٥ آذار ١٩٢٩ م	. تم استرداد ٥٠ بعيراً و ٩٠ جنيهاً ذهبياً من الشرارات وأعيدت إلى حاكم الجوف .
١١ آب ١٩٣٠ م	. تم استرداد ٦ ابل من بني عطية وأعيدت إلى حويطات الحجاز وأود العديد من الأشخاص في السجن .
١٢ آب ١٩٣٠ م	. استولت القوات الجوية الملكية على ٥٠ بعيراً من أيدي المهاجمين النجديين في فبراير ١٩٣٠ م وتم تسليمهم لمدوبي حاكم كاف في عمان عندما جاؤوا يطلبونهم من حاكم شرق الأردن

ثالثاً

الوثائق غير المنشورة

الملحق رقم (٢٨)

الوثيقة رقم وق/٤ ، تاريخ ١٣٢٨٢/٢/٢٨ ، ١٩١٠م ، من قائمقام قطر قاسم إلى السلطات العثمانية يؤكد فيها إعمار العديد والزبارة ويبين أهمية موقعهما □□



اتفاقية ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م بين الكويت وبريطانيا

ANNEX I.

Agreement of January 23, 1899, with the Sheikh of Koweit.

(Translation.)

Praise be to God alone (lit. in the name of God Almighty) ("Bismillillah Ta'alah Shanullo").

THE object of writing this lawful and honourable bond is, that it is hereby covenanted and agreed between Lieutenant-Colonel Malcolm John Meade, I.S.O., Her Britannic Majesty's Political Resident, on behalf of the British Government, on the one part, and Sheikh Mubarak-bin-Sheikh Subah, Sheikh of Koweit, on the other part; that the said Sheikh Mubarak-bin-Sheikh Subah, of his own free will and desire, does hereby pledge and bind himself, his heirs and successors, not to receive the agent or representative of any Power or Government at Koweit, or at any other place within the limits of his territory, without the previous sanction of the British Government; and he further binds himself, his heirs and successors, not to cede, sell, lease, mortgage, or give for occupation or for any other purpose, any portion of his territory to the Government or subjects of any other Power without the previous consent of Her Majesty's Government for those purposes. This engagement also to extend to any portion of the territory of the said Sheikh Mubarak which may now be in possession of the subjects of any other Government.

In token of the conclusion of this lawful and honourable bond, Lieutenant-Colonel Malcolm John Meade, I.S.O., Her Britannic Majesty's Political Resident in the Persian Gulf, and Sheikh Mubarak-bin-Sheikh Subah, the former on behalf of the British Government, and the latter on behalf of himself, his heirs and successors, do each, in the presence of witnesses, affix their signatures, on this the 10th day of Ramazan, 1316, corresponding with the 23rd day of January, 1899.

(L.S.) M. J. MEADE,
Political Resident in the Persian Gulf.

(L.S.) MUBARAK-EL-SUBAH.

Witnesses:

(L.S.) F. WICKHAM POPE, *Captain, I.M.S.*
(L.S.) J. CALCOTT CLARKE.
(L.S.) MUHAMMAD RAHM-BIN-ABDUL NEBI SAFFER.

6	5	4	3	2	1
1	2	3	4	5	6

PUBLIC RECORD OFFICE

17464

FO 371/2136

Reference:-

COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

رسالة من الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني إلى المقيم البريطانية في الخليج العربي حول العديد

بسم الله الرحمن الرحيم

المحضرة جنتنا المغمدة كمال ابن البوزوق فاضل جزال الدولة البهيمة القيسية في خليفة فارس
 سلم الله تعالى من كل فقه ودين كل من خالفه من اول الوجبة كلام والسؤال عن كيفية حالكم قد تفرغنا
 كتاب وعرفنا ان احسن دناسكن العديد وكما نعلم من الله ثم من جنابكم منع الشعبة من جميع
 الامور وحننا لتزمر لكم في امينيت البحر الذي هو متعلق بطرافه وتكون وتكون طارفة
 وتحت ضل الله ثم ضلكم فارتدوا الله تهبونا الى ذلك عن الالتفات الى احد غير ولا تسمع
 ضينا كلام صحاب الشغوف والاهوا والتمهم وحسبنا نسمع ان الشيخ زايدين حق
 ناس من بني ياش ويزوي ربعة اهل الجوا ان الذي ياتيك في الجزر سيد باليسع والشر
 ولا معة درقة مني خذوه ولم تحقق ذلك وحن نعرف ان حكم البحر عند الله ثم عندكم
 ليس له هذا الجراءة التي بها كنا نعلم من جنابكم ردة هو وغيره من الشعبة البحر
 الا اذا كان جنابكم مرضه ومرضه عليه فالبيان منكم والامر قد تم لكم والتمم حراجه
 حسين بن محمد
 ثاني

رسالة جوابية من المقيم البريطاني في الخليج العربي على الشيخ جاسم آل ثاني بشأن العديد

١٤٦٨ هـ ٣٠ جومئ جامعنا

صلى الله عليه وسلم المفضل ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠

لنصرف كعبد و ظناهم اننا جزء لفظ اننا لم نخرج في عهدنا في ذلك ولا نفنا

المتخذ في المحاد معك على انك في تصور فيه و بنوع كامل و لكن نذكره لا فاعل

هذا بينه عشر سنوات و لكن المحدث المجمع و نحن انما نذكره انما نذكره في ذلك و نحن

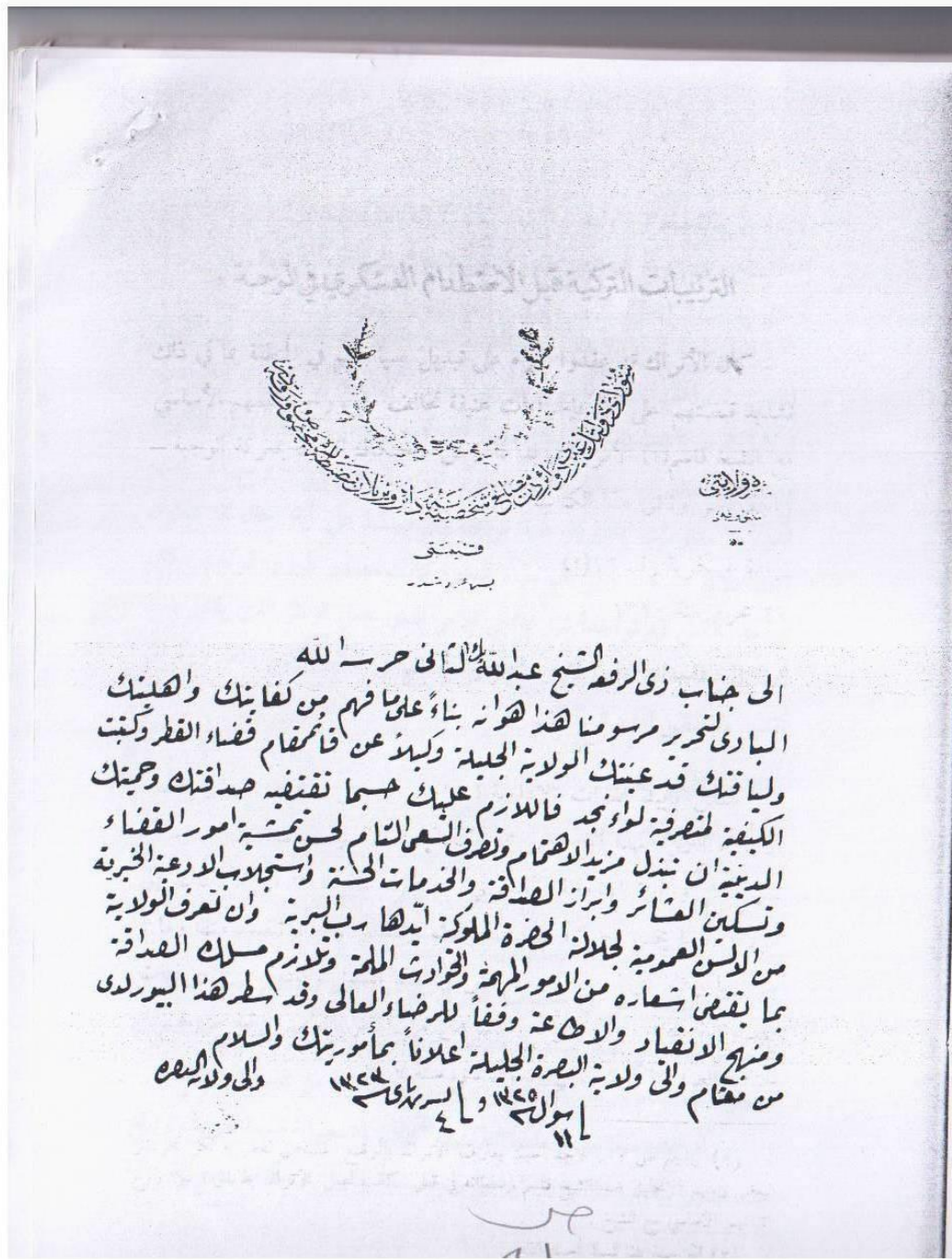
كذلك بينه و نحن انما نذكره لا فاعل ليس في ذلك و نحن انما نذكره

تحت اذرة حاكم بيننا فعلى ذلك و نحن انما نذكره لا فاعل ليس في ذلك و نحن

حزب حرك هذا غير عزمه و نحن انما نذكره لا فاعل ليس في ذلك و نحن

و نحن انما نذكره لا فاعل ليس في ذلك و نحن

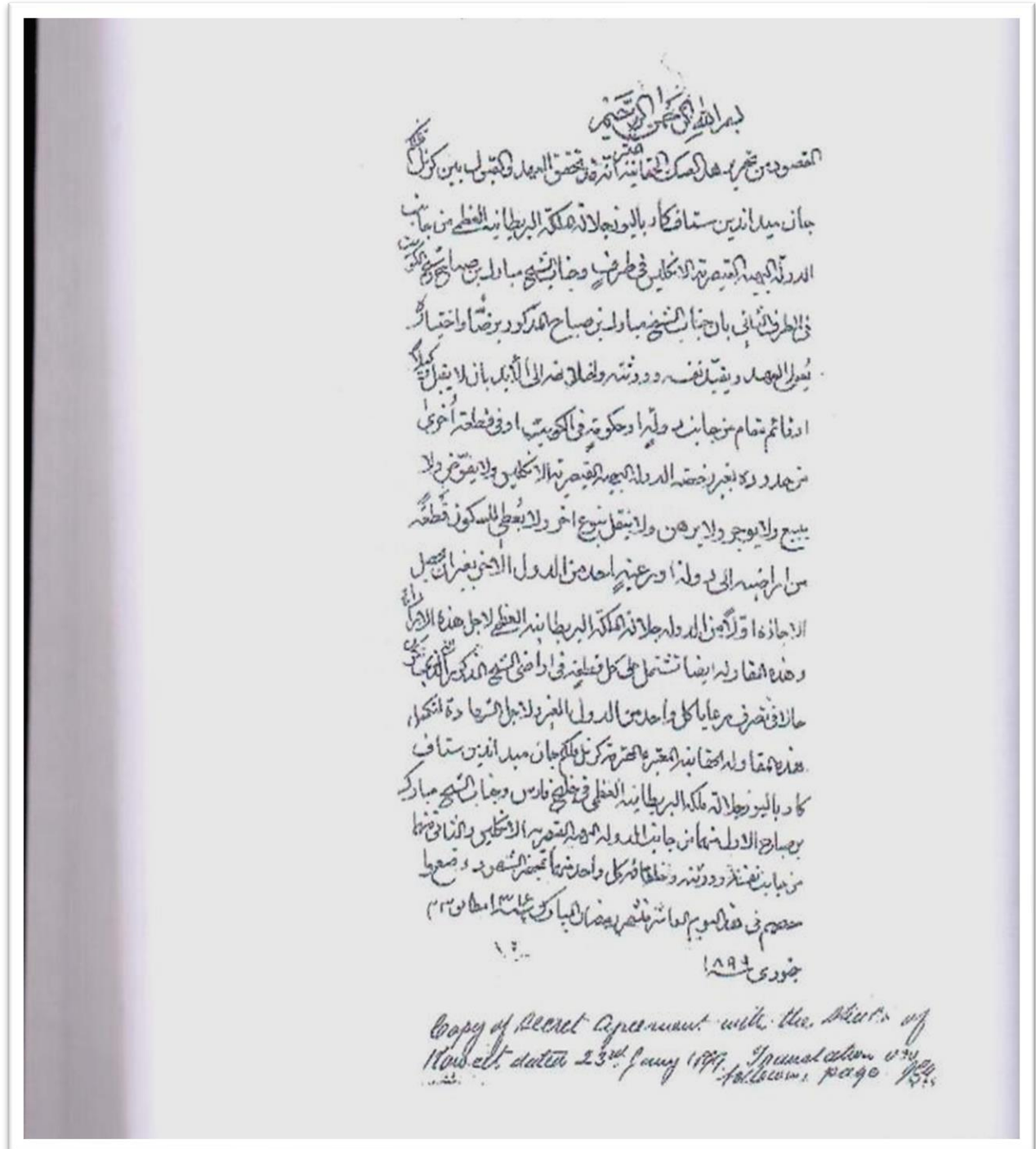
أمر بتعيين الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني وكيلاً لقائم مقام قطر



رابعاً

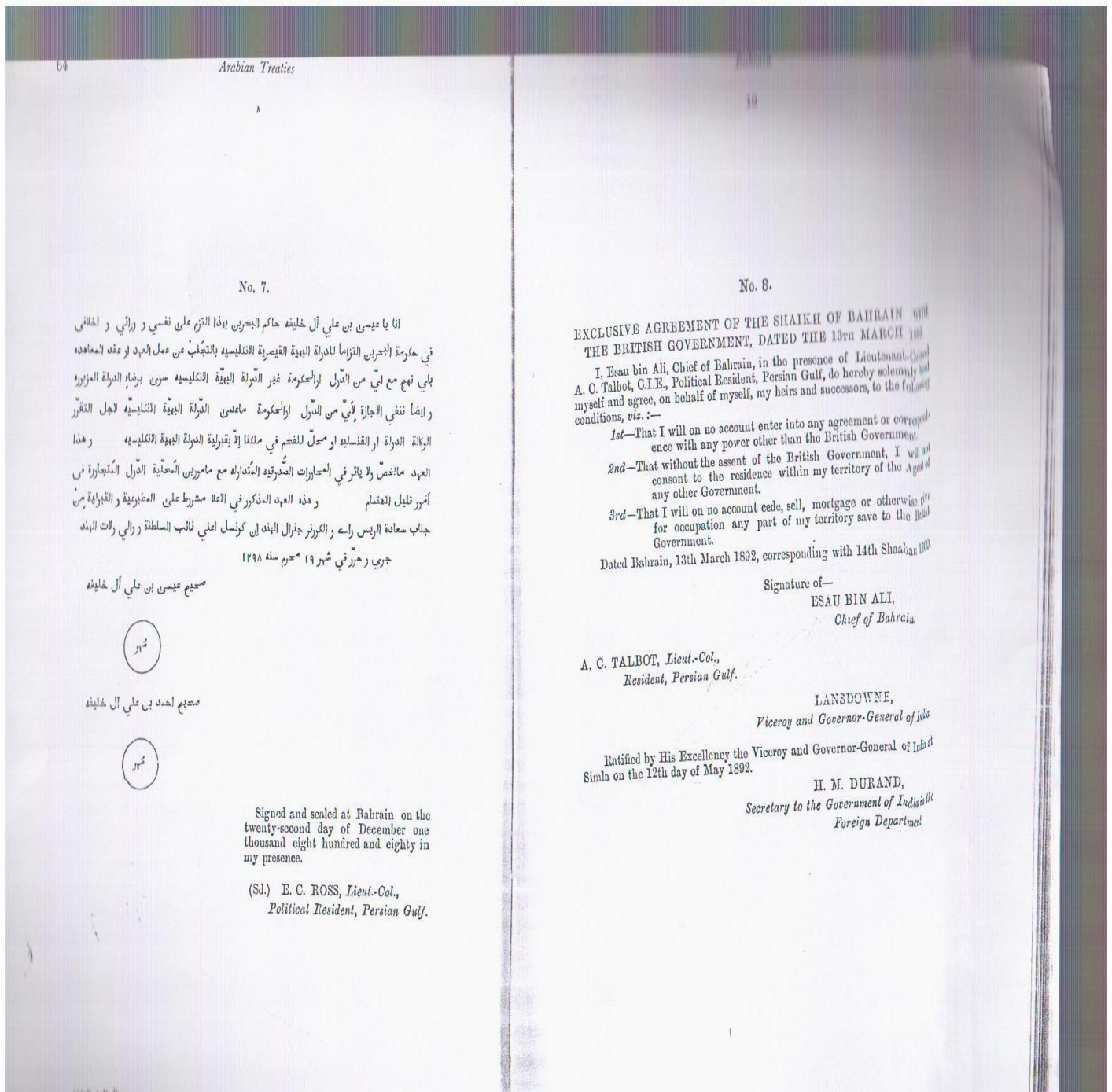
الوثائق المنشورة

النسخة العربية من الاتفاق الكويتي - البريطاني ^(١)



(١) - المصدر الموقع الالكتروني <http://www.KUWAIT-history.net/vb/showthread.php?n=1400>

اتفاقية موقعة بين الحكومة البريطانية وشيخ البحرين عيسى بن علي آل خليفة^(١)



(١) - المصدر :

الملحق رقم (٣٥)

نص معاهدة ١٩٣٥م بين المملكة البريطانية وقطر^(١)

تجديد الحماية عام ١٩٣٥

مكتب المقيم السياسي

في الخليج (الفارسي)

مؤرخ في الحادي عشر من آيار - مايو ١٩٣٥م

رقم س/١٢٨ لعام ١٩٣٥م

الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني ، C.I.E. (*)

حاكم قطر المحترم

بعد التحيات

بالإشارة إلى رسالتكم رقم ٥٤/٨ المؤرخة في ١٨ نيسان - أبريل ١٩٣٥م (١٤ محرم ١٣٥٤هـ) حول موضوع الحماية التي تكون الحكومة البريطانية على استعداد لتقديمها لكم على البر ، حيث أنكم في هذه الرسالة تسألون عن الترتيبات التي تنوي الحكومة اتخاذها حول موضوع الحماية هذا .

٢ - أن تعليماتي من حكومة جلالته تخولني إجابتك بما يلي :

(أ) سوف تمنح الحماية لكم على شرط - وهو ما كنت قد أوضحت لكم شفهيًا - أن تعطوا امتياز النفط الذي تقوم شركة الزيت الأنجلو - فارسية بالتفاوض بشأنه ، لتلك الشركة .

(ب) إن حماية حكومة جلالته - كما سبق أن أوضحت لكم شفهيًا - سوف تتعلق بأي اعتداء خارجي ، مثل تلك الغزوات أو الاعتداءات الخطيرة التي

(*) في نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ منحت الحكومة البريطانية شيخ قطر هذا اللقب

(CIE) وهي تعني : Companion of (the order of) The Indian Empire

«صديق الامبراطورية الهندية» وبذلك أصبح يتميز عن شيوخ الساحل العُماني بسبب علاقاته الممتازة ببريطانيا خلال الحرب.

(١) -المصدر : R/15/1/632 ,PP. 36-38 نقلاً عن : الشلق ، فصول من تاريخ قطر ، مرجع سابق ، ، ص ٢٤٢-٢٤٣

تتعرض لها أراضيكم من خارج حدودكم ، فهذه الحماية ، كما أوضحت لكم شفويّاً أثناء زيارتي الأخيرة وهو ما وافقتم عليه ، تعني بطبيعة الحال ، الغزوات الخطيرة ، وليس الاعتداءات الصغيرة ، وفيما يتعلق بهذا الأمر ، تتوقع حكومة جلالته منكم اتخاذ كافة الخطوات المعقولة للدفاع عن أنفسكم والحفاظ على الأمن داخل حدودكم .

(ج) أما بشأن الأساليب التي تقترحها حكومة جلالته لمساعدتكم ، فإنها تقترح تنفيذ هذا الأمر من خلال سلاح الجو الملكي .

(د) أنكم تعلمون بالطبع أنه لكي تتمكن الطائرات في الحالات الطارئة من المجئ لمساعدتكم في أسرع وقت ممكن ولتتمكنها من مباشرة مهامها بصورة فعّالة عند وصولها فإنه من الضروري لسلاح الجو الملكي الحصول على تسهيلات معينة في أراضيكم ، هذه التسهيلات هي كالتالي : حرية استعمال التلغراف اللاسلكي عند الضرورة لأنه كما تعلمون ، فإن جوهر الدفاع بواسطة الطائرات يكمن في سرعة الاتصال ، وإعداد بعض الأماكن لنزول الطائرات سيكون ضرورياً أيضاً بالإضافة إلى بعض الترتيبات لتخزين الوقود والاحتياجات الأخرى الضرورية لتتمكن الطائرات من العمل بفاعلية ، وسيطلب الأمر أيضاً قيام طائرات وضباط من سلاح الجو الملكي بزيارة قطر من وقت لآخر ، عندما يرى قائد هذا السلاح ضرورة لذلك من أجل معاينة ترتيبات سلاح الجو الدفاعية ومن أجل الحصول على المعلومات بالتعاون معكم التي ستكون ضرورية لهم لإعداد خططهم في الدفاع عنكم .

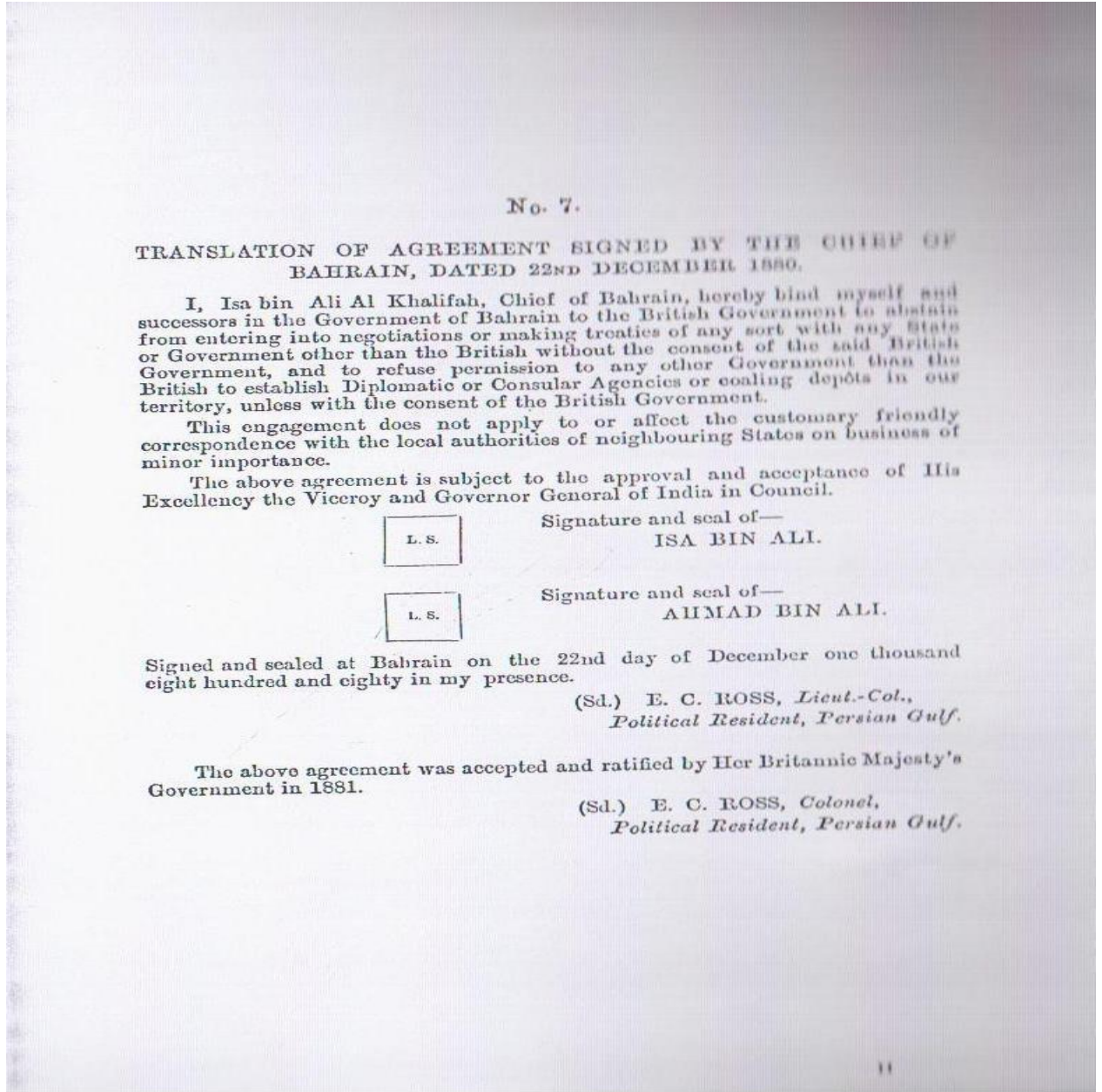
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،

توقيع وختم

ليوتنانت كولونيل سي . سي . فاوول
المقيم السياسي في الخليج (الفارسي)

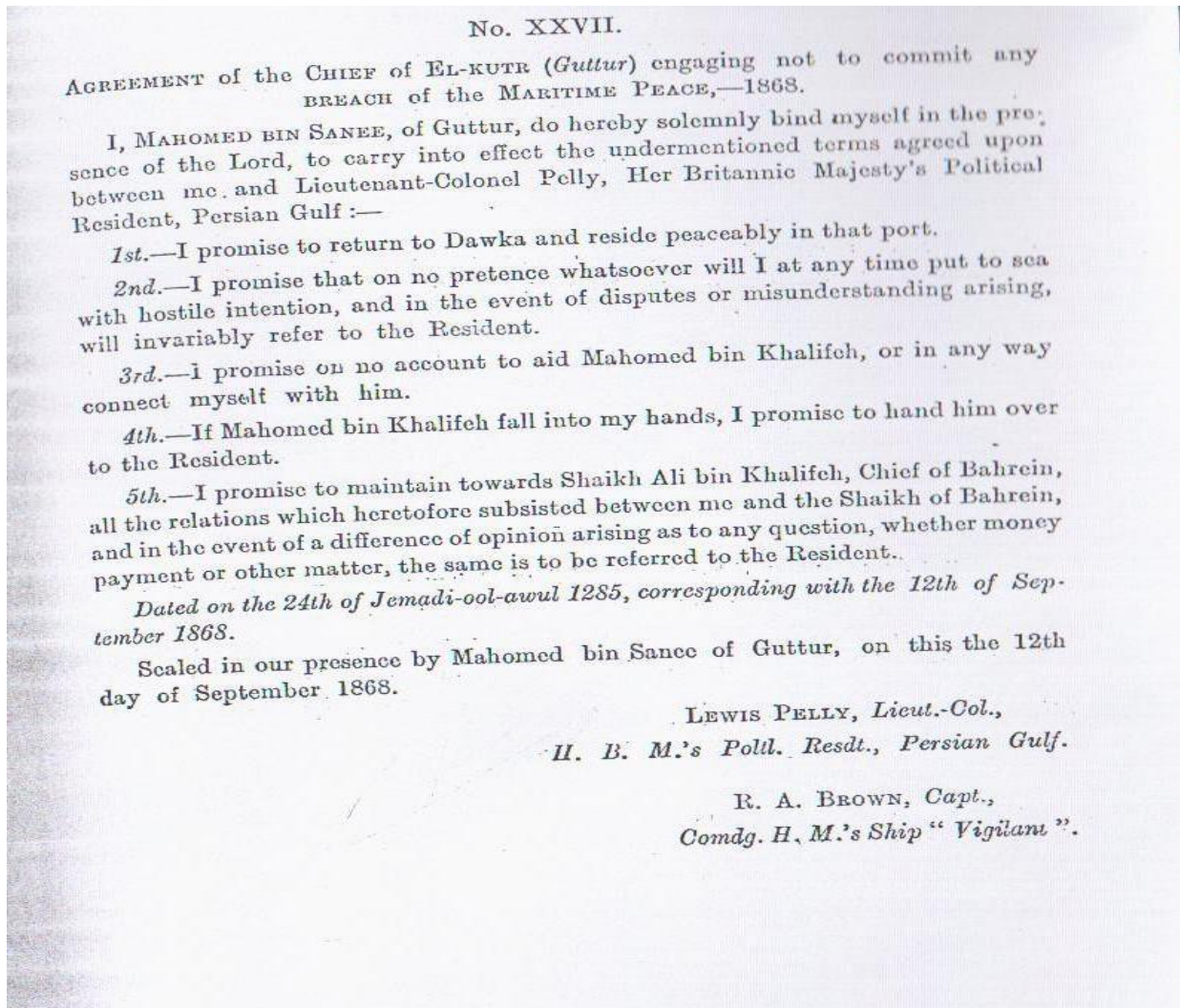
الملحق رقم (٣٦)

اتفاقية بحرينية بريطانية يتعهد شيخ البحرين بموجبها بعدم توقيع أية اتفاقيات مع أي دولة غير حكومة المملكة البريطانية^(١)



(١) -المصدر :

اتفاق بين الشيخ محمد بن ثاني والحكومة البريطانية بشأن السلام البحري ١٨٦٨ م^(١)



ترجمة الوثيقة في الملحق رقم (٣٧)

اتفاق بين الشيخ محمد بن ثاني والحكومة البريطانية بشأن السلام البحري ١٨٦٨م

أنا محمد بن ثاني شيخ قطر أتعهد بموجب هذه الاتفاقية أمام الله بتنفيذ البنود المبينة في أدناه والتي تم الاتفاق عليها فيما بيني وبين اللفتاننت كرنل بيللي المقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في الخليج الفارسي :

أولاً :أتعهد بالرجوع إلى الدوحة والإقامة بسلام في مينائها .

ثانياً :أعد بأنني لن أقوم بركوب البحر لأي غرض عدواني مهما تكن الحجة ، وفي حالة نشوء نزاعات أو سوء تفاهم فإنني في جميع الحالات سأعود للمقيم السياسي المذكور .

ثالثاً : أتعهد ألا أساعد محمد بن خليفة تحت أي ظرف أو أن أربط نفسي بأية وسيلة به رابعاً : إذا وقع محمد بن خليفة بين يدي فإنني أتعهد بتسليمه للمقيم .

خامساً أتعهد بأن أحافظ للشيخ علي بن خليفة شيخ البحرين على سائر العلاقات التي كانت قائمة بيننا وبين شيخ البحرين حتى الآن في حالة وقع خلاف في الرأي ناشئ عن أي إشكال سواء أكان على دفعات مالية أم أي أمر آخر فن مثل هذا الخلاف سيحال إلى المقيم .

أرخ في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٥ ٢ الموافق ١٢ سبتمبر سنة ١٨٦٨م

ختم بحضورنا من قبل الشيخ محمد آل ثاني شيخ قطر في هذا اليوم الثاني عشر من سبتمبر ١٨٦٨م .

التوقيع

لويس بيللي ، اللفتاننت كرنل

المقيم السياسي لصاحبة الجلالة في الخليج الكابتن ر.أ. براون

قائد سقينة صاحبة الجلالة ((فيجيلانت))

الملحق رقم (٣٨)

معاهدة بين الحكومة البريطانية وشيخ قطر عبد الله بن قاسم بن ثاني عام ١٩١٦م^(١)

حيث إنّ جدي المرحوم الشيخ محمد بن ثاني قد وقع في الثاني عشر من أيلول ١٨٦٨م اتفاقية تعهد فيها بعدم ارتكاب أي انتهاك للسلام البحري . وحيث إنّ هذه الالتزامات نحو الحكومة البريطانية قد آلت إلي بصفتي خليفته في قطر فإنه :

أولاً : أنا الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني أتعهد بأنني سأتعاون مع الحكومة البريطانية السامية ، في قرار المشايخ العرب مع أصدقائهم في ألو ظبي ودبي والشارقة وعجمان ورأس الخيمة وأم القيوين لقمع تجارة العبيد وأعمال القرصنة وحفظ السلام البحري بعامه . وتحقيقاً لهذه الغاية فغان المقدم السير بيرسي كوكس ، المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ، قد اختصني بنفس المعاهدات والتعاقدات التي دخل فيها مع الحكومة المذكورة الشيوخ المذكورون آنفاً وإنني هنا أعلن بأنني سألتزم بروح وبالالتزامات المعاهدات والتعاقدات المذكورة

ثانياً: ومن الناحية الأخرى فإن الحكومة البريطانية تتعهد بأنني أنا ورعاياي وسفني وسفنها يجب أن تتلقى جميع الحصانات والمزايا الممنوحة للشيوخ المذكورين من أصدقاء بريطانيا وكذلك لرعاياهم وسفنهم . وإشعاراً بذلك فإن السير بيرسي كوكس قد أثبت توقيعه بالتاريخ الوارد آنفاً على لكل واحدة وجميع المعاهدات والتعاقدات المذكورة وذلك على النسخة المقدمة لي كما أنني أثبت توقيعي وختمي بالتاريخ نفسه على كل واحدة وعلى جميع المعاهدات والتعاقدات المذكورة حتى لا يكون ذلك خافياً .

ثالثاً : وبشكل خاص فإنني أنا الشيخ عبد الله قد نشرت علوة على ذلك إعلاناً أحظر فيه استيراد وبيع الأسلحة في إقليمي وفي ميناء قطر واعتباراً لهذا الالتزام الذي أدخل فيه الآن فإن الحكومة البريطانية تواف من جانبها على متني التسهيلات للشراء والاستيراد من مخزن أسلحة مسقط أو أي مكان آخر تحبذه الحكومة البريطانية لاستعمالي الخاص وتسليح أتباعي وذلك من الأسلحة والذخائر التي قد أحتاجها في النطاق المعقول وأتقدم بطلب لشرائها بذلك الأسلوب الذي قد ترتبه لي الحكومة البريطانية لا حقاً عن طريق الوكيل السياسي في البحرين ، واني أتعهد تعهداً مطلقاً بأن هذه الأسلحة والذخائر التي توفر لي بالطريقة المذكورة سابقاً لن يجري أبداً إعادة تصديرها أو بيعها للجمهور ولكن يحتفظ بها لغرض وحيد هو سد احتياجات قبائلي وأتباعي الذين أسلحهم لحفظ الأمن في بلادي ولحماية حدودي وفي رأيي أن الكمية السنوية لاحتياجاتي تصل في حدها الأعلى إلى خمسمائة قطعة سلاح .

رابعاً أنا الشيخ عبد الله أتعهد أيضاً بأن لا تقوم علاقات أو اتصالات فيما بيني وبين أي دولة أخرى، وأن لا استقبل وكيل لمثل هذه الدولة دون موافقة الحكومة البريطانية السامية كما أنني بغير تلك الموافقة لن أضم إلى أي دولة أخرى أو رعاياها أي أرض من أراضي لا على سبيل الإجارة ولا البيع ولا نقل الملكية ولا الهدية ولا بأية طريقة أخرى كائنة من كانت

خامساً : كذلك فإنني أعلن أنه دون موافقة من الحكومة البريطانية السامية فاني لن أمنح لأي كان أي مساعدة لؤلؤ أو امتيازات أو احتكارات أخرى أو أية حقوق لمد كوابل أرضية .

(١)- المصدر : L/P& S/20/C 158 E نقلاً عن العناني ، وثائق التاريخ القطري ، مصدر سابق ، ص ١٢-١٧

سادساً: لن تتعدى رسوم الجمارك على بضائع البريطانيين المستوردة لقطر تلك الرسوم التي أجبيها من رعاياي على بائعهم المستورة، ويجب أن لا يتعدى ذلك (٥%) من قيمة فواتير البضائع، ولن تخضع البضائع البريطانية لأي رسوم أو جمارك أخرى من أي نوع من عدا المذكور آنفاً .

سابعاً: أتعهد أنا الشيخ عبد الله تعهداً خاصاً بالسماح للرعايا البريطانيين بالإقامة في قطر للتجارة وبأن أحمي حياتهم وأموالهم .

ثامناً: كذلك فإنني أتعهد بأن استقبل إذا أرادت الحكومة البريطانية ذلك منصوحاً به ، أي وكيل للحكومة البريطانية ويجب أن يقيم الوكيل في البدع للإشراف على أي معاملات أو تجارة قد تتعامل بها الحكومة البريطانية معي ولكي يشرف هذا الوكيل على مصالح التجار البريطانيين القاطنين في موانئي أو الذين يزورونها في مناسبات قانونية .

تاسعاً : كذلك فنني أتعهد بالسماح ببناء مكتب بريد وتلغراف بريطاني وتركيب تلغراف في أي مكان في بلادي حينما ترغب الحكومة البريطانية لاحقاً في ذلك . كما أنني أتعهد بحماية مثل هذه المؤسسات عند إقامتها .

عاشراً : من ناحية الحومة البريطانية وبموجب المعاهدات والتعاقدات التي دخلت فيها معها تتعهد بحمايتي وحماية رعاياي وأراضي من كل اعتداء من جانب البحر كما تتعهد بأن تعمل جهداً لانتزاع التعويضات لرعاياي أو لي إذا ما تكبدنا أي خسائر في عملنا في البحر في مناسبات نشاطنا الشرعي فيه .

حادي عشر : كذلك تتعهد الحكومة البريطانية ببذل وساطتها إذا ما وقع على أراضي أو على أراضي رعاياي هجوم من ناحية الحدود القطرية البرية على أنه مفهوم تماماً أن هذا الالتزام يقع على الحكومة البريطانية في مجرد الحالات التي يكون فيها العدوان البري أو البحري غير ناتج عن أي حادث استغزالي عدواني وقع من أو من رعاياي على الآخرين . وإشعاراً بهذا فنني والمقدم السير بيرسي كوكس المقيم السياسي في الخليج العربي وأنا الشيخ عبد الله بن قاسم بن ثاني قد تتابعنا على توقيع وثبات ختمنا على هذه الوثيقة وعلى أربع نسخ إضافية منها .

تحريراً في السادس من محرم ١٣٣٥ هـ الموافق الثالث من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٦ م

التوقيع

عبد الله بن قاسم شيخ قطر

ب. ز. كوكس المقيم السياسي في الخليج العربي

تشمس فورد

نائب الملك والحاكم العام للهند

الملحق رقم (٣٩)

رسالة من والتر تويتلي السفير البريطاني في الأستانة إلى اللورد لانسدون وزير الخارجية البريطانية عام ١٩٠٥م يشرح له فيها موقف وأوضاع الجزيرة العربية والخليج العربي في ظل محاولات استعادة الدولة العثمانية نفوذها هناك^(٢)

نص الوثيقة

No. 12

Mr. Townley To Marquess of Lansdowne - (Received January 9)

(No. 2. Confidential.)

My Lord,

Constantinople, January 2, 1905.

WITH reference to my telegram No 1 of to day's date, informing your Lordship that His Majesty's Acting Consul at Bussorah has telegraphed that a battalion of troops from that place have been dispatched to Nejd via Bagdad, I have the honour to state that this report from Mr. Monahan confirms the latest information that has reached me on this subject.

I am assured on very good authority that, after long deliberations at the Palace, the Sultan has finally decided upon an activer policy in the Nejd direction, and has ordered that a new and more powerful expedition shall be prepared without loss of time, for the ostensible purpose of assisting Ibn Rashid to crush Ibn Saoud and his Wahabi followers .

The ulterior intention is that the expedition shall, when it has achieved its object, permanently occupy all the principal places, both on the coast and in the interior of the peninsula, after removing all the local Chiefs to Coustantinople .

That the expedition is to be conducted on a large scale is shown by the fact that, Ibrahim Pasha, of the Milli, has been ordered by telegraph to collect and forward to Bagdad 6,000 camels to serve for the transport of the stores and ammunition .

Mr. Monahan has also infomed me by telegram dated the 29th December, 1904, that the acting Vali of Bussorah invited Ibn Saoud to that place in a friendly letter some two months ago, and that, about a month ago, Ibn Saoud's father sent a telegram to the Sultan (possibly the communication contained in my despatch No. 862, Secret, of the 8th November, 1904) pro-

^٢ -النمصدر ، نوار ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ، مصدر سابق ، ص ٤٧-٤٩

fessing loyalty, but claiming ownership of Kassim, and deprecating the dispatch of troops, which would cease bloodshed.

Mr. Monahan adds that the semi-independent Kaimakam of Katr also sent a telegram in the same sense to the Sultan about the same time, in which he said that the people of Katr were hostile to Ibn Rahid, and that if Turkish troops were sent, the country would become like Koweit .

The Mutessarif of Hassa, Faik Pasha, was dismissed, Mr. Monahan reports, some Five or six weeks ago, on the score, it is said, that he was sending provisions to Ibn Saoud. It is announced that Nejdib Bey, an ex-Mutessarif of El Bassan, has been appointed to replace him.

I have very good reason to believe that it was fully intended, up to a very few days ago, to accept the submission which Ibn Saoud had made by telegram addressed direct to the Sultan, and that instructions were sent to Bagdad and Bussorah to the effect that his submission had been accepted, and that the preparations for the military expedition against him were to be discontinued. I do not know what has caused the Sultan so suddenly change his mind, and it would be no matter for surprise should His Majesty again listen to wiser counsels. Well informed military circles are fully alive to the magnitude of the task to be undertaken, and are well aware of the difficulties to be overcome in dispatching and maintaining a large military force in the inhospitable regions from which the victorious Egyptian expedition had to depart in 1819 .

The Turkish Government have, moreover, a formidable undertaking before them in the suppression of the revolt in the Yemen, which would appear, from all accounts, to be assuming such alarming proportions that it will tax all their available resources to cope with it .

A rumour is current here that Sana'a has fallen into the hands of the rebels, but I have no confirmation of such an event from His Majesty's

Vice-Consul at Hodeida, though, as I have had the honour to inform your Lordship in a previous despatch, the capital of the province has for some weeks been cut off from communication with the coast .

I have, since writing the above, received further information, which confirms the report that the Ottoman Government have decided to send an expedition against Ibn Saoud. My informant tells me that it has been represented to the Sultan by the Amir of Mecca that the aggressions of Ibn Saoud are due solely to foreign instigation, and that, unless they are promptly checked, the Wahabi encroachments may even extend as far as Mecca . It is reported that Marshal Feizi Pasha has been put at the head of the expedition which is to start from Bagdad shortly if it has not already done so. It is, perhaps, worth noting that in all the communications which reach me about Ibn Saoud, the name of Mubarak-es-Sabah, Sheikh of Koweit, is always associated with that of the Wahabi Chief .

I have, & c

(Signed)

WALTER TOWNLEY

الملحق رقم (٤٠)

نص الاتفاقية الموقعة بين المملكة الأردنية الهاشمية والمملكة العربية السعودية بشأن تعيين الحدود بين البلدين عام ١٩٦٥م^(١)

المادة ١ -

أ- تبدأ الحدود بين المملكة الأردنية الهاشمية والمملكة العربية السعودية من نقطة تقع على جبل عازة وهي نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٩,١٨ بدائرة العرض ٣٢,١٤ ويمتد منها بخط مستقيم حتى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٩ بدائرة العرض ٣٢ ومنها يمتد بخط مستقيم بنقطة تقاطع دائرة الطول ٣٧ بدائرة العرض ٣١,٣٠ ويمتد منها بخط مستقيم حتى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ بدائرة العرض ٣٠,٣٠ ثم يمتد بخط مستقيم حتى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٧,٤٠ بدائرة العرض ٣٠,٢٠ شمال مشاس حيدر جرد الأسفل بالفي متر تاركاً مشاس حيدر جرد الأسفل للمملكة العربية السعودية ثم يسير الحد من النقطة بخط مستقيم حتى نقطة تقاطع

دائرة الطول ٣٧,٣٠ بدائرة العرض ٣٠ تاركاً موقع بير النعام للمملكة الأردنية الهاشمية ويمتد الحد من هذه النقطة بخط مستقيم حتى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٦,٤٥ بدائرة العرض ٢٩,٥٢ تاركاً موقع بير بني مرة وموقع العناب للمملكة الأردنية الهاشمية ومنها يمتد الحد بخط مستقيم حتى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٦,٣٠ بدائرة العرض ٢٩,٣٠ ومنها يمتد بخط مستقيم إلى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٦,٤ بدائرة العرض ٢٩,١١ وهي شمال حالة عمار وتبعد عنها ألف متر تقريباً تاركاً حالة عمار للمملكة العربية السعودية ثم يمتد الحد من هذه النقطة الواقعة شمال حالة عمار بخط مستقيم حتى نقطة تبعد عن زاوية مخفر الدرة الشمالية الشرقية ثلاثمائة متر شمال الزاوية المذكورة مستمرة إلى مياه البحر.

ب- جرى تعيين ورسم الحدود المذكورة في الفقرة السابقة على خريطين مقياس ١/٥٠٠٠٠٠ معدتين سنة ١٩٦٠م B ٢٠٠ وادي السرحان و I ٢٠١ B الجوف وسكاكا جمعاً بخارطة واحدة ووقعت هذه الخارطة المذكورة من قبل مندوبي الطرفين واعتبرت جزءاً متمماً للاتفاق ويشير اللون الأخضر عليها إلى المناطق المشمولة بأحكامها وهي المناطق المحصورة بين خط الحدود المرسوم بالمداد الأحمر والمبين بموجب الفقرة (أ) من هذه المادة والخط المتقطع المرسوم بالمداد الأسود، المبين على الخارطة المرفقة وتعد هذه الخارطة المرجع المعتمد في تعيين الحدود بين المملكتين المتعاقبتين.

المادة ٢ -

بالرغم مما ورد في المادة الأولى ، إذا اكتشفت البترول أو مشتقاته في المنطقة الملونة باللون الأخضر والمحددة على الخارطة المشار إليها في المادة الأولى ، تتعهد المملكتان بأن تقتسم مناصفة بينهما الحقوق والفوائد والأرباح الناتجة عن اكتشاف واستثمار البترول أو مشتقاته وعلى المملكة التي اكتشفت البترول أو مشتقاته ضمن حدودها في المنطقة الملون باللون الأخضر المذكور أن تؤدي للمملكة الأخرى حصتها ويجري تنظيم كيفية استغلال واستثمار البترول المكتشف أو مشتقاته ودفع حصة كل من البلدين - باتفاق خاص يبرم بينهما.

المادة ٣ -

أ- تتعهد المملكتان المتعاقبتان بحماية حقوق الرعي وحقوق الانتفاع بآبار المياه الخاصة بالقبائل التابعة لكل منهما، وذلك ضمن المنطقة الملونة باللون الأخضر المشار إليها في المادتين الأولى والثانية من هذا الاتفاق وعلى هذه القبائل أن تخضع لقوانين وأنظمة الدولة التي تنزل في أراضيها والتي لا تعارض مع حقوق الرعي.

(١) - المصدر : التشريعات الأردنية ، نظام المعلومات الوطني

ب- تتعهد كل من المملكتين المتعاقبتين بمنح حرية المرور عبر أراضيها لرعايا المملكة الأخرى ولل بضائع المستوردة أو المصدرة بطريق الترانزيت أياً كان منشؤها • ولا يخضع هؤلاء الرعايا ولا تلك البضائع عند مرورها بالطرق والمسالك المتفق عليها لأية ضرائب أو رسوم جمركية • على أن يكون للدولة التي يجري المرور عبر أراضيها حق التفتيش والمراقبة الجمركية المتعارف عليها.

المادة ٤ -

تلغى جميع الاتفاقيات السابقة المعقودة بين البلدين بشأن تعيين الحدود وذلك إلى المدى الذي يتعارض مع إحكام هذه الاتفاقية.

المادة ٥ -

يصدق هذا الاتفاق وفقاً للنظم الدستورية في كل من المملكتين المتعاقبتين ويعمل به ، بعد شهر من تبادل وثائق إبرامه.

حرر هذا الاتفاق في عمان يوم الاثنين الواقع في الثاني عشر من ربيع الثاني سنة ألف وثلاثمائة وخمسة وثمانين هجرية الموافق لليوم التاسع من شهر آب سنة ألف وتسعمائة وخمسة وستين ميلادية.

رئيس وفد المملكة الأردنية الهاشمية المفوض بالتوقيع رئيس وفد المملكة العربية السعودية المفوض بالتوقيع

عبد الله السديري

عبد الوهاب المجالي

وكيل وزارة الداخلية لشؤون البلديات

وزير الداخلية ووزير الدولة لشؤون الرئاسة

الأعضاء المفوضون بالتوقيع

سليمان الجارد

سلطان السديري

رشيد البلاع

محمد الأمين الشنقيطي

ناصر الشعبي

راضي العبد الله

محمد سعيد فارس

محمد هاشم

الملحق رقم (٤١)

رسالة من السير جيلبرت كلايتون إلى ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

Sir Gilbert Clayton to His Majesty the King of the Hedjaz
and of Nejd and its Dependencies.

Your Majesty,

I have the honour to remind Your Majesty that, in the course of our negotiations, which have happily resulted in the conclusion of a Treaty of Friendship and good understanding between His Britannic Majesty and Your Majesty, the question of the frontier between the Hedjaz and Trans-Jordan was discussed, and I explained to Your Majesty the position, as defined in a draft protocol submitted by me to you, which His Majesty's Government have taken up on this question and to which they must adhere.

His Majesty's Government regard the above mentioned frontier as being defined as follows :-

"The frontier between the Hedjaz and Trans-Jordan
starts from the intersection of meridian 38° E.
and parallel 29° 55' N. which marks the termination of the frontier between Nejd and
trans-Jordan, and proceeds in a straight line
to a point on the Hedjaz Railway 2 miles South of
Mudawara. From this point it proceeds in a
straight line to a point on the Gulf of Aqaba
2 miles South of the town of Aqaba."

Respects,

(Sgd) GILBERT CLAYTON,
HIS BRITANNIC MAJESTY'S COMMISSIONER
AND PLANNING OFFICER.

JEDDAH, May 19, 1927 (1345 H. (Jada, 1345):

من السر جلبرت كلايتون إلى جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها
يا صاحب الجلالة

لي الشرف بان اذكر جلالتم انه في اثناء مفاوضاتنا التي اسفرت لحسن الحظ
عن عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم بين صاحب الجلالة البريطانية وجلالتم جرى
البحث في مسألة الحدود بين الحجاز وشرق الأردن واوضحت لجلالتم الموقف الذي
اتخذته حكومة جلالتهم في هذه المسألة كما تحدد في مسودة البروتوكول التي قدمتها
لجلالتم والذي لا بد لحكومة جلالتهم من التمسك به .

تعتبر حكومة جلالتهم ان الحد المذكور اعلاه كان تحدد كما يلي -

" يبتدئ الحد بين الحجاز وشرق الأردن من نقطة تقاطع خط الهاجرة عند
الدرجة ٣٨ شرقا بخط العرض عند الدرجة ٢٩ والدقيقة ٣٥ شمالا التي تدل على
نهاية الحد بين نجد وشرق الأردن ومن ثم يسير في خط مستقيم حتى نقطة على خط
سكة حديد الحجاز على بعد ميلين جنوبي المدورة ويسير من هذه النقطة في خط
مستقيم إلى نقطة على خليج العقبة تبعد ميلين جنوبي العقبة "

احترامات

(التوقيع)

جلبرت كلايتون

مندوب صاحب الجلالة البريطانية

وزيره المفوض

جدة في ١٩ ايار ١٩٢٧ [م]

(١٨ ذو القعدة ١٣٥٤) [هـ]

^(١) -المصدر: البخيت، الوثائق الهاشمية، مصدر سابق، ص ١٥٣-١٥٤

الملحق رقم (٤٣)

رسالة عبد العزيز ابن سعود إلى مندوب صاحب الجلالة البريطانية يخبره أن الظروف غير مناسبة لمناقشة الحدود^(١)

Abdul Aziz Ibn Abdul Rahman al-Faisal al-Saoud to
His Britannic Majesty's Commissioner
and Plenipotentiary.

(Translation).

In reply to your letter dated the
18th Zul Qada, 1345 (19.5.1927), on the subject
of the Hedjaz-Trans-Jordan Frontier, We note that
His Majesty's Government adhere to their position,
but we find it impossible, in the present circumstances,
to effect a final settlement of this question.
Nevertheless, in view of our true desire to maintain
cordial relations based on solid ties of friendship,
we desire to express to Your Excellency our willingness
to maintain the status quo in the Ma'an-Aqaba District,
and we promise not to interfere in its administration
until favourable circumstances will permit a final
settlement of this question.

Respects.

ABDUL AZIZ IBN ABDUL RAHMAN AL SAOUD.

19th Zul Qada, 1345 (May 21, 1927).

(١) - البخيت، الوثائق الهاشمية، مصدر سابق، ص ١٥٦

خامساً

مجموعة من الصور الأهم الشخصيات والرايات والشعارات

للدول التي ورد ذكرها في البحث

صور لأئمة اليمن الذين حكموها بعد استقلال اليمن عن الدولة العثمانية



الإمام يحيى بن حميد الدين الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين الإمام محمد النبر بن أحمد حميد الدين

١٩٦٢ / ٩ / ٢٥ - ١٩

١٩٦٢ - ١٩٤٨

١٩٤٨ - ١٩١٨



المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل فيصل آل سعود



المنقذ الأعظم
المغفور له جلالة الملك الحسين بن علي
(أخذت هذه الصورة لجلالته في قصر رغدان)

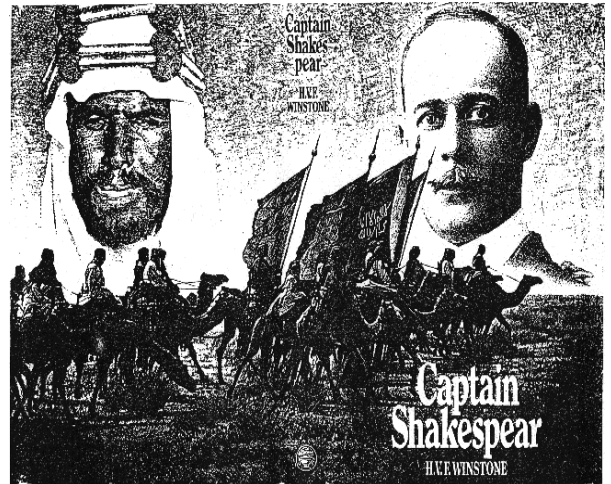


جلالة المغفور له الملك عبدالله بن الحسين



السير بيرسي كوكس المقيم السياسي والقنصل

في مسقط ١٨٩٩ ثم مقيم في بوشهر



الكابتن وليم شكسبير

مساعد المقيم البريطاني في الخليج ١٩٠٧م



وينستون تشرشل وزير المستعمرات



اللورد كيرزون نائب الملك في الهند



الجنرال وينجيت المندوب البريطاني السامي في مصر ١٩١٦م



الوالي والمصلح مدحت باشا



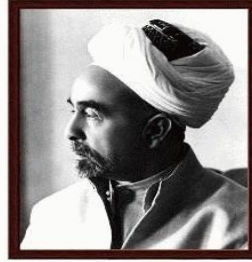
إمارة شرقي الأردن 1921-1939 م



إمارة شرقي الأردن 1939-1946 م
المملكة الأردنية الهاشمية منذ 1946 م



راية العائلة المالكة



عبد الله الأول



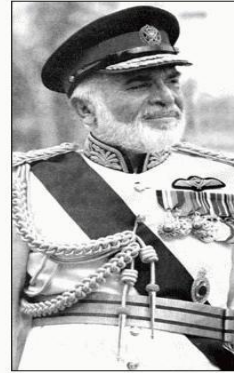
عبد الله الأول



طلال بن عبد الله



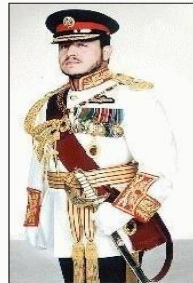
عبد الله الأول



الحسين بن طلال



الحسين بن طلال



عبد الله بن الحسين

أمرآء آل ثانی (الثبوت بعد الاستقلال)			
١٩٧٢	١٩٧١	أحمد بن علي	١
١٩٣٢	١٩٩٥	خليفة بن حمد بن عبد الله	٢
١٩٥٠	١٩٩٥	حمد بن خليفة	٣

الحاكم	فترة الحكم	حيات الحاكم	ملاحظات
الحاكم (تاريخ مقام)	من	حتى	
محمد آل ثاني	١٨٦٨	١٨٧٨	١٨٧٨
قاسم بن محمد	١٨٧٨	١٩١٣	١٨٢٥ ١٩١٣
عبدالله بن قاسم	١٩١٣	١٩٤٩	١٨٧٦ ١٩٥٧
علي بن عبد الله	١٩٤٩	١٩٦٠	١٨٩٤ ١٩٧٤
أحمد بن علي	١٩٦٠	١٩٧١	١٩١٧ ١٩٧٧

الحاكم				فترة الحكم	حيات الحاكم	ملاحظات
				من	حتى	من
الهاشميون في الأردن (الأمرء)				١٩٢١	١٩٤٦	١٨٨٢
عبد الله الأول				١٩٥١		١٩٥١
الهاشميون في الأردن (الملوك)				١٩٤٦	١٩٥١	
عبد الله الأول				١٩٥١	١٩٥١	١٩١٤
--- نليف بن عبد الله				١٩٥١	١٩٥٢	١٩٠٩
طلال بن عبد الله				١٩٥٢	١٩٥٣	١٩١٤
مجلس الوصاية				١٩٥٣	١٩٥٣	١٩٠٩
--- إبراهيم هاشم				١٩٥٣	١٩٥٣	١٩٠٩
--- سليمان طوقان				١٩٥٣	١٩٥٣	١٩٠٩
--- عبد الرحمن رشيدات				١٩٥٣	١٩٥٣	١٩٠٩
الهاشميون في الأردن (الملوك)				١٩٥٣	١٩٥٣	١٩٠٩
الحسين بن طلال				١٩٥٣	١٩٥٣	١٩٠٩
--- الحسن بن طلال				١٩٥٣	١٩٥٣	١٩٠٩
عبد الله (٢) بن الحسين				١٩٥٣	١٩٥٣	١٩٠٩

حكام آل سعود منذ نشوء الدولة السعودية الأولى حتى الآن

الحاكم	فترة الحكم من حتى	حياته الحاكم من حتى	ملاحظات
آل سعود (أبناء الدرعية)			
1	سعود بن محمد بن مقرن	1720 - 1725	1665 - 1727
	زيد بن مقرن	1725 - 1726	
2	محمد بن سعود	1726 - 1765	1690 - 1765
3	عبد العزيز بن محمد	1765 - 1803	1721 - 1803
آل سعود (أبناء نجد) (1)			
1	سعود بن عبد العزيز	1803 - 1814	1748 - 1814
2	عبد الله بن سعود	1814 - 1818	1819 - 1819
			غزو مصر للحجاز ثم نفي عبد الله إلى إسطنبول ووفاته هناك
آل سعود (أبناء نجد) من قبل الباشاوات			
3	مشتري بن سعود	1820 - 1821	1821 - 1821
4	تركي بن عبد الله	1822 - 1834	1755 - 1834
			بن محمد بن سعود
5	فيصل بن تركي	1834 - 1838	
			غزو محمد علي للحجاز ثم نفي فيصل إلى مصر
6	خالد بن سعود	1838 - 1841	
			والياً للباشاوات ثم نفي إلى الحجاز
2-5	فيصل بن تركي	1843 - 1865	1790 - 1865
7	عبد الله بن ثنيان	1841 - 1843	
			أسمه الكامل: عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود بن محمد، كان والياً للباشاوات ثم عزل
8	عبد الله بن فيصل	1865 - 1871	1820 - 1889
5	سعود بن فيصل	1871 - 1871	1875 - 1875
2-8	عبد الله بن فيصل	1871 - 1873	1889 - 1889
2-9	سعود بن فيصل	1873 - 1875	1875 - 1875
3-8	عبد الله بن فيصل	1876 - 1886	1889 - 1889
			ثم أعيد عزل مرة أخيرة
آل سعود (أبناء الحجاز) من قبل آل رشيد			
1	محمد بن فيصل	1887 - 1887	
			دخول آل رشيد و سيطرتهم على الحجاز
2	عبد الرحمن بن فيصل	1889 - 1891	
			والياً
3	محمد الثالث	1891 - 1901	
			والياً
آل سعود (أبناء نجد) (2)			
10	عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل	1902 - 1926	1880 - 1953
			1902 م، ضم إمارة عسير
			1920 م، جبل شمر و إمارة آل رشيد
			1921 م، مكة 1924 م، المدينة و جدة 1925 م



صور لحكام آل سعود منذ بناء الدولة السعودية الثالثة حتى الآن



سعود بن عبد العزيز
1953 1964 م



عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود
1902 1953 م



خالد بن عبد العزيز
1975 1982 م



فيصل بن عبد العزيز
1964 1975 م



عبد الله بن عبد العزيز
2005-.... م



فهد بن عبد العزيز
1982-2005 م

الشعارات



منذ سنة 1950



1950 - 1932

نماذج للشعارات التي اتخذها ملوك نجد و الحجاز ثم السعودية منذ 1932 م.

الأعلام والرايات وفقاً لتسلسلها الزمني في الاستخدام



إمارة نجد 1902-1921 م



إمارة الدرعية 1750-1818 م



مملكة نجد 1926-1932 م



مملكة نجد 1921-1926 م
توجد عدة أعلام لهذه الفترة ؟؟؟



المملكة السعودية منذ 1973 م



المملكة السعودية 1932-1973 م

مصادر ومراجع البحث

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

١- الوثائق البريطانية:

1- I.O.R R/15/2/26 (India Office Library) From Captain F. B .prideaux , Political Agent , Bahrain . To – The Political Resident in the Persian Gulf Bushier

2- I.O L/P& S/18/B . 437 , Historical memo on the Relations the .B govt . Henceforth , H.M.R.W.S.A.B.G , 1800-1834

3- I.O. Factory records ,Persia And Persian gulf , VOL32

Elphinstion to Count of Directores ,4th ,January ,1820

4- I.O.R L/Pts/10/162 (India Office library)

British relation with Turkey in the Persian Gulf Memorandum on Lieutenant repeated in Government of India's Telegram Colonel Cox's Telegram of Ist DECOMENT 1910

5- I.O. R/15/6//36 , from the chief Pol . officer in charge , Iraqu station to director Arab Bureau , Cairo , 12 Jan ,19917

6- I.O L/P/ & S/18/B. 437 H.M.R.W.S.A.B.G 1800-1834

٢- الوثائق العثمانية:

١-٢- سجلات المحاكم الشرعية:

١. دفتر مفصل لواء عجلون: طابو دفتری رقم ١٨٥/أن/ ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م ، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت ، ونوفان الحمود ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩١

٢. دفتر نقص أحمال بني صخر والحجايا المرسله إلى القلاع في سنة ١١٥٤هـ/ ١٧٤١ ، طوب قبو سراي ، رقم ٣٧٥٠ ، ورقة ١-٣ ، محفوظ صورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الأردنية

٣. سجلات محكمة القدس الشرعية ، رقم ٢٨٥ ، حج ، ٩ شعبان ١٢١٩هـ/ ١٢ تشرين الثاني ١٨٠٤م

٤. سجلات المحكمة الشرعية في السلط دون رقم ٣- حج ، ١٠٨ محرم ١٣١٧هـ/ ٢٠ أيار ١٨٩٩م

٣- السالنامات:

١. سالنامة ولاية سورية سنة ١٢٥٨هـ/١٨٦٨م
٢. سالنامة ولاية سورية سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١
٣. سالنامة ولاية سورية ١٢٩١هـ/١٨٧٤
٤. سالنامة ولاية سورية ١٣١٢-١٣١٣هـ
٥. سالنامة ولاية الدولة العثمانية سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٤
٦. سالنامة ولاية البصرة لسنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٤
٧. سالنامة الدولة العثمانية لسنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧
٨. سالنامة الدولة العثمانية ١٣١٦هـ/١٨٩٨
٩. سالنامة الدولة العثمانية للعام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩
١٠. سالنامة الدولة العثمانية سنة ١٣٢٨هـ، ١٩١٠

ثانياً : المنشورات ذات الصبغة الوثائقية :

- 1- C . W . Aitcheson Collection of Treaties Engagement and sands , Relating To India and Neighboring Countries ,Calcutta 1933
- 2- G.A. Saldanha , The Persian Gulf précis, Archive Edition 1986
- 3- G.A. Saldanha , collection , Political and historical materials
Précis of Bahrain affairs 1854-1904 , London 1990
- 4-C.U. Aitchison ,Treaties And , Engagements ,Relating to ArabiaAnd The Persian Gulf ,Archive Edition ,London , 1987
- 5- Penelope Tuson. Records of Qatar primary Documents ,London 1991
- 6-Penelope Tuson. Records of The Emirates primary Documents 1820-1958, , London 1991
- 7-Penelope Tuson and Emma Quick, Arabian Treaties 1600-1960 , Bahrain .Qatar .United Arab Emirates , Archive Eadition , 1992
- 8- Schofield , Arabian Boundary Disputes , London 1992
- 9- Schofield , Island and Maritime Boundaries of the Persian the Persian Gulf , London 1988

ثالثاً: الكتب ذات الصبغة الوثائقية :

١. إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧ دراسة وثائقية، دار المريخ للنشر، الرياض، ط١، ١٨٧١
٢. البخيت، محمد عدنان، الوثائق الهاشمية، أوراق عبد الله بن الحسين، إعداد محمد عدنان البخيت وهند أبو الشعر ونوفان رجا السواري وبكر خازر المجالي، المجلد العاشر، القسم الثاني، جامعة آل البيت، عمان، ١٩٩٧/١٤١٨ هـ
٣. الجميعي، عبد المنعم ابراهيم الدسوقي، عسير خلال قرنين ١٢١٥-١٤٠٨ هـ / ١٨٠٠-١٩٨٠ "دراسة في ضوء الوثائق والنصوص التاريخية العسيرية والمصرية" دار الكتب، القاهرة، د.ت
٤. الخترش والمنصور، عبد المحسن وعبد العزيز، مصادر تاريخ قطر، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط٢، ١٩٨٤
٥. الشلق والخطيب، أحمد زكريا و مصطفى عقيل، قطر واتحاد الإمارات العربية التسع في الخليج العربي ١٩٦٨-١٩٧١ دراسة وثائقية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة، ط٢، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م
٦. صابان، سهيل، الجزيرة العربية بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني، ط١، دار الملك عبد العزيز الرياض، ٢٠٠٥
٧. العناني، أحمد، وثائق التاريخ القطري، "من الوثائق البريطانية والعثمانية ١٨٦٨-١٩٤٩"، مكتبة قصر الدوحة ، الديوان الأميري ، قسم الوثائق بمكتب أمير قطر، الدوحة ١٩٧٩
٨. نوار، عبد العزيز سليمان ورائدا، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، الجزء الأول، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١
٩. وزارة الخارجية السعودية بيان عن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإمام يحيى حميد الدين، وزارة الخارجية السعودية، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، ١٣٥٣ هـ
١٠. وزارة الخارجية السعودية، مجموعة المعاهدات، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ

رابعاً: المصادر العثمانية المترجمة:

١. حيدر بك، علي، مدحت باشا، حياته-مذكراته-محاكمته، ترجمة يوسف كمال بك حتاته وصديق الدملوجي ، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢
٢. الدستور، ترجمة نوفل نعمة نوفل، الجزء الأول، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠١ هـ
٣. صابان، سهيل، الجزيرة العربية في الوثائق العثمانية، ط١، دار الملك عبد العزيز، الرياض
٤. قورشون، زكريا، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت ، ٢٠٠٥
٥. قورشون، زكريا، قطر في العهد العثماني ١٨٧١-١٩١٦ دراسة وثائقية، ترجمة حازم سعيد منتصر الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨

خامساً: المصادر العربية:

١. ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور ووقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤
٢. ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد الله بن عبد العزيز، الرياض، ط٤، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣
٣. ابن كنان، محمد بن عيسى، المواعظ الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت اسماعيل، الجزء الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٩٢
٤. -الإحسان، محمد بن عبد الله بن عبد المحسن بن عبد القادر الأنصاري، تحفة المستفيد بتاريخ الإحسان في القديم والجديد، مطبعة الرياض، ١٣٧٩هـ
٥. -الحسين، عبد الله، مذكراتي، الأهلوية للطاعة والنشر، الطبعة الأولى، عمان، ١٤٠٩هـ-١٩٠٨
٦. الألوسي، محمود شكري، تاريخ نجد، تحقيق محمد بهجة الأثري، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت
٧. بن عيسى، إبراهيم بن صالح، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الرياض، ١٤١٩هـ
٨. بن عيسى، صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، دار الإمامة للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٩٦٧
٩. الحصري، ساطع، الدولة العثمانية والبلاد العربية، د.ن، بيروت، ١٩٦٠
١٠. حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، د.ن، القاهرة، ١٩٣٣
١١. خزعل، خلف حسين، تاريخ الجزيرة العربية في عهد الشيخ محمد عبد الوهاب، مطابع دار الكتب، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨
١٢. الخطيب، عبد الحميد، الإمام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل، الجزء الأول، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر الطبعة الأولى، ١٣٧٠هـ/١٩٥١
١٣. الدباغ، مصطفى مراد، قطر ماضيها وحاضرها، منشورات دار الطليعة، الطبعة الأولى، ١٩٦١
١٤. الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث وملحقاتها، المطبعة العلمية ليوسف صادر، بيروت، ط١، ١٩٣٨
١٥. = ملوك العرب "الحجاز-اليمن-عسير -لحج والنواحي المحمية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، دون تاريخ
١٦. الزركلي، خير الدين، عامان في عمان، المطبعة العربية، القاهرة، ١٩٢٥
١٧. شيخ الربوة، شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الدمشقي الأنصاري الصوفي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد. د.ت
١٨. ضاري بن رشيد، نبذة تاريخية عن نجد، مخطوطة كتبت بيد وديع البستاني في بومباي في الهند. دار الإمامة، بيروت، ١٩٦٨

١٩. القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تعليق محمد حسني شمس الدين، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧
٢٠. كحالة، محمد رضا، جغرافية شبه الجزيرة العربي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤
٢١. كرد علي، محمد، خطط الشام، ج ٣، د.ن، دمشق، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٥
٢٢. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن احمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لندن، ط ٢، ١٩٠٦
٢٣. المقرئزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة الملوك، شعبان العابدي ومحمد عوض، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٩٦
٢٤. النبهانى، محمد بن خليفة بن حمد بن موسى، التحفة النبهانى في تاريخ الجزيرة العربية المكتبة الوطنية البحرين، ١٩٨٦
٢٥. نصيف، حسين بن محمد، ماضي الحجاز وحاضره، الجزء الأول، مكتبة ومطبعة خضير، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٢٤٩هـ
٢٦. نوفل، سيد، الخليج أو الحدود الشرقية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م
٢٧. الهمذاني، الحسن بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠
٢٨. وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الرياض، ط ١، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥
٢٩. وهبة، حافظ، خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٦٠
- سادساً: المصادر الأجنبية المعربة:
١. أنجرامس، دبليو إتش، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥، ترجمة سعيد عبد الخير نويان، دار عدن للطباعة والنشر، عدن، ٢٠٠١
٢. أوبالانس، إدغار، اليمن الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠، ترجمة عبد الخالق و محمد لا شيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠
٣. أوزبران، صالح، الأتراك العثمانيين والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١، ترجمة عبد الجبار ناجي، بغداد، د.ت
٤. بكنغهام، جيمس، رحلتي إلى العراق، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٦٩
٥. بلغريف، تشارلز، ساحل القراصنة، ط ١، دار الخيال، بيروت، ٢٠٠٦
٦. بيربي، جان جاك، الخليج العربي، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز، منشورات المكتب التجاري لطباعة والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٩
٧. بيك، فريدريك، تاريخ شرق الأردن وقبائلها، تعريب بهاء الدين طوفان، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، ١٩٣٤

٨. ج.ج. لوريمير ، دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان أمير قطر ، ٧ أجزاء ، الدوحة ١٩٦٩
٩. ج.ج. لوريمير ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ٧ أجزاء ، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، بدون تاريخ
١٠. جويس ، جريجوري ، العلاقات اليمنية السعودية بين الماضي والحاضر ، ترجمة سامي الشامي وطلعت غنيم حسن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، د.ت
١١. الحبشي ، عمر ، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً من عام ١٩٣٧ وحتى قيام اليمن الجنوبية الشعبية ، ترجمة فرح الياس ، محمد خليل ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٨ م
١٢. درمولين ، فان ، ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة ، ترجمة ويسى آي . سي ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٩٩٩
١٣. شركة الزيت العربية الأمريكية ، إدارة العلاقات العامة ، شعبة البحث ، عمان والساحل الجنوبي للخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٥٢
١٤. ف. ناومكين ، الجبهة القومية ونضالها من أجل الاستقلال والديمقراطية ، د.ن ، موسكو ، ١٩٨٠
١٥. فيلبي ، جون ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ترجمة عمر الديراوي ، بيروت ، د.ت
١٦. فيلبي ، هاري سانت جون ، مغامرات النفط العربي ، ترجمة عوض البادي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢١ هـ
١٧. كاتز ، مارك ن. ، حرب اليمن ١٩٩٤ "الأسباب والنتائج" ، مركز الدراسات والأبحاث الاستراتيجية ، أبو ظبي ، ١٩٩٦
١٨. كوستنر ، جوزيف ، العربية السعودية ١٩١٦-١٩٣٦ م من القبيلة إلى الملكية ، ترجمة شاكر ابراهيم سعيد ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦
١٩. كلي. جون.بي ، بريطانيا والخليج العربي ، ترجمة محمد أمين ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٧٩
٢٠. = الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ترجمة خيرى حماد ، مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١
٢١. لانكستر ، هاردنج ، آثار الأردن ، ترجمة سليمان موسى ، منشورات وزارة السياحة والآثار ، عمان ، ١٩٨٢ م
٢٢. لونكريك ، ستيفن هيمسلي ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، مكتبة التحرير ، بغداد ، ١٩٦٢
٢٣. ماكرو ، إيريك ، اليمن والغرب ، ترجمة حسين عبد الله العمري ، لندن ، ١٩٧٨
٢٤. مجموعة من المؤلفين السوفييت ، تاريخ اليمن المعاصر ، ترجمة محمد علي البحر ، مراجعة أبو بكر السقاف محمد أحمد علي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٠

٢٥. موسيل، ألويس، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية ،ترجمه عن الألمانية سعيد بن فايز ابراهيم السعيد، الدار العربية للموسوعات، الرياض ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣
٢٦. ولكنسون ، جون.س ، حدود الجزيرة العربية "قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء" ، ترجمة مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت

سابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية :

- 1- H.R.P .DICKON , Kuwait and her Neighbors , London , 1956.
- 2- Gertrude Bell, The Desert and the Sown: Travels in Palestine and Syria The Arabian Diaries, 1913-1914, Persian Pictures
- 3- William Gefford Palgrave ,A years Journey through Central and Eastern Arabia , Macmillan and co , London 1965 , Vol
- 4- John c . wilkinson , Arabia's frontier hestory of Britain's boundary drawing the desert, London-New YORK
- 5- R.G. Gavin ,Aden under British rule ,1839-1967
- 6- Hoskins , Halford , L, The Middle East Problem Area in world Politics (N.Y. 1957)
- 7- Panikare ,K .M, Asia and western dominance, calcutta, 1954
- 8- Marsion Thomas . E , Britain's Imperial Role in the Red sea Area (1800-1878) Hamden Conn , shoe string press ,1961
- 9- KELLY ,J.B . Britain and Persian Gulf ,London , 1965
- 10- Niebuhr . m ,Travels in Arabian, Edinburg ,1992
- 11- Merrill ,SELHA , East Of The Jordan: A Record Of Travel And Observation In The Countries Of Moab, Gilead And Bashan During The Years, 1875-1877

المراجع العربية:

١. أباطة، فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨، القاهرة ، ١٩٧٦
٢. أباطة، فاروق، دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية بين الحربين العالميتين، دار المعارف، القاهرة ، د.ت
٣. إبراهيم، حسن علي، الكويت دراسة سياسية، دار البيان، بيروت ، ١٩٧٢
٤. إبراهيم، عبد العزيز، عبد الغني، أمراء وغزاة قصة الحدود والسيادة الإقليمية في الخليج دراسة وثائقية، دار الساقى ، لندن ، الطبعة الثانية، ١٩٩١
٥. أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، ترجمة محمد أمين عبد الله، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ
٦. أبو حاكمة، أحمد مصطفى، محاضرات في تاريخ شرقي شبه جزيرة العرب في العصور الحديثة وما بعدها، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ، ١٩٦٨
٧. أبو زيد، راشد توفيق، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط ١ ، دار راشد توفيق ، القاهرة ، ٢٠٠٢
٨. أبو علي، حسن عبد الفتاح، تاريخ الدولة السعودية الثانية، دار المريخ للنشر، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ/١٩٩١
٩. أبو علي، حسن عبد الفتاح، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، دار المريخ، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١
١٠. أبو عيانة، فتحي محمد، دراسة في جغرافية شبه الجزيرة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤
١١. أمين، جلال أحمد، المشرق العربي والغرب، بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية، دن ، بيروت، ط ٣، ١٩٨١
١٢. البجارنة، محمد حسين، التطورات السياسية الدستورية في دول الخليج العربية ١٨٢٠-٢٠٠٤، دار الكنوز الأدبية، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، د.ت
١٣. البحيري، صلاح الدين، أرض فلسطين والأردن وطبيعتها وحياتها واستعمالها، معهد الدراسات العربية، عمان، ١٩٧٤م
١٤. البخيت محمد عدنان، قانون نامة لواء عجلون، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٩
١٥. بن حارب، عبد الرحمن يوسف، الخليج العربي والتطورات السياسية ١٩١٤-١٩٧١، دار الثقافة العربي، الشارقة ، د.ت .
١٦. البوريني، أحمد قاسم، الإمارات السبع على الساحل الأخضر، دار الحكمة، بيروت، ١٩٥٧

١٧. بيات، فاضل مهدي، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣
١٨. النقي، محمد حامد، أثر الدعوة الوهابية في الحياة الاجتماعية والعمرانية، د.ن، القاهرة، ١٩٣٥
١٩. الجاسور، ناظم عبد الواحد، إشكالية الحدود في الوطن العربي، دراسة في الصراعات السياسية والخلافات الحدودية العربية، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠١
٢٠. جرجس، إجيّه يونان، البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربي والصراع العالمي، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٩
٢١. جلال، يحيى، البحر الأحمر والاستعمار، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢
٢٢. الجوهري، يسرى، دول الخليج العربي والمشرق الإسلامي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، ١٩٩٧
٢٣. حسن، محمد، الجغرافية السياسية دراسة في مقومات الدولة ومظاهرها وإمكانياتها ومشكلاتها إقليمياً وسياسياً، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٩٩
٢٤. الحمش، منير، خمسون عاماً على قيام جامعة الدول العربية "النظام الإقليمي العربي في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية"، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٥، ص ٦١-٦٢
٢٥. الخترش، فتوح عبد المحسن، تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، ذات السلال، الكويت، ١٩٨٣
٢٦. الخطباء، فوزي، الطفيلة الإنسان والتاريخ، دار الفيحاء، عمان، ١٩٨٥
٢٧. درويش، مديحة، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق للنشر والتوزيع، د.م، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠
٢٨. دوماني، بشارة، إعادة اكتشاف فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨
٢٩. الديخ، قباعة رزق هارون، معان، د.ن، عمان، ط١، ١٩٨١
٣٠. الذيب، محمد محمود، الجغرافية السياسية أسس وتطبيقات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤
٣١. رافق، عبد الكريم، المشرق العربي في العهد العثماني، منشورات جامعة دمشق ط٧، ١٩٩٩
٣٢. الرشيد، أحمد، الحدود الدولية ماهيتها وتطور وظائفها، مركز البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢
٣٣. رضوان، محمد، منازعات الحدود في العالم العربي "مقارنة سوسيو تاريخية وقانونية لمسألة الحدود العربية، الدار البيضاء، ١٩٩٩
٣٤. الرميحي والسقاف، محمد و فارس، مستقبل العلاقات اليمنية الخليجية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢
٣٥. الرواشدة، محمد اسماعيل، الشوبك الأرض والإنسان، د.ن، عمان، ٢٠٠٢

٣٦. الرواضية، عيد المهدي، الأردن في موروث الجغرافيين والرحالة العرب، وزارة الثقافة، عمان، ط٢،

٢٠٠٢

٣٧. ريان، عيد حسن علي، العلاقات الأردنية البريطانية، ١٩٢٢-١٩٢٩، رسالة ماجستير، عين شمس،

د.ت

٣٨. الرئيس، رياض نجيب، الخليج العربي ورياح التغيير، دار الرئيس للكتب والنشر، لندن، ١٩٨٧

٣٩. الزباني، أمل ابراهيم، البحرين "دراسة في محيط العلاقات الدولية ١٧٨٣-١٩٧٣"، دار الفكر،

بيروت، ١٩٧٣

٤٠. ساعاتي، أمين، الحدود الدولية للمملكة العربية السعودية، المركز السعودي للدراسات الاستراتيجية،

القاهرة، ١٩٩١

٤١. سالم، سيد مصطفى، تكوين اليمن الحديث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤

٤٢. سالم، سيد مصطفى، مراحل العلاقات اليمنية-السعودية ١١٥٨-١٣٥٣هـ/١٧٥٤-١٩٣٤"خلفية

وحوارات تاريخية"، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣

٤٣. سعيد، ابراهيم، مابين الجغرافية السياسية ومخاطر الجيوبوليتيك والعولمة، الأوائل للنشر والتوزيع

دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦

٤٤. سعيد، أمين محمد، الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية العربية خلال ربع قرن، مكتبة

مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، د.ت

٤٥. سعيد، أمين، العربية السعودية، مطابع دار الهلال، الرياض، د.ت

٤٦. سلطان، عبد الرحمن، حروب بلا نهاية "الصراع اليمني -السعودي"، مؤسسة الرافد، لندن، ١٩٩٦م

٤٧. سلطان، ناجي، التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩. ١٩٦٧م، دار العودة، بيروت، ط٥، ١٩٨٥م

٤٨. السماك، محمد أزهر، الجغرافيا السياسية المعاصرة، دار الأمل، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م

٤٩. الشاعر، صالح يحيى، تسوية النزاعات الدولية سلمياً، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة،

٢٠٠٦

٥٠. الشامي والصقار، صلاح الدين فؤاد محمد، جغرافية الوطن العربي الكبير، منشأة المعارف،

الإسكندرية، ١٩٧٠

٥١. شتا، أحمد عبد الونيس، الحدود الدولية ماهيتها وتطور وظائفها، مركز البحوث والدراسات الإنسانية،

جامعة القاهرة، ١٩٩٢

٥٢. شقيرات، أحمد صدقي، تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن، دن، عمان، ط١، ١٩٩٢

٥٣. الشلق، أحمد زكريا، فصول من تاريخ قطر السياسي، مطابع الدوحة الحديثة المحدودة، الدوحة

١٩٩٩

٥٤. شهاب، مفيد، المفاوضات الدولية علم وفن، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، ١٩٩٣

٥٥. الشهاري، محمد علي، المطامع التوسعية السعودية في اليمن، دار ابن خلدون للطباعة والنشر، صنعاء، ط١، ١٩٧٩
٥٦. الصباح، ميمونة الخليفة، الكويت في ظل الحماية البريطانية، د.ن، الكويت ط١، ١٩٩٨
٥٧. الصباغ، ليلي، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، منشورات جامعة دمشق، ط٣
٥٨. الصباغ، محمد عبد اللطيف، بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩
٥٩. الصراف، علي، اليمن الجنوبي "الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة"، رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن، قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٩٢
٦٠. طهوب، فائق حمدي، تاريخ البحرين السياسي: ١٧٨٣-١٨٧٠، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٣
٦١. العابد، صالح، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨١٠، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٩
٦٢. عبد الله، عبد الرحيم، اليمن ثورة وثور، منشورات مجلة اليمن الجديدة، صنعاء، ٢٠٠١
٦٣. عبد الله، محمد مرسي، إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣-١٨١٨، الجزء الأول، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٨
٦٤. عبيدات، محمود، الأردن في التاريخ : المقدمة من العصر الحجري حتى قيام الإمارة، مطبعة جرو برس ، طرابلس، ١٩٩٢
٦٥. العجيلي، محمد صالح، دولة الإمارات العربية المتحدة دراسة في الجغرافية السياسية، مركز الإمارات العربي للدراسة والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٠
٦٦. العرب، عبد الله بن محسن، تاريخ اليمن الحديث منذ فترة خروج العثمانيين الأخير، تحقيق محمد عبد الله الحبشي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٤٧
٦٧. العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٧ د.ن، بغداد، ١٩٤٩
٦٨. العزي، خالد، الخليج العربي ماضيه وحاضره، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٧٢
٦٩. العقاد، صلاح، الاستعمار الإنجليزي في الخليج الفارسي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت
٧٠. = التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م
٧١. العقيلي، محمد، أضواء على تاريخ الجزيرة العربي الحديث، دار العلم، السعودية- جدة، ١٩٩٢
٧٢. العقيلي، محمد، تاريخ المخلاف السليماني، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٢
٧٣. عليّة، حسن عبد الفتاح، تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠-١٨٩١، دار المريخ، الرياض، ١٩٩١
٧٤. عمرو، عبد الرؤوف أحمد، قناة السويس في العلاقات الدولية ١٨٦٩-١٨٨٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧

٧٥. العمري، محمد بن سعيد بن محمد كنعلات، التسوية القانونية لمنازعات الحدود بين دول شبه الجزيرة العربية، المكتب الجامعي الحديث، د.م، ٢٠٠٧
٧٦. العيدروس، محمد حسن، التطورات السياسية في الإمارات العربية المتحدة ١٩٣٢-١٩٧١، دار الكتاب الحديث، دبي، ٢٠٠٢
٧٧. = الحدود العربية-العربية في الجزيرة العربية، دار الكتاب الحديث، الإمارات ٢٠٠٢/هـ ١٤٢٢
٧٨. = تاريخ الخليج العربي المعاصر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨
٧٩. = سياسة العثمانيين تجاه الخليج العربي، دار المتنبي للطباعة والنشر، أبو ظبي، الطبعة الأولى، د.ت
٨٠. غرايبة، عبد الكريم، سورية في القرن التاسع عشر، معهد الدراسات الغربية العالمية، د.م، ١٩٦٢م
٨١. = مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠، ج ٢
٨٢. غوانمة، يوسف درويش، أيلة، دار هشام للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٩٨٤
٨٣. الفرحان، راشد عبد الله، مختصر تاريخ الكويت وعلاقاتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٩٦٠
٨٤. الفلكي، يوسف قضية البحرين بين الماضي والحاضر، د.ن، القاهرة، بدون تاريخ
٨٥. الفيل، محمد رشيد، الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي، رابطة الاجتماعيين، الكويت، ١٩٧٥
٨٦. الفيل، محمد رشيد، الجغرافية التاريخية للكويت، ط ٢، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٧
٨٧. قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي ١٨٤٠-١٩١٤، د.ن، القاهرة، ١٩٦٦
٨٨. = الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات ١٥١٤-١٩٤٥م، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣
٨٩. = تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر "إمارات الخليج العربي في عهد التوسع ١٥٠٧-١٨٤٠م"، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥
٩٠. قلعجي، فدوى، الخليج العربي، ط ٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٢
٩١. الكرمل، أنستاس، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧
٩٢. كشك، محمد جمال، السعوديون والحل الإسلامي، المطبعة الفنية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤
٩٣. ماضي، محمد عبد الله، النهضة الحديثة في جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٢
٩٤. متولي، محمد، حوض الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥

٩٥. متى، أنطوان، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني إلى الثورة الإيرانية (١٧٩٨-١٩٧٨)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣
٩٦. محافظة، علي، تاريخ الأردن المعاصر عهد الإمارة ١٩٢١-٩٤٦، مركز الكتب الأردن، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٩
٩٧. محجوب والنحال، عزام ومحمد، حرب الخليج والبعد الاقتصادي والرهان الدولي، مؤسسة عبد الكريم عبد الله، ١٩٩١
٩٨. محمد، نجاح، تاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٦
٩٩. محيرز، عبد الله أحمد، العقبة "دراسة تحليلية جغرافية وتاريخية لجانب من مدينة عدن، وزارة الثقافة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤
١٠٠. مشكور، سالم، نزاعات الحدود في الخليج معضلة السيادة والشرعية، مركز الدراسات الاستراتيجية والتوثيق بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣
١٠١. مصطفى، نادية أوروبا والوطن العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٦
١٠٢. مقداد، خليل، درعا مدينة الديكابول، دار عكرمة، دمشق، ط١، ١٩٩٨
١٠٣. المنصور، عبد العزيز، التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨ - ١٩١٦، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠
١٠٤. المنصور، عبد العزيز، التطور السياسي لقطر ما بين عامي ١٩١٦-١٩٤٩، منشورات ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤
١٠٥. مهنا، محمد نصر، تحديث الخليج العربي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٠
١٠٦. موسى والماضي، سليمان ومنيب، تاريخ الأردن في القرن العشرين، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٥٩
١٠٧. موسى، سليمان، تأسيس الإمارة الأردنية (١٩٢١-١٩٢٥)، المطبعة الأردنية، عمان، ط١، ١٩٧١
١٠٨. موسى، سليمان، دراسات في تاريخ الأردن الحديث، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٩
١٠٩. ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩. ١٩٦٧، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥
١١٠. النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٧٥
١١١. النعيم، مشاري عبد الرحمن، الحدود السياسية السعودية البحث عن الاستقرار، دار الساقى، بيروت، ط١، ١٩٩٩
١١٢. نوار، عبد العزيز، تاريخ العراق الحديث، دن، القاهرة، ١٩٦٨
- i. = داوود باشا في العراق، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٨
١١٣. نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٠

١١٤. الهاجري، يوسف، السعودية تبتلع اليمن، الصفا للنشر والتوزيع، لندن، ١٩٨٨
١١٥. = سراب الوحدة في الخليج، دراسة في الإشكالية الحدودية لمجلس التعاون الخليجي، دار الصفا، لندن، ط١، ١٩٩٣
- تاسعاً : الصحف والمجلات :
١. المعرفة، العدد ٥٨، الثلاثاء ١/٩/ ٢٠٠٩
٢. أم القرى العدد ١٤٥ الصادر في ٢٧ ربيع الأول ١٣٤٦ الموافق ١٦ أيلول ١٩٢٧م و العدد ٨ في ٣ رجب ١٣٤٥ هـ الموافق ٧ يناير (كانون الثاني)، ١٩٢٧
٣. الأهرام، ٢٨/٥/١٩٧٧
٤. الجريدة الرسمية لإمارة شرق الأردن- عمان، العدد ٩٥٦، الأربعاء ٢٧ شوال ١٣٦٧ هـ الموافق ١١ ايلول ١٩٤٨ و العدد ٨٩٨، الأربعاء ٢٦ جمادى الأولى ١٣٦٦ هـ-الموافق ١٦ نيسان ١٩٤٧
٥. جريدة الشرق القطرية ١٠ آذار ٢٠٠٨
٦. الجزيرة نت، المعرفة، في ٣/١٠/ ٢٠٠٤
٧. الحياة، العدد ١١٩٧٥، الرياض، ٥/١٢/١٩٩٥
٨. السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١١١ كانون الثاني، ١٩٩٣ و العدد ٥٧، السنة ١٥ تموز ١٩٧٩
٩. الشرق الجديد ، العدد ٢٨ ، موسكو ، ١٩٣٠
١٠. الشرق العربي، السنة الثالثة، العدد ١٢٧، تاريخ ١/٥/١٩٢٦
١١. صحيفة ٢٦ سبتمبر، العدد ٦٠-٣٦١ في ١٧/١١/ ١٩٨٣ و العدد ١٠٤٤، ١٢ كانون الأول ٢٠٠٢
١٢. صحيفة الاقتصادية الالكترونية، العدد ٥٦٤٧، السبت ١/٤/ ١٤٣٠ هـ الموافق ٢٨ مارس /آذار/ ٢٠٠٩
١٣. صحيفة الأيام، العدد ٥٤٦٣، ٢٤/٧/٢٠٠٨
١٤. صحيفة الوقت البحرينية، العدد ١٣١٠، ٣ شوال ١٤٣٠ هـ الموافق ٢٢ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٩
١٥. عكاظ، العدد ٢٣٧٤، الاثنين ٧/١٢/١٤٢٨ / ١٧/١٢/ ٢٠٠٧
١٦. القدس العربي، السنة التاسعة عشرة، العدد ٥٨٣٩، الخميس ١٣ آذار/ ٥ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ
١٧. مجلة الأزهر، الجزء السادس، المجلد ٢٥، ١٩٥٤
١٨. مجلة السياسة الدولية، العدد ١٤٥، تموز ٢٠٠١ م و العدد ١١١، كانون الثاني ١٩٩٣
١٩. مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٣ لعام ٢٠٠٢
٢٠. مجلة المنار، المجلد ١١، ذي القعدة ١٣٢٦/ ١٩٠٨ ، والجزء الخامس، المجلد ٣٣، جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ
٢١. مجلة الوثيقة، العدد السادس عشر، السنة الثامنة، البحرين، كانون الثاني، ١٩٩٠ و العدد السابع عشر، السنة التاسعة البحرين، تموز ١٩٩٠
٢٢. مجلة تراث وتاريخ، العدد ١٣٩٨٥، ٧ كانون الثاني ٢٠٠٨

٢٣. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية الكويت، عدد ٤٣، نيسان/أيار ١٩٨٥ والعدد ١١٥ أكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠٤
٢٤. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في السعودية، جامعة الملك عبد العزيز، العدد ١ لعام ٢٠٠٢
٢٥. الوثيقة دورية نصف سنوية، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد الخامس، السنة الثالثة شوال ١٤٠٤هـ/ تموز ١٩٨٤
٢٦. اليوم الإلكتروني، العدد ١٢٤٢٢، الجمعة ١٤-٦-١٤٢٨هـ/ ٢٩-٦-٢٠٠٧

عاشراً : الموسوعات والمعاجم والمؤتمرات

١. الأندلسي، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، معجم من استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥
٢. الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي في المملكة العربية السعودية، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٧
٣. جمعة، إبراهيم، الأطلس التاريخي للدولة السعودية، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٧٢م
٤. الحموي، ياقوت معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧
٥. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، أيار ٢٠٠٢
٦. شهاب، حسن صالح، الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية، ندوة رأس الخيمة التاريخية ١٤٠٩/ ١٩٨٨، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة- الإمارات العربية، ط١، ١٤٢٢م/ ٢٠٠١
٧. المقحفي، أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ١٤٣٣هـ
٨. غريال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١

١١ - المواقع الإلكترونية :

١. الموقع الإلكتروني: موسوعة مقاتل
<http://www.moqatel.com/openshare/maps2/TrkhiaGall/document177225>
٢. الموقع الإلكتروني: البي بي سي نيوز البريطانية www.bbc.com.uk.arabic.news
٣. الموقع الإلكتروني: أخبار الغد، صحيفة الكترونية، السعودية واليمن يوقعان اتفاقية لتنظيم سلطات الحدود بينهما، الأحد ٨ يونيو (حزيران) ٢٠٠٣ <http://www.alghadnews.com>
٤. الموقع الإلكتروني: أرين شبكة الأنباء الإنسانية، اليمن النزاع في محافظة صعدة، صنعاء في ٢٧ تموز ٢٠٠٨ WWW.IRINnews.org
٥. رئاسة الجمهورية اليمنية، المركز الوطني للمعلومات، ١٢ حزيران، ٢٠٠٠

٦. <http://www.yemen-nic.info/presidency/detail.php?ID=7013>
٧. المؤتمر نت من اليمن إلى العالم، موقع الكتروني، الأربعاء ٣ مارس (آذار) ٢٠٠٠
٨. <http://www.almotamar.net/news/6666.htm>
٩. المؤتمر نت من اليمن إلى العالم، الثلاثاء ١٧ شباط
١٠. <http://www.almotamar.net/news/6666.htm>
١١. المجلس اليمني نقلاً عن وزارة الإدارة المحلية في اليمن ، الجمهورية اليمنية ، قطاع التنمية المحلية ، الإدارة العامة للتقسيم الإداري والانتخابات في ١٢/٦/٢٠٠٤
- <http://www.ye1.org/vb/showthread.php?t=430464>
١٢. الموقع الإلكتروني: <http://www.KUWAIThistory.net/vb/showthread.php?=1400>
١٣. الموقع الإلكتروني: شبكة العز الثقافية: <http://www.al3ez.net/vb/archive/index.php/t-23219.html>
١٤. الموقع الإلكتروني: المعرفة <http://www.marefa.org/index.php>
١٥. الموقع الإلكتروني: <http://www.libyanmobile.com/vb/showthread.php?t=944>
١٦. الموقع الإلكتروني: <http://www.m-ro7e.com/vb/t31738.html>
١٧. الموسوعة الحرة ويكيبيديا: <http://en.wikipedia.org/wiki>
١٨. الموقع الرسمي لمجلس الشورى، مملكة البحرين، جغرافيا مملكة البحرين، في ٢٢/٣/٢٠١٠
- <http://www.shura.bh/LegislativeResource/bahrain/Pages/geography.aspx>
١٩. الموقع السوري للاستشارات والدراسات القانونية، مكتبة القوانين والاجتهادات
- <http://www.barasy.com/index.php>
٢٠. الموقع الإلكتروني: www.arabianbusiness.com. Arabic .523999
٢١. الموقع الرسمي لوزارة الخارجية السعودية، خطابات المملكة في المحافل الدولية، اليمن-السعودية بيان مشترك في ٥/٥/١٤٢٧ الموافق ١/٦/٢٠٠٦
- <http://www.mofa.gov.sa/Detail.asp?InNewsItemID=5080>
٢٢. الموقع الإلكتروني: الفسطاط المجلة التاريخية:
- http://www.fustat.com/C_hist/qarn14_14.shtml#tophglgm

